بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الغاشية [1]

مقصودها شرح ما في آخر[2] «سبح» من تنزيه الله سبحانه و تعالى
عن العبث[3] باثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها، و ذكر ما فيها
للأتقى و الأشقى، و الدلالة على القدرة عليها. و أدل ما فيها على هذا
المقصود الغاشية - نعوذ بالله من القلب العاشي و البصيرة العاشية، ٥
لئلا تكون الغاشية علينا بسوء الأعمال ناشية ﴿بسم الله﴾ الذي له العظمة
البالغة و الحكمة الباهرة ﴿الرحمن﴾ الذي له الفيض الأعلى[4] و النعم[5] الظاهرة
﴿الرحيم ٭﴾ الذي اصطفى أولياء فأصلح بواطن نعمهم حتى عادت
ظاهرة[6] طاهرة ٭

لما ختمت «سبح» بالحث على تطهير النفوس عن وضر الدنيا، ١٠
و[7] رغب في ذلك بخيرية الآخرة تارة و الاقتداء بأولي العزم من الأنبياء
أخرى، رهب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة، و من التزكي[8] بغير
منهاج الرسل أخرى، فقال تعالى مذكرا بالآخرة التي حث عليها آخر

---

(١) الثامنة و الثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٢٦ (٢) زيد في الأصل: سورة، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و في الأصل: البعث (٤) من ظ و م، و في الأصل: العالى (٥) من ظ و م، و في الأصل: النقمه (٦) في ظ: زاهرة (٧) من ظ و م، و في الأصل: ثم (٨) من ظ و م، و في الأصل: التزكية.

تلك مقررا لأشرف خلقه صلى الله عليه و سلم لأن ذلك أعظم فى تقدير اتباعه / و أقعد فى تحريك النفوس إلى تلقى الخبر بالقبول: ﴿هل اتىك﴾ أى جاءك و كان الىك و واجهك على وجه الوضوح يا أعظم خلقنا ﴿حديث الغاشية ١﴾ أى القيامة التى تغشى الناس بدواهيها و شدائدها ٥ العظمى و زواجرها و نواهيها، فان الغشى لا يكون إلا فيما يكره.

/ ٧٣٨

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم تنزيهه سبحانه عما توهم الظالمون، و استمرت آى السورة على ما يوضح تقدس[1] الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم، أتبع ذلك بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة الاستفهام[2] تعظيما لأمرها، فقال لنبيه صلى الله عليه و سلم: «هل أتاك» ١٠ يا محمد «حديث الغاشية» و هى القيامة، [فكأنه -[3]] سبحانه و تعالى يقول: فى ذلك اليوم يشاهدون جزاءهم و يشتد تحسرهم حين لا يغنى عنهم، ثم عرف بعظيم امتحانهم فى قوله «ليس لهم طعام الا من ضريع» مع ما بعد ذلك و ما قبله، ثم عرف بذكر حال من كان فى نقيض حالهم إذ ذلك أزيد فى الفرح و أدهى، ثم أردف بذكر ما نصب من الدلائل ١٥ و كيف لم يغن فقال «أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت» - الآيات، أى أفلا يعتبرون بكل ذلك و يستدلون بالصنعة على الصانع ثم أمره بالتذكار[4] - انتهى.

و لما هول أمرها بانبهامها[5] و عمومها، زاد فى التهويل بما ذكر من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تقديس (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الانهام (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالتذكير (٥) من ظ، و فى الأصل و م: بإبهامها.

أحوالها

أحوالها فى تفصيل الناس إلى شقى و سعيد ، و بدأ بالشقى لأن المقام لإنذار المؤثرين للحياة الدنيا ، و سوّغ الابتداء [١] بالنكرة التفصيل [١] فقال : ﴿ وجوه ﴾ اى كثيرة جدا كائنة [٢] ﴿ يومئذ ﴾ [أى - [٣]] إذ تغشى الناس ﴿ خاشعة ۙ ﴾ أى ذليلة مخبتة من الخجل و الفضيحة و الخوف و الحسرة [٤] التى لا تنفع فى مثل هذا الوقت [٤] ﴿ عاملة ﴾ أى مجتهدة فى الأعمال التى تبتغى [٥] بها النجاة حيث لا نجاة بفوات دار العمل فتراها جاهدة فيما [٦] كلفتها به الزبانية من جر السلاسل و الأغلال و خوض الغمرات من النيران و نحو ذلك كأن يقال له : أد الأمانة ثم تمثل له أمانته فى قعر جهنم ، فتكلف النزول إليها ثم يحملها على عنقه و يصعد فى جبال النيران حتى إذا كاد [٧] أن يصل إلى [٧] أعلاها سقطت منه فيتكلف النزول [٨] إليها و هكذا [٨] ، و هذا بما كان يهمل العمل فى الدنيا ﴿ ناصبة ۙ ﴾ أى هى فى ذلك فى غاية التعب و الدؤب فى العمل و الاجتهاد - هذه رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما [٩] ، و ذلك لأنهم لم يخشوا الله فى الدنيا فلم يعملوا له فلم ينصبوا فى طاعته أجسادهم [١٠] فاضطرهم فى ذلك اليوم إلى أعظم مما أبوه فى الدنيا مع المضرة دون المنفعة ، و يجوز أن يراد بها الذين تعبوا و نصبوا فى الدنيا أجسامهم [١٠] و هم على غير

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالذكر التفصيلى (٢) من ظ ، و فى الاصل و م : كانهم (٣) زيد من م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ينبغى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فى كل ما (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : إلى ان يصلها من (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) راجع المعالم ٧/ ١٩٨ (١٠) سقط من ظ و م و المعالم .

/٧٣٩ دين الإسلام كالرهبان من النصارى بعد النسخ و زنادقة المتصوفة من/ الفلاسفة و أتباعهم، بأن يكون «وجوه» مبتدأ و «يومئذ» خبره أى كائنة يومئذ، ثم يقدر ما بعده فى جواب سؤال سائل يقول: ماشأنها؟ فأجيب بقوله: خاشعة، أى فى الدنيا - إلى آخره، و هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما ٥ فى رواية عطاء عنه.

و لما كان العذاب لا يكون إلا [على - [1]] ما يكرهه المعذب، دله على ذلك و على أنه على أنهى ما يكون ببناء[2] الفعل للفعول فى قراءة أبى عمرو و يعقوب و أبى بكر عن عاصم فقال: ﴿تصلى﴾ أى يصليها مصل على[3] أيسر وجه و أسهله بأمر من له الأمر بأن يغمسها قهرا على وجه الإحاطة بها.

١٠ و المعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل: تدخل و تباشر بأن يدسها فيها أصحابها فيحيط بها من كل جانب و هو يدل على غاية الذل لأن من فعل بنفسه هذا لا يكون إلا كذلك ﴿نارا[4] حامية ﴿٤﴾﴾ متناهية فى الحر لأنها عملت بالجهل على خلاف ما حده لها نبيها فأخلت بركن للعمل أو شرط لما استولى عليها من الغفلة التى أحاطت بها[5]، فلم تدع لها موضعا يصلح ١٥ لدخول[6] الرحمة منه.

و لما كان من فى الحر أحوج شيء إلى ما يبرد[7] باطنه، قال بانيا [عند الكل -[8]] للفعول جريا على قراءة أبى عمرو فى الذى قبله: ﴿تسقى﴾

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بدا - كذا (م) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) وقع فى الأصل بعد «تصلى» و الترتيب من ظ و م. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لدخوله. (٧) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

أى يسقى كل من أذن له الملك فى ذلك على آهون وجه [1] وأيسره [1] ﴿من عين آنية ٥﴾ أى بلغت غايتها فى الحر فنضجت غاية النضج فصارت إذا قربوها منهم سقط لحم وجوههم . و إذا شربوا قطعت أمعاءهم مما شربوا فى الدنيا من كأسات الهوى التى قطعوا باستلذاذهم لها قلوب الأولياء .

٥ و لما ذكر ما يسقونه على وجه علم منه أنه لا يلذذ و لا يروى من عطش ، أتبعه ما يطعمونه فقال حاصرا له : ﴿ ليس لهم ﴾ أى هؤلاء الذين آذابوا أنفسهم فى عبادة لم يأذن الله فيها ﴿ طعام ﴾ أصلا [2] ﴿الا من ضريع لا﴾ أى يبيس الشبرق ، و هو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا ، فاذا يبس تحامته [3]، و هو سم ؛ [و - [4]] قال فى القاموس : و الضريع كأمير :

١٠ الشبرق أو يبيسه أو نبات رطبه يسمى شبرقا ، و يابسه يسمى ضريعا ، لا تقربه دابة لخبثه ، أو شىء فى جهنم أمر من الصبر و أنتن من الجيفة [5] و أحر من النار . و نبات منتن يرمى به البحر ، و قال الهروى فى الغريبين و عبد الحق فى الواعى : الضريع : الشبرق ، و هو نبات معروف بالحجاز ذو [6] شوك ، و يقال شبرق ما دام رطبا ، فاذا جف فهو ضريع ، و قال القزاز فى ديوانه :

١٥ الضريع : يبيس من يبيس الشجر ، و قيل : هو يبيس الشبرق خاصة ، و قيل : هو نبات أخضر يرمى [به - [4]] البحر و هو منتن [7] . أبو حنيفة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : بوجه من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : كامته . (٤) زيد من ظ و م (٥) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الجيف . (٦) من ظ ، و فى الأصل و م « و » (٧) زيد فى الأصل : و قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

رحمه الله تعالى : وهو مرعى لا تعقد عليه السائمة شحما ، [لا - [1]] لحما ،
وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها . وقال ابن الأثير في النهاية[2] :
/ الضريع هو نبت بالحجاز له شوك كبار ، وقال[3] : الشبرق نبت حجازي ٧٤٠ /
يؤكل [وله - [1]] شوك ، وإذا[4] يبس سمي الضريع . وهذا ثوب
٥ مشبرق وهو الذي أفسد ، وفي نسجه سخافة ، وشبرقت الثوب أيضا :
حرقته ، وقال في القاموس : الشبرق كزبرج : رطب الضريع[5] واحده
بهاء ، وقال البغوي[6] رحمه الله تعالى : قال مجاهد وقتادة وعكرمة : هو
نبت ذو شوك لاطئ بالأرض ، تسميه قريش الشبرق ، فاذا هاج سموه
الضريع ، وهو أخبث طعام وأبشعه ، وهو رواية العوفي عن ابن عباس
١٠ رضي الله عنهما . ولا يمتنع في قدرة الله سبحانه وتعالى أن يكون
الغسلين إذا انفصل عن أبدان أهل النار صار على هيئة الشبرق المسمى
ضريعا ، فيكون طعامهم الغسلين الذي هو الضريع ، ويمكن أن يكون
ذلك كناية عن أقبح العيش ولا يراد به شيء بعينه - والله تعالى أعلم ، قال
الملوي : وسمي ضريعا لأن الإنسان يتضرع[7] عند أكله من خشونته
١٥ ومرورته ونتنه .

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع ٣/٢٠ و ٢/٢١٩ (٣) زيد في الأصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٤) زيد في الأصل : نبت ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الربيع (٦) راجع المعالم ٧/١٩٨ (٧) من ظ و م وفي الأصل : يضرع .

و لما حصر أكلهم فى هذا ، و كان الضريع المعروف عند العرب قد يتصور متصور أنه لو أكره شىء على أكله أسمنه أو سد جوعته ، و كان الضريع المأكول لهم فى القيامة شوكا من نار كما ورد تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه و سلم[1] نفى عنه فائدة الطعام ، فقال واصفا اضريع[2] أو لطعام[3] المقدر بعد «الا» ٥ بما يفهمه تحامى الإبل التى ترعى [4]كل نابت[4] و هى أعظم الحيوانات إقبالا على أنواع الشوك[5] له من أنه ضر بلا نفع ﴿ لا يسمن ﴾ [أى -[6]] فلا[7] يشبع و لا يقوى لأنه يلزم[8] ما يسمن ، فعدمه يلازم عدمه .

و لما نفى عنه[9]ما هو[9] مقصود أهل الرفاهية و بدأ به [لأن المقام -[10]] له ، نفى ما يقصد للكفاف[11] فقال تعالى : ﴿ و لا يغنى ﴾ أى يكفى كفاية ١٠ مبتدئة ﴿ من جوع ﴾ فلا يحفظ الصحة و لا يمنع الهزال ، و المقصود من الطعام أحد الأمرين ، و ذلك لأنهم كانوا يأكلون الحرام الذى تنبت عليه لحومهم فيفسدها بفساده و تنمو به نفوسهم فيخبثها بخبثه ويتغذون بالشبه [12]أيضا و يباشرونها فى جميع أوقاتهم[12] و يباشرون العلوم التى تظلم

---

(١) راجع معالم التنزيل ٧/١٩٨ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الضريع (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الطعام (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نبات . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل و م : الشاك (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : و لا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لازم . (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) زيد من م (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : للفكاك (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

القلوب[١] كالفلسفة و الشعر و السحر و[٢] نحو ذلك[٣] مما يجر إلى البدع .
و الآية من الاحتباك : نفي السمن أولا[٣] يدل على إثبات الهزال ثانيا، و نفي الإغناء من الجوع ثانيا[٤] يدل على نفي الشبع اولا، و من جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى لأنه يؤول إلى : ليس لهم طعام منفي عنه الإسمان و الإغناء، بل لهم طعام لا ينفي عنه ذلك.

و لما ذكر الأعداء[٥] و قدمهم لما تقدم، أتبعه الأولياء فقال مستأنفا ذكر ما لهم من ضد ما ذكر للأعداء[٦] : ﴿و جوه يومئذ﴾ أي / [إذ -[٧]] ٧٤١ / كان ما ذكر ﴿ ناعمة ﴾ اى ذات بهجة و سرور تظهر عليها النعمة و النضرة[٨] و الراحة و الرفاهية بضد تلك الناصبة، لأن هؤلاء أتعبوا[٩] أنفسهم في دار[١٠] العمل الدنيا و صبروا على التقشف و شظف العيش ﴿لسعيها ﴾ أي عملها[١١] للآخرة الذي كأنه[١٢] لا سعي غيره خاصة لعلمها أنه منج[١٣] ﴿راضية ﴾ لما رأت من ثوابه تود أن جميع سعيها

(١) من ظ وم ، وفي الأصل : القلب (٢-٢) في م : نحوها (٣) زيد في الأصل : ونفسيها ، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : نفسه (٥) من ظ و م ، و في الأصل : اعداءهم (٦) زيد في الأصل : فقال تعالى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و في الأصل : النظرة (٩) من ظ وم ، و في الأصل : السوا - كذا (١٠) زيد في الأصل ، ظ : و هي دار ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (١١) من ظ و م ، و في الأصل : محملها - مع يسير من البياض (١٢) من م ، و في الأصل و ظ : كان (١٣) زيد في الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها .

[في الدنيا - [1]] كان لذلك بعد أن كان ذلك السعي الذي هو للآخرة كريها إليها في الدنيا لاتباشره إلا بشق الأنفس. و لما ذكر السعي أتبعه ثوابه فقال: ﴿في جنة عالية ﴾ أي في المكان العالي و المكانة العالية و الأشجار و الغرف و غير ذلك بما [2] صرفوا أنفسهم عن الدنايا و رفعوا هممهم إلى النفائس. ٥

و لما كان [3] ما كان من هذا لايصفو، و فيه ما يكره من الكلام قال منزها لها عن كل سوء: ﴿لا تسمع﴾ أي ايها الداخل إليها [4] - على قراءة الجماعة، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و رويس عن يعقوب بالبناء للمفعول وهو أبلغ في النفي ﴿فيها لاغية ﴾ أي لغو ما أو نفس تلغو أو كلمة ذات لغو على الإسناد المجازي، بل المسموع فيها الذكر من ١٠ التحميد و التمجيد و التنزيه لحمل ما يرى فيها من البدائع على ذلك مع نزع الحظوظ الحاملة على غيره من القلوب بما كانوا [5] يكرهون من لغو أهل الدنيا المنافي للحكمة.

و لما وصف الجنة بأول ما يعتبر فيها و هو عدم المنغص، أتبعه ما يطلب بعده و هو تناول الملتذات [6]. و كان الأكل قد فهم من ذكر ١٥ لفظ الجنة، ذكر المشروب لذلك و لدلالته إذا كان جاريا على

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: مما (٣) في ظ: ذكر (٤) من ظ وم، وفي الأصل: عليها (٥) من ظ وم، وفي الأصل: كان (٦) من ظ وم، وفي الأصل: المتلذذات.

زيادة حسن الجنة و كثرة ما فيها من النباتات المقيتة و المفكهة من النجم و الأشجار[1] و الرئ و الأطيار، فقال لأنه ليس كل جنة مما نعرفه فيه ماء جاز بنفسه: ﴿فيها﴾ أي[2] الجنة. و لما كان الماء الجارى صالحا لأن يقسم إلى أماكن كثيرة[3]، وحد قوله المراد به الجنس الشامل للكثير ٥ مقابلة لعين أهل النار فى دار البوار: ﴿عين جارية ﴾ أى عظيمة الجرى جدا، فهى بحيث لا تنقطع اصلا لما لأرضها من الزكاء و الكرم و [ما -[4]] لمائها من الغزارة و طيب[5] العنصر، فهو صالح لأن يعم جميع نواحيها أقاصيها و ادانيها و إن عظم [اتساعها -[6]] و تناءت أقطارها و بقاعها، كما نراه يجرى من ساق الشجرة الكبيرة جـــدا فيسقى جميع اغصانها ١٠ و أوراقها و ثمارها، و يزيد على ذلك بأن جريه من اسفل إلى فوق، بجذبه جاذب الشوق و يسوقه أى سوق. يقدره الخلاق العليم، و الذى قدر على هذا كما هو مشاهد لنا لا نشك فيه قادر على أن يجعل هذه العين - الصالحة للجنس و لو كانت واحدة بالشخص - عامة لجميع مرافق الجنة [تجرى -[4]] إلى خيامها و رياضها و بساتينها و مصانعها و مجالسها ١٥ و يصعدها إلى اعالى غرفها و إن علت، مقسمة بحسب المصالح، موزعة على قدر المنافع، بغاية / الإحكام بما كان لداخلها من الخضوع الذى /٧٤٢ يجرى منهم[7] الدموع و يقل الهجوع و يكثر الظمأ و الجوع.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانفجار (٢) زيد فى ظ: فى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شريفة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لطيب (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل: معهم، و الكلمة ساقطة من ظ.

و لما

و لما لم يبق بعد الأكل و الشرب إلا الاتكاء، قال مفهما أنهم ملوك : ﴿ فيها ﴾ [1] معيدا الخبر قطعا للكلام عن الأول تنبيها [2] على شرف العين [2] لأن الماء مما لا حياة بدونه ﴿ سرر ﴾ أي زائدة الحد في الكثرة [3]، جمع سرير و هو مقعد عال يجلس عليه الملك ينقل إلى الموضع الذي يشتهيه ، سمي بذلك لأنه يسر النفس ، و المادة كلها للسرور و الطيب ٥ و الكرم ، [4] و لذلك [4] يطلق على الملك و النعمة و خفض العيش ﴿ مرفوعة ﴾ [5] اي رفعها رافع [5] عظيم [في السمك - [6]] و هو جهة العلو ليرى الجالس عليها جميع ملكه و ما نعم به و ما شاء الله من غيره و في القدر ، لا كما تعهدونه في الدنيا ، بل ارتفاعها نمط جليل من مقدار عظمة رافعها الذي رفع السماء، فالتنكير للتعظيم ، و بني الاسم للمفعول للدلالة على انه ليس له من ١٠ ذاتها إلا الانخفاض ، و أما ارتفاعها فبقسر القادر على كل شيء ، و هذا يدل [على أنها - [7]] كسماء لا عمد لها ، قال البغوي [8] : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد و الدر و الياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها ، فاذا أراد أن يجلس عليها [تواضعت له حتى يجلس عليها - [7]] ثم ترتفع إلى مواضعها - انتهى . و ذلك بما كانوا يتواضعون و يباشرون ١٥ [من - [2]] مشاق العبادات على التراب و رث الأثواب .

---

(١) زيد في الأصل : اي ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢-٢) من م ، و في الأصل و ظ : اشرف الدين (٣) من ظ و م ، و في الأصل : اكثر . (٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل : فذلك (٥) من ظ و م ، و في الأصل : واقم. (٦) زيد من م (٧) زيد من ظ و م (٨) راجع المعالم ٧ /١٩٩ .

و لما كان المستريح يحتاج إلى تكرار الشرب و ما يشرب فيه قال: ﴿و اكواب﴾ جمع كوب و هو إناء لا عروة له، فهو صالح للمناولة و الشرب من كل جهة[1] ﴿موضوعة ۙ﴾ أى ملآى[2] و هى بحيث يسهل عليهم تناولها.

٥ و لما كان من هو بهذه المثابة يحتاج إلى المساند و الفرش الزائدة قال تعالى: ﴿و نمارق﴾ أى مساند يستندون إليها، جمع نمرقة بالفتح و الضم و هى الوسادة ﴿مصفوفة ۙ﴾ أى بعضها إلى بعض فهى[4] فى غاية الكثرة كأنها الروابى[5] المنضدة على بساط الأرض ﴿و زرابى[3]﴾ أى بسط عريضة كثيرة الوبر كأنها الرياض فاخرة ناضرة [6]زائدة عن[6] مواضع ١٠ استراحاتهم، و هى جمع زربية ﴿مبثوثة[4] ۝﴾ أى مبسوطة على[7] وجه التفرق فى المواضع التى لايراد التنزه بها[7] من مواضع الرياحين النابتة و الأشجار المتشابكة كما بسط سبحانه و تعالى أديم الأرض [8]و رصعه بأنواع[8] النبات الفاخرة بما بسطوا أنفسهم فى الدنيا للحق [9]و الانوها له[9].

و لما أنهى سبحانه ما أراد من تصوير تلك الدار على ما يليق ١٥ بهذه السور القصار، و كانوا ينكرون غايه الإنكار فوبخهم بما يعصمهم

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : قال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الاصل : على (٣) فى م : كان (٤) من م، و فى الأصل و ظ : وهى (٥) فى ظ : الزرابى (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : على (٧) من م، و فى الأصل و ظ : فيها (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل : ورصفه (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل : الواها لهم.

من الزيغ عن العقائد الحقة فى استفهام إنكارى مذكرا لهم بأمورهم فى
غاية المعرفة بها و هى فى غاية الوضوح فى نفسها، لأن نزول هذه السور[١]
كان فى [أول الأمر قبل أن يتمرنوا على المعارف تدل على قدرته على
البعث و على قدرته على ما ذكر من هذه الأمور التى أودعها الجنان
للذة الإنسان. و ذلك لما فى -[٢]] هذه[٣] الأمور التى ذكر بها سبحانه ٥
من[٤] عجائب الصنع مع تفاوته فى جعل بعضها ذا اختيار / فى الخفض / ٧٤٣
والرفع، و بعضها على كيفية واحدة لاقدرة له على الانفكاك عنها من
علو أو سفول مع التمهد أو التوعر، فقال مسببا عما مضى من[٥] الإخبار
عن أحوال الفريقين فى الآخرة و عن قدرته على ما ذكر[٦] : ﴿افلا ينظرون﴾
أى المنكرون[٧] من هذه الأمة لقدرته سبحانه و تعالى على الجنة و ما ١٠
ذكر فيها [و النار و ما ذكر فيها -[٢]] نظر اعتبار.

و لما كان [لهم -[٢]] من ملابسة الإبل ما ليس لهم من ملابسة
غيرها، و كانت فردة فى المخلوقات لاشبيه لها مع ما لها من كثرة المنافع
- كما قال الحسن رحمه الله تعالى - مع أكلها لكل مرعى و اجترائها بأيسر

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: السورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م،
و فى الأصل: اهول، و فى ظ: ذلك (٤) زيد فى الأصل: عظائم الأمور و،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عن.
(٦) زيد فى الأصل: فقال سبحانه و تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: المتكبرون.

شيء لاسيما فى الماء و طول صبرها عنه مع عظم خلقها و كبر جرمها
و شدة قوتها ، فكانت[1] ادل على تمام القدرة و الفعل بالاختيار ، قال منبها
بـــذكرها على التدبر[2] فى الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف
المركبات و أكثرها صنعا بعد ما أشار إلى دلالتها على البعث فى البروج
٥ بذكر ثمود بعد أن صرح به فى سورة[3] سبحان كما مضى [بيانه - [4]]
فى الموضعين و يأتى إن شاء الله تعالى فى الفجر و الشمس ، و أوضح
التعبير عنها هنا[5] بما يدل على الخلطة المميلة المحيلة المناسبة لمعنى الغاشية
بخلاف التعبير فى سورة النحل بالأنعام لأنها سورة النعم ﴿ الى الابل ﴾
و نبه على أن عجيب خلقها مما ينبغى أن تتوفر الدواعى على الاستفهام
١٠ و السؤال عنه بأداة الاستفهام ، فقال بانيا للمفعول إشارة إلى أن الدال
هو التأمل فى مجرد خلقها الدال على إحاطة علم الله [6]و عظيم إحسانه[6]
و قدرته تعالى و فعله بالاختيار و حسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال
[إلى البلاد - [7]] النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة به من غير معين ،
منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار الثقال ترعى كل نبات
١٥ و تحتمل[8] العطش إلى عشر فصاعدا ليتأتى بها قطع المفاوز ، فهى سفن البر مع
ما لها من منافع أخر ، قال البيضاوى[9]: ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات

---

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : و كانت (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : البريد .
(٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : عنها .
(٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : و قدرة الله تعالى ، وما بين الرقمين ساقط من م .
(٧) زيد من أنوار التنزيل ص : ٧٩٦ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تحمل .
(٩) راجع الأنوار ٧٩٦ .

المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف المركبات و أكثرها صنعا [و - [1]] لأنها أعجب ما عند العرب - انتهى ، و تنفعل للبسط [2]و تجد فى سيرها[2] [فتتأثر -[1]] بالصوت الحسن جدا ، و من عجائبها أنها لا تكذب أصلا فانها لا تبرك [عجزا عن الحمل -[1]] إلا وليس فيها[3] من القوى شيء ، و ليس فيها ما تعم كراهته[4] إلا كثرة رغائها ، فلعله سبحانه نفى عن الجنة اللغو ٥ لذلك ، و لعله مثل العين الجارية و قربها بدرها ، و السرر المرفوعة التى حكى أنها تنخفض حتى يتمكن المنتفع بها من ظهورها ثم ترتفع[5] به بالسماء فى علوها مع ما يعهدون من بروك الإبل للحمل و الركوب ثم ارتفاعها[6] لتمام الانتفاع ، و قرب نصب الأكواب[7] بسنامها و النمارق بيقيتها[8] حال بروكها ، ثم فصل ما دلت عليه الإبل من الأكواب بالجبال ١٠ [التى -[1]] لا يرتقى مثل / جبل السد ، و النمارق بالتى ترتقى ، و بسط الزرابى بمهد الأرض ، قال أبو حيان[9] رحمه الله تعالى : و ﴿ كيف ﴾ سؤال عن حال[10] و العامل فيه ﴿ خلقت ﴾ و إذا علق الفعل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته . / ٧٤٤

و لما ذكر سبحانه و تعالى هذا المخلوق المفرد الذى هو أدل ما يكون ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : عندها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من الكراهة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ترفع (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : انتفاعها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الاكوان (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بنقيها (٩) راجع البحر المحيط ٨/ ٤٦٤ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : حامل .

على هذا القول بالطبيعة، أتبعه ذكر السماء ليتذكر السامع ذلك فيباعد[1] من يقول به فقال: ﴿ و الى السمآء ﴾ أى التى هى من جملة مخلوقاتنا ﴿ كيف رفعت وقفه ﴾ أى حصل بأيسر أمر رفعها من الذى خلقها بلا عمد على ما لها من السعة و الكبر و الثقل و الإحكام و ما فيها من

٥ جبال الكواكب و الغرائب و العجائب، فذلك دال على القدرة[2] التامة التى لا يشاركه تعالى فيها أحد قل و لا جل[2] على إيجاد الجنة العالية و على رفع السرر [فيها - [3]] لأنه دل[4] على الفعل بالاختيار و نفى حكم الطبيعة [5]حكما و[5] حتما، و ذلك دال على كمال قدرته تعالى على كل شيء .

و لما ذكر العالى من الحيوان الملابس للانسان و العالى [من - [6]]

١٠ الأكوان، أتبعه أعلى الأرض[7] فقال تعالى: ﴿ و الى الجبال ﴾ أى الشامخة و هى أشد الأرض ﴿ كيف نصبت وقفه ﴾ أى كان نصبها من ناصبها عالية[8] جدا على بقية الأرض بلا موجب فيها لذلك من طبيعة و لا غيرها بل بفعل الفاعل المختار فهى[9] راسخة لا تميل، فوضعها كذلك على ما فيها من المنافع من المياه الجارية و الأشجار المختلفة أعجب من وضع الأكواب

(١) زيد فى الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : دال (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل : و أشدها و اصلبها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عالت . (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : بل هى .

و المارق المزينة ، و بها مع ذلك ثبتت الأرض و حفظت من الميد ، و اعتدل[1] أمر الكواكب فى تقدير الليل و النهار باعتدال البلاد[2] بالطلق باعلاء[2] بعضها قبل بعض حتى [كانت - [3]] المطالع و المغارب[4] على رتيب مطرد ، نظام محكم غير منخرم[5] تقدر به الأزمان و الفصول و السنون و الأيام و الشهور - إلى غير ذلك من الأمور ، و لا يكون ذلك لها ٥ إلا بقاهر قادر مختار لاشريك له .

و لما كان الخفض لا يكون إلا بخافض قاهر كما أن الرفع كذلك قال تعالى : ﴿و الى الارض﴾ أى مع سعتها ﴿ كيف سطحت ﴾ أى اتفق بسطها من باسطها حتى[6] صارت مهادا موضوعا يمشى عليه بغاية السهولة ، و القدرة على جعلها كذلك على ما هى فيه من الزينة بناضر النبات ١٠ و غير ذلك من الاختلافات دالة على الفعل بالاختيار ، و ليست بدون القدرة على بث الزرابى فى الجنة على اختلاف أشكالها و صورها و ألوانها .

و لما دل [7]ما ذكر[7] من عجائب صنعه فى أنواع[8] المخلوقات من البسائط و المركبات العلويات و السفليات على كمال قدرته [على كل شيء ، فدل على كمال قدرته - [3]] على البعث و على كل ما ذكر أنه ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتدال (٢-٢) فى ظ : بالطلوع على (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المغالب (٥) زيد فى الأصل : تقديره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : انها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحانه و تعالى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : افعال .

يفعله فى الجنة و النار ، و كان الحث على النظر فى هذه الأشياء باستفهام إنكارى ، و كان ذلك مفيدا لا تفاء النظر ، قال سبحانه مسببا عنه : ﴿فذكر قف﴾ [1] / كل من يرجى تذكره و انتفاعه بالتذكير يا أشرف خلقنا /٧٤٥ بما فى غرائزهم و فطرهم من العلم الأولى [2] بما فى هذه الأشياء و أمثالها مما يدل على صحة ما [3] نزلنا عليك ليدلهم [4] على كمال قدرة الذى بعثك فينقادوا لك أتم انقياد لا سيما فى اعتقاد حقية [5] البعث ، و لا يهمنك كونهم لا ينظرون [6] و لا يتطرفون [6] ، و لعل التذكير يوصل المتذكر إذا أقبل عليه بحسن رغبة إلى أن يعرف أن الإبل تشبه الأنفس المطمئنة الذلولة المطيعة [7] المنقادة ، و السماء تشبه الأرواح القدسية النورانية ، و الجبال تشبه العقول و المعارف الثابتة [7] الراسخة ، و الأرض تشبه البدن المشتمل على الأعضاء و الأركان [8] .

و لما كانت هذه السورة [9] مكية من أوائل ما أنزل ، و كان مأمورا إذذاك بالصفح قال : ﴿ انمآ انت مذكر ط﴾ [أى - [10]] لامقاتل قاهر

(١) زيد فى الأصل : يا أفضل الخلق و اشرفهم و افضلهم و اتقاهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها ، و موضعه فى م : يعنى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الأول (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : بما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لتدل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : حقيقة (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : السور . (١٠) زيد من ظ و م .

قاسر لهم على التذكر و الرجوع، فلا عليك إن لم ينظروا و لم يتذكروا لأنه ما عليك إلا البلاغ، و لذلك قال: ﴿ لست ﴾ و أشار إلى القهر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم ﴾ أى خاصة ﴿ بمصيطر ﴾ أى بمسلط، و أما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب، و قرأها الكسائى بالسين على الأصل. ٥

و لما نفى عنهم تسلط الدنيا، و كان التقدير: فمن أقبل و آمن فان الله ينعمه النعيم الأكبر، قال مستدركا قسيمهم فى صورة الاستثناء: ﴿ الا ﴾ أى لكن[1] ﴿ من تولى ﴾ اى كاف نفسه المطمئنة و فطرته الأولى المستقيمة الاعراض ﴿ و كفر ﴾ أى و أصر على كفره؛ و أجاب الشرط بقوله مسببا عنه: ﴿ فيعذبه ﴾[2] أشد العذاب الذى لا يطيقه أصلب ١٠ الحديد و لا أشد الجبال[2] ﴿ الله ﴾[3] أى الملك الأعظم[3] بسبب تكبره على الحق[4] و مخالفته لأمرك المطاع و مرادك الذى كله [5]الحسن الجميل[5]، و لعله صوره و هو منقطع بصورة المتصل بالتعبير بأداته إشارة إلى أن العذاب من الله عذاب منه صلى الله عليه و سلم، لأن سببه تكذيبهم له، و قرأ[6] ابن عباس رضى الله عنهما «ألا» بالفتح و التخفيف على أنها استفتاحية ١٥ ﴿العذاب الاكبر ﴾ يعنى عذاب الآخرة، و يجوز أن يكون الاستثناء

---

(١) زيد فى الأصل: الا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: العظيم (٤) زيد فى الأصل و ظ: بسبب فطرته، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥-٥) فى ظ و م: حسن جميل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: قراءة.

متصلا فيكون المعنى : [أن -[1]] من أصر على الكفر يسلطه[2] الله عليه فيقتله فيعذبه [الله -[1]] فى الدار[3] الآخرة ؛ ثم علل[4] إخباره عن عذابه[4] فى الآخرة بقوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ ان الينآ ﴾ أى خاصة بما لنا من العظمة و الكبرياء ﴿ ايابهم ﴾ أى رجوعهم و إن

٥ أبوا بالموت ثم بالبعث ثم بالحشر .

و لما كان الحساب متأخرا عن ذلك كله ، و عظيما كما و كيفا ، عظمه بأداة التراخى فقال : [﴿ ثم ان ﴾ أكده لإنكارهم ، و أتى بأداة دالة على أنه كالواجب فى أنه لابد منه فقال -[5]] : ﴿ علينا ﴾ أي خاصة بما لنا من القدرة و التنزه عن نقص العبث و الجور و كل نقص ،

١٠ لا على غيرنا ، لأن غيرنا لا قدرة له فقد تقدمنا فيه بالوعود[6] / الصادقة ، ٧٤٦ / و أكدناها غاية التأكيد ﴿حسابهم ﴾ أى يوم القيامة على النقير[7] و القطمير ، و غير ذلك من كل صغير و كبير ، و ذلك يكون فى الغاشية يوم ينقسم الناس قسمين : فى دار هوان ، و دار أمان ، فقد التف آخرها بأولها ، و تعانق [8]مفصلها بموصلها[8] _ و الله الهادى[9] للصواب و إليه المآب[9] .

---

(١) زيد من م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : يسلط (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الدنيا و (٤-٤) من م ، وفى الأصل و ظ : عذابه عن اخباره (٥) زيد من ظ وم (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : والفتيل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : موصلها بمفصلها . (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الفجر[1]

مقصودها الاستدلال على آخر الغاشية الإياب و الحساب ، وأدل ما فيها على هذا المقصود الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضى بالأمس من غير فرق فى شيء من الذات و انبعاث النيام من الموت الأصغر [2]و هو[2] النوم بالانتشار فى ضياء النهار [2] لطلب المعايش[3] للجازاة فى الحساب بالثواب ٥ و العقاب ﴿ بسم الله ﴾ جامع العباد بعد تمزيقهم بما له من العظمة ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمهم بعد العموم بالإيجاد بالبيان المهيئ من شاء للايمان[3] ﴿ الرحيم ﴾[4] الذى خص أولياءه بالرضوان المبيح للجنان .

لما ختمت تلك بأنه لابد من الإياب و الحساب ، و كان تغيير الليل و النهار و تجديد كل منهما بعد إعدامه دالا على القدرة على البعث ، ١٠ و كان الحج قد جعله الله فى شرعه له على وجه التجرد عن المخيط ولزوم التلبية و السير إلى الأماكن المخصوصة آية مذكرة بذلك[5] قال : ﴿ والفجر ﴾ اى الكامل فى هذا الوصف لما له من العظمة حتى كأنه لا فجر غيره ، و هو[6] فجر يوم النحر الذى هو أول الأيام[7] الآخذة فى الإياب إلى

(١-١) التاسعة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٣٠ .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالايمان (٤) زيد فى الأصل : الروف ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٥) من ظ وم ، وفى الأصل : اذلك (٦) زيد فى الأصل وم : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : أيام .

بيت الله الحرام بدخول حرمه و التحلل من محارمه و أكل ضيافته[١].

و لما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه أدل على البعث لأنه ينفجر عن صبح قد أضا، و نهار قد انبرم و انقضى، لا فرق بينه و بين ما مضى، عم فقال معبرا بالمقابل: ﴿و ليال عشرۙ﴾ هى أعظم ليالى العام.

٥ و هى آية الله على البعث بالقيام[٢] إلى إجابة داعى الله تعالى على هيئة الأموات[٣] ﴿و الشفع﴾ أى لمن تعجل فى يومين ﴿و الوترۙ﴾ أى لمن أتم - قاله ابن الزبير، و روى أحمد[٤] و البزار[٥] برجال الصحيح عن عياش بن عقبة و هو ثقة عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: العشر عشر الأضحى، و الشفع يوم الأضحى، و الوتر يوم عرفة.

١٠ و لما كان تعاقب الليل [٦]و النهار[٦] ادل على القدرة و[٧] أظهر فى[٧] النعمة، قال رادا لآخر القسم على اوله، و مذكرا بالنعمة و كمال القدرة، لأن الليل آخفاهما سُرى و سرا، فهو اعظمهما فى ذلك أمرا، لأن سير النهار ظاهر لسرايته / بخلاف الليل فانه يحوى صرفه[٨]. فكان أدل على /٧٤٧ القدرة[٩] ﴿و اليل﴾ أى من ليلة النفر ﴿اذا يسرۚ﴾ أى ينقضى كما

(١) زيد فى الاصل: وغير ذلك مما تقدم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: يوم القيامة (٣) زيد فى الأصل و ظ: وقال، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) راجع المسند ٣/٣٢٧ (٥) راجع مجمع الزوائد ٧/١٣٧ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: اظهار (٨) فى ظ: صرف (٩) زيد فى الأصل: الكاملة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

ينقضي ليل الدنيا و ظلام ظلمها فيخلفه الفجر و يسرى فيه الذين آبوا إلى الله راجعين[١] إلى ديارهم بعد حط أوزارهم ، [و قد رجع آخر القسم على أوله - [٢]] و أثبت الياء في يسرى ابن كثير و يعقوب[٣] و حذفها الباقون ، و علة حذفها قد سأل عنها المؤرج الأخفش فقال : اخدمني سنة ، فسأله بعد سنة فقال : الليل يسرى فيه و لا يسرى ، فعدل به عن معناه[٤] ٥ فوجب أن يعدل عن لفظه كقوله تعالى "و ما كانت امك بغيا" لما عدل عن «باغية» عدل لفظه فلم يقل : بغية - [٥] انتهى ، و هو يرجع إلى اللفظ[٥] مع أنه يلزم منه رد روايات الأثبات ، و الحكمة المعنوية فيه - و الله أعلم - من جهة السارى و ما يقع السرى فيه ، فأما من جهة السارى فانقسامهم ليلة النفر إلى مجاور و راجع إلى بلاده ، فأشير إلى المجاورين ١٠ بالحذف حثا لهم على ذلك لما فيه من جلالة المسالك ، فكان ليل وصالهم ما انقضى كله . فهم يغتنمون حلوله و يلتذون طوله من تلك المشاهد و المشاعر و المعاهد ، و إلى الراجعين بالإثبات[٦] لما سرى الليل بحذافيره عنهم آبوا راجعين إلى ديارهم فيما[٧] انكشف من نهارهم ، و أما من جهة ما يقع فيه السرى فللاشارة إلى طوله تارة و قصره أخرى . فالحذف إشارة إلى القصير ١٥ [و - [٨]] الإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع[٩] من تمام سراه و ما

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الراجعين (٢) زيد من ظ (٣) من م ، و في الأصل وظ : ابو يعقوب (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : معاده (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بإثبات (٧) من ظ و م ، و في الأصل : بما (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) من ظ و م ، و في الأصل : مما يقع .

وقع للسارين فيه من قيام و صف[1] الأقدام بين يدى[2] الملك العلام كما قال الإمام تقى الدين ابن دقيق العيد [3]رحمه الله تعالى حيث قال مشيرا لذلك[3]:

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض و لا نستريح

الأبيات المذكورة عنه فى المزمل، فقد انقسم الليل إلى ذى طول و قصر، ٥ و السارى فيه إلى ذى حضر و سفر، فدلت المفاوتة فى ذلك و فى جميع أفراد القسم على أن فاعلها قادر مختار[4] واحد قهار، و لذلك أتبعه الدلالة بقهر القهارين[5] و إبارة الجبارين، و أما «يسر» فذكرت حكمته فى مريم.

و لما كان هذا قسما عظيما فى ذكر تلك الليالى المتضمن لذكر تلك المشاعر و ما فيها من الجموع[6] و البكاء و الخضوع كما قال أبو طالب[7] ١٠ فى قصيدته اللامية المشهورة:

و ليلة جمع و المنازل من منى و هل فوقها من حرمه و منازل

و فى تذكيره[8] بالبعث و دلالته عليه دلالة عقلية واضحة بالإيجاد بعد الإعدام مع ما لهذه الأشياء فى أنفسها و فى نفوس المخاطبين بها من الجلالة، نبه على ذلك سبحانه و تعالى بقوله: ﴿هل فى ذٰلك﴾ أى ٧٤٨/ ١٥ المذكور مع ما له من على الأمر / و واضح القدر ﴿قسم﴾ أى كاف مقنع ﴿لذى﴾ أى صاحب ﴿حجر ٥﴾ أى عقل [9]فيحجره و يمنعه[9] عن الهوى فى

(١) زيد فى الأصل: القيام و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ايدى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: قاهر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الظاهرين (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الخشوع (٧) من ظ و م، وفى الأصل: على بن أبى طالب (٨) فى م: تذكره (٩-٩) فى ظ: ليمنعه ويحجره.

درك الهوى، فيعليه إلى أوج الهدى، فى درج العلى، حتى يعلم أن الذى فعل ما تضمنه هذا القسم لايتركه سدى، و أنه قادر على أن يحيي الموتى، قال ابن جرير[1]: يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطا: إنه لذو حجر - [انتهى، فمن بلغ أن يحجره عقله عن المآثم و يحمله على المكارم فهو ذو حجر - [2]] . ٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: ابتدأ سبحانه لمن تقدم ذكره وجها آخر من الاعتبار، و هو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم و ما أعقبهم تكذيبهم و اجترامهم فقال: "الم تركيف فعل ربك بعاد - إلى قوله: ارم ذات العماد - إلى قوله: ان ربك لبالمرصاد" أى لا يخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق و [3]لا يغيب عنه[3] ما أكنوه "سواء منكم من أسر القول و من جهر به" فهلا اعتبر[4] ١٠ هؤلاء بما يعاينونه و يشاهدونه من خلق الإبل و رفع السماء و نصب الجبال و سطح الأرض، و كل ذلك لمصالحهم و منافعهم، فالإبل لأثقالهم و انتقالهم، و السماء لسقيهم و إظلالهم، و الجبال لاختزان مياههم و أقلالهم، و الأرض لحلهم و رحالهم[5]، فلا بهذه [6]الأمور كلها[6] ١٥ استبصروا، و لا بمن خلا من القرون اعتبروا، "ألم تركيف فعل ربك بعاد" على عظيم طغيانها و صميم بهتانها "ان ربك لبالمرصاد" فيتذكرون

(١) راجع جامع البيان ٣٠/٩٥ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا يخفى عليه (٤) من ظ، و فى الأصل و م: اعتبروا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تراحلهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

حين لا ينفع التذكر" إذا دكت الأرض دكا دكا و جاء ربك و الملك صفا صفا و جيء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان و أنى له الذكرى" ـ انتهى •

و لما كان التقدير كما هدى إليه السياق : ليبعثن كلهم صاغرين ثم ٥ ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل أحد بما عمل، فان آمنوا بذلك نجوا و إلا عذبهم الذى ثبتت قدرته على العذاب الأكبر بعد العذاب الأدنى بسبب قدرته على البعث بسبب قدرته على ما رأيتم من خلق الإبل و السماء و الجبال و الأرض على ما فى كل من العجائب بسبب قدرته على كل شيء، و هذا هو المقصود بالذات، حذف زيادة فى تعظيمه و اعتمادا[1] على ١٠ معرفته بما هدى إليه من السياق فى جميع السورة و ما قبلها • و لما طوى جواب القسم لإرشاد السياق إليه و تعويل المعنى عليه[2]، و تهويلا له مع العلم بأنه لا يكون قسم[3] بغير مقسم عليه، و كان قد علمت القدرة عليه بما[4] أشير إليه بالمقسم به، أوضح تلك القدرة بأمر العذاب [الأدنى ـ[5]] للأمم الماضية، فقال مخاطبا لمن قال له فى آخر تلك "فذكر انما أنت ١٥ مذكر" تسلية له صلى الله عليه و سلم و إشعارا بأنه لا يتدبره حق تدبره[6] غيره، و تهديدا لمن كذب من قومه : ﴿الم تر﴾ أى تنظر بعين الفكر يا أشرف رسلنا فتعلم علما هو فى التيقن به كالمحسوس بالبصر، و عبر

(١) من ظ و م، و فى الأصل : اعتمادا (٢) من ظ و م، و فى الأصل : اليه.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل : قسما (٤) من ظ و م، و فى الأصل : ماء.
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : تدبيره •

 بالاستفهام

بالاستفهام / إشارة إلى [أن - [1]] ما ندبه إلى رؤيته مما يستحق ان / ٧٤٩
يسأل عنه: ﴿ كيف فعل ربك ﴾ أى المحسن إليك [2] بإرسالك ختاما لجميع
الأنبياء[2] بالأمم الماضية بما شاركوا به هؤلاء من تكذيب الرسل وجعل
محط نظرهم الدنيا، وعملوا أعمال من يظن الخلود، [و - [1]] بدأ بأشدهم
في ذلك وأعتاهم الذين قالوا: من أشد منا قوة؟ فقال: ﴿ بعاد ﴾ أى ٥
الذين بلغوا في الشدة ان قالوا: من أشد منا قوة؟ وقال لهم نبيهم هود
صلى الله عليه وسلم: « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ودل على
ذلك بناؤهم[3] جنة في هذه الدنيا [الفانية - [1]] التي هي دار الزوال، والقلعة
والارتحال، والنكد والبلاء والكدر، والمرض والبؤس والضرر،
فقال مبينا لهم على حذف مضاف: ﴿ ارم ﴾ أى أهلها وعمدتها، واطلقها ١٠
عليهم لشدة الملابسة لما لها من البناء العجيب والشأن الغريب، ثم بينها
بقوله: ﴿ ذات ﴾ أى صاحبة ﴿ العماد ﴾ أى البناء العالي الثابت بالأعمدة
التي لم يكن في هذه الدار مثلها، ولذا قال: ﴿ التي لم يخلق ﴾ أى يقدر
ويصنع - بناه للمفعول إرادة للتعميم[4] ﴿ مثلها ﴾ يصح أن يعود الضمير
على "عاد" باعتبار القبيلة، وعلى "ارم" باعتبار البلدة، وأوضح هذا ١٥
بقوله معمما للأرض كلها[5]: ﴿ في البلاد ﴾ أى في بنائها ومرافقها

---

(١) زيد من ظ وم (٢ - ٢) من ظ وم، وفي الأصل: حيث جعلك ختام النبيين (٣) في ظ: بناؤهم، وفي م: بنيانهم (٤) من ظ وم، وفي الأصل: للنعيم (٥) من ظ وم، وفي الأصل: بقوله.

و ثمارها، و تقسيم مياهها و انهارها، و طيب أرضها و حسن أطيارها، و ما اجتمع بها مما يفوت الحصر و يعجز القوى، و لا مثل أهلها الذين بنوها فى قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و غير ذلك من أمورهم، و كان صاحبها شداد قد ملك المعمورة كلها فتحيزها فبناها فى برية عدن فى ثلاثمائة سنة

٥ يضاهى بها الجنة على ما زعم[1] - قلوب ضلت و أضلت و أضلها باريها[1] - قال أبو حيان[2]: على أوصاف بعيد أو مستحيل عادة أن يكون فى الأرض مثلها، فلما تمت على ما أراد قصدها للسكن و عمره إذذاك تسعمائة سنة، فلما كان منها على مسيرة يوم و ليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكهم[3] فكانوا كأمس الذاهب، و أخفى مدينتهم فلم يرها أحد

١٠ إلا عبد الله بن قلابة، خرج فى طلب إبل ضلت له على زمن معاوية رضى الله عنه فوقع عليها. و لما خرج منها و انفصل عنها خفيت عنه، و كان قد حمل معه[4] بعض ما رأى فيها من اللؤلؤ و المسك و الزعفران فباعه، و سمع به معاوية رضى الله عنه فأرسل إليه فحدثه، [فأرسل -[5]]، معاوية رضى الله عنه إلى كعب الأحبار فسأله عن ذلك فقال: هى ارم

١٥ ذات العماد، و سيدخلها رجل من[5] المسلمين فى زمانك[6] أشقر أحمر قصير، على حاجبيه خال، [و -[5]] على عقبه خال، يخرج فى طلب إبل له، ثم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) فى البحر المحيط ٨/٤٦٩ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فأهلتهم (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: زمانئذ.

التفت فأبصر ابن[1] قلابة فقال : [2]هذا / و الله[2] ذاك الرجل - ذكره شيخنا فى تخريج أحاديث الكشاف [و - [3]] قال : و آثار الوضع[4] عليه لائحة ، و قال جماعة منهم ابن عباس رضى الله عنهما : الأوصاف كلها للقبيلة وهم عاد الأولى ، و اسمها ارم باسم جدهم ، و كانوا عربا سيارة يبنون بيوتهم على الأعمدة على عادة العرب[5] ، و لم يخلق مثلهم أمة من الأمم فى جميع البلاد. ٥ /٧٥٠

و لما بدأ بهؤلاء لأن أمرهم[6] كان أعجب ، و قصتهم أنزه و أغرب ، ثنى[7] بأقرب الأمم إليهم زمانا و أشبههم بهم شأنا لأنهم أترفوا بما حبوا به من جنات و عيون و زروع و نخل طلعها هضيم ، فجعلوا موضع ما لزمهم من الشكر الكفر ، و استحبوا العمى على الهدى ، مع ما فى آيتهم ، و هى الناقة ، من عظيم الدلالة على القدرة[8] فقال : ﴿و ثمود الذين جابوا﴾ أى ١٠ نقبوا و قطعوا قطعا حقيقيا كأنه[9] عندهم كالواجب ﴿الصخر بالواد صلى﴾ أى [وادى - [10]] الحجر أو وادى القرى ، فجعلوا بيوتا منقورة فى الجبال فعل من يغتال الدهر و يفنى الزمان[11] ؛ قال أبو حيان[12] : قيل أول من نحت الجبال[13] و الصخور و الرخام ثمود ، و بنوا ألفا و سبعمائة[14] مدينة

---

(١) وقع فى الأصل قبل «فأبصر» والترتيب من ظ وم (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : والله هذا (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل: والله، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : العمر (٦) زيد فى الأصل : العرب، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) زيد فى ظ : على الساعة (٩) فى م : كان (١٠) زيد من ظ وم (١١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فحذفناها (١٢) فى البحر المحيط ٨/٤٧٠ (١٣) من ظ وم والبحر ، وفى الأصل : الحجارة (١٤) من ظ و م و البحر ، و فى الأصل : تسعمائة .

كلها بالحجارة[1].

و لما ذكر القبيلتين[2] من العرب، ذكر [بعض - [3]] من جاورهم من طغاة العجم لما في قصتهم من العتو و الجبروت مع ما حوته من الغرائب و خوارق العجائب لاسيما في القدرة على البعث بقلب العصا حية ٥ و إعادتها جمادا مع التكرر، و بإيجاد الضفادع و القمل من كثبان الأرض و غير ذلك فقال: ﴿و فرعون﴾ أي و فعل بفرعون[4] ﴿ذى الاوتاد صلى﴾ أي الذي ثبّت ملكه تثبيت[5] من يظن أنه لا يزول بالعساكر و الجنود و غيرهم من كل ما يظن أنه يشد أمره من الجنات و العيون و الزروع و المقامات الكريمة، فصارت له اليد المبسوطة في الملك.

١٠ و لما كان المراد بفرعون هو و جنوده لأن الرأس يكنى به عن البدن، لأنه جماعة و به قوامه، وصفه بوصف يجمع قومه و جميع من ذكر هنا فقال: ﴿ الذين ﴾ أي فرعون و جنوده و كل من ذكر هنا من الكفرة من عاد و ثمود وأتباعهم[6] ﴿ طغوا ﴾ أي تجاوزوا الحدود ﴿في البلاد صلى﴾ أي [التي - [3]] ملكوها بالفعل و غيرها بالقوة ﴿فاكثروا﴾ ١٥ عقب طغيانهم و بسببه ﴿فيها الفساد صلى﴾ بما فعلوا من الكفر و الظلم مما صار سنة لمن سمع به.

و لما كان [ذلك - [3]] موجبا للعذاب، سبب عنه قوله: ﴿فصب﴾

(١) في م: بالحجار (٢) في ظ و م: قبيلتين (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ وم، و في الأصل: فرعون (٥) من ظ و م، و في الأصل: بتثبيت (٦) زيد في الأصل: الذي، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

أي

أى انزل إنزالا هو فى غاية القوه ﴿ عليهم ﴾ أى فى الدنيا ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك المدبر لأمرك الذى جعل ما مضى من أخبار الأمم و آثار الفرق موطئا لهم ﴿سوط عذاب ج﴾ أى جعل عذابهم من الإغراق و الرجف و غيرهما فى قوته و تمكنه و علوه و إحاطته كالمصبوب فى شدة ضربه و لصوقه بالمضروب و إسراعه إليه و التفافه[1] به كالسوط ٥ / و فى كونه منوّعا[2] إلى أنواع متشابكة، و أصله الخلط، و إنما سمى هذا / ٧٥١ الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض، و لأنه يخلط اللحم و الدم، و قيل: شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا إشعارا[3] بالترديد و التكرير إلى أن يهلك المعذب به و إيذانا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم فى الآخرة كالسوط إذا قيس إلى السيف، هذا سوط الدنيا ١٠ و سيف الآخرة أشد[4] و أحد[4] و أمضى، ثم علل أخذه لكل ظالم و انتقامه من كل مفسد بأنه رقيب، فقال ممثلا أن العصاة لا يفوتونه مؤكدا تنبيها على أن أعمال العباد أعمال من ينكر ذلك أو لا يخطر بباله: ﴿ ان ربك ﴾ أى مولاك المدبر لأمر[5] نبوتك ﴿لبالمرصاد ط﴾ أى [6]لا يفوته شىء، بل هو قادر و مطلع على كل شىء[6] اطلاع من يريده[7] بالإقامة فى مكان ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التفاته (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوعا. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشعار (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأمور (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: قادر ومطلع لا يفوته شىء (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يره.

الرصد و زمانه مع غاية الحفظ و الرعى و هو قادر على ما يريد .

و لما ذكر سبحانه أن عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان ، و ذكر أن عادة الرب سبحانه فيمن تولى و كفر أنه يعذبه [كما - [1]] هدد به آخر تلك ، و دل على ذلك بما[2] شوهد فى[3] الامم ، و علل ذلك بأنه ٥ لا يغفل ، [ذكر - [1]] عادة الإنسان من حيث هو من غير تقييد بهؤلاء الفرق عند الابتلاء فى حالى[4] السراء و الضراء ، فقال مشيرا إلى جواب ما كانت الكفار تقوله من أنهم آثر عند الله من المسلمين لايساعد عليهم فى الدنيا و تقلل الصحابة[5] رضى الله عنهم من الدنيا مسببا عما مضى عطفا على ما تقديره : [6] هـــذه كانت[6] عادة هؤلاء الأمم و عادة الله فيهم : ١٠ ﴿ فاما الانسان ﴾ أى الذى أودع الحجر ليعقل هذه الأقسام و ما يراد منه من اعتقاد المقسم عليه بها و جبل على النسيان و الأنس بنفسه و المحبة لها و الرضى عنها .

و لما كان المقصود التعريف بحاله عند الابتداء ، قدم الظرف الدال على ذلك عـــلى الخبر فقال : ﴿ اذا ﴾ و أكد الأمر بالنافى فقال : ١٥ ﴿ ما ابتلـه ﴾ أى عامله معاملة المختبر بأن خالطه بما أراد مخالطة تميله و تحيله ﴿ ربه ﴾ أى الذى أبدعه و أحسن إليه بما يحفظ وجوده ليظهر

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : مما (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : حال (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للصحابة (٦-٦) من م ، و فى الأصل و ظ : كانت هذه .

شكره أو كفره ﴿ فأكرمه ﴾ [1]أى بأن[1] جعله عزيزا [بين الناس -[2]] و أعطاه ما يكرمونه به من الجاه و المال ﴿و نعمه لا﴾ أى بأن جعله [3]متلذذا مترفا[3] بما أعطاه [غير تعبان -[2]] بسببه ﴿ فيقول ﴾ سرورا بذلك و افتخارا: ﴿ربى ﴾ أى [4]الموجد لى[4] و المدبر لأمرى[5] ﴿ أكرمن لا﴾ أى فيظن أن ذلك عن استحقاق فيترفع[6] به ﴿ و اما ﴾ هو ﴿اذا ﴾ و أكد ٥ على نمط الأول فقال: ﴿ ما ابتلٰه ﴾ أى ربه ليظهر صبره أو جزعه.

و لما كان قوله فى الأول "فأكرمه و نعمه" كناية / عن «فوسع / ٧٥٢ عليه» قابله [هنا -[7]] بقوله: ﴿ فقدر ﴾ أى ضيق تضييق من يعمل الأمر بحساب و تقدير ﴿عليه رزقه لا﴾ فهو كنايه عن الضيق كما أن العطاء بغير حساب كناية عن السعة، فجعله بمقدار ضرورته الذى لا يعيش ١٠ [عادة -[7]] بدونه، و لم يجعله فيه فضلا عن ذلك و لم يقل «فأهانه» موضع «قدر عليه» تعليما للأدب معه سبحانه و تعالى [و -[2]] صونا لأهل الله عن هذه العبارة[8] لأن أكثرهم مضيق عليه فى دنياه، و لأن ترك الإكرام لا ينحصر[10] فى كونه إهانة ﴿ فيقول ﴾ أى[11] الإنسان

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: «ابان» (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: مفعامترفها (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: موجدنى. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيرتفع. (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، وفى الأصل: العبادة (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ان (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: لا يحصر (١١) زيد فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

[بسبب الضيق - [1]] : ﴿ ربى ﴾ أى المربى لى ﴿ اهانن ﴾ فيهتم لذلك و يضيق به ذرعا ، و يكون ذلك أكبر همه .

و لما كان نسبة هذا إليه توبيخا و تقريعا لقصور نظره فان الإقتار قد يؤدى إلى سعادة الدارين ، و التوسعة قد تؤدى إلى شقاوتهما ، و هذا ٥ أكثر ما يوجد ، قال ردعا عن مثل هذا القول بأعظم أدوات[2] الزجر معللا للتوسعة و الإقتار : ﴿ كلا ﴾ [أى - [3]] إنى لا أكرم بتكثير الدنيا و لا أهين بتقليلها ، لا التوسعة منحصرة فى الإكرام و لا التضييق منحصر فى الإهانة و الصغار ، و إنما أتتهم الإهانة من حيث أنهم لا يطيعون الله ، و ربما كانت بالتوسعة ، و ربما كانت بالإقتار ، فربما عصى فوسع عليه ١٠ إهانة له ، و هذا لمن يريد سبحانه به الشقاء فيعجل له طيباته فى الدنيا استدراجا ، و ربما عصى فضيق عليه إكراما [له - [3]] لأن ذلك يكفر عنه ، و فى الصحيح فى حديث أقرع و أبرص و أعمى فى بنى إسرائيل شاهد [4] عظيم لذلك [4] .

و لما زجر[5] عن [6] اعتقاد أن [6] التوسعة للاكرام و التضييق للاهانة ، ١٥ ذكر أن معيار من جبل على حب الطاعة و من جبل على [حب - [3]] المعصية بغض الدنيا وحبها ، فقال [معربا - [3]] عن كلام الإنسان فى الشقين

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اداوة (٣) زيد من ظ وم . (٤-٤) من ظ وم ، و فى الأصل : لذلك عظيم (٥) من م ، و فى الأصل وظ : ذكر (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٧) زيد من م ، و موضعه فى ظ : معربا .

و أفرد

و أفرد أولا لأنه أنص على التعميم و جمع ثانيا إعلاما بأن المراد الجنس ﴿ بل ﴾ أي يستهينون بأمر الله بما عندهم من العصيان، فيوسع على بعض من جبل على الشقاء إهانة له بالاستدراج[1] و يضيق على [بعض - [2]] من لم يجبل على ذلك إكراما له و ردعا[3] عن اتباع الهوى و ردا إلى الإحسان إلى الضعفاء، و ترجم هذا العصيان الذي هو سبب الخذلان ٥ بقوله: ﴿ لا[4] يكرمون ﴾ أي أكثر الناس ﴿ اليتيم ﴾ بالإعطاء و نحوه شفقة عليه و رحمة له لأنه ضعيف لا يرجى من قبله نفع بثناء و لا غيره.

و لما كان الإنسان لا يمنعه من حث غيره على الخير إلا حب الدنيا إن كان المحثوث أعظم منه فيدخره لحوائجه و إن كان مثله فانه يخشى أن يقارضه بذلك[5] فيحثه على مسكين آخر، و كان الإحسان[6] بالحث ١٠ على الإعطاء أعظم من الإعطاء لأنه يلزم منه الإعطاء بخلاف العكس، قال: ﴿ و لا يحضون ﴾ أي يحثون حثا عظيما لأهلهم و لا لغيرهم ﴿على طعام المسكين ﴾ أي بذله له سخاء[7] وجودا، / [8]فكانت إضافته[8] إليه إشارة إلى أنه شريك للغني[9] في ماله بقدر الزكاة. / ٧٥٣

---

(١) من م، و في الأصل و ظ: في الاستدراج (٢) زيد من م (٣) زيد في الأصل: له، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) وقع في الأصل قبل «اى يستهينون» و الترتيب ظ و م (٥) من م، و في الأصل و ظ: بذلك. (٦) من ظ و م، و في الأصل: الإنسان (٧) تكرر في الأصل فقط (٨-٨) في ظ و م: أضافه (٩) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م.

و لما دل على حب الدنيا بأمر خارجى، دل عليه بأمر فى الإنسان فقال تعالى: ﴿و يأكلون﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار ﴿التراث﴾ أى الميراث[1]، أصله وراث[2] أبدلت الواو تاء، [و - [2]] كأنه عبر عنه به دلالة على أخذ الظاهر الذى تشير إليه الواو، و التفتيش عن الباطن ٥ المشار إليه بمخرج التاء تفتيشا ربما أدى إلى أخذ بعض مال الغير: ﴿اكلا لما﴾ أى[4] ذا لم أى[5] جمع وخلط بين الحلال و الحرام فانهم كانوا لا يؤرثون النساء و لا الصبيان [و - [3]] يأكلون ما جمعه المؤرث و إن كانوا يعلمون أنه حرام و يقولون: لا يستحق المال إلا من يقاتل و يحمى الحوزة.

و لما كان ذلك قد يفعل عن ضرورة [مع الكراهة - [6]] قال ١٠ ما هو صريح فى المقصود: ﴿و يحبون﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿المال﴾ أى هذا النوع من أى شيء كان، و أكده [7]بالمصدر و الوصف[7] فقال: ﴿حبا جما﴾ أى كثيرا مع حرص و شره، [فصار - [3]] قصارى[8] أمرهم النظر الدنيوى، و لم يصرفوا أنفسهم عن حبه إلى ما دعا إليه العقل الذى يعقل[8] النفس عن الهوى، و الحجر الذى يحجرها عن الحظوظ، و النهية ١٥ التى تنهاها عن الشهوات إلى الإقبال على الله.

---

(١) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: وارث (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل: اكلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالوصف و المصدر. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يعقله.

و لما كان السياق هاديا إلى أن التقدير: يحسبون أن ذلك يوفر أموالهم و يحسن أحوالهم و يصلح بالهم، زجر عنه بجامع الزجر فقال: ﴿ كلا ﴾ أي ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر، ثم استأنف ذكر ما يوجب ندمهم و ينبههم من رقدتهم و يعرفهم أن حب المال لا يقتضي نموه، و لو اقتضى نموه ما اقتضى إيجابه للسعادة فقال: ﴿ اذا دكت الارض ﴾ ٥ أي حصل دكها و رجها و زلزلتها لتسويتها فتكون كالأديم الممدود بشدة المط لا عوج فيها بوجه. و أشار بالبناء للمفعول إلى سهولة ذلك لأن الأمر عظيم لعظمة الفاعل الحق، و لذلك قال: ﴿ دكا دكا ﴾ أي مكررا بالتوزيع على كل موضع ناتٍ [٢]فيها، فيكون[٢] لكل جبل و أكمة و ثنية وعقبة دك يخصه على حدته ليفيد ذلك أنه دك مبالغ فيه فتصير جبالها[٣] و أكامها ١٠ هباء منثورا ثم تستوى حتى لا يكون فيها شيء من عوج، و هو كناية عن زلازل عظيمة لا تحملها الجبال الرواسي فيكف بغيرها.

و لما دلت التسوية على مجيء أمر عظيم، فان العادة في الدنيا أن الطرق لا تعم بالكنس أو الرش أو التسوية إلا لحضور عظيم كالسلطان، قال متلطفا بالمخاطب من أواخر سورة البروج إلى هنا بذكر صفة الإحسان ١٥ على وجه يفتت أكباد أضداده: ﴿ و جآء ربك ﴾ أي[٤] أمر المحسن إليك باظهار رفعتك العظمى في ذلك اليوم الأعظم لفصل القضاء / بين العباد / ٧٥٤

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: لاينقضي (٢-٢) من م، و في الأصل و ظ: فيه (٣) زيد في الأصل: دكا، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ.

بشفاعتك ﴿ و الملك ﴾ أى هذا النوع[1] حال كون الملائكة مصطفين ﴿صفا صفاج ﴾ أى موزعا اصطفافهم على أصنافهم كل، صنف صف على حدة، و يحيط أهل السماء الدنيا بالجن و الإنس، و أهل كل سماء كذلك، و هم على الضعف ممن أحاطوا به حتى يحيطوا أهل السماء السابعة بالكل ٥ و هم على الضعف من جميع من[2] أحاطوا به من الخلائق، و معنى مجيئه سبحانه و تعالى بعد أن ننفي عنه أن يشبه مجيء شيء من الخلق لأنه سبحانه و تعالى ليس كمثله شيء في ذاته و لا في صفاته و لا في أفعاله، فاذا صححنا العقد في ذلك في كل ما كان من المتشابه قلنا في هذا أنه مثل أمره سبحانه و تعالى في ظهور آيات اقتداره و تبيين آثار قدرته و قهره ١٠ و سلطانه بحال الملك إذا حضر بنفسه فظهر بحضوره[3] من آثار الهيبة و السياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه، فمجيئه عبارة عن حكمه و إظهار عظمته و بطشه و كل ما يظهره الملوك إذا جاؤا[4] إلى مكان، و هو سبحانه و تعالى شأنه حاضر مع المحكوم بينهم بعلمه و قدرته، لم يوصف بغيبة أصلا أزلا و [لا -[5]] أبدا، فحضوره في [ذلك -[5]] ١٥ الحال و بعده كما[6] كان قبل ذلك من غير فرق أصلا، لم يتجدد شيء

(١) زيد في الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ما (٣) من م ، و في الأصل و ظ : بحضور (٤) من م ، و في الأصل و ظ : جاء (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و في الأصل : و ما ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى « تعليق قدرته » .

غير

غير تعليق قدرته على حسب إرادته بالفصل بين الخلق[1]، و لو غاب فى وقتٍ أو أمكنت غيبته بحيث يحتاج إلى المجيء لكان محتاجا، و لو كان محتاجا لكان عاجزا، و لو عجز أو آمكن عجزه فى حال من الأحوال لم يصلح للالهية - تعالى الله عما يقول الظالمون و الجاحدون علوا كبيرا، و فى تكرير "صفا" تنبيه على صرف المجيء عن حقيقته و إرشاد إلى ٥ ما ذكرت من التمثيل .

و لما كانت جهنم لا تأتى[2] بنفسها لأنها لو أتت بنفسها لربما ظن أنها خارجة عن القدرة بل تقودها الملائكة، فكلما عالجوها ذهابا و إيابا حصل للناس من ذلك من الهول ما لايعلمه إلا الله تعالى، و كان المهول نفس المجيء بها لا تعيين الفاعلين، لذلك بنى للفعول قوله: ﴿ و جاْىء ﴾ ١٠ أى بأسهل أمر ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ وقع ما ذكر ﴿ بجهنم ﴾ أى النار التى تتجهم من يصلاها، روى أنه يؤتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، و هو كقوله تعالى: "و برزت الجحيم لمن يرى" و أبدل من "اذا" توضيحا لطول الفصل و تهويلا[3] قوله: ﴿يومئذ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور فرأى الإنسان ما أعد [4]للشاكرين ١٥ و ما أعد للكافرين[4] .

و لما قدم هذه الأمور الجليلة و القوارع المهولة اهتماما [بها -[5]]

(١) من ظ وم، وفى الأصل: الخلائق (٢) من ظ و م، وفى الأصل: لايتاتى.
(٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) فى ظ و م: للشاكر والكافر (٥) زيد من ظ و م.

و تنبيها على أنها، لما لها من عظيم الموعظة، جديرة بأن يتعظ بها كل سامع، ذكر العامل فى ظرفها و بدله فقال: ﴿ يتذكر الانسان ﴾ أى على سبيل
٧٥٥ / التجديد و الاستمرار فيذكر كل ما [كان - [1]] ينفعه فى / الدنيا و ما يضره فيعلم أن حبه للدنيا لم يفده إلا خسارا، لا زاد بحبها شيئا لم يكتب
٥ له و لا كان ينقصه بذلها شيئا كما[2] كتب له لو بذلها، و إذا تذكر ذلك هان عليه البذل، و ليست تلك الدار دار العمل، فلذلك قال: ﴿ و انى ﴾ أى كيف و من أى وجه ﴿ له الذكرى ﴾ أى نفع التذكر العظيم فانه فى غير موضعه، فلا ينفعه [3]أصلا بوجه من الوجوه[3] لفوات دار[4] العمل، و لا يقع بذلك على شىء سوى النـدم و تضاعف الغم [3] و الهم [3]
١٠ و الآلام.

و لما كان الندم[5] يقتضى أن يعمل الإنسان ما ينافيه، بين أنه ليس هناك عمل إلا [إظهار - [6]] الندم فاستأنف قوله: ﴿ يقول ﴾ أى متمنيا المحال على سبيل التجديد و الاستمرار: ﴿ يٰليتنى ﴾ و هل ينفع شيئا «ليت» ﴿ قدمت ﴾ أى أوقعت التقديم لما ينفعنى [3]من الجد[3] و العمل [به - [6]]
١٥ ﴿ لحياتى ﴾ أى أيام حياتى فى الدنيا أو[7] لأجل حياتى هذه الباقية التى لا موت بعدها، و يمكن أن يكون سبب تمنيه هذا علمه بأنه كان فى الدنيا مختارا، و أن الطاعات فى نفسها [كانت - [6]] ممكنة لا مانع له [منها - [1]] فى

---

(١) زيد من م (٢) فى ظ: ما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: التذكر (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل «و».

الظاهر إلا صرف نفسه عنها و عـدم تعليق ما آتاه الله من القوى بها .

و لما كان هذا غير نافع له، سبب عنه قوله : ﴿ فيومئذ ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور كلها[1] ﴿ لا يعذب ﴾ أى يوقع ﴿ عذابه ﴾ أى عذاب [الله، أى - [2]] مثل عذابه المطلق المجرد فكيف بتعذيبه . و لما اشتد ٥ التشوف إلى الفاعل، أتى به على وجه لا أعم منه أصلا [3] فقال : ﴿ احد ﴾ .

و لما جرت العادة بأن المعذب يستوثق منه بسجن أو[4] غيره، و يمنع من كل شيء يمكن أن يقتل به نفسه، خوفا من أن يهرب أو يهلك نفسه قال : ﴿ و لا يوثق ﴾ أى يوجد ﴿ وثاقه ﴾ [أى - [5]] مثل وثاقه فكيف بإيثاقه ﴿ احد ﴾ و المعنى أنه لا يقع فى خيال أحد لأجل انقطاع ١٠ الأنساب و الأسباب أن أحـدا يقدر[6] على [مثل - [5]] ما يقدر عليه سبحانه و تعالى من الضر[7] ليخشى كما يقع فى هذه الدنيا، بل يقع فى الدنيا فى أوهام كثيرة أن عذاب من يخشونه أعظم من عذاب الله - [8] و أن عذاب الدنيا بأسره لو اجتمع على إنسان وحده لا يساوى رؤية جهنم بذلك المقام فى ذلك المحفل المهول دون دخولها[8] - و لذلك تقدم خوفه ١٥ على الخوف[9] من الله، و بنى الكسائى و يعقوب الفعلين للمفعول، و المعنى

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : النكدة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من م. (٤) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يقدر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الهزم (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ وم ، و فى الأصل : الحزم .

على قراءة الجماعة ببنائهما للفاعل : لايعذب أحد عذابا مثل عذاب الله أى
لايعذب أحد[1] غير الله أحدا من الخلق مثل[2] عذاب الله [له -[3]]،
و الحاصل أنه لايخاف فى القيامة من أحد غير الله ، فانه ثبت بهذا الكلام
أن عذابه لامثل له ، و لم يذكر المعذب من هو فيرجع الأمر إلى
٥ [أن -[3]] المعنى : فيومئذ يخاف الإنسان من الله خوفا لامثل له ، أى
لا يخاف من أحد مثل خوفه منه سبحانه و تعالى ، و يجوز ان يكون
الضمير فى "عذابه" للانسان ، أى لا يعذب أحد من الزبانية / أحدا غير ٧٥٦ /
الإنسان مثل عذابه . و فى المبنى للفعول : لايعذب عذاب الإنسان [أحد -[4]]
لكن يبعده أنه يلزم[5] عليه أن يكون عذاب الإنسان أعظم من عذاب
١٠ إبليس - و يجوز أن يكون المعنى : إنه لا يحمل أحد ما يستحقه من
العذاب كقوله تعالى "و لاتزر وازرة وزر اخرى".

و لما علم أن هذا الجزاء[6] المذكور لا يكون إلا[6] للهلوع الجزوع
المضطرب النفس الطائش فى حال السراء و الضراء، الذى لايكرم اليتيم
و لا المسكين و يحب الدنيا ، و كان من المعلوم أن فى الناس من ليس
١٥ هو كذلك ، تشوفت النفس إلى جزائه فشفى عىّ هذا التشوف بقوله ،
إعلاما بأنه يقال لنفوسهم عند النفخ فى الصور و بعثرة ما فى القبور
للبعث و النشور : ﴿ يٰۤاَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۙۖ ﴾ أى التى هى فى غاية

(١) زيد فى الأصل : عذابا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ
و م ، و فى الأصل : من (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ
و م ، و فى الأصل : يلزمه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

السكون

السكون لاخوف عليها و لاحزن و لا نقص و لاغبون، لأنها كانت فى الدنيا فى غاية الثبات على[1] كل ما أخبر به [2]عن الدار[2] الآخرة و غيرها من وعد و وعيد و تحذير و تهديد، فهم راجون لوعده خائفون من وعيده، و إذا كانت هذه حال[3] النفس التى شأنها الميل إلى الدنيا فما ظنك بالروح التى هى خير[4] صرف ﴿ارجعى﴾ أى بالبعث ﴿الى ربك﴾ ٥ أى موعد[5] الذى أوجدك و رباك تربية الموفقين، أو إلى بدنك حال كونك ﴿راضية﴾ أى بما تعطينه. فلا كدر يلحقك بوجه [6]من الوجوه أصلا[6] كما كنت فى دار القلق [و الاضطراب -[7]] مطمئنة ساكنة تحت القضاء و القدر سالكة سبيل الرضا إن حصل ابتلاء بالتكريم و التنعيم أو التضييق و التغريم وثوقا بما عند الله[8] ﴿مرضية﴾ عند الله و سائر خلقه، ١٠ فلا شيء يكرهك بسبب ما كنت مطمئنة تعملين الأعمال الصالحة تحت القضاء و القدر خيره و شره حلوه و مره، ثم بيّن ما أجمل من الرجوع فقال سبحانه: ﴿فادخلى﴾ أى بسبب [9]هذا الأمر[9] ﴿فى عبدى﴾ أى فى زمرة الصالحين الوافدين علىّ، الذين هم أهل للاضافة[10] إلىّ، أو فى أجساد عبادى

(١) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: حالة (٤) من م، وفى الأصل: حين، والكلمة ساقطة فى ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: موجدك (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل: جل جلاله و علا زايدا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: هذه الأمور (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الاضافة.

التى خرجت فى الدنيا منها، و قراءة "عبدى" بالتوحيد [للجنس -[١]]
الشامل للقليل و الكثير تدل على ذلك ﴿و ادخلى جنتى ﴾ [أى -[١]]
و هى جنة عدن و هى أعلى الجنان، قال البغوى[٢] : قال سعيد بن جبير : مات
ابن عباس رضى الله عنهما [بالطائف -[٣]] فشهدت جنازته فجاء طائر لم نر[٤]
٥ على [صورة-[٥]] خلقه[٦] فدخل نعشه فلم نر[٧] خارجا منه، فلما دفن تليت
هذه الآية على شفير القبر فلم ندر من تلاها، و هذا[٨] الآخر هو أولها
على ما هو ظاهر المقسم عليه بالفجر من البعث المحتوم، الذى لولا هو لكان
خلق الخلق[٩] من العبث المذموم، المنزه عنه الحى القيوم، فسبحان الملك الأعظم
الذى هذا كلامه، علت معانيه عن طعن و شرفت أعلامه، و غر فى ذروة
١٠ الإعجاز تركيبه و نظامه، «و أين الثريا من يد المتناول».

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع المعالم ٧ /٢٠٦ (٣) زيد من ظ و م و المعالم.
(٤) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل : لم ندر (٥) زيد من المعالم (٦) من ظ و م
و المعالم، و فى الأصل : خطته (٧) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل : فلم ندر.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل : هذه (٩) من م، و فى الأصل و ظ : الحق.

/ سورة البلد[1] / ٧٥٧

مقصودها[2] [3]الدلالة على نفى القدرة[3] عن الإنسان، و إثباتها لخالقه الديان، بذكر ما للانسان من الهموم[4] و الأحزان، و ذكر الأسباب [الموقعة له فيما شاء أو أبى، و ذكر السبب -[5]] المخلص منها، الموصل إلى السعادة فى الآخرة، و هو ما هدى إليه ربه سبحانه، و ذلك هو معنى اسمها، فان ٥ من تأمل أمان أهل الحرم و ما هم فيـــه من الرزق و الخير على قلة الرزق ببلدهم - مع ما فيه غيرهم من[6] هم أكثر منهم و أقوى - من الخوف و الجوع علم ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الملك الواحد القهار ﴿الرحمن﴾ الذى أسبغ نعمته على سائر بريته، و فاوت بينهم فى عطيته، فكان كل ساخطا لحالته فى كبد ما يهمه فى خاصته و عامته لحكم تعجز الافكار[7] ﴿الرحيم﴾ ١٠ الذى خص أهل ولايته بما يرضيه عنهم من أقضيتـه فيوصلهم إلى جنته و ينجيهم من النار.

لما ختم[8] كلمات الفجر بالجنة التى هى افضل الأماكن التى يسكنها الخلق، لاسيما المضافة إلى اسمه[9] الأخص المؤذن بأنهـا أفضل الجنان،

(١) التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٢٠ (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: نفى الدلالة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الهول (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: من (٧) زيد فى الأصل و ظ: عن درك جزء الجزء منها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من م، و فى الأصل و ظ: ختمت.

بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم [من - [1]] أنها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء و الضراء، افتتح هذه بالأمارة[2] مقسما في أمرها بأعظم البلاد و أشرف أولى الأنفس المطمئنة، فقال مؤكدا بالنافي من حيث أنه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بأنه لم[3] يقصد [به - [4]] غير ذلك: ﴿ لآ أقسم ﴾ أي اقسم قسما أثبت مضمونه و أنفي ضده، و يمكن أن يكون النفي على ظاهره، و المعنى أن الأمر في الظهور غني عن الإقسام حتى بهذا القسم الذي انتم عارفون بأنه في غاية العظمة، فيكون كقوله "فلا أقسم بموقع النجوم و انه [لقسم - [1]] لو تعلمون عظيم" ﴿ بهذا البلد ﴾ أي[5] الحرام و هو مكة التي لا يصل إليها قاصدوها إلا بشق الأنفس، و لا يزدادون لها مع ذلك إلا حبا، الدال على أن الله تعالى جعلها خير البلاد[6]، وقذف حبها في قلوب [7]من اختارهم[7] من كل حاضر و باد، لأنها تشرفت في أولها و آخرها و أثنائها بخير العباد، و لم يصفه بالأمن لأنه لايناسب سياق المشقة بخلاف ما في التين، فان المراد هناك الكمالات.

و لما عظم البلد بالإقسام به، زاده عظما بالحال به إشعارا بأن

(1) زيد من ظ و م (2) من ظ و م، و في الأصل: بالاره - كذا (3) من ظ و م، و في الأصل: لا (4) زيد من م (5) من ظ و م، و في الأصل: و هو (6) زيد في الأصل: بلاشك و لاريب، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (7-7) من ظ و م. و في الأصل: ... مع اختيارهم.

شرف المكان بشرف السكان، و ذلك فى جملة حالية فقال: ﴿ و انت ﴾ يعنى و أنت خير كل[1] حاضر و باد ﴿ حلّ ﴾ أى مقيم أو حلال لك ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد ممن يدعى أنه لا قدرة لأحد عليه[2] ﴿ بهذا البلد ﴾ فتحل قتل ابن خطل و غيره و إن كان متعلقا بأستار الكعبة، و تحرم قتل من دخل دار / ابى سفيان و غير ذلك مما فعله ٥ / ٧٥٨ الله لك بعد الهجرة بعد نزول هذه السورة المكيه بمدة طويلة علما من أعلام النبوة. أو المعنى: يستحل أهله منك و انت أشرف الخلق ما لايستحلونه من صيد و لا شجر، و كرر إظهاره و لم يضمره زيادة[3] فى تعظيمه تقبيحا لما يستحلونه من أذى المؤمنين فيه، و إشارة إلى أنه يتلذذ بذكره[4]، فقد وقع القسم بسيد البلاد و سيد العباد، و لكل جنس ١٠ [سيد -[5]]، و هو انتهاؤه فى الشرف، فأشرف الجماد الياقوت و هو سيده، و لو ارتفع عن هذا الشرف لصار نباتا ينمو كما فى الجنة، و أشرف جنس النبات النخل [و لو-[6]] ارتفع صار حيوانا يتحرك بالارادة، فالحيوان سيد الأكوان، و سيده الإنسان، لما له من النطق و البيان، و سيد الإنسان الرسل عليهم أفضل الصلاة و السلام، لما لهم من عظيم ١٥ الوصلة بالملك الديان، و سيدهم [7]أشرف الخلق صلى الله عليه و سلم الذى[7] ختموا به لما فاق به من الفضائل التى أعلاها هذا القرآن، فسيد الخلق

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: معه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بزيادة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مذكرة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من م (٧-٧) فى ظ و م: من.

محمد بن عبد الله[1] رسول الله أشرف الممكنات و سيدها لأنه وصل إلى أعلى مقام يمكن أن يكون لها ، و لو بقي فوق ذلك مقام يمكن للمكن لنقل إليه ، و لكونه[2] أشرف كانت مكابدته أعلى المكابدات ، يصبر على أذى قومه بالكلام الذى هو أنفذ من السهام . و وضع السلاء من ٥ الجزور على ظهره الشريف - نفديه بحر وجوهنا و مصون جباهنا[3] وخدودنا - و هو ساجد ، و وضع الشوك فى طريقه ، و الإجماع على قصده بجميع انواع[4] الأذى من الحبس و النفي و القتل بحيث قال صلى الله عليه و سلم « ما أوذي أحد في الله ما أوذيت » .

و لما أفهمت هذه الحال أن القسم إنما هو في الحقيقة به[5] صلى الله ١٠ عليه و سلم ، كرر الإقسام به على وجه يشمل غيره فقال : ﴿ و والد ﴾ و لما كان المراد التعجيب من ابتداء الخلق بالتوليد من كل حيوان فى جميع أمر التوليد و بما عليه الإنسان من النطق و البيان و غريب[6] الفهم وكان السياق لذم أولى الأنفس الأمارة ، و كانوا هم أكثر الناس ، حسن التعبير بأداة ما[7] لا يعقل لأنها من أدوات التعجيب فقال : ﴿و ما ولدٌ ﴾ ١٥ أي من ذكر أو أنثى كائنا من كان ، فدخل كما مضى النبي صلى الله عليه و سلم فصار مقسما به مرارا ، و كذا دخل أبواه[8] إبراهيم و ولده إسماعيل

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لكنه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : جبان (٤) زيد فى الأصل : السلاء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : غير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا .
(٨) من م ، وفى الأصل و ظ : أبوه .

عليهما الصلاة و السلام و ما صنعا و ما صنع الله لهما بذلك البلد، و معلوم أن ذكر الصنعة تنبيه على صانعها، فالمقصود[1] القسم بمن جعل البلد على ما هو عليه من الجلال، و خص النبي صلى الله عليه و سلم بما خصه به من الإرسال، و فاوت[2] بين المتوالدين فى الخصال[3]، من النقص و الكمال و سائر الأحوال، تنبيها على ما له من الكمال [4]بالجلال و الجمال[4]، ٥ و لعله خص هذه الأشياء بالإقسام تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم، / و تثبيتا له على احتمال الأذى، إشارة إلى أن من كان قد حكم عليه بأنه / ٧٥٩ لايزال فى نكد، كان الذى ينبغى [له - [5]] أن يختار أن يكون ذلك النكد فيما يرضى الله سبحانه و تعالى، و ذلك لأن النبي صلى الله عليه و سلم كان فى مكة المشرفة فى أعظم شدة مما يعانيه من أذى الكفار ١٠ فى نفسه و أصحابه رضى الله عنهم لعلو[6] مقامه، فان شدة البلاء للأمثل فالأمثل كما مضى مع أمره صلى الله عليه و سلم بالصبر[7] و الصفح، و كل والد و مولود فى شدة بالوالدية و المولودية، و غير ذلك مما لا يحصى من الأنكاد البشرية، من حين هو[8] نطفة فى ظلمات ثلاث فى ضيق ممر و مقر ثم ولادة و ربط فى تابوت و فطام عن الآلف و أهنة ؟ من المؤدب ١٥

(١) من م، و فى الأصل و ظ : والمقصود (٢) من ظ و م، و فى الأصل : فات (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الحبال (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل : والجمال والجلال (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : و علو (٧) من ظ و م، و فى الأصل : بالامر (٨) من ظ و م، و فى الأصل : كان .

و المعلم و توبيخ من المشائخ و معاندة من الأقران ، و من يتسلط[1] عليه
من النسوان ، مع أنه عرضة للأمراض ، و سائر ما يكره من الأعراض
و الأغراض ، و الفاقات و النوائب و الآفات ، و المطالب و الحاجات ،
لا يحظى بهواه ، و لا يبلغ مناه ، و لا يدرك ما اجتباه ، و لا ينجو غالبا مما
٥ يخشاه ، و تفاصيل هذا الإجمال لا تحصى ، و لا حد لها فتستقصى ، إلى الموت
و ما بعده ، فلذلك كان المقسم عليه قوله : ﴿ لقد خلقنا ﴾ أى بما لنا
[2]من القدرة التامة و[3] العظمة[2] التى لا تضاهى[2] ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع
﴿ فى كبد ﴾ أى شدة شديدة و مشقة عظيمة[3] محيطة به إحاطة الظرف
بالمظروف ، لو وكله سبحانه و تعالى فى شيء منها إلى نفسه هلك[4] ، و لولا
١٠ هذه البلايا لادعى[5] ما لا يليق به من عظيم المزايا ، و قد ادعى بعضهم
مع ذلك الإلهية و بعضهم الاتحاد برب العباد - تعالى الله عن قولهم
الواضح الفساد ، بما قرنه به سبحانه و تعالى من الموت و المرض و سائر
الأنكاد ، فعل سبحانه ذلك [ليظهر-[6]] بما للعبد من الضعف و العجز-
مع ما منحه به من القوى الظاهرة و الباطنة فى القول و الفعل و البطش
١٥ و العقل - ما له سبحانه من تمام العلم و شمول القدرة ، و ليظهر من
خلقه له على هذه الصفة ، علم جميع ما فى السورة ، فعلم قطعا إنكار ظنه

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يتلسط (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لاد (٦) زيد من ظ .

لتناهى

لتناهي قدرته و تعالى عظمته ، و فساد هذا الظن بشاهد العقل[1] من حيث
كونه مصنوعا ، و بشاهد الوجود من أجل[2] أنه يسلك طريق الشر و لا يقدر
على طريق الخير إلا بالتوفيق ، فعلم قطعا إعجاز السورة لأنه لاقدرة لمخلوق
على أن يأتي بجملة واحدة تجمع جميع [ما -[3]] وزراءها من الجمل - هذا
إلى ما لها من فنون الإيجاز التي وصلت إلى حد الإعجاز ، هذا إلى ما ٥
لبقية الجمل من الإعجاز في حسن الرصف و إحكام التركيب و الربط
و المراعاة بالألفاظ للمعاني إلى غير ذلك مما لا يبلغ[4] كنهه إلى منزله
سبحانه و عز شأنه ، و علم أن الإكرام و الإهانة / ليستا دائرتين على التنعيم / ٧٦٠
في الدنيا و التضييق كما تقدم شرحه في سورة الفجر ، و لأجل ما علم
من كون الإنسان لا يزال في نكد و شدة و نصب من حيث احتياجه ١٠
أولا إلى مطلق الحركة و السكون ، و ثانيا إلى المأكل و المشرب ، و ثالثا
إلى ما يترتب عليهما إلى غير ذلك [مما -[5]] يعيي عده و يجهل حده ،
توجه الإنكار في قوله تعالى بيانا للأسباب الموقعة له في النكد ، و هي
شهوتان : نفسية و حسية ، و النفسية منحصرة في أربع : الأولى أنه[6]
يشتهي أن يكون كل من في الوجود في قبضته فأشار إليها[7] ﴿ ايحسب﴾ ١٥

(١) من م ، و في الأصل و ظ : الفعل (٢) من م ، و في الأصل و ظ : بحيث (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و في الأصل و ظ : لا يبلغه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : ان (٧) زيد في الأصل : بقوله تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

أى هذا الإنسان لضعف عقله[١] مع ما هو فيه من أنواع الشدائد ﴿ ان لن يقدر ﴾ و لما أكد بالفعلية و خصوص هذا النفى[٢] قدم الجار تأكيدا بما يفيد من الاهتمام بالإنسان فقال: ﴿ عليه ﴾ أى خاصة ﴿ احد ﴾ أى من أهل الأرض أو السماء فيغلبه حتى أنه يعاند خالقه[٣] مع ما ينظر ٥ من اقتداره على أمثاله بنفسه و بمن شاء من جنوده فيعادى رسله عليهم الصلاة و السلام و يجحد آياته .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أوضح سبحانه و تعالى حال [من - ٤] تقدم ذكره فى السورتين فى عظيم حيرتهم و سوء غفلتهم و ما أعقبهم ذلك من التذكر تحسرا حين لاينفع التندم[٥] ، و لات حين ١٠ مطمع ، أتبع ذلك بتعريف نبينا[٦] عليه أفضل الصلاة و السلام بأن وقوع[٧] ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التى شاءها و [الحكمة - ٤] التى قدرها كما جاء فى الموضع الآخر "ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها" فأشار تعالى إلى هذا بقوله "لقد خلقنا الإنسان فى كبد" أى أنا خلقناه لذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعا لمن سبق له الشقاء عن التفكر[٨] ١٥ و الاعتبار "و ان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا" فأعماهم بما

(١) زيد فى الأصل و ظ : علله ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المنافى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حلقه (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الندم (٦) فى ظ و م : نبيه (٧) زيد فى الأصل : مثل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : التذكر .

خلقهم فيه من الكبد و أغفل قلوبهم فحسبوا أنهم لايقدر عليهم أحد[١]،
وقد بين سبحانه و تعالى فعله هذا بهم فى قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم
" و لاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه" " و لو شاء ربك
لآمن من فى الارض كلهم جميعا " فأنت تشاهدهم يا محمد ذوى أبصار
و آلات يعتبر بها النظار[٢] "الم نجعل له عينين و لسانا و شفتين" فهلا اخذ ٥
فى خلاص نفسه، و اعتبر[٣] بحاله و أمسه ، "فلا اقتحم العقبة " و لكن
إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له - انتهى .

و لما كان الإنسان لايفتخر بالانفاق إلا إذا أفضى إلى الإملاق[٤]،
فعلم أن مراده[٥] الإشارة إلى ان معه أضعاف ما أنفق من حيث انه
حقره بلفظ الإهلاك ، إشارة إلى الثانية و الثالثة من شهواته النفسية . ١٠
و هما إرادته أن يكون له الفخار و الامتنان على جميع الموجودات
و إرادته أن يكون عنده من الأموال ما لا تحيط به الأفكار / و لا تحويه /٧٦١
الأقطار - كما يشير إليه حديث[٦] «لو أن لابن آدم واد من ذهب» و «لا يملأ
جوف ابن[٧] آدم الا التراب» علل سبحانه و تعالى جهله[٨] فى حسابه

---

(١) زيد فى الأصل : بجهلهم وعما قلوبهم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الناظر (٣) زيد فى الأصل : بيومه و ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : ملاق.
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مراد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حيث.
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بنى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : جعل ابن ادم .

ذلك و ما تبعه بقوله: ﴿ يقول ﴾ أى مفتخرا بقدرته و شدته: ﴿ اهلكت مالا لبدا ﴾ و لقصد المبالغة فى كثرته جاءت قراءة [ابى - [1]] جعفر بالتشديد على أنه جمع لابد كركع و راكع فأفهمت انه بحيث لا يحصى، بل لو جمع لم تسعه الأرض إلا بأن يكون [بعضه - [1]] على ٥ بعض فلا يعد و لا يحد، أى و ذلك قليل من الكثير الذى معى، قلدت به أعناق الرجال المنن، و استعبدت[2] به الأحرار فى كل زمن، فصرت[3] بحيث إذا دعوت كثر الملبى، و إذا ناديت كثر المجيب، و إذا أمرت عظم الممتثل، وفاء لصنائعى الماضية و رغبة فى نعمى الباقية، فمن يستعصى علىّ و من يخالف أمرى، فضلا عن أن يريد إخمال[4] ذكرى ١٠ أو نقص قدرى.

و لما كان الشيء لا يعنى إلا إذا كان مجهولا و لو من بعض الجهات[5]، أنكر عليه هذا الظن على تقدير وقوعه فانه لا يوصل إلى ما ظنه إلا به، بقوله مشيرا إلى شهوته النفسية الرابعة، و هى أن تكون أموره مستورة فلا يظهر على غيبه أحد أصلا[6]: ﴿ ايحسب ﴾ أى هذا الإنسان العنيد بقلة ١٥ عقله ﴿ ان لم يره ﴾ أى [7]بالبصر و لا بالبصيرة[7] فى الزمن الماضى ﴿ احد ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: استبعدت (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فصرف (٤) من ظ و م، و فى الاصل: اخمالى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الجهالات (٦) من ظ و م، و فى الأصل: قال تعالى. (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: يره بالبصيره و لا البصر.

أى

أى فى عمله هذا سره و جهره و جميع أمره، فينقص جميع ما عمل إذا
أراد، و [كل -[1]] ما فاته من آثار هذه الشهوات الأربع، و هو لا يزال
فاتنا له، كان[2] من إرادة تحصيله فى نكد و معاناة و كبد[3] بحيث يرمى نفسه
لتحصيله فى المهالك، و لا يحصل منه على ما يرضيه أبدا، و هذا كناية
عن أنه يعمل من المساوئ أعمال من يظن أنه لا يطلع عليه، فلذلك ٥
نبهه الله تعالى بأنواع التنبيه ليأخذ حذره و يحرز عمره.

و لما أنكر عليه[4] سبحانه و تعالى هذه النقائص، قرره على ما اوجب[5]
شهوته [الحسية - [6]] المتفرعة إلى أنواع بما[7] يستلزم أن يكون فاعله
[له - [6]] المانّ عليه به من بعض فيضه، عالما بجميع أمره قادرا على
نفعه و ضره بنفسه و بمن أراد من جنده، فقال مشيرا إلى ما يترتب ١٠
على نظر العين الباصرة [8]الجائلة فى العالم الحسى و نظر عين البصيرة الجائلة
فى العالم المعنوى[8] من شهوته أن يحصل على كل ما يراه بعين باصرته[9] و يعلمه
بعين بصيرته[10] من مليح، و يخلص من كل ما يراه من قبيح، و مذكرا
له بما كان يجب عليه من الشكر باستعمال هذه المشاعر[11] فيما شرع له

---

(١) زيد من م (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : كيد (٤) من ظ و م، و فى
الأصل : على (٥) من ظ و م، و فى الأصل : اوجبت (٦) زيد من ظ و م.
(٧) من م، و فى الأصل و ظ : ما (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل : بصيرته (١٠) من ظ و م، و فى الأصل :
باصرته (١١) من ظ و م، و فى الأصل : المشارع.

و كفها عما منع الله منه : ﴿ الم نجعل ﴾ أى بما لنا من العظمة التى[1] لا يمكن أحدا أن يضاهيها[2] و لا يقرب منها[3] ﴿ له عينين ۝ ﴾ يبصر[4] بهما و إلا لتعطل عليه أكثر ما يريد ، شققناهما و هو فى الرحم فى ظلمات ٧٦٢ /
ثلاث على مقدار مناسب لا زيد إحداهما على الأخرى شيئا و قدرنا
٥ البياض و السواد[5] أو الزرقة أو الشهلة أو غير ذلك على ما ترون ، و أودعناهما البصر على كيفية يعجز [6]الخلق عن[6] إدراكها .

و لما قدره[7] سبحانه على ما ينشأ [عنه - [8]] شهوتا تحصيل المليح و نفى القبيح ، أتبع [ذلك - [8]] ما ينشأ عنه[9] شهوتا الأمر و النهى و أنواع الكمالات الكمالية فقال : ﴿ و لسانا ﴾ أى يترجم به عما فى ضميره ﴿ وشفتين ۝ ﴾
١٠ أى يستران فاه و يعينانه على الأكل و الشرب و على النطق بفصاحة و بلاغة [10]على حد[10] معلوم لا يبلغه غيره ، فيجتمع له أمره و يصل إلى مقاصد جمة[11] و أهوال مهمة ، و لم يذكر السمع لأن الكلام يستلزمه ، و المعنى : ألسنا قادرين بالقدرة التى جعلنا له بها ما ذكر على أن نجعل لغيره مثل ما جعلنا له و أكثر فيقاومه و يغلبه .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : والقدرة على هذا الصنم وجعل الذين (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يضاهيهما (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منهما (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الخلائق على (٧) فى ظ : قرره . (٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لأحد (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : جمعه .

و لما كان لله تعالى على كل أحد فى كل لمحة منة جديدة فى[1] إبقاء هذه الآلات الثلاث، عبر فيها بالمضارع، و لما كانت النعمة فى العقل إنما هى بهبته أولا ثم بحمله [به - [2]] على الخير ثانيا، و كان أمره خفيا، و كان من المعلوم أن كل أحد غير مهدى فى كل حركاته و سكناته إلى ما يسعده، بل كان هذا المنكر[3] عليه لم يؤهل لطريق ٥ الخير، اختير له لفظ الماضى لذلك تحقيقا لكونه و جعله غريزة لا تتحول و طبيعة لا تتبدل، بل هى غالبة على صاحبها، قائدة إلى مضارة أو محابة و مسارة و إن كره[4]، و هو السبب الذى يكون به الخلاص من شر تلك الانكاد فى دار الإسعاد فقال تعالى: ﴿و هدينه﴾ أى بما آتيناه من العقل ﴿النجدين ج﴾ أى طريقى الخير و الشر، و صار بما ١٠ جعلناه له من ذلك [5]سميعا بصيرا[5] عالما فصار موضعا للتكليف، روى الطبرانى[6] عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا أيها الناس! هلموا إلى ربكم فان[7] ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى، يا أيها الناس إنما هما نجدان: نجد خير و نجد شر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير[8]، قال المنذرى: النجد هنا الطريق - انتهى. ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: على (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الفكر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كرهو (٥ - ٥) فى ظ و م: بصيرا سميعا (٦) راجع مجمع الزوائد ١٠/٢٥٦ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فانه (٨) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.

و هو طريق فى ارتفاع ، عبر عن الخير و الشر به[1] لإعلائهما الإنسان عن رتبة باقى الحيوان ، ولأن الإنسان لا يختار واحدة منهما إلا بمعاناة و تكلف كمعاناة من يصعد فى عقبة ، و النجد لغة الموضع العالى ، والله تعالى يعلى[2] من أراد على ما[3] شاء منهما بخلاف ما كان يقتضيه ظاهر حاله من أنه لا يحب تكلف شىء أصلا ، و لا يريد الأشياء / تأتيه إلا عفوا ، و ذلك لأجل إظهار قدرته سبحانه و تعالى ، أما صعوبة طريق الخير فبما[4] حفه به من المكاره حتى صار العمل به ، مع ان كل أحد يعشق[5] اسمه و[6] معناه ، أشد شىء و أصعبه ، و أشقه و أتعبه ، و أما صعوبة[7] طريق الشر فواضحة جدا مع أن الله يلزمه لمن أراد بتسهيله و تحبيبه و تخفيفه و تقريبه مع أن كل أحد يكره اسمه و ينفر من معناه ، و جعل الله تعالى الفطرة الأولى السليمة التى فطر الناس[8] عليها من الاستقامة بحيث تدرك الشر و تنهى عنه ، و تدرك الخير و تأمر به ، غير أن الشهوات و الحظوظ تعالجها ، و الغالب من أعانه الله ، و إلى ذلك يشير حديث[9] «إذا لم تستحى فاصنع ما شئت» و حديث «البر ما اطمأنت إليه النفس

٥ ٧٦٣ /

١٠

---

(١) وقع فى الأصل بعد «عبر» والترتيب من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : من يشاء و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) فى ظ : فما (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يكره (٦) زيد فى الأصل : ينفر من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : صعبة (٨) فى ظ و م : العباد (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : قوله عليه الصلاة و السلام .

و انشرح له الصدر، و الإثم ما حاك فى الصدر و تردد [فى -[1]] القلب و إن افتاك الناس و أفتوك ».

و لما كان معنى ما مضى أن هـذا الإنسان عاجز و إن تناهت قوته، و بلغت الذروة قدرته، [2]لسبق قوله تعالى "و خلق الانسان ضعيفا[2]"
و أنه معلوم جميع أمره مفضوح فى سره كما هو مفضوح فى جهره، كما ٥
أشار إليه حديث جندب رضى الله تعالى عنه عند الطبرانى[3] «ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها» و حديث أبى سعيد رضى الله تعالى عنه عند أحمد و أبى يعلى[3] «لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب و لا كوة يخرج عمله للناس» فهو موصول إليه و مقدور عليه، و أنه[4] كان
يجب عليه الشكر على ما [5]جعل له[5] سبحانه و تعالى[6] من القوى التى جعلها ١٠
لسوء كسبه آلات للكفر[7]، سبب سبحانه و تعالى عنه قوله تفصيلا للأشياء الموصلة إلى الراحة فى العقبى نافيا لفعلها عنه على سبيل الحقيقة دلالة على عجزه: ﴿فلا اقتحم﴾ أى وثب و رمى بنفسه بسرعة و ضغط و شدة حتى كان من شدة المحبة لما يراه فيما دخل فيه من الخير كأنه
أتاه من غير فكر و لا روية بل هجما ﴿العقبة ﴾ و هى طريق النجاة، ١٥
و المقرر فى اللغة أنها الطريق الصاعد فى الجبل المستعار اسمها لأفعال البر

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) راجع مجمع الزوائد ١٠ / ٢٢٥ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٥ - ٥) من م، و فى الأصل و ظ: جعله (٦) زيد فى الأصل و ظ: له، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: للفكر.

المقرر فى النفوس أنها مريحة لا متعبة، مع كونها أعظم فخرا و أعلى منقبة، لأنا حجبناه[1] عنها بأيدنيا و عظيم قوتنا و عجيب قدرتنا، و ذلك أن الخير لما كان محببا إلى القلوب معشوقا للنفوس مرغوبا[2] فيه لايعدل عنه أحد، جعلناه فى بادئ الأمر كريها [و -[3]] على النفوس مستصعبا ثقيلا حتى صار لمخالفته[4]
٥ الهوى كأنه عقبة كؤد، لاينال ما فيـــه من مشقة الصعود، إلا بعزم شديد و همة ماضية، و نية جازمة، و رياضة و تدريب، و تأديب و تهذيب، و شديد[5] مجاهدة و عظيم مكابدة للنفس و الهوى / و الشيطان، بحيث / ٧٦٤
يكون متعاطيه فى فعله له كالرامى بنفسه فيه [بلا -[3]] روية رمى العاشق له المتهالك عليه، فكان هذا سببا لأن هذا الجاهل بنفسه المتعدى
١٠ لطوره لم يختر لنفسه الخير بما أوتى من البصر الذى يبصر به صنائع الله، و البصيرة التى يعرف بها ما يضره و ما ينفعه شكرا لربه سبحانه [6]و تعالى و يكون ذلك[6] لإحسانه إليه، و هل جزاء الإحسان[7] إلا الإحسان، [8]و هل جزاء النعمة إلا الشكر[8]، بل اختار الشر و ارتكب الضر مع أنا هيأناه لكل منهما فبانت لنا القدرة. و اتضحت فى صفاتنا العظمة، و تحقق له الضعف
١٥ و ظهر منه[9] النقص و العجز، فوجب عليه لعزتنا الخضوع، و إجراء مصون

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حجبنا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مرغبا (٣) زيد من ظ وم (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لمخالفة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: شدة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م، وفى الأصل وظ: الانسان (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٩) من ظ وم، و فى الأصل: له.

الدموع و إظهار الافتقار و الذل و الصغار ، لنقحمه سبيل الجنة و ننجيه من طريق النار ، و من اقتحم هذه العقبة التي هي الأعمال الصالحة اقتحم عقبة الصراط ، فكانت سهولتها عليه بقدر مكابدته لهذه[1] ، و استراح من تلك المكابدات و الأحزان و الهموم و صار إلى حياة طيبة كما قال الله تعالى "من عمل صالحا من ذكر او انثى و هو مؤمن فلنحيينه حياة ٥ طيبة" الآية ، و اقتحامها بأن يرتحل من عالمه السافل إلى العالم العالى الكامل الذى ليس فيه إلا اللذة ، و ذلك هو الاعتراف بحق العبودية ، و تلك هى الحرية لأن الحر من خرج من رق الشهوات إلى خدمة المولى ، فصار [طوع -[2]] أمره فى سره و جهره لا حظ لشهوة فيه و لا وصول لحظ إليه ، و ذلك يكون بشيئين : أحدهما جذب و الآخر كسب ، فالمجذوب ١٠ محمول ، و الكاسب فى تعب المجاهدات بسيف الهمة العالية مصول .

و لما بين أنه لا خلاص من النكد إلا بهذا الاقتحام ، شرع فى تفسير العقبة بادئا بتهويل أمرها لعظيم قدرها ، فقال معبرا بالماضى الذى جرت عادة القرآن بأنه إذا اعبر به شرح المستفهم عنه : ﴿و مآ ادرٰىك﴾ أى أيها السامع [3] لكلامنا ، الراغب[3] فيما عندنا ﴿ما العقبة ﴾ أى إنك ١٥ لم تعرف كنه صعوبتها و عظمة ثوابها ، فلما تفرغ القلب بالاستفهام عما لا يعرفه ، و كان الإنسان اشهى ما إليه تعرف ما أشكل عليه ، فتشوفت النفوس إلى علمها ، قال مشيرا إلى الأولى التى هى العفة التى ثمرتها السخاء

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بهذه (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الراغب لكلامنا .

و إصلاح قوة الشهوة معبرا بالفك الذى هو أدنى ما يكون من العتق
لأنه[1] الإعانة فيه و لو بما قل كما ورد فى حديث البراء رضى الله عنه
« أعتق النسمة و فك الرقبة » و عتقها أن تفرد به ، و فكها أن تعين فى
ثمنها ، و فسر المراد بهذه العقبة بما دل على معادل لا كما يأتى تعيين تقديره
٥ فانها لا تستعمل إلا مكررة[2] قال : ﴿ فك ﴾ اى الإنسان ﴿ رقبة ﴾ أى
من الآسر او[3] الظلم أو الغرم أو السقم شكرا / لمن أولاه الخير و تنفيسا ٧٦٥ /
للكربة حبا للمعالى و المكارم لا رياء و[4] سمعة كما فعل هذا الظان الضال
و لا لطمع فى جزاء و لا لخوف من عناء ﴿ او اطعٰم ﴾ أى أوقع الإطعام
لشىء[5] له قابلية ذلك ﴿ فى يوم ذى مسغبة ﴾ أى جوع عام فى مكان
١٠ جوع و زمان جوع - بما أفهمه الوصف و الصيغة ، فكان لذلك يحمل
على الضنة بالموجود خوفا من مثل ما فيه المطعم فخالف النفس و آثر
عليها اعتمادا على الله ﴿ يتيما ﴾ أى [إنسانا -[6]] صغيرا لا أب له يرجى
أو يخاف ﴿ ذا مقربة ﴾ لا[7] يرجى باطعامه إلا التودد لأقاربه للتكثير بهم
مع [أنه -[8]] يجمع بذلك بين صدقة و صلة و إن كان غنيا[9] ﴿ أو مسكينا ﴾

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لان (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : مكروهة .
(٣) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى
الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل
و ظ : بشىء (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اى (٨) زيد من
ظ و م (٩) زيد فى الأصل : انتهى قوله تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها .

أى

أى شخصا لا كفاية له ﴿ذا متربة﴾ أى حاجة مقعدة له على التراب، لايقدر على سواه، فالآية من الاحتباك: ذكر القرب أولا يدل على ضده ثانيا، و ذكر المتربة ثانيا يدل على ضدها[1] أولا، و سر ذلك أنه [ذكر -[2]] فى اليتيم القرب المعطف، و فى المسكين الوصف المرقق الملطف، فهو لا يقصد باطعامه إلا سد فاقتـــه، و دخل فيه اليتيم البعيد ٥ و الفقير من باب الأولى و إن كان أجنبيا.

و لما كانت[3] هذه الأفعال خيرا فى[4] نفسها تدل على جودة الطبع و علو الهمة و كرم[5] العنصر و إباء النفس إشاره إلى شدة حسنها لأنه لا يوفق لها إلا مخلص و إن كان غير مستند إلى[6] شرع و إلى ما يفيده من سلاسة[7] الطبع و سهولة الانقياد و إلى عظمة الإيمان بالتعبير بأداة ١٠ التراخى فى قوله مشيرا إلى العقبة الثانية و هى الحكمة المزكية للقوة النطقية: ﴿ ثم كان ﴾ أى بعد التخلق بهذه الأخلاق الزاكية العالية النفيسة الغالية فى حال كفره أو مبادئ إسلامه للدلالة على صفاء جبلته و جودة عنصره من الراسخين فى الإيمان المعبر عنه بقوله: ﴿من الذين ءامنوا﴾ أى عند ما دعاه إليه الهادى و لم تحمله حية الأنف و شماخة النفس ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ضد (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) من م، و فى الأصل و ظ: كبر (٦) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: سلامة.

على الإباء عن أن يكون تابعا بعد ما[1] كان متبوعا، و سافلافى زعمه أثر
ما كان رفيعا، بل سدد النظر و قوم الفكر فأيقن أنه يعلى نفسه من
الحضيض إلى ما فوق السهى، يرقيها[2] فى درج المعالى إلى ما ليس له انتها،
"ان فى ذلك لآيات لاولى النهى" فحينئذ يعلم استقامة طبعه و كرم
٥ غريزته و على همته و حسن نيته و جميل طويته و غزارة عقله و جلالة
نبله و فضله و استحقاقه التقدم على الأعلام فى الجاهلية و الإسلام،
و لذلك كان الصديق رضى الله تعالى عنه أعلى الناس درجة بعد النبيين
عليهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام، لأن هذه كانت أفعاله
رضى الله تعالى عنه قبل الإسلام كما قال ابن الدغنة حين وجده قد خرج
١٠ من مكة / المشرفة يريد الهجرة حين آذاه الكفار: إن مثلك يا أبا بكر ٧٦٦ /
لا يخرج و لا يخرج، إنك لتصل الرحم و تقرى الضيف و تحمل الكل
و تعين على نوائب الحق - كما[3] قالت خديجة رضى الله عنها للنبى صلى الله
عليه و سلم حين رجع إليها ترجف بوادره[4] من تجلى جبريل عليه الصلاة
و السلام له سواء، فلما سرب فى رحيب مسربه، و شرب من صافى مشربه،
١٥ توفيقا من الله تعالى لم يتلعثم حين[5] دعاه إلى الدين و [لا -[6]] كانت
عنده كبوة و لا تردد، ثم ترقى فى درجات الإسلام إلى أعلى مرام
بحيث قال[7] يوم الحديبية لعمر رضى الله عنهما حين أظهر الكراهة للصلح ما

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يركبها.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بواره (٥) من م، و فى
الأصل و ظ: حتى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: قام.

قال [١]له النبي[١] صلى الله عليه و سلم سواء حرفا بحرف من غير أن يكون حاضره أو ينقل إليه كلامه، فسار حينئذ حائزا قصب السبق، لا مطمع فى مدانأته، فكيف بلحاقه و مساواته، و لكماله و عظمته وجلاله لم يشرب قط خمرا، و كان إذا ليم على ذلك فى الجاهلية قال [لعشراء]: و الله لو وجدت شيئا يزيد فى عقلى لاشتريته بجميع مالى فكيف أشترى بمالى ٥ ما يزيل عقلى . و تلك الأعمال لا تصح و إن كانت ممدوحة [٢]فى كل[٢] حال إلا بالإيمان، أما إن كانت بعده فواضح، و أما إن كانت قبله فبانعطافه عليها كما قال صلى الله عليه و سلم : أسلمت على ما سلف منك من خير[٣] .

و لما كان الإيمان معليا للانسان عن درك الهوان إلى عظم ١٠ الشأن ، حاملا له على محاسن الأعمال و مكارم الأفعال ، و ذلك أنه يقود إلى جميع شرائع الدين العظيمة الشأن ، و كانت موجبة للجهاد الأكبر من حيث مخالفتها[٤] للطبع ، و كان ذلك غير مقدور عليه إلا بالشجاعة و هى القوة الثالثة التى إذا هدئت أراحت ، و كانت لا تكون إلا بعظيم الصبر ، و كان الصبر لمرارته لايدوم إلا بالتعاون قال تعالى : ﴿وتواصوا﴾ ١٥

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : للنبى (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بكل (٣) زيد فى الأصل : وانه لم يسجد لصنم قط ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم بقوله على ما كان منك من خير انتهى و الله تعالى أعلم بالصواب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مخالطتها.

أى صبروا و أوصى بعضهم بعضا ﴿بالصبر﴾ فى اقتحام عقبات الأعمال[1] التى لا يجوزها إلا أبطال[2] الرجال من الأمر بالمعروف إلى ما دونه و إن كان فيه الحتوف، فان الشجاعة كما قيل صبر ساعة.

و لما كان الإنسان لابد أن يعرض له من غيره من الخلاف ما ٥ يوجب قسوته[3] عليه، فكانت الرحمة من ثمرات الاصطبار المثمر للعدالة، و هى التوسط بين مذمتى الإفراط و التفريط فى الفسق و البله و هى العقبة الرابعة، قال مؤكدا باعادة العامل إشارة إلى قلة العاملين بها: ﴿و تواصوا بالمرحمة ﴾ اى الرحمة العظيمة / بحسب زمانها و مكانها ٧٦٧ / بأن يوطنوا أنفسهم على كل ما يحمل على الرحمة العظيمة التى توجب لهم ١٠ الحب فى الله و البغض فيه لأنهم كانوا قبل الإيمان خالصين عن الرياء و الإعجاب متهيئين للتزكية فزكاهم الإيمان، فصاروا فى غاية النورانية و العرفان.

و لما كان ذلك من معالى الأخلاق، و موجبات الفواق و الوفاق، كانت نتيجته[5] لا محالة: ﴿اولٓئك﴾ أى العظماء الكبراء العالو المنزلة، ١٥ و لم يأت بضمير الفصل كما يأتى لأضدادهم ليخلص الفعل له سبحانه و تعالى من غير نظر إلى ضمائرهم الدالة على جبلاتهم لأنه هو الذى جبلها، و اغنى عنه بالإشارة الدالة على علو مقامهم و بعد مرامهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانعال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الإبطال و (٣) من ظ و م، و فى الأصل: تسوية (٥) من ظ و م، و فى الأصل: نتيجة.

اصحٰب

﴿ اصحٰب الميمنة[4] ﴾ أى الجانب [الذى -[1]] فيه اليمن[2] والبركة و النجاة من [كل -[1]] هلكة بقسميهم من السابقين المقربين و أصحاب اليمين الابرار، كما مضى [شرحه - [3]] فى سورة[4] الواقعة، و هذا تعريض بذلك الذى أتلف ماله[5] فى المنافسة، و المشاقة[6] و المعاكسة .

و لما أرشد السياق لمعادلة "فلا اقتحم العقبة" إلى أن التقدير: ٥ و لا أحجم عن المعطبة التى هى الأفعال[7] الموجبة للعتبة مع كونها متعبه، بل قطع من يستحق الوصل و وصل من يستأهل القطع، ثم كان من الذين كفروا و تواصوا بالملأمة و اكتسبوا السيئات و اتبعوا الشهوات و عاملوا بالقسوة، عطف عليه قوله : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما تظهر لهم مرائى بصائرهم من العلم . و لما كان الكفر بالآيات من أسوء ١٠ أنواع الكفر لأنه كفر بما جعله الله علما على غيب عهده، و هى جميع ما تدركه الحواس من الأقوال و الأفعال الدالة على ذى الجلال لأنها دالة على الصفات الدالة على الموصوف بها الذى ظهر بأفعاله و بطن بعظيم جلاله، قال : ﴿ بآيتنا ﴾ [أى - [3]] على ما لها من العظمة بالإضافة إلينا و الظهور الذى [لا -[1]] يمكن خفاؤه ﴿ هم ﴾ أى خاصة لسوء ضمائرهم ١٥ ولفساد جبلاتهم ﴿ اصحٰب المشئمة ﴾ أى الخصلة المكسبة للشؤم و الحرمان و الهلكة فهؤلاء مشائيم[8] على أنفسهم، و كفرهم دال على فساد جبلاتهم فهو

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ و م (٥) فى ظ: أمواله (٦) من ظ و م، و فى الأصل : المناقشة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : افعال (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : متشابهم .

يشير إلى أن[1] من كان كفره أخف لم يكن جليا، فيوشك أن يهدى فيكون من أصحاب الميمنة .

و لما كان معنى هذا أنهم فى الجانب الذى فيه الشؤم و الهلكة، و البعد من كل بركة، أنتج قوله : ﴿عليهم﴾ أى خاصة [2]دون غيرهم[2]

٥ ﴿نار مؤصدة ﴾ أى مطبقة الباب مع إحاطتها بهم من جميع الجوانب - بما أفهمته أداة الاستعـــلاء و مع الضيق و الوعورة، و هذا لعمرى أشد [2]الضيق و الكبد[2] ، و النصب و النكد ، فالملجأ[3] منه إلى الله الأحد ، الواحد الصمد، و قد [علم -[4]] أن أولها هو هذا الآخر ، فكان التقاطر / فيها بما تشد به الأيدى و تعقد عليه الخناصر - و الله [2]تعالى هو[2] المرجو للهداية

٧٦٨ /

١٠ إلى خير السرائر، و هو[5] الهادى [2]للصواب، و إليه المرجع و المآب[2] .

---

(١) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فالنجا - كذا . (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الله .

سورة و الشمس[1]

مقصودها إثبات تصرفه سبحانه و تعالى فى النفوس التى هى سرج الأبدان، تقودها إلى سعادة أو كيد و هوان و نكد، كما أن الشمس سراج الفلك، يتصرف سبحانه فى النفوس بالاختيار إضلالا و هداية نعيما و شقاوة كتصرفه سبحانه فى الشمس بمثل ذلك من صحة و اعتلال، و انتظام[2] و اختلال، و كذا فى جميع الأكوان، بما له من عظيم الشأن، و اسمها الشمس واضح الدلالة على ذلك بتأمل القسم [و المقسم عليه -[3]] بما أعلم به و أشار إليه ﴿بسم الله﴾ [الذى هو -[3]] الملك الأعظم فله[4] التصرف العام ﴿الرحمن﴾ الذى وسعت رحمته كل شيء فاليه الإنعام ﴿الرحيم﴾ الذى خص من شاء بالتوفيق فبنى إنعامه عليهم على التمام.

لما أثبت فى سورة البلد أن الإنسان فى كبد، و ختمها بأن من حاد عن[5] سبيله [كان -[3]] فى أنكد النكد، و هو النار المؤصدة، أقسم أول هذه على أن الفاعل لذلك أولا و آخرا هو الله سبحانه [لأنه -[6]] يحول بين المرء و قلبه و بين القلب و لبه، فقال مقسما بما يدل على تمام علمه

---

(١) الحادية و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١٥، و زيد فى الأصل و م : و ضحاها (٢) من م، و فى الأصل و ظ : نظام (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل الذى له (٥) من ظ و م، و فى الأصل : على (٦) زيد من ظ.

وشمول قدرته فى الآفاق علويها و سفليها، و الأنفس سعيدها و شقيها، و بدأ بالعالم العلوى، فأفاد ذلك قطعا العلم بأنه الفاعل المختار، و على العلم بوجوب ذاته و كمال صفاته، و ذلك أقصى درجات القوى النظرية، تذكيرا بعظائم آلائه، ليحمل على الاستغراق فى شكر نعمائه، الذى هو منتهى

٥ [كمالات - [1]] القوى العملية، مع أن أول المقسم به مذكر بما ختم به آخر تلك من النار: ﴿و الشمس﴾ أى الجامعة بين [2] النفع و الضر [2] بالنور و الحر، كما أن العقول كذلك لا أنور منها إذا نارت، و لا أظلم منها إذا بارت ﴿ و ضحٰها ﴾ أى [و - [1]] ضوئها الناشئ عن جرمها العظيم الشأن البديع التكوين المذكر بالنيران إذا أشرقت و قام سلطانها

١٠ كاشراق أنوار العقول، و الضحى - بالضم و القصر: صدر النهار حين ارتفاعه[3]، و بالفتح و المد: شدة الحر [بعد امتداد النهار، و شىء ضاح - إذا ظهر للشمس و الحر - [1]].

و لما افتتح بذكر آية النهار، أتبعه ذكر آية الليل فقال: ﴿والقمر﴾ أى المكتسب من نورها كما أن أنوار النفوس من انوار العقول

١٥ ﴿ اذا تلٰها ﴾ أى تبعها فى الاستدارة و النور بما دل على أن نوره من نورها من القرب الماحق لنوره و البعد المكتسب له فى مقدار ما يقابلها من جرمه، ولايزال يكثر إلى أن تتم / المقابلة فيتم النور ليلة الابدار /٧٦٩

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: الضر والنفع (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ارتفاعها.

عند

عند تقابلهما[1] فى أفق الشرق و الغرب، و من ثم يأخذ فى المقاربة فينقص بقدر ما ينحرف عن المقابلة، و نسبة التبع إليه مجازية أطلقت بالنسبة إلى ما ينظر منه كذلك[2].

و لما ذكر الآيتين، ذكر ما هما آيتاه، و بدا بهما لأنه لا صلاح له إلا بهما كما أنه لا صلاح للبدن إلا بالنفس و العقل فقال: ﴿و النهار﴾ ٥ أى [الذى -[3]] هو محل الانتشار فيما جرت [به -[4]] الأقدار ﴿اذا جلّـٰها ۙ﴾ أى جلى الشمس بجلية عظيمة بعضها أعظم من بعض باعتبار الطول و القصر و الصحو و الغيم و الضباب و الصفاء و الكدر كما أن الأبدان تارة تزكى القلوب و النفوس و العقول و تارة تدنسها، لأن العقل يكون فى غاية الصفاء و الدعاء إلى الخير فى حال الصغر ثم لا يزال يزيد ١٠ و ينقص بحسب زكاء البدن فى حسن الجبلة، أو نجاسته بسوء الجبلة، حتى يصير الشخص نورا محضا ملكا ناطقا إذا طابق البدن العقل فتعاونا على الخير، أو يصير ظلاما بحتا شيطانا رجيما إذا[5] خالف البدن العقل بسوء الجبلة و شرارة الطبع.

و لما ذكر معدن الضياء، ذكر محل الظلام فقال: ﴿و الّيل﴾ أى ١٥ الذى هو ضد النهار فهو[6] محل السكون و الانقباض و السكون

(١) من ظ و م. و فى الأصل: تقابلها (٢) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اذ (٦) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

﴿ اذا يغشىها ۝ ﴾ أى يغطى الشمس فيذهب ضوءها حين تغيب فتمتد ظلال الأرض على وجهها المماس لنا، فيأخذ الأفق الشرقى فى الإظلام[1]، و يمتد ذلك الظلام بحسب طول الليل و قصره كما يغطى البدن نور العقل بواسطة طبعه بخبثه و رداءة عنصره، و ذلك كله بمقادير معلومة،
٥ و موازين قسط محتومة، ليس فيها اختلال، و لايعتريها[2] انحلال، حتى يريد ذو الجلال، و لم يعبر بالماضى كما فى النهار لأن الليل لايذهب الضياء بمرة بل شيئا فشيئا، و لاينفك عن نور بخلاف النهار، فانه إذا أبدى الشمس[3] و لم يكن غيم و لا كدر جلى الشمس فى آن واحد، فلم يبق معه ظلام بوجه .
١٠ و لما ذكر الآيتين و محل آثرهما، ذكر محل الكل فقال تعالى: ﴿ و السمآء ﴾ أى التى هى محل ذلك كله و بجلاه كما أن الأبدان محل النفوس، و النفوس مركب العقول، و لما رقى الأفكار من أعظم المحسوسات المماسة إلى ما هو دونه فى الحس و فوقه[4] فى الاحتياج إلى أعمال فكر، رقى إلى الباطن[5] الأعلى المقصود بالذات و هو المبدع لذلك كله معبرا عنه
١٥ بأداة ما [لا -[6]] يعقل، مع الدلالة بنفس الإقسام، على أن له العلم التام، و الإحاطة الكبرى[7] بالحكمة البالغة، تنبيها [على] أنهم وصفوه بالإشراك

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اظلام (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لايقربها (٣) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ ، و فى الأصل و م : قوته (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : الباطل. (٦) زيد من م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : و الكبرياء .

و إنكار الحشر بتلك المنزلة السفلى و المساواة بالجمادات التى عبدوها مع ما له من صفات الكمال التى ليس لغيره ما يدانى شيئا منها، زجرا[1] لهم بالإشارة و الإيماء عن ذلك / و مشيرا إلى شدة التعجيب[2] منهم لكونها / ٧٧٠ أداة التعجب فقال: ﴿و ما بنها ﴿﴾﴾ أى هذا البناء المحكم الذى ركب فيه ما ذكره إشارة إلى ما وراءه مما يعجز الوصف. ٥

و لما ذكر البناء ذكر المهاد فقال: ﴿و الارض﴾ [أى -[3]] التى هى فراشكم بمنزلة محالّ تصرفاتكم بالعقل فى المعانى المقصودة ﴿و ما طحنها ﴿﴾﴾ أى بسطها على وجه هى فيه محيطة بالحيوان كله و محاط بها فى مقعر الأفلاك، و هى [مع -[4]] كونها ممسكة بالقدرة كأنها طائحة[5] فى تيار بحارها[6]، و هى موضع البعد و الهلاك و محل الجمع - كل هذا مما يشير إليه ١٠ التعبير بهذا اللفظ إشارة إلى ما [فى -[4]] سعى الإنسان من أمثال هذا، قال أهل البصائر: و ليس فى العالم الآفاقى شىء إلا و فى العالم النفسانى نظيره، و انشدوا فى ذلك:

دواؤك فيك و ما تشعر و داؤك منك و تستنكر
و تحسب أنك جزء صغير و فيك انطوى العالم الأكبر ١٥

فالسماوات سبع كطباق الرأس التى تتعلق بالقوى المعنوية و الحسية

(١) فى ظ: زاجرا (٢) من م، و فى الأصل و ظ: التعجب (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حائطة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بحار.

كالذاكرة و الحافظة و الواهمة و المخيلة و المفكرة و الحس المشترك و ما هو لمقاسم البصر فى العين ، و نظير الشمس الروح فى إشراقه و حسنه ، و نظير الليل الطبع فان ما به من نور فانما [1] هو من الروح كما أن الليل كذلك لا يكون نوره إلا من الشمس بواسطة إفادتها للقمر المنير له

٥ و الكواكب ، و نظير النهار ـ الذى هو نير فى أصله [2] و متكدر بما يخيل [3] له من السحب [4] و نحوه ـ القلب و سحبه [5] الشكوك و الأوهام النفسية ، و نظير القمر فى ظلمته [6] بأصله و إنارته بالشمس النفس ، فاذا أكسبها القلب المستفيد من الروح النور أنار جميع البدن ، و إذا أظلمت أظلم كله ، و الأعضاء الباطنة كالكواكب يقوم بها البدن فينير له الوجود بواسطة

١٠ الروح و النفس ، و الأمطار كالدمع ، و الحر كالحزن [7] ، و البرد كالسرور [8] ، و الرعد كالنطق ، و البرق كالضحك ، و الرياح كالنفس ـ إلى غير ذلك [من البدائع ـ [9]] لمن تأمل ، و العالم السفلى سبع طباق أيضا [10] ، قال الملوى : و [11] نظيرها طبقة الجلد و [11] هى ثلاث ، [و ـ [9]] طبقة اللحم و طبقة [12] الشحم

(١) فى ظ و م : انما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسه (٣) فى ظ : يحدث.
(٤) من م ، و فى الأصل و ظ : السحاب (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مسحه (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : والدمع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كالسدور ـ كذا (٩) زيد من ظ و م (١٠) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (١١ ـ ١١) من ظ و م ، و فى الأصل : نظير هذه الجلل (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الجلد.

و طبقة

و طبقة العروق و طبقة العصب، و الجبال كالعظام و المعادن[1] منها المياه و فيها[2] العذب كالريق[3] و الملح كالدمع و المر كما فى الأذن و المنتن منه كما فى الأنف، و منه ما هو جار كالبول، و منه ما هو كالعيون و هو الدم، و السيل كالعرق[4]، و المعادن المنطبعة كالحديد و الرصاص هى وسخ الأرض وهى كالعذرة وما يخرج من الجلد من خبث، [و -[5]] النبات ٥ كالشعور تارة تحلق [كالحصاد -[5]] و تارة تقلع كالنتف، و الحيوانات التى فيها كالقمل، و طيورها[6] كالبراغيث، و عامر البدن[7] ما أقبل منه، و خرابه ما أدبر.

و لما أتم[8] الإشارة / إلى النفوس لأهل البصائر، صرح بالعبارة / ٧٧١ لمن دونهم فقال تعالى: ﴿و نفس﴾ أى أىّ نفس جمع فيها سبحانه العالم ١٠ بأسره. و لما كانت النفوس أعجب ما فى الكون و أجمع، عبر فيها بالتسوية حثا على[9] تدبر أمرها للاستدلال على [10]مبدعها للسعى فى إصلاح[10] شأنها فقال تعالى: ﴿و ما سوّٰها ﴾ أى عدلها على هذا القانون الأحكم فى أعضائها و ما فيها من الجواهر و الأعراض و المعانى و عجائب المزاج من الأخلاط المتنافرة التى لآم بينها بالتسوية و التعديل فجعلها متمازجة، ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المعاد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منها الماء (٣) من ظ وم، وفى الأصل: الريق (٤) فى ظ: العروق (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم، وفى الأصل: الطيور (٧) من ظ، وفى الأصل وم: البلد. (٨) من ظ وم، وفى الأصل: تمت (٩) زيد فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠-١٠) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط.

و قد أرشد السياق و السباق و اللحاق إلى أن جواب القسم مقدر تقديره: لقد طبع سبحانه و تعالى نفوسكم على طبائع متباينة هيأها بها لما يريد من القلوب من تزكية و تدسية بما جعل لكم من القدرة[1] و الاختيار ، و أبلغ فى التقدم إليكم فى تزكية نفوسكم و تطهير قلوبكم لاعتقاد الحشر بما هو
٥ أوضح من الشمس لا شبهة فيه[2] و لا لبس لتنجوا من عذاب الدنيا و الآخرة بالاتصاف بالتقوى ، و الانخلاع من الفجور و الطغوى .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم فى سورة البلد تعريفه تعالى بما خلق فيه[3] الإنسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر ، و بسط له من الدلائل و العبر ، و أظهر فى صورة من ملك قياده ،
١٠ و ميز رشده و عناده[4] " و هديناه النجدين " "انا هديناه السبيل" و ذلك بما جعل له من القدرة الكسبية التى حقيقتها اهتمام أو لم ؟ و أنى بالاستبداد و الاستقلال ، ثم[5] "و الله خلقكم و ما تعملون" أقسم سبحانه و تعالى فى هذه السورة على فلاح من اختار رشده و استعمل جهده و أنفق وجده "قد افلح من زكاها" و خيبة من غاب هداه فاتبع هواه "و قد خاب
١٥ من دساها" فبين حال الفريقين و سلوك الطريقين - انتهى .

و لما كان أعجب أمورها الفجور لما غلب سبحانه عليها من الحظوظ و الشهوات ، و هى تعلم بما لها من زاجر العقل بصحيح النقل أن[6] الفجور

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : القوة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها . (٣) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عناد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اذا .

أقبح القبيح ، و[1] التقوى لما أقام[2] عليها من [ملك -[3]] العقل الملكي و غريزة العلم النوراني أحسن الحسن ، و تذوق أن الفجور أشهى شهي ، و أن التقوى أمر شيء [4] و أصعبه[4] ، و أثقله و أتعبه ، قال معلما أن هـــذا لايقدر عليه سواه لأنه أعجب من جميع ما مضى لأن البهيمة لاتقدم على ما يضرها و هي تبصر و لو قطعت ، و الآدمي يقدم على ما يضره ٥ و هو يعلم و يقاتل من منعه منه ، فقال مسببا عما حذف[5] من جواب القسم : ﴿ فالهمها ﴾ أي النفس إلهام الفطرة السابقة[6] الأولى [4]قبل « الست بربكم[4] » ، ﴿ فجورها ﴾ أي انبعاثها[7] في الميل [مع -[8]] دواعي الشهوات و[9] عدم الخوف الحامل على خرق سياج / الشريعة بسبب ذلك الطبع /٧٧٢ الذي عدل فيه ذاتها و صفاتها في قسر المتنافرات على التمازج غاية ١٠ التعديل ﴿ و تقوٰىها ﴾ أي خوفها الذي أوجب سكونها و تحرزها بوقايات الشريعة ، فالآية من الاحتباك : ذكر الفجور أولا دال[10] على السكون الذي هو ضده ثانيا ، و ذكر التقوى ثانيا دال[10] على ضده ، و هو عدم الخوف أولا ، و إلهامها للأمرين هو جعله لها عارفة بالخير و الشر مستعدة و متهيئة لكل منهما ؛ ثم زاد ذلك بالبيان التام بحيث لم يبق لبس ، فزالت ١٥

---

(١) زيد في الأصل : اما ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و في الأصل : غاب (٣) زيد من م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من م ، و في الأصل و ظ : حدث (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : انباعماتها (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد في الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : دلالة .

الشبه عقلا بالغريزة و الإلهام و نقلا بالرسالة و الإعلام، و دل بالإضافة
على أن ذلك كله منسوب إليها و مكتوب عليها و إن كان بخلقه و تقديره
لأنه أودعها قوة و جعل لها اختيارا صالحا لكل من النجدين، و أوضح
أمر النجدين فى الكتب و على ألسنة الرسل عليهم الصلاة و السلام
٥ بعد ما وهبه لها من الفطرة القويمة و أخفى عنها سر القضاء و القدر
و علم العاقبة، فأقام بذلك عليها الحجة و أوضح المحجة .

و لما كان من المعلوم أن من سمع هذا الكلام يعلم أن التقوى
لا يكون إلا مأمورا بها، و الفجور لا يكون إلا منهيا عنه، فيتوقع ما يقال
فيهما[1] مما يتأثر عنهما[2]، قال تعالى: ﴿ قد افلح ﴾ أى ظفر بجميع المرادات
١٠ ﴿من زكّٰها ۝﴾ أى نماها و أصلحها و صفاها تصفية عظيمة بما يسره الله
له من العلوم النافعة و الأعمال الصالحة و طهرها على ما يسره لمجانبته[3] من
مذام الأخلاق لأن كلا[4] ميسر لما خلق له، و الدين بنى على التحلية و التخلية
و «زكى» صالح للعنيين ﴿ و قد خاب ﴾ أى حرم مراده مما أعد لغيره فى
الدار الآخرة و خسر و كان سعيه باطلا ﴿من دسّٰها ۝﴾ أى أغواها
١٥ إغواء عظيما و أفسدها و دنس محياها و قذرها و حقرها و أهلكها بخبائث
الاعتقاد و مساوئ الأعمال، و قبائح النيات و الأحوال، و أخفاها بالجهالة
و الفسوق، و الجلافة و العقوق، و أصل "دسى" دسس، فالتزكية[5] أن يحرص

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عنها .
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لمجانبتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كل .
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: فالزكية .

الإنسان

الإنسان على شمسه أن لا تكسف، و قمره أن لا يخسف، و نهاره أن لا يتكدر، و ليله ألّا يطفى، و التدسيس أقله إهمال الأمر حتى تكسف شمسه، و يخسف قمره، و يتكدر نهاره، و يدوم ليله[1]، و طرق ذلك اعتبار نظائر المذكورات من الروحانيات[2] و إعطاء كل ذى حق حقه، فنظير الشمس هى النبوة لأنها كلها ضياء باهر و صفاء قاهر، و ضحاها الرسالة ٥ و قمرها الولاية، و النهار هو العرفان، و الليل عدم طمأنينة النفس بذكر الله و ما جاء من عنده، و إعراضها عن الانقياد لقبول ما جاء من النبوة [3]أو الولاية[3]، و العلماء العاملون هم / أولياء الله، قال الإمامان أبو حنيفة / ٧٧٣ و الشافعي رضى الله عنهما: إن لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى - رواه عنهما الحافظ[4] أبو بكر الخطيب[5]، و هو مذكور فى التبيان و غيره من ١٠ مصنفات النووى، و نظير السماء العزة و الترفع عن الشهوات و عن [6]خطوات الشاطين[6] من الإنس و الجن، و الأرض نظيرها التواضع لحق الله[7] و لرسوله و للمؤمنين فيكون باخراجه المنافع[8] لهم كالأرض المخرجة لنباتها، و التدسية خلاف ذلك، من عمل بالسوء فقد هضم نفسه و حقرها

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: انتهاره (٢) من م، و فى الأصل و ظ: الروحيات (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاولياء (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الإمام (٥) زيد فى الأصل: الحافظ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من م ظ و فى الأصل: الحظوظ طين (٧) زيد فى الأصل: وغيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المانع.

وأخفاها[1] كما أن اللئام ينزلون بطون الأودية[2] و مقاطعها بحيث تخفى أماكنهم على[3] الطارقين ، و الأجواد ينزلون الروابى[4] ، و يوقدون النيران للطارقين ، و يشهرون أماكنهم للضيفين منازل الأشراف فى الأطراف كما قيل : ـ

٥ قوم على المحتاج[5] سهل وصلهم و مقامهم و عر على الفرسان

و لما كان السياق للترهيب بما دلت عليه سورة البلد و تقديم الفجور هنا ، وكان الترهيب أحث على الزكاء ، قال دالا على خيبة المدسى ليعتبر به من سمع خبره لاسيما إن كان يعرف أثره : ﴿ كذبت ثمود ﴾ أنث فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح

١٠ آيتهم و قبيح[6] غايتهم ، و ما لهم بسفول الهمم و قباحة الشيم ، و خصهم[7] لأن آيتهم مع أنها كانت أوضح الآيات فى نفسها هى أدلها على الساعة ، و قريش و سائر العرب عارفون بهم لما يرون من آثارهم ، و يتناقلون من أخبارهم ﴿ بطغوٰها لا ﴾ أى أوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى به عن الله تعالى بسبب ما كان لنفوسهم من وصف الطغيان ، و هو

١٥ مجاوزة القدر و ارتفاعه و الغلو فى الكفر و الإسراف فى المعاصى و الظلم ، أو بما توعدوا به من العذاب العاجل و هى الطاغية التى أهلكوا

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و اخفاها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الأرض (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٤) فى م : الربى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المختار (٦) فى ظ : قبيح (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : خصتهم لا سيما ان كان يعرف .

بها

بها ، و طغى - واوى يائى يقال : طغى كدعا يطغو طغوى و طغوانا - بضمها كطغى يطغى ، و طغى كرضى طغيا و طغيانا - بالكسر و الضم ، فالطغوى[١] - بالفتح اسم ، و بالضم مصدر ، فقلبت الياء - على تقدير كونه يائيا - واوا للتفرقة بين الاسم و الصفة ، و اختير التعبير به دون اليائى لقوة الواو ، فأفهم أنهم بلغوا النهاية فى تكذيبهم ، فكانوا على الغاية[٢] من سوء تعذيبهم[٣]. ٥

و لما ذكر تكذيبهم ، دل [عليه -[٤]] بقوله : ﴿ اذ ﴾ أى تحقق تكذيبهم أو طغيانهم بالفعل حين ﴿ انبعث اشقٰها ﴾ﺼ﴿ ﴾ أى أشد ثمود شقاء و هو عاقر الناقة للشاركة فى الكفر و الزيادة بمباشرة[٥] العقر ، و هو قدار بن سالف ، أو هو [و -[٤]] من مالاه[٦] على عقرها ، فان أفعل التفضيل إذا أضيف / صلح للواحد و الجمع ﴿ فقال لهم ﴾ أى بسبب الانبعاث أو التكذيب ١٠ / ٧٧٤ الذى دل على قصدهم لها بالأذى ، و أظهر[٧] و لم يضمر و عين الإظهار بالجلالة [إشارة -[٨]] إلى عظيم آيتهم و بديع بدايتهم و نهايتهم فقال : ﴿ رسول الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ، فتعظيمه من تعظيم مرسله و هو صالح عليه الصلاة و السلام و كذا الناقة ، و عبر بالرسول لأن وظيفته الإبلاغ و التحذير الذى ذكر هنا ، و لذا قال مشيرا بحذف العامل إلى ضيق الحال ١٥ عن ذكره لعظيم الهول و سرعة التعذيب عند مسها بالأذى ، و زاد فى التعظيم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فالطغى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : العناية. (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تكذيبهم (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بمشاهدة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ولاه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : و عين الجهر (٨) زيد من ظ و م .

باعادة الجلالة : ﴿ ناقة الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الجبروت كله فلا يقر من انتهك حرمته[1] و اجترأ على ما أضافه إليه ، و لهذا أعاد الإظهار دون الإضمار ، و العامل : دعوا أو احذروا - أو نحو ذلك أى احذروا أذاها بكل اعتبار ﴿ و سقيٰها ﴾ أى الماء الذى جعله الله تعالى لها لسقيها و هو
٥ بئرها ، فلا تذودوها عن بئرها فى [اليوم -[2]] الذى تكون فيه نوبتها فى الشرب و لا تمسوها بسوء ، و كأنه صلى الله عليه و سلم فهم عنهم بعد مدة أنهم يريدون عقرها فكرر عليهم التحذير ﴿ فكذبوه ﴾ أى أوقعوا تكذيبه بسبب طغيانهم و عقب أمره هذا الأخير فيما[3] حذر من حلول العذاب ، أو تكون الفاء هى الفصيحة أى قال لهم ذلك
١٠ فكانت [بعده -[2]] بينه و بينهم فى أمرها أمور ، فأوقعوا تكذيبه[4] فيها كلها ﴿ فعقروها ﴾ أى[5] بسبب ذلك التكذيب بعضهم بالفعل و بعضهم بالرضا به ﴿ فدمدم ﴾ أى عذب عذابا تاما مجللا مغطيا مطبقا مستأصلا[6] شدخ به رؤسهم و أسرع فى الإجهاز و طحنهم طحنا[7] مع الغضب الشديد ؛ قال الرازى: و الدمدمة : تحريك البناء حتى ينقلب ، و دل بأداة الاستعلاء على
١٥ شدته و إحاطته فقال : ﴿ عليهم ﴾ و دل على شدة العذاب لشدة الغضب بلفت القول بذكر صفة الإحسان التى كفروها لأنه لا أشد غضبا ممن

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : حرمه (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل وظ : بما (٤) من ظ وم ، و فى الأصل : التكذيب (٥) سقط من م. (٦) فى ظ : متاصلا (٧) زيد فى الأصل : شديدا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

كفر إحسانه فقال: ﴿ ربهم ﴾ أى الذى أحسن إليهم فغرهم[1] إحسانه فقطعه عنهم فعادوا كأمس الدابر ﴿ بذنبهم ﴾ أى بسببه.

و لما استووا فى الظلم و الكفر بسبب عقر الناقة بعضهم بالفعل و بعضهم بالرضا و الحث، قال مسببا عن ذلك [و معقبا -[2]] : ﴿ فسوّىٰها ۝ ﴾ أى الدمدمة عليهم جعلها كأنها أرض بولغ فى تعديلها فلم يكن فيها شىء ٥ [خارج عن شىء كما -[2]] سوى الشمس المقسم بها و سوى بين الناس فيها، [و كذا -[2]] ما أقسم به بعدها، فكانت الدمدمة على قويهم كما كانت على ضعيفهم[3] / ، فلم تدع منهم أحدا و لم يتقدم هلاك أحد منهم[4] على / ٧٧٥ أحد[4]، بل كانوا كلهم[5] كنفس واحدة من قوة الصعقة و شدة الرجفة كما أنهم استووا فى الكفر و الرضا بعقر الناقة و كل [نفس -[2]] هى عند ١٠ صاحبها كالناقة قد أوصى الله صاحبها أن يرعى نعمته سبحانه فيها فيزكيها و لا يدسيها، فان الناقة عبارة عن مطية يقطع[6] عليها السير حسا أو معنى، و ذلك صالح لأن يراد به النفس التى تقطع بها عقبات الأعمال، و السقيا ما يعيش المسقى به، و هو صالح لأن يراد به الذكر و العبادة، فمن [لم -[2]] يرع النعمة[7] و يشكر المنعم فقد عقرها، فاستحق الدمدمة منه، و كما[8] أنه ١٥ سوى بينهم فى الدمدمة سوى بين المهتدين[9] فى النجاة ﴿ ولا ﴾ أى و الحال

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فعرفهم (٢) زيد من ظ و م (٣) فى م: ضيفهم. (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن صاحبه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يقع (٧) من ظ و م، و فى الأصل: النعم (٨) سقط من م (٩) فى م: المهتدى.

أنه لا ﴿ يخاف ﴾[1] فى وقت من الأوقات أى ربهم ، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما و يؤيده[2] قراءة أهل المدينة و الشام بالفاء المسببة عن الدمدمة [و التسوية -[3]] و كذلك[4] هى فى مصاحفهم ﴿ عقبٰها ﴾ع أى عاقبة هذه الدمدمة و تبعتها فانه[5] الملك الأعلى الذى[6] كل شيء فى ٥ قبضته لا كما يخاف كل معاقب[7] من الملوك فيبقى [بعض -[3]] الإبقاء فعلم أنه سبحانه و تعالى يعلى اولياءه لأنهم على الحق ، و يسفل أعداءه[8] لأنهم على الباطل ، فلا يضل بعد ذلك إلا هالك ، بصيرته[9] أشد ظلاما من الليل الحالك ، و قد رجع آخرها على أولها بالقسم و جوابه المحذوف الذى هو طبع النفوس على طبائع مختلفة و التقدم إليهم بالإنذار ١٠ من الهلاك ، و نفس القسم أيضا فان من له هذه الافعال الهايلة التى[10] سوى بين خلقه [فيها -[11]] و هذا التدبير المحكم هو بحيث لايعجزه أمر و لايخشى عاقبة - و الله الموفق للصواب[12] .

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : يويد (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فان (٦) زيد فى الأصل : له كل شيء . و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : معقب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اعداءهم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمى البصيرة قلبه (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (١١) زيد من م - (١٢) سقط من م .

سورة الليل[1]

مقصودها الدلالة على مقصود الشمس، و هو التصرف التام فى النفوس باثبات كمال القدرة بالاختيار باختلاف[2] الناس فى السعى مع[3] اتحاد مقاصدهم، و هى[4] الوصول إلى الملاذ من شهوة البطن و الفرج و ما يتبع ذلك من الراحة[5]، و اسمها الليل أوضح ما فيها[6] على ذلك بتأمل ٥ القسم و الجواب، و الوقوع من ذلك على الصواب، و أيضا ليل نفسه دال على ذلك لأنه على غير مراد النفس[7] بما فيه من الظلام و النوم الذى هو أخو الموت، و ذلك [مانع -[8]] عن أكثر المرادات، و مقتضى لأكثر المضادات ﴿ بسم الله ﴾ الذى له العظمة الظاهرة[9] و الحكمة الباهرة ﴿الرحمن﴾ الذى شملت نعمته إيجاده و بيانه[10] المتواترة ﴿الرحيم ﴾ الذى ١٠ خص من أراده[11] / من عباده بما يرضيه، فجعله حامده و شاكره. /٧٧٦

لما بين فى الشمس حال من زكى نفسه و حال من دساها، و أوضح

---

(١) الثانية و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٢١.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بعد.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٥) زيد فى الأصل: والله أعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٧) فى ظ: النفوس (٨) زيد من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: القاهرة (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: نعايه (١١) فى ظ و م: اراد.

فى آخرها من مخالفة ثمود لرسولهم[1] ما أهلكهم . فعلم أن الناس مختلفون فى السعى فى تحصيل نجد الخير و نجد الشر ، فمنهم من تغلب عليه ظلمة اللبس ، و منهم من يغلب عليه نهار الهدى ، فتباينوا فى مقاصدهم ، و فى مصادرهم و مواردهم ، بعد أن أثبت [أنه -[2]] هو الذى تصرف فى النفوس ٥ بالفجور و التقوى ، أقسم اول هذه بما يدل على عجائب صنعه فى ضره و نفعه على ذلك ، تنبيها على تمام قدرته فى أنه الفاعل بالاختيار ، يحول بين المرء و قلبه حتى يحمله على[3] التوصل إلى مراده ، بضد ما يوصل إليه بل بما يوصل إلى مضاده ، [و -[2]] على انه لا يكاد يصدق الاتحاد فى القصد و الاختلاف فى [4]السعى و التوصل[4] ، و شرح جزاء كل[5] تحذيرا ١٠ من نجد الشر و ترغيبا فى نجد الخير ، و بين ما به التزكية و ما به التدسية فقال : ﴿ و اليل ﴾ أى الذى هو آيـة الظلام الذى هو سبب الخبط و الخلط[6] لما يحدث عنه من الإشكال و اللبس فى الأحوال و الاهلال الموصل إلى ظلمة العدم ، و هو محل الأسرار بما يصل الأخيار و يقطع الأشرار : ﴿ اذا يغشىٰ ﴾ أى يغطى ما كان من الوجود[7] مبصرا بضياء ١٥ النهار على التدريج قليلا قليلا ، و ما يدل عليه من جليل مبدعه ، و عظيم

(١) فى م : لرسلهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الى . (٤-٤) فى ظ و م : التوصل والسعى (٥) زيد فى الأصل : بسه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الخبط (٧) زيد فى الأصل و ظ : ما كان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

ماحقه و مطلعه ﴿ و النهار ﴾ [أى -[١]] الذى هو سبب [٢] انكشاف الأمور[٢] كالموت الذى يزيل عن الروح علائق البدن فينجلى لها ما كانت فيه من القبائح، و الجهر الذى يشرح النفس بازالة اللبس ﴿اذا تجلّى لا﴾ أى ظهر ظهورا عظيما بضياء[٣] الشمس، و أظهر ما كان خفيا فلم يدع لمبصر شيئا من لبس، فمن كان يريد السر قصد الليل، و من أراد الجهر[٤] ٥ قصد النهار سواء كان من الأبرار أو من الفجار .

و لما ذكر المتخالطين معنى، أتبعهما المتخالطين[٥] حسا، فقال مصرحا فيهما بما هو مراد فى الأول، و خص هـــذا بالتصريح تنبيها على انه -[لكونه -[١]] عاقلا - عاقد يغلط فى نفسه فيدعى الإلهية أو الاتحاد، أو غير ذلك من وجوه الإلحاد ﴿ و ما خلق ﴾ و حكم التعبير بما[٦] ١٠ الأغلب فيه غير العقلاء ما تقدم فى سورة[٧] الشمس من تنبيههم على أنهم [لما -[١]] أشركوا به سبحانه و تعالى ما [لا -[١]] يعقل نزلوه[٨] تلك المنزلة و قد أحاط[٩] بكل شىء، و هو الذى خلق العلماء، و هم لا يحيطون به علما [مع -[١]] ما يفيده [«ما» -[١]] من التعجب[١٠] منهم فى ذلك لكونها صيغة التعجب[١٠]

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل : الانكشاف للأمور (٣) من ظ و م، و فى الأصل : ظهور (٤) من ظ و م، و فى الأصل : الخير (٥) من م، و فى الأصل و ظ : المخالطين (٦) زيد فى الأصل : هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل : السورة. (٨) من ظ و م، و فى الأصل : نزوله (٩) من ظ، و فى الأصل و م : احاطوا. (١٠) فى م : التعجيب .

﴿الذكر﴾ اى حسا بآلة الرجل و معنى بالهمة و القوة ﴿و الانثىٓ لا﴾ حسا بآلة المرأة و معنى بسفول الهمة و ضعف القوة و ما دلا عليه من عظيم الاصطناع، و باهر الاختراع و الابتداع، فانه دل فرقه بينهما / و هما من غير؟ واحدة و هى التراب على تمام قدرته[1] المستلزم لشمول علمه و فعله بالاختيار، فالآية [من الاحتباك -[2]]: ذكر أولا الصنعة دلالة على حذفها ثانيا، و ثانيا الصانع دلالة على حذفه أولا.

و لما ذكر ما هو محسوس التخالف من المعانى و الأجرام، أتبعه ما هو معقول التباين من الأعراض فقال: ﴿ان سعيكم﴾ أى عملكم أيها المكلفون فى التوصل إلى مقصد واحد. و لذلك أكده لأنه لايكاد يصدق اختلاف وجوه السعى مع اتحاد[3] المراد، و عبر بالسعى ليذل كل فى[4] عمله غاية جهده ﴿لشتىٰ ۞﴾ أى مختلف[5] اختلافا شديدا باختلاف ما تقدم، و هو جمع شتيت كقتلى وقتيل، فيكون الإنسان رجلا و هو أنثى الهمة، و يكون أنثى و هو ذكر الفعل، فتنافيتم فى الاعتقادات، و تعاندتم فى المقالات، و تباينتم غاية التباين بأفعال طيبات و خبيثات، فساع فى فكاك نفسه، و ساع فى إيثامها، فعلم قطعا أنه لابد من محق و مبطل و مرض[6] و مغضب لأنه لاجائز أن يكون المتنافيان متحدين[7]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: القدرة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: وجود، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م، و فى الأصل و ظ: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مختلفا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: راض (٧) من ظ و م، و فى الأصل: متحدان.

فى الوصف بالإرضاء أو الإغضاب ، فبطل ما أراد المشركون من قولهم "لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء"- [الآية -[1]] و ما ضاهاها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما بين قبلُ حالهم فى الافتراق، أقسم سبحانه على ذلك[2] الشأن فى الخلائق بحسب تقديره أزلا " ليبلوهم أيهم احسن عملا " فقال تعالى " ان سعيكم لشتى " فاتصل بقوله[3] تعالى ٥ " قد افلح من زكاها و قد خاب من دساها " ثم إن قوله تعالى " فاما من أعطى و اتقى - إلى - العسرى " يلائمه تفسيرا و تذكيرا بما الأمر عليه من كون الخير و الشر بارادته و إلهامه و بحسب السوابق قوله " فالهمها فجورها و تقواها " فهو سبحانه الملهم للاعطاء و الاتقاء و التصدق، و المقدر للبخل و الاستغناء و التكذيب "و الله خلقكم و ما تعملون" "لا يسئل عما يفعل" ١٠ ثم زاد ذلك إيضاحا بقوله تعالى " ان علينا للهدى و ان لنا للآخرة و الاولى " فتبا للقدرية و المعتزلة " و كاين من آية فى السماوات و الارض يمرون عليها و هم عنها معرضون " - [انتهى -[4]] .

و لما طابق بين القسم و المقسم عليه، و نبه بالقسم و التأكيد مع ظهور المقسم عليه على[5] أنهم فى أمنهم مع التحذير كمن[6] يدعى أنه ١٥ لافرق و أن مآل الكل واحد كما يقوله أصحاب الوحدة - عليهم الخزى و اللعنة ، شرع فى بيان تشتت المساعى و بيان الجزاء لها ، فقال مسببا

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ممن .

عن اختلافهم ما هو مركوز فى الطباع من أنه لا يجوز تسوية المحسن بالمسيء[1] ناشرا لمن زكى نفسه أو دساها نشرا مستويا إيذانا بأن المطيع فى هـذه الأمة - و لله الحمد - كثير بشارة لنبيها[2] صلى الله عليه و سلم: ﴿ فاما من اعطى[3] ﴾ أى وقع منه إعطاء على ما [3]حددنا له[3] و أمرناه ٥ به ﴿و اتقى لا﴾ أى وقعت منه التقوى و هو اتخاذ الوقايات من الطاعات و اجتناب المعاصى / خوفا من سطواتنا ﴿و صدق﴾ أى اوقع التصديق للخبر ﴿ بالحسنى لا﴾ أى و هى كلمة العدل التى هى أحسن الكلام من التوحيد و ما يتفرع عنه من الوعود الصادقة بالآخرة و الإخلاف[4] فى النفقة فى الدنيا و إظهار الدين و إن قل أهله على الدين كله، و غير ١٠ ذلك من كل ما وعد به الرسول صلى الله عليه و سلم عن الله سبحانه و تعالى، و عدل الكلام إلى مظهر العظمة إشارة إلى صعوبة الطاعة على النفس و إن كانت فى غاية اليسر فى نفسها لأنها فى غاية الثقل على النفس فقال: ﴿ فسنيسره ﴾ أى[5] نهيئه[6] بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه ﴿ لليسرى ط﴾ أى الخصلة التى هى فى غاية اليسر و الراحة من الرحمة ١٥ المقتضية للعمل بما يرضيه سبحانه و تعالى ليصل إلى ما [7]يرضى به[7] من

/٧٧٨

(١) من ظ وم، و فى الأصل: والمسى (٢) من ظ وم، و فى الأصل: لبيننا. (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: حددناه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاخلاق (٥) زيد فى الأصل و ظ: بما، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٦) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧-٧) من ظ وم، و فى الأصل: يرضيه.

الحياة الطيبة[1] و دخول الجنة .

و لما ذكر المزكى و ثمرته، أتبعه المدسى و شقوته فقال: ﴿واما من بخل﴾ أى أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فمنع ما أمر به و ندب إليه ﴿و استغنىٰ ﴾ أى طلب الغنى عن الناس و عما وعد به من الثواب و أوجده بما زعمت له[2] نفسه الخائبة، و ظنونه الكاذبة . فلم يحسن إلى الناس و لا عمل ٥ للعقبى: ﴿و كذب﴾ أى أوقع التكذيب أن يستحق التصديق ﴿بالحسنىٰ ﴾ أى فأنكرها . و لما [3]كان جامدا مع المحسوسات كالبهائم قال[3]: ﴿فسنيسره﴾ أى نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه ﴿للعسرىٰ ﴾ أى للخصلة التى هى أعسر الأشياء و أنكدها، و هى العمل بما يغضبه سبحانه الموجب لدخول النار و ما أدى إليه، و أشار بنون العظمة فى كل من نجد الخير ١٠ و نجد الشر إلى أن ارتكاب الإنسان لكل منهما فى غاية البعد، أما نجد الخير فلما حفه من المكاره، و أما نجد الشر فلما فى العقل و الفطرة الأولى من الزواجر عنه، و ذلك كله أمر قد فرغ منه فى الأزل بتعيين أهل السعادة و أهل الشقاوة «[و كل -[4]] - كما قال صلى الله عليه و سلم - ميسر لما خلق له » . ١٥

و لما كان أهل الدنيا إذا[5] وقعوا فى ورطة تخلصوا منها بأموالهم

(١) زيد فى الأصل: الابدية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: به (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: اذ .

قال : ﴿ و ما يغنى ﴾ أى فى تلك الحالة ﴿ عنه ﴾ أى هذا الذى بخل و كذب ﴿ ماله ﴾ أى الذى بخل به رجاء نفعه ، و يجوز أن يكون استفهاما إنكاريا فيكون نافيا للاغناء على أبلغ وجه ﴿ اذا تردّٰى ﴾ أى[1] هلك بالسقوط فى حفرة القبر و النار ، تفعّل من الردى و هو ٥ الهلاك و السقوط فى بئر .

و لما كان ربما قال المتعنت الجاهل بما له سبحانه و تعالى من العظمة التى لا اعتراض لأحد عليها : ما له[2] لا ييسر الكل للحسنى ، استأنف جوابه مبينا ما ألزم به نفسه من المصالح[3] تفضلا منه بما له من اللطف و الكرم و ما / يفعله عما هو له من غير نظر إلى ذلك بما له من ٧٧٩ / ١٠ الجبروت و الكبر ، فقال مؤكدا تنبيها على أنه يحب العلم بأنه لا حق لأحد عليه أصلا : ﴿ ان علينا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ للهدٰى ﴾ أى [4]البيان للطريق الحق[4] و إقامة الأدلة الواضحة على ذلك .

و لما بين ما ألزمه نفسه المقدس فصار كأنه عليه لتحتم و قوعه فكان ربما أوهم أنه يلزمه[5] شيء ، أتبعه ما ينفيه و يفيد أن له غاية التصرف ١٥ [[6] - فلا يعسر عليه شيء أراده فقال : ﴿ و ان لنا ﴾ أى يا أيها المنكرون خاصا بنا ، و قدم ما العناية به أشد لأجل إنكارهم لا للفاصلة ، فانه يفيدها مثلا أن يقال : للعاجلة و الأخرى ، فقال : ﴿ للأخرة و الاولٰى ﴾

---

(١) زيد فى الأصل : اذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المصلح (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بيان الطريق للحق (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الزمه. (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م .

فمن ترك ما بينا له من طريق الهداية لم يخرج عن كونه لنا و لم يضر إلا نفسه و لنا التصرف] التام، بما نقيم من الأسباب المقربة للشيء جدا، ثم بما نقيم من الموانع الموجبة لبعده غاية البعـــد، فنعطى من نشاء ما نشاء [1]و نمنع من نشاء ما نشاء[1]، و من طلب منهما شيئا من غيرنا فال رأيه و خاب سعيه، و ليس التقديم لأجل الفاصلة، فقد ثبت بطلان ٥ هذا و أنه لا يحل اعتقاده فى غير موضع، منها آخر سورة براءة، و أنه لا فرق بين أن يعتقد[2] أن فيه شيئا موزونا بقصد الوزن فقط ليكون شعرا، و أن يعتقد أن فيه [شيئا - [3]] قدم أو أخر لأجل الفاصلة فقط ليكون سجعا. على أنه لوكان [هذا - [3]] لأجل الفاصلة فقط لكان يمكن أن يقال: للاولى - أو للأولة - و[4] الآخرى مثلا. ١٠

و لما أخبر سبحانه و تعالى أنه[5] ألزم نفسه المقدس البيان، و أن له كل شيء، المستلزم لإحاطة العلم و شمول القدرة، شرح ذلك بما سبب عنه من قوله لافتا القول إلى تجريد الضمير من مظهر العظمة للترفق[6] بالمخاطبين فى تبعيد الوهم و تقريب الفهم فقال: ﴿ فأنذرتكم ﴾ أى حذرتكم أيها المخالفون للطريق الذى بينته ﴿ نارا تلظّى ج ﴾ أى تتقد ١٥ و تتلهب تلهبا هو فى غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدها أصلا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: او (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالرفق.

و لا أحد من خزنتها - بما اشار إليه إسقاط التاء، و فى الإدغام أيضا إشارة إلى أن أدنى نار الآخرة كذلك ، فيصير إنذار ما يتلظى[1] و ما فوق ذلك من باب الأولى .

و لما كان قد تقدم غير مرة تخصيص كل من المحسن و المسيء ٥ بداره بطريق الحصر إنكارا لأن يسوى محسن بمسيء فى شيء، و كان الحصر بـ "لا" و "إلا" أصرح انواعه قال: ﴿ لا يصلىٰهآ ﴾ أى يقاسى [2]حرها و[2] شدتها على طريق اللزوم و الانغماس ﴿الا الاشقى لا﴾ أى الذى هو فى الذروة من الشقاوة و هو الكافر ، فان الفاسق و إن دخلها لا يكون [3]ذلك له[3] على طريق اللزوم ، و لذلك وصفه بقوله تعالى: ١٠ ﴿ الذى كذب ﴾ أى أفسد قوته العلمية[4] بأن أوقع التكذيب بما حقه التصديق ﴿ و تولىٰ ﴾ أى أفسد قوته العملية بأن أعرض عن الحق تكبرا و عنادا فلم يؤت[5] ماله لزكاة نفسه ﴿ و سيجنبها ﴾ أى النار الموصوفة بوعد لاخلف فيه عن قرب - بما أفهمته السين من التأكيد / مع التنفيس، و تجنيبه له فى غاية السهولة - بما أفهمه البناء للفعول ﴿ الاتقى لا ﴾ /٧٨٠ ١٥ أى الذى أسس قوته العلمية[4] أمكن تأسيس ، فكان فى الذروة[6] من رتبة التقوى و هو الذى اتقى الشرك و المعاصى، و هو يفهم أن من لم يكن[6]

---

(١) زيد فى ظ : منه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) من م ، و فى الأصل و ظ : له ذلك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العملية (٥) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فى

[فى الذروة -[1]] لا يكون كذلك ، فان الفاسق يدخلها ثم يخرج منها ، و لا ينافى الحصر السابق .

و لما ذكر ما يتعلق بالقوة العلمية ، أتبعه ما ينظر [2] إلى القوة [2] العملية فقال : ﴿ الذى يؤتى ماله ﴾ أى يصرفه فى مصارف الخير ، و لذلك بينه بقوله تعالى : ﴿ يتزكّى ﴾ أى يتطهر من الأوضار [3] و الأدناس ٥ بتطهيره [4] لنفسه و تنميتها بذلك الإيتاء بالبعد عن مساوئ الأخلاق و لزوم محاسنها لأنه ما كذب و [ما - [1]] تولى ، و الآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، و إيتاء المال ثانيا دليلا على حذف ضده أولا [5] .

و لما كان الإنسان قد يعطى ليزكى نفسه بدفع مانّه و مكافأة نعمه [6] ١٠ قال : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ لاحد عنده ﴾ و أعرق فى النفى فقال : ﴿ من نعمة تجزى [7] ﴾ أى [هى - [7]] مما يحق جزاؤه لأجلها . و لما نفى أن يكون بذلك قصد مكافأة ، قال مبينا قصده باستثناء منقطع : ﴿ الا ﴾ أى لكن قصد بذلك ﴿ ابتغآء ﴾ أى طلب و قصد ، و لفت القول إلى صفة الإحسان إشارة إلى [8] وصفه بالشكر فقال : ﴿ وجه ربه ﴾ ١٥

---

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الأصار (٤) فى ظ و م : بتطهره (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

الذي اوجده و رباه و أحسن إليه[١] بحيث أنه لم ير[٢] إحسانا إلا منه و لا عنده شيء إلا وهو من فضله ﴿ الاعلىۚ ﴾ أي مطلقا فهو أعلى من كل شيء، فلا يمكن أن يعطى أحد من نفسه شيئا يقع مكافأة له، و عبر عن المنقطع بأداة المتصل للاشارة إلى أن الابتغاء المذكور كأنه ٥ نعمة ممن آتاه المال لأن الابتغاء - و هو تطلب رضا الله - كان السبب في[٣] ذلك الإيتاء بغاية الترغيب، و قد آل الأمر بهذه العبارة الرشيقة و الإشاره [الأنيقة -[٤]] مع ما أومأت إليه من الترغيب، و أعطته من التحبيب إلى أن المعنى: [إنه -[٥]] [٦]لا نعمى عليه[٦] لأحد في ذلك إلا لله، و عبر بالوجه إشارة إلى أن قصده أعلى القصود فلا نظر له إلا إلى ذاته سبحانه و تعالى ١٠ التي عبر عنها بالوجه لأنه[٧] أشرف الذات، و بالنظر إليه تحصل الحياة و الرغبة و الرهبة، لا إلى طلب شيء من دنيا و لا آخرة . و لما كان هذا مقاما ليس فوقه مقام، قال تعالى بعد وعده من الإنجاء من النار: ﴿ و لسوف يرضىۚ ﴾ أي باعطاء الجنة العليا و المزيد بوعد لاخلف فيه بعد المذلة في الحياة الطيبة - بما أشارت إليه أداة التنفيس و لا بدع[٨] أن

(١) زيد في الأصل: بانه، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ وم، و في الأصل: لايرى (٣) زيد في الأصل: سبب، مع قدر من البياض، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م. (٦-٦) من م، و في الأصل: لايعمى عليه، و في ظ: لا نعمة عليه (٧) من ظ و م، و في الأصل: لأنها (٨) من ظ و م، و في الأصل: لابد.

يكون هذا الوعد على هذا الوجه الأعلى لأن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه / حين اشترى بلالا رضي الله عنه في جماعة من الضعفاء المسلمين يؤذيهم المشركون فأعتقهم، فبين تعالى أنه مطبوع على تزكية نفسه فهو المفلح كما ذكر في سورة الشمس، و أنه مخلص لإعطائه الضعفاء من الأيتام و المساكين و إعتاقه الضعفاء في كل حال كما ذكر في سورة البلد، نقل[1] البغوي[2] رضي الله تعالى عنه عن الزبير [يعني -[3]] ابن بكار أنه [قال -[3]] : كان أبو بكر رضي الله عنه يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال [له -[3]] أبوه : أي بني[4]! لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك، قال : منع ظهري أريد، و قال : إنه أعتق بلالا و أم عميس و زهرة[5] فأصيب[6] بصرها حين أعتقها، فقالت[7] قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات و العزى، فقالت[8]: كذبوا و بيت الله، ما تضر اللات و العزى و لا تنفعان[9]، فرد الله عليها بصرها، و أعتق النهدية و ابنتها و جارية بني المؤمل، و قال: إنه اشترى بلالا من أمية بن خلف استنقاذا له مما كان فيه من العذاب

/ ٧٨١

---

(١) من ظ و م، و في الأصل : روى (٢) راجع المعالم ٧/٢١٣ (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و في الأصل وظ : شيء يضرك (٥) من المعالم، و في الأصل وظ : زهير، و ليس واضحا في م (٦) من ظ و المعالم، و في الأصل و م : فكف (٧) من ظ و م و المعالم، و في الأصل : فقال (٨) زيد في الأصل : ردا عليهم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م و المعالم، و في الأصل : لا ينفعا - كذا.

[1]حين كان يشد يديه و رجليه وقت الهاجرة و يلقيه عريانا على الرمضاء و يضربه، و كلما ضربه صاح و نادى : أحد أحد ، فيزيده ضربا فاشتراه[1] [2]بعد كان لأبي بكر رضي الله عنه[2]، كان ذلك العبد صاحب[3] عشرة آلاف دينار و غلمان و جوار و مواش و[4] كان مشركا، فلما اشتراه به و أعتقه قال ٥ المشركون : ما فعل هذا ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده ، يعني فأنزل الله ذلك تكذيبا لهم ، و من أبدع الأشياء تعقيبها بالضحى التي هي في النبي صلى الله عليه و سلم و فيها[5] "و لسوف يعطيك ربك فترضى" إشارة إلى إنه أقرب أمته إلى مقامه صلى الله عليه و سلم ما عدا عيسى صلى الله عليه و سلم لأنه الأتقى بعد النبيين مطلقا، و إلى [أن -[6]] خلافته حق لا مرية ١٠ فيه لأنه مما وعد النبي صلى الله عليه و سلم أنه يرضيه و أنه لا يرضيه[7] غيره كما أنه أرضاه خلافته له في الصلاة و لم يرضه غيره حين نهى عن[8] ذلك بل زجر لما سمع قراءة[9] غيره و قال : يأبى الله و المؤمنون إلا أبا بكر رضي الله عنه . و قد رجع آخرها على أولها بأن سعى هذا الصديق رضي الله عنه مباين أتم مباينة سعى ذلك الأشقى ، و قال بعضهم:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل : ابو بكر رضي الله عنه بعبد كان له (٣) من ظ وم والمعالم ، وفي الأصل : له (٤) زيد في الأصل : لكن ، ولم تكن الزيادة في ظ و م والمعالم فحذفناها (٥) زيد في الأصل : أيضا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ و م ، و في الأصل : لا يرضى (٨) من م ، في الأصل و ظ : عنه (٩) من ظ و م ، و في الأصل : قراءته .

إن

إن المراد بذالك[1] الأشقى أبو جهل، و أيضا فان [هذا - [2]] الختم دال على أن من صفى نفسه و زكاها بالتجلي بالنور[3] المعنوى من إنارة ظلام الليل بما يحليه به من ضياء القيام و غير ذلك من أنواع الخير يرضى بالنور[3] الحسى بعد الموت - والله الموفق للصواب[4].

(١) زيد في الأصل : الى قوله ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م .

سورة الضحى[1]

مقصودها الدلالة على آخر الليل بأن أتقى الأتقياء الذى هو الأتقى على الإطلاق فى عين / الرضا دائما، لاينفك عنه فى الدنيا و الآخرة، لما تحلى به من صفات الكمال التى هى الإيصال للقصود بما لها[2] من النور المعنوى كالضحى بما له من النور الحسى الذى هو أشرف ما فى النهار، و قد علم بهذا أن اسمها أدل ما فيها على مقصودها ﴿ بسم الله ﴾ المعز لمن أراد، الكريم البر الودود ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمته[3] الإيجاد الخاص و العام ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى أعلى أهل وده فخصهم باتمام الإنعام.

/ ٧٨٢

لما حكم فى آخر الليل باسعاد الأتقياء، و كان النبى صلى الله عليه و سلم أتقى الخلق مطلقا، و كان قد قطع عنه الوحى حينا ابتلاء لمن شاء من عباده، و كان به صلى الله عليه و سلم صلاح الدين و الدنيا و الآخرة، و كان الملوان سبب [صلاح[4]] معاش الخلق و كثير[5] من معادهم، أقسم[6] سبحانه و تعالى بهما[6] على أنه أسعد الخلائق دنيا

(١) الثالثة و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١١ (٢) من م، و فى الأصل و ظ : له (٣) من ظ، و فى الأصل و م : بنعمة (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : كثر (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل : بهم سبحانه و تعالى.

و أخرى ، فقال مقدما ما يناسب[1] حال الأتقى الذى قصد به أبو بكر رضى الله عنه قصدا أوليا من النور الذى يملأ الأقطار ، و يمحو كل ظلام يرد عليه و يصل إليه ، مفهما بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة أول النهار و آخر الليل التى هى ظلمة ملتف بساقها ساق النهار عند الإسفار : ﴿ و الضحى لا ﴾ فذكر ما هو أشرف النهار و ألطفه و هو زهرته ، ٥ و أضوأه و هو صدره ، و ذلك وقت ارتفاع الشمس لأن المقسم لأجله أشرف الخلائق ، و ذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد من الخلق[2] .

و لما ذكر النهار بأشرف ما فيه مناسبة لأجل المقسم لأجله ، أتبعه الليل مقيدا له بما يفهم إخلاصه[3] لأنه ليس لأشرف ما فيه اسم يخصه ١٠ فقال : ﴿ و الّيل ﴾ أى الذى به تمام الصلاح . و لما كان أوله و آخر النهار و آخره و أول النهار [ضوءا - [4]] ممتزجا بظلمة لالتفاف ساق الليل بساق النهار ، قيد بالظلام الخالص فقال : ﴿ اذا سجى لا ﴾ أى سكن أهله أو ركد ظلامه و إلباسه و سواده و اعتدل فخاص فغطى بظلامه كل شيء ، و المتسجى : المتغطى ، ومع تغطيته سكنت ريحه ، فكان فى غاية ١٥ الحسن ، ويمكن أن يكون [الأول - [5]] مشيرا إلى ما يأتى به هذا الرسول صلى الله عليه و سلم من المحكم ، و الثانى مشيرا إلى المتشابه ، و هذه الأربعة

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ينافى (٢) زيد فى الأصل : والله أعلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) فى ظ : أخلصه (٤) زيد من م .
(٥) زيد من ظ و م .

الأحوال[1] للنور و الظلمة -و هى ضوء ممتزج بظلمة[2]، [و ظلمة -[2]] ممتزجة بضوء، وضياء خالص، و ظلام خالص- الحاصلة[3] فى الآفاق فى الإنسان مثلها، فروحه نور خالص، و طبعه ظلام حالك، و قلبه نور ممتزج بظلمة النفس، و النفس ظلمة ممتزجة بنور القلب، فان قويت شهوة النفس على ٥ نورانية القلب اظلم جميعه، و إن قويت نورانية القلب على ظلمة النفس صار نورانيا، و إن غلبت / الروح على الطبع تروحن فارتفع[4] عن رتبة /٧٨٣ الملائكة، و إن غلب الطبع على الروح أنزله عن رتبة البهائم كما قال تعالى «ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا».

و لما أقسم بهذا [القسم -[2]] المناسب لحاله صلى الله عليه و سلم، ١٠ أجابه بقوله تعالى: ﴿ما ودعك﴾ أى تركك تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع و لو على احسن الوجوه الذى هو مراد المودع[5] ﴿ربك﴾ أى الذى أحسن إليك بايجادك أولا، و جعلك أكمل الخلق ثانيا، و رباك أحسن تربية ثالثا، كما أنه لا يمكن توديع الليل للنهار بل[6] الضحى للنهار الذى[7] هو أشد ضيائه، و لا يمكن توديع الضحى للنهار و لا الليل[8] وقت مجوه له[9].

١٥ و لما كان ربما تعنت متعنت فقال: ما تركه و لكنه لا يحبه[10]، فكم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: احوال (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الحاصل (٤) من ظ و م، و فى الأصل: و انتفع و ارتفع (٥) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ولا (٧) من ظ و م، وفى الأصل: اى (٨) من م، وفى الأصل وظ: النهار لليل (٩) فى م: لليل (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: كما قيل.

من

من مواصل و ليس بواصل، قال نافيا لكل ترك: ﴿و ما قلىٰ﴾ اى و ما أبغضك بغضا ما، و حذف الضمير اختصارا[1] افظيا ليعم، فهو من تقليل اللفظ لتكثير المعنى، و [2]ذلك لأنه[2] كان انقطع عنه الوحى مدة لأنهم سألوه عن الروح و قصة أهل الكهف و ذى القرنين فقال: اخبركم بذلك غدا، و لم يستثن، فقالوا: [قد -[3]] ودعه ربه و قلاه، فنزلت ٥ لذلك، و لما نزلت كبر صلى الله عليه و سلم فكان التكبير فيها و فيما بعدها سنة كما يأتى إيضاحه و حكمته[4] آخرها، و قد أفهمت هذه العبارة أن المراتب التقريبية[5] اربع: تقريب بالطاعات و محبة و هى للمؤمنين، و إبعاد بالمعاصى و بغض و هى للكفار، و تقريب بالطاعات مخلوط بتبعيد للعاصى و هى لعصاة المؤمنين، و إعراض مخلوط بتقريب بصور طاعات ١٠ لا قبول لها و هى لعباد الكفار.

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما قال تعالى "فالهمها فجورها و تقواها" ثم أتبعه بقوله [6]فى الليل[6] "فسنيسره" و بقوله "ان علينا للهدى و إن لنا للآخرة [و الأولى"-[3]]، فلزم الخوف و اشتد الفزع و تعين على الموحد الإذعان للتسليم و التضرع فى[7] التخلص و التجاؤه إلى "السميع ١٥ العليم، أنس تعالى أحب عباده إليه و أعظمهم منزلة لديه، و ذكر [له -[3]]

(١) من م، و فى الأصل: اختيارا، و الكلمة ساقطة من ظ (٢ - ٢) فى ظ و م: لذلك (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: حكمة.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: الترتيبيه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل «و».

ما منحه من تقريبه و اجتبائه و جمع خير[1] الدارين له فقال تعالى "و الضحى و الليل اذا سجى ما ودعك ربك و ما قلى و للآخرة خير لك من الاولى" ثم عدد تعالى [عليه -[2]] نعمه بعد وعده الكريم له بقوله ["ولسوف يعطيك ربك فترضى" و أعقب ذلك بقوله -[2]] "فاما اليتيم فلا
٥ تقهر و أما السائل فلا تنهر" فقد أويتك قبل تعرضك و أعطيتك[3] قبل سؤالك، فلا تقابله بقهر من تعرض و انتهار من سأل، [4]و قد[4] حاشاه سبحانه عما نهاه [عنه -[2]] و لكنه تذكير بالنعم و ليستوضح الطريق من وفق [من -[2]] أمة محمد صلى الله عليه و سلم /، [5]أما هو صلى الله عليه / ٧٨٤
و سلم فحسبك من تعرف رحمته و رفقه "و كان[5] بالمؤمنين رحيما[6]" "عزيز
١٠ عليه ما عنتم [7]حريص عليكم بالمؤمنين رؤف[7] رحيم" ثم تأمل استفتاح هذه السورة و مناسبة ذلك المقصود و لذلك السورة قبلها برفع القسم فى الأولى بقوله "و الليل اذا يغشى" تنبيها على إبهام الأمر فى السلوك على المكلفين و غيبة حكم العواقب، و ليناسب هذا حال المتذكر بالآيات و ما يلحقه من الخوف مما أمره غائب عنه من تيسيره و مصيره و استعصامه به
١٥ يحصل اليقين و استصغار درجات المتقين، ثم لما لم يكن هذا غائبا بالجملة

---

(١) فى ظ : خيرى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : اعطيك (٤-٤) من م، و فى الأصل و ظ : فقد (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) زيد فى الأصل : قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) فى ظ و م : الى.

عن أحاد المكلفين أعنى ما يثمر العلم اليقين و يعلى من اهل للترقى[1] فى
درجات المتقين، بل قد يطلع[2] سبحانه خواص عباده - بملازمته[3] التقوى
و الاعتبار - على واضحة السبيل و يريهم مشاهدة و عيانا ما قد انتهجوا
قبل سبيله بمشقـــة النظر فى الدليل، قال صلى الله عليه و سلم لحارثة:
وجدت فالزم، و قال مثله للصديق، و قال تعالى "لهم البشرى فى الحياة ٥
الدنيا و فى الآخرة" "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة ألا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن
اولياؤكم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة" فلم يبق فى حق هؤلاء ذلك
الإبهام، و لا كدر خواطرهم[4] بتكاثف ذلك الإظلام[5]، بما منحهم سبحانه
و تعالى من نعمة الإحسان بما وعدهم فى قوله "يجعل لكم فرقانا" و "يجعل ١٠
لكم نورا تمشون به" "أو من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نورا يمشى به
فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها" فعمـل هؤلاء على
بصيرة، و استولوا اجتهادا بتوفيق ربهم على أعمال جليلة خطيرة، فقطعوا
عن الدنيا الآمال، و تأهبوا لآخرتهم بأوضح الأعمال "تتجافى جنوبهم
عن المضاجع" "فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين" فلابتداء الأمر ١٥
و شدة الإبهام و الإظـلام أشار[6] قوله سبحانه و تعالى "و الليل اذا

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الترق (٢) زيد فى الاصل و ظ: عليه، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بملازمة. (٤) زيد فى الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: انظلام (٦) زيد فى الأصل: إليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

يغشى" و لما[1] يؤول إليه الحال فى حق من كتب فى قلبه الإيمان و أيده روح منه أشار قوله سبحانه و تعالى "و النهار إذا تجلى" و لانحصار السبل و إن تشعبت فى طريق "فمنكم كافر و منكم مؤمن" "فريق فى الجنة و فريق فى السعير" أشار قوله سبحانه و تعالى "و ما خلق الذكر و الانثى"
٥ "و من كل شيء خلقنا زوجين" "ففروا إلى الله" الواحد مطلقا، فقد وضح لك إن شاء الله بعض ما يسر من تخصيص هذا القسم - و الله أعلم، اما سورة الضحى[2] فلا إشكال فى مناسبة فى استفتاح القسم بالضحى[3] لما يسره به سبحانه لاسيما إذا / اعتبر ما ذكر من سبب نزول السورة، / ٧٨٥
و أنه صلى الله عليه و سلم كان قد فتر عنه[4] الوحى حتى قال بعض
١٠ الكفار: قلى محمدا ربه، فنزلت السورة مشعرة عن هذه النعمة و البشارة - انتهى .

و لما ذكر حاله فى الدنيا بأنه لايزال يواصله بالوحى و الكرامة، و منه ما هو مفتوح على أمته من بعده، روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: أريت ما هو مفتوح
١٥ على أمتى من بعدى[5] كفرا كفرا[6] فسرنى ذلك. فلما كان ذلك و كان ذكره على وجه شمل الدارين صرح بالآخرة التى هى أعلى و أجل،

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٢) فى م: و الضحى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى الضحى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بعد (٦) أى قرية قرية - كما النهاية.

و لأدنى من يدخلها[1] فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، فكيف بما له صلى الله عليه و سلم ، فقال مؤكدا لذلك كما اكد الأول بالقسم بما لهم فيه من الإنكار : ﴿ و للأخرة ﴾ أى التى هى المقصود من الوجود بالذات لأنها باقية خالصة عن شوائب الكدر أو الحالة المتأخرة لك ليفهم منه انه لا يزال فى ترق من على[2] إلى أعلى ٥ منه[3] و كامل إلى أكمل منه[3] دائما أبدا لا إلى نهاية ﴿ خير ﴾ و قيد بقوله : ﴿ لك ﴾ لأنه ليس كل أحد كذلك ﴿ من الاولى ﴾ أى الدنيا الفانية التى لا سرور فيها خالص كما أن النهار الذى هو بعد الليل خير منه و أشرف و لا سيما الضحى منه ، و قد أفهم ذلك أن الناس على أربعة أقسام[4]: منهم من له الخير فى الدارين و هم أهل الطاعة الأغنياء ، [و منهم ١٠ من له الشر فيهما و هم الكفرة الفقراء -[5]] ، و منهم من له صورة [خير فى الدنيا و شر فى الآخرة و هم الكفرة الأغنياء ، و منهم من له صورة شر -[5]] فى الدنيا و خير فى الآخرة و هم المؤمنون الفقراء ، [6]قد قال :

الناس فى الدنيا على أربع و النفس فى فكرتهم حائره

فواحد دنياه مقبوضة إن له من بعدها آخره ١٥

و واحد دنياه مبسوطة ليس له من بعدها آخره

و واحد قد حاز حظيهما سعيد فى الدنيا و فى الآخره

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يدخل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اعلى.
(٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : أقسم (٥) زيد من ظ و م.
(٦) العبارة من هنا إلى آخر الأبيات ساقطة من ظ و م .

و واحد يسقط من بينهم فذلك لا دنيا و لا آخره

و لما ذكر سبحانه الدنيا و الآخرة، ذكر ما يشملهما[1] مما زاده[2] من فضله، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيدا للكلام لأنهم ينكرونه[3] و ليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة، وضم ٥ [4]هذه اللام[4] إلى كلمة التنفيس للدلالة على [أن - [5]] العطاء و إن تأخر وقته[6] لحكمة كائن[7] لا محالة: ﴿ و لسوف يعطيك ﴾ أى بوعد لا حلف فيه و إن تأخر وقته بما أفهمته الأداة ﴿ ربك ﴾ أى الذى لم يزل يحسن إليك [8]بوعد الدنيا و وعد الآخرة[8] ﴿ فترضى ﴾ أى فيتعقب على ذلك و يتسبب عنه رضاك[9]. و هذا شامل لما منحه بعد كمال النفس ١٠ من كمال العلم و ظهور الأمر و إعلاء الدين و فتح البلاد و دينونة العباد و نقص ممالك الجبابرة، و إنهاب كنوز الأكاسرة / [و - [5]] القياصرة، /٧٨٦ و إحلال الغنائم حتى كان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر، و شامل لما ادخره له سبحانه و تعالى فى الآخرة من المقام المحمود و الحوض المورود، [8]و الشفاعة العظمى[8] إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود[10]، و قد أفهمت ١٥ العبارة أن الناس أربعة أقسام: معطى راض، و ممنوع غير راض، و معطى

(١) من م، و فى الأصل: يشبههما، و فى ظ: يشمله (٢) من ظ و م، و فى الأصل: زاد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ينكرون (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذا اللازم (٥) زيد من ظ و م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: كاينة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: برضاك (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الحصر.

غير راض، و ممنوع راص، و عن علي رضي الله عنه أنها أرجى آية في القرآن لأنه صلى الله عليه و سلم لا يرضى واحدا من أمته في النار .

و لما وعده بأنه لايزال في كل لحظة يرقيه في مراقي العلا و الشرف، ذكره بما رقاه به قبل ذلك من حين توفي أبوه و هو حمل و ماتت أمه و هو ابن ثمان سنين، فتم يتمه من الأبوين قبل بلوغه لئلا يكون عليه ٥ - كما قال جعفر الصادق - حق لمخلوق، فقال مقررا له : ﴿ الم يجدك ﴾ أي يصادفك أي يفعل بك فعل من صادف آخر حال كونه ﴿ يتيما فاوى ﴾ و لما كان يلزم من اليتم في الغالب عدم العلم لليتيم لتهاون الكافل، و من عدم العلم الضلال، قال مبينا أن يتمه و إهماله[1] من الحمل على دينهم كان نعمة عظيمة عليه لأنه لم يكن على دين قومه في حين من الأحيان ١٠ أصلا : ﴿ و وجدك ﴾ أي صادفك ﴿ ضآلا ﴾ أي[2] لا تعلم الشرائع "ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان" فأطلق اللازم و هو[2] الضلال على الملزوم، و المسبب على السبب، و هو عدم العلم، فكنت[3] لأجل ذلك [لاتقدم -[4]] على فعل من الأفعال لأنك لا تعلم الحكم فيه إلا ما [5]علمت بالعقل[5] الصحيح و الفطرة السليمة المستقيمة من التوحيد و بعض توابعه، ١٥ و هذا هو التقوى كما تقدم في الفاتحة، و لم يرد به حقيقته و إنما أعراه من التعلق بشيء من الشرائع و نحوها باعدام من يحمله على ذلك ليفرغه

(١) زيد في ظ : به (٢-٢) في ظ : على (٣) من ظ و م، و في الأصل : فكيف.

(٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل : علمك بالفعل .

ذلك للتأمل بنفسه فيوصله بعقله السديد إلى الاعتقاد الحق فى الأصول و [الوقوف فى -[١]] الفروع ﴿ فهدٰى ﴾ أى فهداك هدى محيطا بكل علم، فعلمك بالوحى و الإلهام و التوفيق للنظر[٢] ما لم تكن تعلم .

و لما كان العيال يمنعون من التفرغ لعلم أو غيره قال : ﴿ووجدك﴾ ٥ أى حال كونك ﴿ عآئلا ﴾ أى ذا عيال لا تقدر على التوسعة عليهم أو فقيرا، قال ابن القطاع[٣]: عال الرجل[٤]: افتقر، و أعال: كثر عياله . ﴿ فاغنٰى ﴾ بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم و قد أفهم ذلك أن الناس أربعة أقسام : منهم من وجد الدين و الدنيا، و منهم من عدمهما، و منهم من وجد الدين لا الدنيا، و منهم من وجد الدنيا لا الدين . و لما ذكره ١٠ بما أنعم عليه به من هذه [النعم - [١]] الثلاث أوصاه[٥] بما يفعل فى ثلاث مقابلة لها، فقال مسببا عنه مقدما معمول ما بعد الفاء عليها اهتماما : ﴿ فاما اليتيم ﴾ أى هذا النوع ﴿فلا تقهر﴾ أى تغلبه على شىء / فانما /٧٨٧ أذقتك اليتم تأديبا[٦] بأحسن الآداب لتعرف ضعف اليتيم و ذله، و فوق ذلك كفالته و هى خلافة عن الله لأن اليتيم لا كافل له إلا الله، و لهذا ١٥ قال النبي صلى الله عليه و سلم : أنا و كافل اليتيم كهاتين -[٧] و أشار بالسبابة[٧] و الوسطى .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و النظر (٣) فى كتاب الأفعال ٢/٣٨٩ (٤) زيد فى الأصل : أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م وكتاب الأفعال فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصاف (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تادبا (٧-٧) فى ظ و م : السبابة .

 و لما

و لما بدأ بما كان بداية له، ثنى بما هو نهاية له من حيث كونه يصير رأس الخلق فيصير محط الرجال فى كل سؤال من علم و مال، فقال مقدما له اهتماما به إشارة إلى أن جبر الخواطر و استئلاف الخلق من أعظم المقاصد فى تمام الدين: ﴿ و اما السآئل ﴾ أى الذى أحوجته العيلة أو غيرها إلى السؤال ﴿ فلا تنهرْ ﴾ أى تزجر زجرا مهينا، فقد علمت مضاضة[1] العيلة، بل أعطه[2] و لو قليلا، أو رده ردا جميلا، وكذا السائل [فى العلم -[3]] .

[4]و لما ذكر له تفصيل ما يفعل فى اليتيم و الفقير و الجاهل، أمره بما يفعل[4] فى العلم الذى آتاه إياه إعلاما بأنه الآلة التى يستعملها فى الأمرين الماضيين و غيرهما لأنها أشرف أحوال[5] الإنسان و هى أوفق الأمور لأن يكون مقطع السورة لتوافق مطلعها فقال: ﴿ و اما بنعمة ربك ﴾ أى الذى أحسن إليك باصلاح جميع ما يهمك من العلم و غيره و بالهجرة و مبادئها عند تمام عدد آيها [من -[6]] السين و هى إحدى عشرة ﴿ فحدث ع ﴾ أى فاذكر النبوة و بلغ الرسالة فاذكر جميع نعمه عليك فانها نعم على الخلق كافة، و منها إنقاذك[7] بالهجرة من أيدى الكفرة و إعزازك[8] بالأنصار، و تحديثك بها شكرها، فانك مرشد يحتاج الناس إلى الاقتداء بك، و يجب عليهم أن يعرفوا [لك -[6]] ذلك و يتعرفوا مقدارك ليؤدوا

---

(١) من ظ وم، و فى الأصل: مضادة (٢) من ظ، وفى الأصل وم: اعطهم.
(٣) زيد من م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: حال (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل: اتقاوك، و فى ظ: انقاذى (٨) فى ظ: اعزازى.

حقك، فحدثهم أني ما ودعتك و لا قليتك، و من قال ذلك فقد خاب و افترى، و اشرح لهم تفاصيل[1] ذلك بما وهبتك من العلم الذى هو أضوأ من [ضياء - [2]] الضحى و قد رجع آخرها على اولها بالتحديث بهذا القسم و المقسم لأجله، و ما للملك الأعلى فى ذلك من[3] عميم فضله:

٥ و لقد امتثل صلى الله عليه و سلم و ابتدأ هذا التحديث الذى يشرح الصدور، و يملأ الأكوان من السرور، و النعمة و الحبور. لأنه بأكبر النعم المنزلة [4] لكل النعم[4] بالتكبير كما ورد فى قراءة ابن كثير و فى رواية السوسى عن أبى عمرو، و اختلاف القراء فى ابتدائه و انتهائه و لفظه، فقال بعضهم: هو من أول[6] الضحى، و قال آخرون: من آخرها، و قال ١٠ غيرهم من أول[7] الشرح، فمن قال للأول لم يكبر آخر الناس، و من قال للآخر[8] انتهى تكبيره بالتكبير فى آخرها، و سببه أن جبريل عليه الصلاة و السلام لما أتى النبى صلى الله عليه و سلم بعد فترة الوحى، فتلا[9] السورة عليه كبر مسرورا لما كان أحزنه من الفترة و من قول المشركين: قلاه ربه، و تحديثا بالنعم التى / حباه الله بها فى هذه السورة له و لأمته / ٧٨٨

---

(١) من م، وفى الأصل وظ: تفصيل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: للقسم (٥) زيد فى الأصل: اول، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: آخر. (٨) زيد فى الأصل: فقد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: و تلى.

امتثالا لما أمر به[1] و اختلف عنهم فى لفظه، فمنهم من اقتصر على «الله أكبر»، و منهم من زاد التهليل فقال: «لا إله إلا الله و الله أكبر» و هذا هو المستعمل، و منهم من زاد «و لله الحمد»، و الراجح قول من قال: إنه لآخر الضحى إسنادا و معنى، لأنها و إن كانت هى السبب و العادة جارية[2] بأن من دهمه أمر عظيم يكبر مع أوله، لكن شغله[3] ٥ صلى الله عليه و سلم بالإصغاء إلى ما يوحى إليه منعه من ذلك، فلما ختمت السورة تفرغ له، فكان ذلك الوقت [كأنه -[4]] ابتداء مفاجأة ذلك[5] الأمر العظيم له، و زاد ما فى السورة من جلائل النعم المقتضية للتحميد و ما فى ذلك من بدائع الصنع الموجب للتهليل[6]، و قد علم بذلك سبب من ظنه فى أولها، و أما من ظنه لأول الشرح فكونه كان فى ١٠ [آخر -[4]] الضحى، فاذا وصل بها «ألم نشرح» ألبس الحال، و تعليق[7] الأشياء بالاوائل هو الأمر المعتاد، و حكمته مع ما مضى من سببه[8] أن التهليل توحيده سبحانه و تعالى بالأمر، و امتناع شريك يمنعه من شىء يريده من الوحى و غيره، و التكبير تفريده لله[9] بالكبرياء تنزيها له عن شوب نقص يلم به من أن يتجدد له علم ما لم يكن ليكون ذلك سببا ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: له (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الجارية.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: النبى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للتعليل.
(٧) من ظ وم، وفى الأصل: تعليل (٨) من ظ وم، وفى الأصل: تسبيبه.
(٩) سقط من ظ.

لقطع من وصله بوحى أو غيره، و التحميد إثبات التفرد بالكمال له على إسباغ نعمه، و فى ذلك أن هذه السورة[١] آذنت [٢]بأن القرآن[٢] أشرف على الختام، لأن عادة الحكماء من المدبرين تخفيف المنازل فى الأواخر على السائرين كتخفيف أول مرحلة رفقا بالمقصرين، فناسب الذكر بهذا ٥ عند الآخر لأن تذكر الانقضاء يهيج مثل ذلك عند السالك، و لأن تقصير السور [ربما -[٣]] أوهم شيئا مما لا يليق، فسن [٤]التنزيه بتكبيره[٤] سبحانه و تعالى عن كل ما يوهم نقصا، و إثبات الكمال له بالتوحيد منه على الحث على تدبر ما فى هذه السورة[٥] من الجمع للمعانى على وجازتها و قصر آياتها و حلاوتها مع ما فى ذلك من تخفيف التعليم، و التدريب على الحفظ ١٠ فى المبادئ و التحبيب [فيه -[٦]] و التهيم[٧]، و التحميد على إتمام النعمة على غاية الإحكام [٨]من لدن حكيم عليم[٨] .

---

(١) فى م : السور (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالقرآن (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التكبير بتنزيهه (٥) فى ظ و م : السور (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : التهميم (٨-٨) من م ، و فى الأصل : والله تعالى هو الرؤف الرحيم ، و العبارة ساقطة من ظ .

سورة ألم نشرح[1]

مقصودها تفصيل ما فى آخر الضحى من النعمة، و بيان [أن - [2]] المراد بالتحديث[3] بها هو شكرها بالنصب فى عبادة الله و الرغبة إليه بتذكر[4] إحسانه و عظيم رحمته بوصف الربوبية و امتنانه، و على ذلك دل اسمها الشرح / ﴿ بسم الله ﴾ الذى جل أمره و تعالى جده [5]و لا إله غيره[5] فعظم ما له ٥ / ٧٨٩ من إنعام ﴿ الرحمن ﴾ الذى أفاض جوده على سائر خلقه لأنه ذو الجلال و الإكرام ﴿ الرحيم ﴾ الذى أعلى أهل حضرته بخاص رحمته فى مقامات الاختصاص إلى أعلى مقام.

لما أمره صلى الله عليه و سلم آخر الضحى [6]بالتحديث بنعمته[6] [7]التى أنعمها عليه[7] فصلها فى هـذه السورة فقال مثبتا لها فى استفهام ١٠ إنكارى مبالغة فى إثباتها عند من ينكرها و التقرير بها مقدما المنة بالشرح فى صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك فى سورة الفتح الذى هو نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولا لافتا القول إلى مظهر العظمة [تعظيما - [8]] للشرح: ﴿ الم نشرح ﴾ أى شرحا يليق بعظمتنا

---

(١) فى م: الشرح، و هى الرابعة و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٨ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من التحديث (٤) من م، و فى الأصل و ظ: بتذكير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦-٦) من م، و فى الأصل و ظ: بتحديث نعمته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) زيد من ظ و م.

﴿ لك ﴾ أى خاصة .

و لما عين المشروح له ، فكان المشروح مبهما ، فزاد تشوف النفس إليه ليكون أضخم له ، بينه[1] ليكون بيانا بعد إبهام[2] فيكون [أعظم -[3]] فى التنويه به و أجل فى التعريف بأمره فقال : ﴿ صدرك لا ﴾ أى نسره ٥ و نفرحه بالهجرة ، فان هذه السورة مدنية عند ابن عباس رضى الله عنهما ، و نجله و نعظمه و نخرج منه قلبك و نشقه ونغسله و نملأه إيمانا و حكمة و[4]رأفة و[4] [5]علما و رحمة[5] ، فانفسح جدا حتى وسع[6] مناجاة الحق و دعوة الخلق ، فكان مع الحق بعظمتـــه و ارتفـاعه ، و مع الخلق بفيض أنواره و شعاعه ، و قد كان هذا الشرح حقيقة مرارا ، و كان مجازا أيضا ١٠ باحلال جميع معانيه ، و كل ذلك على ما لا يدخل تحت الوصف [لا -[3]] يعبر [7]لكم عنه[7] بأكثر من أنه شق بعظمتنا ، فالعلم الذى شق به معرفة الله و الدار الآخرة و الدين و الدنيا ، و الحكمة التى درّت[8] فيه هى وضع الشيء فى محله ، و إعطاء كل ذى حق حقه ، و قرأ أبو جعفر المنصور بفتح حاء "نشرح" وخرجها ابن عطية على التأكيد بالنون الخفيفة ثم ١٥ أبدل ألف من النون ، ثم حذف النون تخفيفا ، [9] و قال[9] أبو حيان[10] بأن اللحيانى حكى فى نوادره عن بعض العرب النصب بلم و الجزم بلن ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بين ذلك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ايهاما (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمة وعلما (٦) زيد فى ظ : فضا (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه لكم (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ودت (٩-٩) فى الأصل بياض ملأناه من ظ (١٠) راجع البحر ٤٨٨/٨ .

و سره هنا أن الفتح فى اللفظ مناسب غاية المناسبة للشرح ، و وجه قراءة الجمهور أنه لما دل على الفتح بالشرح دل بالجزم على أنه مع ذلك رابط لما أودعه من الحكم ضابط له . هاد بما فيه من رزانة العلم ، و وقار التقى و الحلم ، قال ابن برجان : ففرق [ما - ١] بين النبى و الولى فى ذلك أن النبى شرح[2] صدره ظاهرا فأعلى ظاهرا ، و الولى شرح ذلك[3] منه باطنا ٥ فعلى به باطنا ، و الكافر ضيق ذلك منه و أبقى [بظلمته - ١] [4]و حظوظ[4] الشيطان منه فهو لا يستطيع قبول / الهداية و لا الصعود فى [معارج /٧٩٠ العبرة إلا على مقدار ما يستطيع الصعود فى - ١] السماء " كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " - الآيات .

و لما كانت سعة الصدر بالعلم و الحكمة هى الجمال باجتماع المحاسن ، ١٠ و كان ذلك مع حمل ما يعنى من أعظم النكد ، و كان الجمال بجمع المحاسن لا يكمل إلا إذا جمع إلى الجمال الجلال[5] بانتفاء الرذائل ، و كان الاستفهام الإنكارى إذا اجتمع[6] مع النفى صار إثباتا ، لأنه نفى للنفى ، قال عاطفا عليه ما لا يعطف إلا مع الإثبات ﴿ و وضعنا ﴾ أى حططنا و أسقطنا و أبطلنا حطا لا رجعة له و لا فيه بوجه بما لنا من العظمة ، مجاوزا ١٥ ﴿ عنك وزرك ۙ ﴾ أى حملك الثقيل الذى لا يستطاع حمله ، و لذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : ينشرح (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بحظوظ (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الجلال الجمال (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : جمع .

وصفه بقوله: ﴿ الذي انقض ظهرك ﴾ أى [جعله - [1]] و هو عماد بدنك تصوت مفاصله من الثقل كما يصوت الرحل الجديد إذا لزبالحمل الثقيل، و ذلك هو [ما - [1]] دهمه عند ما أمر بانذار قومه و مفاجأتهم بما يكرهون عن عيب دينهم و تضليل آبائهم و تسفيه حلومهم [2] فى
٥ التدين [2] بدين لا يرضاه أدنى العقلاء إذا تأمل شيئا من تأمل مع التجرد من حظ النفس مع ما عندهم من الأنفة و الحمية و إلقاء الأنفس فى المهالك لأدنى غضب، فقال: يا رب إذن يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة. فخفف [3] سبحانه و تعالى عنه [3] ذلك بما أظهر له من الكرامات و أيده به من المعجزات، و ضمن له من الحماية إلى أمور لا يحيط بها علما إلا الذى
١٠ أيده بها "[4] و الله يعصمك من الناس [4]" حتى خف ذلك عليه، فصار أشفق أهله عليه يمنعه من بعض الإبلاغ و يمسك بثوبه [5] لئلا يخرج إلى الناس فيقول لهم ذلك فيحصل له ما يكره فيجذب نفسه منه و يخرج إليهم فيخبرهم [6] كما وقع فى أمر الإسراء و غيره، و قال ابن عباس رضى الله عنهما [7]: هو أن جبريل عليه الصلاة و السلام شق صدره فأخرج منه قلبه فشرحه
١٥ و أخرج منه علقة سوداء فأنقاه و غسله ثم ملأه علما و إيمانا و حكمة، يعنى فصار يحتمل ما لا يحتمله غيره، و خف عليه ما يثقل على غيره،

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالتدين (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنه سبحانه و تعالى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ثوبه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: و يخبرهم (٧) راجع البحر ٨ /٤٨٧.

و لاشك

و لاشك أن ذلك وزر لغوى، و هو واضح، و شرعى بالمال[1] على تقدير ترك الامتثال اللازم للاستثقال، و قد أعاذه الله من ذلك.

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: معنى[2] هذه السورة من معنى السورة قبلها، و حاصل السورتين تعداد نعمه [3]سبحانه و تعالى عليه[3]، فان قلت: فلم فصلت[4] سورة ألم نشرح و لم ينسق ذكر هذه النعم فى سورة ٥ واحدة، / قلت: من المعهود فى البشر فيمن عدد على ولده أو عبده نعما / ٧٩١ أن يذكر له أولا ما شاهد الحصول عليه منها بسببه مما يمكن أن يتعلق فى بعضها بأن ذلك وقع جزاء لا ابتداء، فاذا استوفى له ما قصده من هذا[5]، أتبعه بذكر نعم ابتدائية قد كان ابتداؤه بها قبل وجوده[6] كقول الأب مثلا لابنه: ألم أختر لأجلك الأم و النفقة حيث استولدتك ١٠ و أعددت من مصالحك كذا و كذا، و نظير ما أشرنا إليه [بقوله -[7]] سبحانه لزكريا عليه الصلاة و السلام "و لم تك شيئا" و قد قدم له "انا نبشرك بيحيى" و توهم استبداد الكسبية فى وجود الولد[8] غير خافية (؟) فى حق من قصر نظره و لم يوفق فابتدئ بذكرها ثم أعقب بما لا يمكن أن يتوهم فيه ذلك، و هو قوله "و قد خلقتك من قبل و لم تك ١٥ شيئا" و له نظائر من الكتب و عليه جاء ما ورد فى هاتين السورتين.

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: فى المال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يعنى. (٣-٣) فى م: عليه سبحانه و تعالى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فصلتا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هذه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وجودها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: البلد.

و الله أعلم - انتهى .

و لما شرفه فى نفسه بالكمال الجامع [1]للجلال إلى الجلال[1]، و كان ذلك لايصفو إلا مع الشرف عند الناس قال : ﴿و رفعنا﴾ أى بما لنا من العظمة [2]و القدرة الباهرة[2] ﴿ لك ﴾ أى خاصة رفعة تتلاشى عندها
٥ رفعة غيرك من الخلق كلهم[3] ﴿ ذكرك ۵﴾ عند جميع العالمين العقلاء و غيرهم بالصدق و الأمانة و الحلم و الرزانة و مكارم الأخلاق و طهارة الشيم و انتفاء[4] شوائب النقص حتى [ما -[5]] كانت شهرتك عند قومك قبل النبوة إلا الأمين ، و كانوا يضربون المثل بشمائلك الطاهرة ، و أوصافك الزاهرة الباهرة ، ثم بالنبوة ثم بالرسالة ثم بالهجرة ، و بأن جعلنا اسمك
١٠ مقرونا باسمنا فى كلمة [2]التوحيد و[2] الإيمان و الأذان و الإقامة و التشهد و الخطبة ، فلا أذكر إلا و ذكرت[6] معى ، و من الكرامة الظفر على أعدائك و الكرامة لأوليائك ، و جعل[7] رضاك رضاى و طاعتك طاعتى ، و أمر[8] ملائكتى بالصلاة عليك ، و مخاطبتى لك بالألقاب العلية و السمات المعزة المعلية من الرسول و النبى ، و نحو ذلك على حسب الأساليب و مناسبات
١٥ التراكيب إلى غير ذلك من فضائل و مناقب و شمائل لا تضبط بالوصف ، [9]قال الرازى : ثم جعل لأمته من ذلك أوفر الحظ ، قيل : يا رسول الله ،

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : للجمال و الجلال (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انعقاد (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تذكر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : جعلت (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : امرت (٩) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها .

من أولياء الله ؟ قال : الذين [إذا - ١] ذكروا ذكر الله . [و فى حديث : الذين إذا رؤا ذكر الله - ١] . و قال : خيارکم من تذكر ٢ الله رؤيته ، و يزيد فى علمكم منطقه ، و يزهدكم فى الدنيا ٣ عمله . فنتهى قسمة الثناء أن خلط ذكره بذكره .

و لما ذكر هذه المآثر الشريفة التى هى ٤ الكمال ، و كان الكمال ٥ لا يصفو إلا مع مساعدة الأقدار ، فان الهمم إذا عظمت [اتسعت - ١] مجالاتها ، فاذا حصل فيها تعطيل حصل فيها ٥ نكد على حسبه ، بين أنه أزال عنه / العوائق فى عبارة دالة على أن سبب المنحة بهذه / ٧٩٢ الكمالات هو ما كان صلى الله عليه و سلم فيه من الصبر على الأكدار ، و تجرع مرارات الأقدار ، فقال مؤكدا ترغيبا فى حمل مثل ذلك رجاء فى ١٠ الإثابة بما يليق من هذه المعالى مبالغا فى الحث على تحمله بذكر المعية إشارة إلى تقارب الزمنين بحيث أنهما كانا كالمتلازمين ٦ مسببا عما مضى ذكره من حاله فى الضحى : ﴿فان﴾ أى فعل بك سبحانه هذه الكمالات الكبار بسبب أنه قضى فى الأزل قضاء لا مرد له [و لا معقب - ١] لشىء منه أن ﴿مع العسر﴾ أى [هذا - ٧] النوع خاصة ﴿يسرا ۙ﴾ ١٥ أى عظيما جدا يجلب به المصالح و يشرح به ما كان قيده من القرائح ، فان أهل البلاء ما زالوا ينتظرون الرخاء علما منهم بالفطرة الأولى التى

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : يذكر (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : فى كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من م (٦) فى ظ : كالمتلاصقين ، و فى م : كالمتلازقين (٧) زيد من م .

فطر الناس عليها أنه[1] المتفرد بالكمال، و أنه الفاعل بالاختيار لنسمه الكوائن بأضدادها، و قد أجرى سنته القديمة سبحانه و تعالى بأن الفرج مع الكرب، فلما قاسى صلى الله عليه و سلم مما ذكر فى الضحى من اليتم الشديد و ضلال قومه العرب خاصة كلهم الذين ألهمه الله تعالى مخالفتهم
٥ فى أصل الدين بتجنب الأوثان، و فى فرعه بالوقوف مع الناس فى الحج فى عرفة[2] موقف إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و من العيلة ما لم يحمله أحد حتى كان بحيث يمتن سبحانه و تعالى عليه بانقاذه منه فى كتابه القديم و ذكره الحكيم، و كان مع تحمل ذلك قائما بما يحق له من الصبر و يعلو إلى معالى الشكر، فيحمل - كما قالت الصديقة الكبرى خديجة
١٠ رضى الله تعالى عنها[3] - الكل، و يقرى الضيف، و يصل الرحم، و يعين على نوائب الحق، ثم حمل أعباء النبوة فكان يلقى من قومه [من -[4]] الأذى و الكرب و البلاء ما لم يحمله غيره، بشره الله تعالى بأنه ييسر له جميـــع ذلك و يلين قلوبهم فيظهر دينه على الدين كله، و يغنى أصحابه رضى الله عنهم بعد عيلتهم، و يكثرهم بعد قلتهم، و يعزهم بعد ذلتهم،
١٥ و يصير هؤلاء المخالفون[5] له أعظم الأعضاد، و ينقاد له المخالف أتم انقياد، و يفتح له أكثر البلاد، ليكون هذا العطاء فى اليسر بحسب ما كان وقع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بأنه (٢) من ظ و م، و فى الاصل: العمرة.
(٣) زيد فى الأصل: وارضاها ورضى عن والدها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المحلفون.

من

من[1] العسر، فانه قضى سبحانه و تعالى قضاء لا يرتد أنه يخالف بين الأحوال، دليلا قاطعا على أنه تعالى وحده الفعال، و أن[2] فعله بالاختيار، لا بالذات و الإجبار.

و لما كان العسر مكروها إلى النفوس، و كان الله سبحانه و تعالى فيه حكما عظيمة، و كانت الحكم لا تتراءى إلا للأفراد من العباد، كرره ٥ سبحانه و تعالى / على طريق الاستئناف لجواب من يقول: و هل[3] بعده / ٧٩٣ من عسر؟ مؤكدا له ترغيبا فى أمره ترقبا لما يتسبب عنه مبشرا بتكريره مع وحدة العسر و إن كان حمل كل [واحد -[4]] منهما على شيء غير ما قصد به الآخر ممكنا فقال: ﴿ ان مع العسر ﴾ أى المذكور فانه معرفة، و المعرفه إذا أعيدت معرفة كانت غير الأولى سواء أريد العهد ١٠ أو الجنس ﴿ يسرا ۞ ﴾ أى آخر لدفع المضار و المكاره، فان النكرة إذا أعيدت نكرة احتمل أن تكون غير الأولى، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم أنها غيرها، فقال[5] الحسن البصري[6]: إن الآية لما نزلت قال النبي صلى الله عليه و سلم: أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين. و قد روى هذا من أوجه كثيرة، و روى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضى الله عنه ١٥ قال[6]: لو كان العسر فى جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه. [و للطبراني عنه رضى الله عنه قال[7]: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو كان

(١) من ظ و م، وفى الأصل: فى (٢) من ظ و م، وفى الأصل: انه (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: و قال (٦) راجع الدر المنثور ٦ / ٣٦٤.
(٧) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٩.

العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه -[1]]، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم الآية، قال الحافظ نور الدين الهيثمى : و فيه أبو مالك[2] النخعى و هو ضعيف، و رواه الطبرانى أيضا فى الاوسط و البزار عن أنس رضى الله عنه بنحوه، قال الهيثمى : و فيه عائذ بن شريح و هو ضعيف، و روى
٥ الفراء عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم خرج ذات يوم و هو يضحك و يقول : لن يغلب عسر يسرين، و روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن به مرسلا، و من طريقه أخرجه الحاكم و البيهقى فى الشعب [و -[3]] رواه الطبرى[4] من طريق ابن ثور عن معمر، و رواه ابن مردويه من
١٠ طريق أخرى موصولا و إسناده ضعيف، و فى الباب عن عمر ذكره مالك فى الموطأ[5] عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه أنه بلغه أن أبا عبيدة رضى الله عنه حضر بالشام فكتب إليه كتابا[6] فيه « و لن يغلب عسر يسرين » و من طريقه رواه الحاكم، قال ذلك شيخنا ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف، و قال : و هذا أصح طرقه -
١٥ انتهى، و هذا من جهة أن اليسر نكرة و العسر معرفة، و قد اشتهر أن النكرة إذا أعيدت نكرة فالثانى غير الاول، و المعرفة بالعكس، قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى أول تلويحه[7] فى الكلام على[7] المعرفة و النكرة[8]:

(١) زيد من ظ و المجمع (٢) فى المجمع : ابراهيم (٣) زيد من ظ (٤) راجع ٢٩ / ١٣٠ (٥) راجع ص ١٦٧ (٦) من ظ وم، و فى الأصل : كتابه (٧-٧) من ظ وم، وفى الأصل : على الكلام فى (٨) راجع ص ١٥١ (التوضيح و التلويح).

و الكلام فيما إذا أعيد اللفظ الأول إما مع كيفيته من[1] التنكير و التعريف أو بدونها، و حينئذ[2] يكون طريق التعريف هو اللام أو الإضافة ليصح إعادة المعرفة نكرة و بالعكس، و تفصيل ذلك أن المذكور أولا إما أن يكون نكرة أو معرفة، و على التقديرين إما أن يعاد نكرة أو معرفة فيصير أربعة أقسام، و حكمها أن ينظر إلى الثانى، فان كان ٥ نكرة فهو مغاير للأول، و إلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودا سابقا بالذكر، إن كان معرفة فهو الأول حملا له على المعهود الذى هو الأصل فى اللام / و الإضافة، و ذكر فى الكشف أنه إذا / ٧٩٤ أعيدت النكرة نكرة فالثانى مغاير للاول و إلا فعينه[3] فان المعرفة تستغرق الجنس، و النكرة تتناول البعض، فيكون داخلا فى الكل سواء قدم ١٠ أو أخر، و فيه نظر، أما أولا فلان التعريف لا يلزم أن يكون للاستغراق بل العهد[4] هو الأصل، و عند تقدم المعهود لا يلزم أن تكون النكرة عينه، و أما ثانيا فلان معنى كون الثانى عين الأول أن يكون المراد به هو المراد بالأول، و الجزء بالنسبة إلى الكل ليس كذلك، و أما ثالثا فان[5] إعادة المعرفة نكرة[6] مع مغايره الثانى للأول كثير فى ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل : مع (٢) زيد فى الأصل : على، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل : لكان بعينه (٤) زيد فى الأصل وظ : و للعهد، و لم تكن الزيادة فى م و التلويح فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ : فلان (٦) من ظ و م، و فى الأصل : تكون .

الكلام، قال الله تعالى "ثم آتينا موسى الكتاب تماما" إلى قوله "و هذا كتاب انزلناه" و قال تعالى "اهبطوا بعضكم لبعض عدو" و قال تعالى "و رفع بعضكم فوق بعض درجات" إلى غير ذلك، و قال غيره[1]: "يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء" و منه قول الشاعر:

٥ إذ[2] الناس ناس و الزمان زمان

فان الثانى لو كان عين الأول لم يكن فى الإخبار به[3] فائدة - انتهى.
قال: و اعلم ان المراد أن هذا هو الأصل عند الإطلاق و خلو المقام[4] عن القرائن[5] و إلا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى "و هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله" "و قالوا لولا نزل [عليه -[6]] آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية"

١٠ "ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيبة" يعنى قوة الشباب، و منه باب التأكيد اللفظى، و قد تعاد النكرة معرفة مع المغايرة كقوله[7] تعالى "و هذا كتاب انزلناه مبارك" إلى قوله "[ان تقولوا -[8]] انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا" و قال

١٥ غيره: "فلا جناح عليهما أن يصلحا[9] بينهما صلحا و الصلح خير" المراد

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تعالى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اذا.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المكان.
(٥) من م، و فى الأصل و ظ: القرنين (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بقوله (٨) زيد من م (٩) من م، و فى الأصل و ظ: يصالحا.

بالنكرة خاص و هو الصلح بين الزوجين، و بالمعرفة عام فى كل صلح جائز
" زدناهم عذابا فوق العذاب " فان الشيء لا يكون فوق نفسه ـ
انتهى. قال: و قد تعاد المعرفة معرفة مع المغايرة كقوله تعالى [" و أنزلنا
إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، و قال غيره -[1]]:
" قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء " الاول عام و الثانى خاص، ٥
" هل جزاء الإحسان الا الإحسان " الأول العمل و الثانى الثواب " وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس " الأولى القاتلة و الثانية المقتولة - انتهى،
قال: و قد تعاد المعرفة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى " انما الهكم
اله واحد " و مثله كثير، و المعرفة مثل النكرة فى حالتى[2] الإعادة
معرفة و الإعادة نكرة فى أنها إن / اعيدت معرفة كان الثانى هو الأول، ١٠ / ٧٩٥
و إن أعيدت نكرة كان غيره، ثم مثل بالآية التى هنا، و قال: وهذا
مبنى على [أن -[1]] تنكير " يسرا[3] " للتفخيم و تعريف العسر[4] للعهد، أى
العسر الذى أنتم عليه أو الجنس [أى -[1]] الذى يعرفه كل أحد، فيكون
اليسر الثانى مغايرا للأول بخلاف العسر - انتهى . و قال فى الكشاف:
و أما اليسر فمنكر متناول لبعض [الجنس -[1]]، فاذا[5] كان الكلام الثانى ١٥
مستأنفا عن منكر تناول بعضا غير البعض الأول بغير الإشكال.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و التلويح، و فى الأصل: حاله النكرة فى، و فى م: حالة (٣) فى ظ و م: يسر (٤) من ظ و م. و فى الأصل: اليسر (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فان.

و لما علم من هذا أن المواد تكون بحسب الأوراد الشداد لما على
الممدود من الشكر، و لما علم للشاكر[1] من الوعد بالمزيد، قال مسببا عما
أعطاه من اليسر بعد ذلك العسر [2]ندبا له[2] إلى الشكر و إعلاما بأنه
لاينفك عن تحمل أمر فى الله: ﴿ فاذا فرغت ﴾ أى بما أتاك من اليسر
٥ يسر من جهادك الذى أنت فيه فى وقت المخاطبة بهذا الكلام مما يوجب
عسرا[3] فى المآل أو الحال[5]، وعقبه العسر فى [أى - [4]] موضع كان
لاسيما عند دخول الناس فى الدين أفواجا، أو من العبادة الثقيلة العظيمة
بسماع الوحى و تحمله، أو من الغرض بالتيسير الذى بشرناك به ﴿ فانصب ۙ ﴾
أى بالغ فى التعب بعبادة أخرى من التسبيح و الاستغفار، أو النفل لمن
١٠ أولاك هذا المعروف ﴿ و الى ربك ﴾ أى المحسن إليك بما ذكر فى
هاتين السورتين [خاصة - [4]] ﴿ فارغب ۧ ﴾ أى بالسؤال لأنه القادر
وحده كما قدر على تربيتك فيما مضى وحده، لأنه المختص بالعظمة، فلا
قدرة أصلا إلا لمن يعطيه ما يريده منها، و الرغب شعار العبد دائما فى
كل حال أى افعل ذلك، ألم نشرح لك صدرك؟ فقد[5] اتصل هذا
١٥ [6]الآخر بالأول[6] اتصال المعلول بالعلة، و لاءم ما بعدها بذلك أيضا بعينه

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من الشاكر (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل. ندباه (٣) من م، و فى الأصل و ظ: عسر (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: و قد (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الأول بالآخر.

ملاءمة الشمس بالأهلة ، وآخر هذه السورة مشير[1] إلى الاجتهاد فى العبادة
عند الفراغ من جهاد الكفار فى جزيرة العرب بعد انقضاء ما يوازى عدد
آى هذه السورة من السنين بعد الهجرة ، وهى ثمان ، رغبة فى الأخرى
التى هى [خير -[2]] من الأولى ، إشارة إلى قرب الأجل بما أشارت إليه
سورة النصر - كما سيأتى إن شاء الله تعالى . ٥

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : مشيرا (٢) زيد من ظ وم .

سورة التين[1]

مقصودها [سر -[2]] مقصود "ألم نشرح" و ذلك هو إثبات[3] القدرة الكاملة و هو المشار إليه باسمها، فان فى خلق التين و الزيتون من الغرائب ما يدل على ذلك، و كذا فيما أشير إليه بذلك من النبوات، ٥ و ضم القسم إلى المقسم عليه وهو الإنسان، الذى هو أعجب ما فى الأكوان، [واضح -[2]] فى ذلك / ﴿بسم الله﴾ الملك الأعظم الذى لا نعبد[4] /٧٩٦ إلا إياه ﴿الرحمن﴾ الذى عم بنعمة إيجاده و بيانه جميع خلقه أسفله و أعلاه [و أدناه -[2]] و أقصاه ﴿الرحيم﴾ الذى خص من بينهم أهل وده بما يرضاه، و أردى من عداهم[5] و أشقاه.

١٠ لما ذكر سبحانه و تعالى [فى -[2]] تلك السورة أكمل خلقه و ما كمله به، [و -[6]] ختمها بالأمر بتخصيصه سبحانه و تعالى بالرغبة إليه، فكان صلى الله عليه و سلم يقوم حتى تورم قدماه و يبذل[7] الجهد لمولاه[8] فى [كل -[2]] ما يرضاه، ذكر فى هذه أنه سبحانه و تعالى كما جعل ذاته

(١) الخامسة والتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٨.
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: اشارة إلى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لايعدل (٥) من م، و فى الاصل: عاداهم، و فى ظ: عاداه.
(٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بيده (٨) سقط من ظ و م.

أكمل

أكمل ذوات المخلوقات، خصه بأن جعل نوعه صلى الله عليه و سلم أكمل الأنواع و هو الإنسان، و أصله أعظم الأصول، و هو إبراهيم صلى الله عليه وسلم، و بلده أفضل البلاد و هي مكة، و [أن - ١] من عاداه بمنابذة شرعه أسفل الخلق. و أن له سبحانه و تعالى تمام القدرة، و هو فاعل بالاختيار، يعلي من يشاء و يسفل من يشاء، فمنزلتها من آخر تلك [٢]منزلة العلة من[٢] ٥ المعلول، و أقسم فيها بأشياء أشار بها إلى شرفها في أنفسها و في عجيب صنعها و شرف البقاع التي يكون بها إيماء إلى ما شرفها به مما أظهر بها من الخير و البركات بسكنى الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، و الصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فكانت مهاجر إبراهيم ومولد عيسى و أكثر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و منشأهم، و كان منها ١٠ مظهر نبوة موسى، و مظهر نبوة إسماعيل عليهما الصلاة و السلام و ولده خاتم الأنبياء الكرام - عليه أفضل الصلاة و السلام، و مكان البيت الذي هو قوام للناس، و هدى للعالمين - إلى غير ذلك من الإشارات الظاهرات و الدلالات الواضحات على تمام قدرته و فعله[٣] بالاختيار، لأنه يعلي من يشاء من العقلاء و غيرهم من البقاع و غيرها ١٥ على أحسن تقويم[٤]، و يسفل [من يشاء - ١] من ذلك كله إلى أسفل سافلين.

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و في الأصل: المنزلة عن (٣) من ظ و م، و في الأصل: علمه (٤) من م، و في الأصل و ظ: تقوم.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه سورة موضحة و متممة[1]
للقصود فى السورتين قبلها ، فبان لك أن الصورة الإنسانية بظاهر الأمر
- بما [هى -[2]] عليه من الترتيب و الإتقان - قد كانت تقتضى الاتفاق[3] بظاهر
ارتباط الكمال [بها -[4]] من حيث أنها فى أحسن تقويم ، و الافتراق يبعد
٥ فى الظاهر ، فكيف افترق الحكم و اختلف السلوك ، فمن صاعدٍ بالاستيضاح
و الامتثال ، و نازلٍ[4] أسفل سافلين فضلا عن ترقى بعض درجات الكمال ،
فاذًا ليس يرقى من خص بمزية التقريب إلا لأنه نودى من قريب فأسرع
فى إجابة مناديه و اصاخ ، و ما اعتل بحاديه فسلك من واضحات السبيل
ما رسم له ، و بنى [على -[5]] ما كتب له من ذلك عمله "و لو شئنا لآتينا
١٠ كل نفس هداها" / فعلى العاقل المنصف فى نفسه أن يعلم أن كلا[6] ميسر / ٧٩٧
لما خلق له فيضرع إلى خالقه فى طلب الخلاص ، من وجد خيرا فليحمد
الله ، فأوضحت هذه السورة أن ما أعطى الله نبيه صلى الله عليه و سلم
و خصه به من ضروب[7] الكرامات و ابتدأه به من عظيم الآلاء مما تضمنته
السورتان إلى ما منحه من خير الدارين و ما تضمنه . قسمه له سبحانه
١٥ و تعالى أنه ما ودعه و لا قلاه من الملاطفة و التأنيس و دلائل الحب
و التقريب - كل ذلك فضلا[8] منه سبحانه و تعالى و إحسانا[9] لا لعمل

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مهمة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ ، و فى
الأصل و م : الاتقان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نال (٥) زيد من م .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كل (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ضروبات .
(٨) فى ظ : فضل (٩) فى ظ و م : احسان .

تقدم يستوجب ذلك أو بعضه، و لو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته، و توفيقه و إرادته، و لايستوجب أحد عليه شيئا، و إنما [هو - [1]] فضله يؤتيه من يشاء، فقال سبحانه و تعالى منبها على ما وقع الإيماء إلى بعضه "لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم" و مع ذلك لا ينفعه وقوع صورته الظاهرة فى عالم الشهادة على أكمل خلق و اتم وضع ٥ بل إذا لم يصحبه [توفيق - [1]] و سبقته سعادة من خالقه و لم يجعل له نور [2] يمشى به لم يرغير نفسه و لاعرف إلا ابناء جنسه. وقصر نظره على أول ما شاهد، و وقف عند [3] ما عاين من غير اعتبار يحده إلى تحقق [4] مآله و تبين حاله أنه لم يكن شيئا مذكورا، فلما قصر و ما أبصر اعتقد لنفسه الكمال، و عمى عن المبتدأ و المآل، فصار أسفل سافلين حيث لم ينتفع ١٠ بالآيات نظره، و لا تعرف حقيقة خبره، "او لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا و نسى خلقه" ثم قال تعالى "الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم الذين هداهم ربهم [بايمانهم" - [5]] فجروا بسببه من خلقه فى [أحسن - [5]] [6] تقويم، و استوضحوا [6] الصراط المستقيم، [7] و استبصروا [7] فأبصروا، و نظروا فاعتبروا. و قالوا: ١٥ ربنا الله ثم استقاموا، فلهم أجر غير ممنون - [انتهى - [5]] .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : نورا (٣) من م، و فى الأصل و ظ : على (٤) من ظ و م، و فى الأصل : تحقيق (٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : تقوية و استوضوا (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : فاستبصروا .

و لما كان التين أحسن الفواكه تقويما فيما ذكروا من فضيلته، و هو - مع كونه فاكهة شهية حلوة جدا - غذاء يقيم الصلب و قوت كالبر [و -¹] سريع الهضم، و دواء كثير النفع يولد دما صالحا و ينفع الرئة و الكلى و يلين الطبع و يحلل البلغم و يزيل رمل² المثانة و يفتح سدد الكبد

٥ والطحال، وكان جامعا لجميع منافع المتناولات من الغذاء و التفكه و التحلي و التداوي، فهو كامل في مجموع³ ما هو فيه من [لذة -¹] طعمه و كثرة نفعه، و كونه كفاكهة الجنة بلا شائبة تعوق عن أكله من صنوان يتعب أو نوى يرمى، مع أنه ينتفع به رطبا و يابسا، و هو مع ذلك في سرعة فساده و سوء تغيره أسفلها رتبة و أردؤها مغبة، فهو كالفطرة

١٠ الأولى [في -¹] مبدئه سهولة و حسنا و قبولا لكل من الإصلاح و التغيير، كآخر الهرم عند نهايته في عظيم تغيره بحيث [أنه -¹] لا ينتفع بشيء منه / إذا تغير، و غيره من الفواكه إذا فسد جانب منه بقي آخر، فكان في هذا كالقسم للسافل من الإنسان أقسم الله تعالى به فقال: ﴿ و التين ﴾ بادئا به لأن القسم المشار [به -¹] إليه أكثر، فالاهتمام

١٥ به أكبر.

/ ٧٩٨

و لما كان الزيتون في [عدم -¹] فساد يطرقه أو تغير يلحقه، و فيه الدسومة و الحرافة و المرارة، و هو إدام و دواء مع تهيئه للنفع

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: رهن - كذا (٣) من ظ و م، و في الأصل: جميع.

بكل

بكل حال فى أكله بعد تزييته و التنور بدهنه و الادهان به لإزالة الشعث و تنعيم البشرة و تقوية العظم و شد العصب و غير ذلك من المنافع مع لدنه و ما يتبع ذلك من فضائله الجمة كالمؤمن[1] [تلاه به -[2]] فقال : ﴿ و الزيتون ۙ ﴾ و لما كان [مع -[2]] ذلك مشارا بهما إلى مواضع نباتهما و هى الأرض المقدسة من جميع بلاد الشام إيماء إلى من كان بها من الأنبياء ٥ و التابعين لهم باحسان لاسيما إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى[3] كانت مهاجره فأحياها[4] الله تعالى بعبادته و تردد الملائكة إليه بالوحى و من بعده أولاده الذين طهرها الله بهم من الشرك و أنارها بهم بالتوحيد ، و ختمهم بعيسى عليه الصلاة و السلام أحد أولى العزم المشرف بكونه من أمة محمد صلى الله عليه و سلم و على نبينا أفضل الصلاة و السلام ، و كانت ١٠ الكناية بالشجرتين عن البلد المراد به سكانه أبلغ من التصريح بالمراد من أول وهلة ، ساقه على هـذا المنهج العزيز ، و لم يبق ممن لم يسكنها من أشرافهم إلا موسى و هارون و إسماعيل و محمد عليهم الصلاة و السلام ، فأشار[5] إلى الأولين بقوله معبرا بما يدل على أحسن التقويم [لأن -[6]] الطور الجبل ذو النبت من النجم و الشجر [المثمر - [2]] و غيره : ١٥ ﴿ و طور ﴾ أى جبل[7] المكان [المسمى - [2]] بهذا الاسم .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : التى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فاحياه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و اشار (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : جعل .

و لما كان الكلام فى التقويم، كان المناسب له صورة جمع السلامة فقال تعالى: ﴿سينين ﴾ أى و ما كان بالجبل ذى النبت الحسن الذى كلم الله فيه[1] موسى عليه الصلاة و السلام من لذيذ المناجاة و عجائب[2] المواعدة و حكم الكلام مع أن فيه [من -[3]] الأشجار و الأماكن ما

٥ يسكن من الحر و البرد، و فيه لخلوه و حسنه و علوه جمع الخاطر للتفرد و طمأنينة النفس للتخلى للعبادة و التحصن[4] مما يخشى لعلوه و صعوبته، و فيه ما يصلح للزرع من غير كلفة، وفيه ما يأكله الناس و الدواب مع الماء العذب و الفناء الرحب و المنظر الأنيق، و سنين و سيناء - اسم للوضع الذى هذا الجبل به، و أشار سبحانه و تعالى إلى الأخيرين من

١٠ أولاد إبراهيم[5] عليه الصلاة و السلام ختاما[6] للقسم بأكمل المقسم به[7] كما جعل المنزل عليه ذلك [الذى -[3]] هو ختام الرسل أكمل النوع [المقسم -[3]] لأجله ليكون فى البدء[7] بما يرد / بعد حسن التقويم إلى الفساد و الختم بما هو أشرف المذكورين بكل اعتبار طباق حاز أعلى الأسرار: ﴿و هذا البلد﴾ أى مكة، صرح هنا[8] بهذين المكانين ترشيحا لأن المراد

/ ٧٩٩

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عجيب. المساجدة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التحصين. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ادم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ختمه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: البلد (٨) من ظ و م، و فى الأصل: به.

بالأولين مواضع نبتهما مع تلك الإشارة اللطيفة بذكر اسميهما إلى مناسبتهما للقسم من أجله ﴿ الامين ۝﴾ [أى -[1]] الذى يأمن فيه من[2] حل به من البشر و الطير و الوحش ، فكان بذلك كالرجل الأمين الذى يأتمنه آخر على نفسه و ما يعز عليه فيؤديه إليه و يوقره عليه ، و أمانته شاملة لكل ما[3] يخشى حتى الفقر و العيلة و الجوع و تغير الدين بعد تقرره ٥ مع أن[4] به البيت الذى جعله الله[5] هدى للعالمين و قياما للناس فهو مدار الدين و الدنيا ، و كان به من الأسرار بالوحى و آثاره ما لم يكن فى بلد من البلاد ، و ذلك إشارة إلى أنه تعالى كما جعل النبى المبعوث منه فى [آخر -[1]] الزمان فى أحسن تقويم جعله فى أحسن تقويم البلدان إذ كان آمنا من غير ملك [مرهوب -[1]] و الناس يتخطفون[6] من ١٠ حوله ، و هو محل الأنس بالناس[7] كما أن الذى قبله محل الأنس[7] بالانفراد ، و هو مجمع المرافق و معدن المنافع و محل ذوى الوجاهة دينا و دنيا ، و محل الرفعة و المناصب[8] مع ما حازه[9] المكانان من تنزل الكتب السماوية و إشراق الأنوار الإلهية[9] الدينية فيهما ، و فى ذلك تخويف [لهم -[1]] بأنهم إن لم يرجعوا عن عيهم أخافه إخافة لم يخفها [بلدا -[1]] من بلاد العرب ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل و ظ : حله ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل دانه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يخطفون (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المتاب (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : جار .

فيكونون بذلك قد ردوا أسفل سافلين فى البلد، كما ردوا فى الأخلاق بالشقاق و اللدد .

و لما كان هذا القسم مع كونه جامعا لبدائع المصنوعات التى هى [لما ذكر -[1]] من حكمها دالة على كمال علم خالقها[2] و تمام قدرته[3] جامعا
٥ لأكثر الذين آمنوا، و كان إبراهيم عليه الصلاة و السلام لكونه أباهم مذكورا مرتين بالأرض[4] المقدسة من القدس[5] و مكة، فتوقع أكمل الخلق و أفطنهم المخاطب بهذا الذكر المقسم عليه علما منه ببلوغ القسم إلى غايته و استوائه على نهايته، أجيب بقوله تعالى محققا : ﴿ لقد خلقنا ﴾ أى قدرنا و أوجدنا بما لنا من العظمة الباهرة الظاهرة و العزة الغالبة
١٠ القاهرة ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى جمع فيه الشهوة و العقل و فيه الأنس بنفسه ما ينسيه أكثر مهمه، و لهذا قالت الملائكة عليهم الصلاة و السلام "اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء" لأنهم علموا [أنه -[6]] إذا جمع[7] الغضب والشهوة إلى العقل جاءت المنازعة فيتولد الفساد من الشهوه و السفك من الغضب ﴿ فى احسن تقويم ز ﴾
١٥ ٧٨٠ / أى كائن[8] منا روحا و عقلا / أو أعم من ذلك بما جعلنا له من حسن الخلق

---

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : جلت قدرته، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احاطته بكل شيء (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فى الأرض (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفى الأصل : جميع (٨) من ظ و م ، وفى الاصل : كائنا .

و الخلق بما خص به من انتصاب القامة و حسن الصورة و اجتماع
خواص الكائنات و نظائر سائر الممكنات بعد ما شارك فيه غيره من
السمع و البصر و الذوق و اللمس و الشم[1] الجوارح التي هيأته لما خلق
له حتى قيل أنه العالم الأصغر كما مضى بسط ذلك في سورة الشمس ،
ثم ميزناه بما أودعناه[2] فيه بما جعلناه عليه من الفطرة الأولى التي لا تبديل ٥
لها من الطبع الأول السليم الذي هيأناه به [3]و قويناه بقدرتنا[3] لقبول
الحق ، و بمثل ما قلته في حمل الآية على الفطرة الأولى[1] قال الأصفهاني
في تفسير "كان الناس أمة واحدة" في البقرة ، [و -[4]] قال ابن برجان
هنا : مفطور على فطرة الإسلام الدين القيم ، ثم لما منحناه به من العقل
المدرك القويم ، فكما جعلنا له شكلا يميزه عن سائر الحيوان منحناه عقلا ١٠
يهديه إلى العروج عن درك النيران إلى درج الجنان بالإيمان و الأعمال
الصالحة البالغة نهاية الإحسان ، بدليل من فيه من الأنبياء الذين أكملهم
[محمد -[5]] على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام
و التابعين لهم بإحسان[6] الذين ملأوا الأرض علما و حكمة و نورا ، قال
البغوي[7] : خلقه سبحانه و تعالى مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا ١٥

(١) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و في الأصل : اودعنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) زيد من م . (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بالاحسان (٧) راجع المعالم ٧/٢٢١ .

بالعقل و التمييز - انتهى ، و العقل [1]هو المقصود فى الحقيقة[1] من الإنسان
لأن من أسمائه اللب ، و من المعلوم أن المقصود من [كل -[2]] شيء
له و هو الشرع كما مضى فى آخر النساء ، و الظاهر أن عقول الناس
بحسب الخلق متقاربة[3] و [أنها -[2]] إنما تفاوتت[4] بحسب الجبلة فبعضهم
٥ جعل سبحانه و تعالى عنصره و جبلته فى غاية الفساد فلا تزال جبلته تردى
على عقله فيتناقص إلى ان يصير إلى أسوء الأحوال ، فكل ميسر لما خلق
له ، و بعضهم يصرف عقله بحسب ما هيأه الله له إلى ما ينجيه ، و بعضهم
يصرفه لذلك إلى ما يرديه ، لأنك تجد أعقل الناس فى شيء و أعرفهم
به أشدهم بلادة فى شيء آخر ، و أغباهم فى شيء أذكاهم فى شيء آخر -
١٠ فاعتبر ذلك[5] ، و بـذلك انتظم أمر الخلق فى أمر معاشهم بالعلوم
و الصنائع و الأحوال - و الله الهادى ، و هذه الآية تدل على أن الله
سبحانه و تعالى منزه عن التركيب و الصورة لأنه لو كان فى شيء منهما
لكان هو الأحسن لأن كل صفة يشترك فيها الخلق[6] و الحق فالمبالغة
للحق كالعالم و الأعلم و الكريم و الأكرم - قاله[7] الأستاذ أبو القاسم القشيرى
١٥ فى تفسيره ، و صيغة " أفعل " لا تدل على ما قاله الزنادقة ، و إن عزى ذلك

(١-١) من م ، و فى الأصل : فى الحقيقة هو المقصود (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : متفاوتة (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : تتفاوت .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الحق .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال .

[1]إلى بعض[1] الأكابر [2]من قولهم[2] : / ليس فى الإمكان أبدع مما كان، لأن / ٨٠١
الدرجة الواحدة تتفاوت إلى ما لا يدخل تحت حصر كتفاوت أفراد
الإنسان فى صوره و ألوانه، و غير ذلك من أكوانه و بديع شأنه، و قد
بينت ذلك فى تصنيف مفرد لهذه الكلمة سميته: تهديم الأركان من
"ليس فى الإمكان أبدع مما كان"، [و أوضحته غاية الإيضاح و البيان، ٥
و جرت فيه فتن تصم الآذان، و نصر الله الحق بموافقة الأعيان، و قهر
أهل الطغيان، ثم أردفته بكتاب «دلالة البرهان على أن فى الإمكان
أبدع مما كان» -[3]] ثم شفيت الأسقام، و دمغت الأخصام، و خسأت
الأوهام، بالقول الفارق بين الصادق و المنافق، و هو نحو ورقتين فى
غاية الإبداع فى قطع النزاع. و يمكن أن تكون صيغة[4] أفعل مفيدة ١٠
[بالنسبة -[3]] إلى شيء أراده الله بحيث أن نتفطن له [نحن -[3]] لأن
من المجمع عليه عند أهل السنة و صرح به الأشعرى و غيره فى غير موضع
من كتبهم أن الله تعالى لا تتناهى مقدوراته، و ممن صرح بما صرح
به الأشعرى و أكثر فيه الإمام حجة الإسلام الغزالى فى كتبه[5] الإحياء
و غيره و لاسيما كتابه «تهافت الفلاسفة»، و بين أن هذا من قواعدهم ١٥
لنفيهم صفة الإرادة [6]و قولهم[6] بأن فعله بالذات، و بين فساد ذلك.

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: لبعض (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: لقولهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: صفة.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: كتابه (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط.

و انه سبحانه و تعالى قادر على اختراع [عالم -[1]] آخر و ثالث متفاوتة بالصغر و الكبر، و على كل ممكن، و عرف أن الممكن هو المقدور عليه، و أنه يرجع إلى المقدور عليه أيضا ممكن، و عرف الممتنع بأنه إثبات الشيء مع نفيه، و إثبات الأخص مع نفى الأعم، و إثبات الاثنين ٥ مع نفى الواحد، و قال: و ما لايرجع إلى ذلك فهو ممكن، فدخل فيه[2] عالم أبدع من هذا العالم - و الله الموفق [3]لما يريد[3].

و لما كان الإنسان مع هذه المحاسن قد سلط الله سبحانه و تعالى عليه شهوات و هيأ طبعه لرذائل و أخلاق دنيئات، و أهوية و حظوظ للأنفس مميلات، و كان أكثر الخلق[4] بها هالكا لتتبين قدرة الله سبحانه ١٠ و تعالى، لم يستثن[5] بل حكم على الجنس كله بها[6] كما حكم عليه بالتقويم، فقال تعالى دالا بأداة التراخى على أن اعوجاجه بعد ذلك العقل الرصين و الذهن الصافى المستنير فى غاية البعد لولا القدرة الباهرة و القوة القاسرة القاهرة: ﴿ثم رددنٰه﴾ اى بما لنا من القدرة الكاملة و العلم الشامل، فعطل منافع ما خلقناه[7] له فضيع نفسه و فوّت أسباب سعادته[8] و نكسناه ١٥ نحن فى خلقه، فصار بالأمرين فى خلقه و خلقه نفسا و هوى أو أعم

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل وظ: عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الخلائق (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم يستبن (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بهما (٧) من ظ و م، و فى الأصل: خلقنا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: سعادات و نخشاه - كذا.

من ذلك بالنكس[1] ﴿أسفل سافلين ۝﴾ أى إلى ما تحت رتبة الجمادات المستقذرات، فصار يعمل الأعمال السيئات المقتضية بعد حسن الجمع لغاية الشتات[2]، أما رده فى خلقه فبأن سلطنا عليه الشهوات التى ركبناها فى النفوس، و جعلناها داعية / إلى كل بؤس، فغلبت على عقله فأعمته حتى /٨٠٢
أوردته[3] الموارد، و أوقعته فى المهاوى و المعاطب، حتى انه ليركب كثيرا[4] ٥
من أموره و هو قاطع بأنه باطل شنيع. لا يقدم على مثله عاقل، فصار يعبد من دون الله ما [هو -[5]] دون البشر بل و مطلق الحيوان مما لا ضر فيه و لا نفع، [6]و صار ركب[6] الظلم و العدوان و الإفك و البهتان، و ما لا يحصى بالعد من أنواع الفواحش و العصيان، و يظلم أبناء جنسه و غيرهم، و يجتهد فى الفجور، و يتصرف بما[7] لا يشك[8] هو فى أنه لا يقره ١٠
عليه من له أدنى نظر ممن يلزمه أمره[9] و يعنيه شأنه، فصار بذلك أحط رتبة من البهائم بل من أدنى الحشرات المستقذرات لأنها و إن كانت لها شهوات إلا أنها ليس لها عقل تغطيه بها و تطمس نوره بظلامها، فلا تنسب إلى أنها فوّتت شيئا لعدم تكليفها لعدم العقل الموجب للشرف، و أما هو فاستعمل ما خلقناه له من الآلات، و ما فضلناه به من الكمالات، ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بالكسر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: استتات - كذا (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كثير (٥) زيد من ظ (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: فصار (٧) من ظ و م، فى الأصل: فيما (٨) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: امر.

فى غير ما خلقناه له فاستحق[1] العذاب المهين، ثم يموت من[2] غير مجازاة على[3] شيء من ذلك أو على كثير منه[4]، فلا بد فى الحكمة حينئذ من بعثه، و له بعد البعث عند ربه على ذلك عذاب مقيم. و أما فى خلقه فبالهرم حتى صار بعد تلك القوى ضعيفا، و بعد ذلك العز ذليلا مهينا، و بعد ٥ ذلك العلم الغزير و الفكر المنير لا يعلم شيئا، و صار يستقذره[5] و ينكره من كان يألفه و يستعطره، و قال ابن رجان: أما رده فى طريق الديانة فبالكفر و التكذيب، و أما فيما سبيله الجزاء فبالمسخ فى دار البرزخ و تحويل صورته إلى ما غلب[6] عليه خلقته و عمله فى[7] الدنيا من الدواب و الهوام و البهائم، و فى الآخرة تزرق عيناه و يشوه خلقه[8]، و قال ١٠ الإمام ابو العباس الأقليشى[9] فى شرح «المقدم المؤخر» من شرحه الاسماء الحسنى: إن الله تعالى خلقه - أى الإنسان - أولا فى أحسن تقويم، ثم ركبه فى هذا الجسم الذى يجذبه إلى أسفل سافلين[10]، فان قدم عقله على هواه صعد إلى أعلى عليين، و كان من المقربين المقدمين، و إن قدم هواه هبط إلى أدراك الجحيم، و كان من المبعدين المؤخرين.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فلان فقد استحق (٢) من ظ، و فى الأصل و م: على (٣) من ظ، و فى الأصل و م: من (٤) زيد فى الأصل و ظ: بل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: قلب (٧) زيد فى الأصل: دار، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: خلقته (٩) راجع معجم المؤلفين ١٨١/٢ (١٠) من ظ و م، و فى الاصل: السافلين.

و لما حكم بهذا الرد على جميع النوع إشارة إلى كثرة المتصف به منهم، و كان الصالح قليلا جدا، جعله محط الاستثناء فقال: ﴿الا الذين ءامنوا﴾ أى بالله و رسله[1] فكانوا [من -[2]] ذوى البصائر و المعارف، فغلبنا بلطفنا عقولهم بما دعت إليه و أعانت عليه الفطرة الأولى على شهواتهم، و حميناهم[3] من أرذل / العمر، فكانوا [كلما -[4]] زدناهم ٥ سنا زدنا أنوار عقولهم و نقصنا نار شهواتهم بما أضعفنا من إحكام طبائعهم و تعلقهم بهذا العالم، و أحكمنا من مدارك أنوار الحق و إشراقاته[5] منهم، و أعظمنا من قوى أرواحهم.

/ ٨٠٣

و لما كان الإنسان قد يدعى الإيمان[6] كاذبا قال: ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿الصّٰلحٰت﴾ أى من محاسن الأعمال من[7] ١٠ الأقوال و الأفعال ثابتة الأركان على أساس الإيمان، محكمة بما آتيناهم من العلم غاية الإحكام، متقنة غاية الإتقان، فانا حفظناهم - و قليل ما هم - بما كملناهم به و شرفناهم على جميع الحيوانات و سائر من سواهم فلم نمكن منهم الشهوات و لا غيرها، و أقمناهم[8] على ما اقتضاه منهاج العقل، فتبعوا الرسل بسبب إبقائنا لهم على الفطرة الأولى فى أحسن تقويم، لم يدنس ١٥ محياها بشهوة و لا حظ و لا هوى، فسهل انقيادهم، فأداهم ذلك إلى العدل

(١) من ظ و م، و فى الأصل: رسوله (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: حمياتهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اشراقاتنا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الان (٧) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٨) فى ظ و م: اقمنابهم

و النصفة و الإحسان، و جميع مكارم الأخلاق و معالي الأمور، و لم يزيغوا عن [منهاج -[1]] الرسل في قول ولا عمل، فالآية [كما ترى -[1]] من الاحتباك: حذف أولا بما أفهمته الآية عمل السيئات. و ثانيا الإبقاء على أصل الخلق في أحسن تقويم على الفطرة الأولى، ليكون نظمها في ٥ الأصل: "ثم رددناه أسفل سافلين[2]" بعمل السيئات فله على ذلك[3] عذاب مهين "الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات" فانا أبقيناهم على الفطرة الأولى في[4] أحسن تقويم.

و لما كان السياق لمدح المؤمنين، حسن أن يعد أعمالهم التي تفضل عليهم بها سببا كما منّ عليهم [5] به من الثواب[5] فقال: ﴿فلهم﴾ أي ١٠ فتسبب عن ذلك أن كان لهم في الدارين على ما وفقوا له مما يرضيه سبحانه و تعالى ﴿اجر﴾ أي عظيم جدا وهو مع ذلك ﴿غير ممنون﴾ أي مقطوع أو يمن عليهم به حتى في حالة المرض و الهرم [لكونهم -[1]] سعوا في مرضاة الله سبحانه و تعالى و عزموا عزما صادقا أنهم لا ينقصون من أعمال البر ذرة و[6] لو عاشوا مدى الدهر، و ذلك الأجر جزاء لأعمالهم ١٥ فضلا منه بالأصل[7] و الفرع حتى انهم إذا عجزوا بالهرم كتب لهم أجر ما كانوا يعملون في حال الصحة، و لمن تابع هواه في السفول عذاب عظيم لأنه رد أسفل سافلين[2].

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: السافلين (٣) في ظ: بذلك (٤) من ظ و م، و في الأصل: على (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: بالثواب (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: بالأصف.

و لما

و لما ثبت بهذا انه لا يجوز فى الحكمة تركهم بغير[1] جزاء مع ما يشاهد[2] من ظلم بعضهم لبعض معاندة لما يقتضيه [قويم -[3]] العقل الذى لاشك[4] فيه، فكان ذلك بحيث لا يرضاه أحد منهم و لا يقر مخلوق عبيدا فى ملكه على مثله بأن يبغى بعضهم على بعض فيهملهم[5] بل لا بد أن يحجز بينهم أو يأخذ للظلوم من الظالم، و لو كان ذلك المالك أقل الناس ٥ و أجهلهم فكيف إن كان عاقلا فكيف إن كان حاكما فكيف / إن كان لا يخاف أحدا فكيف إن كان عدلا مقسطا قد[6] ثبتت إحاطة علمه و قدرته سبحانه و تعالى، حسن كل الحسن[7] أن يكون ذلك سببا الانكار على من يظن أن الله يهمل عباده من الحكم بينهم لمجازاة كل من المطيع والعاصى بما[8] عمل مع ما ترى من ظلم بعضهم لبعض، و أن الظالم قد[9] ١٠ يموت قبل القصاص، فقال مسببا عن الوعد بما افصح[10] به الكتاب من إثابة المؤمنين الذين طالما بغى عليهم الظلمة، و انتقصهم[11] حقوقهم الفسقة، و الوعيد بما أفهمه الخطاب لعتاب المجرمين الذين طالما بغوا على غيرهم: ﴿فما﴾ أى فتسبب عن إقامة الدليل على تمام القدرة و على بغى العبيد بعضهم على بعض أنه يقال لك تصديقا لك فيما أخبرت به من [أن -[3]] ١٥

/ ٨٠٤

(١) من ظ و م، وفى الأصل: من غير (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يشا. - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: لا يشك (٥) من م، و فى الأصل و ظ: فيمهلهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الحق (٨) من ظ و م، و فى الأصل: على (٩) سقط من ظ و م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: افتتح (١١) من ظ و م، و فى الأصل: انقصوهم.

الله سبحانه و تعالى يبعث الخلائق بعد موتهم ليجازى كلا بما عمل و إنكارا على من كذبك : [ما -[1]] ﴿يكذبك﴾ أى أىّ شيء[2] ينسبك إلى الكذب يا أشرف الخلق و أكملهم نفسا و أتقاهم عرضا و أطهرهم خلقا و خلقا، و عبر بـ «ما» [3]إشاره إلى[3] أن الكذب بهذا مع [هذا -[4]]
٥ الدليل القطعى الذى تضمنته هذه السورة فى عداد ما لا يعقل بل دونه ﴿بعد﴾ أى بعد مشاهدة بغى بعض الناس على بعض استعمالا لحال[5] النكس، و أعراه من الجار إشارة إلى أن هذا الذم لمن استغرق زمانه الذى بعد هذا الدليل بالتكذيب، إشارة إلى أن من آمن قبل الغرغرة و [6]اتصل إيمانه ذلك بموته[6] كان ممن له أجر غير ممنون ﴿بالدين ۞﴾ أى الجزاء لكل أحد
١٠ بما يستحقه على سبيل العدل و الإنصاف لأجل تلك الأعمال التى غلبت فيها الحظوظ على العقول، فوقع بها من الظلم و الأذى ما لا يسع عاقلا من العباد أن يحسن عنده ترك فاعلها من غير[7] جزاء حتى كان أكثر أفعال العباد ظلما، و من شأن الملوك الإنصاف بين عبيدهم و رعاياهم، فكيف بالله سبحانه و تعالى الذى شرع لعباده ذلك، و قد ثبت بما له
١٥ من هذا الخلق العظيم، على هذا النظام المحكم و المنهاج الأقوم أنه الحكيم، الذى لا حكيم غيره، العليم الذى لا عليم سواه .

---

(١) زيد من م (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ادت الاشارة اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لحالة. (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اتصلت السعادة بإيمانه حين موته (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم .

و لما صح أن تارك الظالم بغير[1] انتقام و المحسن بلا إكرام ليس [على - [2]] منهاج العدل الذى شرعه[3] الله تعالى، حسن جدا تكرير الإنكار بقوله سبحانه و تعالى: ﴿أليس الله﴾ أى على ما له من صفات الكمال، و أكده بالجار فى قوله: ﴿بأحكم الحكمين ﴾ أى حتى يدع الخلق يهلك بعضهم بعضا من غير جزاء، فيكون خلقهم عبثا، بل هو أحكم ٥ الحاكمين علما و قدرة وعدلا و حكمة بما شوهد[4] من إبداعه الخلق و مفاوتته بينهم، و جعل الإنسان [من - [2]] بينهم على أحسن تقويم، فلا بد أن يقيم الجزاء و يضع الموازين القسط / ليوم القيامة فيظهر عدله وحكمته / ٨٠٥ و فضله، و هذا الآخر هو أولها قسما من جهة النبوات التى ظهر بها حكمه و حكمته، و مقسما عليه من حيث أن الخلق فى أحسن تقويم يقتضى ١٠ العدل لا محالة، و الرد أسفل سافلين[5] يتقاضى الحكم حتما لأجل ما يقع من الظلم و التشاجر بين من استمر على الفطرة القويمة و من رد لأسفل سافلين، و قد اشتملت هذه السورة على وجازتها على جميع مقاصد التوراة إجمالا، و زادت الدلالة على الآخرة، و ذلك أن قسمها هو قوله فى التوراة «أتانا ربنا من سيناء و شرق لنا من جبل ساعر، و ظهر لنا ١٥ من جبال فاران[6] » و الخلق فى [أحسن - [2]] تقويم هو خلق آدم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فغير (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : شرحه (٤) زيد فى الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : السافلين (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ظران .

عليه الصلاة و السلام المذكور فى أولها و خلق زوجه و ما يحتاجان إليه من السماء و الارض ، و خلق الأصفياء من أولادهما و ما جاؤا به من الخير ، و الذين آمنوا و عملوا الصالحات هو ما فيها من الشرائع و الأحكام ، و قوله بعد ما تقدم من المعبر بالمقسم عنه «معه ربوات ٥ الأطهار عن يمينه أعطاهم و حببهم إلى الشعوب ، و بارك على جميع أطهاره» و الرد أسفل سافلين هو ما ذكر أولها من العصاة من قابيل و من بعده إلى آخرها ، على ما أشار إليه من عصيان بنى إسرايل الموجب للعنهم ، فقد اكتنفت بأول التوراة و آخرها و أوسطها ، و أبتدأ بآخرها لأنه فى النبوات ، و هى أهم المهم لأنها المنجية من شر قطاع الطريق ، و آخرها ١٠ أدل ما فيها على النبوات[1] لاسيما الثلاث [العظام -[2]] المشار إليها بقسم هذه السورة - [3]و الله سبحانه و تعالى أعلم بالغيب[3] .

---

(١) زيد فى الأصل : والله الهادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

(٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) فى ظ : والله الهادى الى الصواب واليه المرجع والمآب ، و فى م : والله الهادى .

سورة العلق[1] و تسمى اقرأ

[2]مقصودها الأمر لاسيما للقصود بالتفصيل فى سورة التين بعبادة من له الخلق و الأمر، شكرا لإحسانه و اجتنابا لكفرانه، طمعا فى جنانه و خوفا من نيرانه، لما[3] ثبت من أنه يدين العباد يوم[4] المعاد، و كل من اسميها دال على ذلك لأن المربى يجب شكره، و يحرم غاية التحريم كفره، على ٥ أن "اقرأ"، يشير إلى الأمر، "و العلق" يشير إلى الخلق، و "اقرأ" يدل على البداية و هى العبادة بالمطابقة، و على النهاية و هى النجاة يوم الدين باللازم، و العلق يدل على كل من النهاية ثم البداية بالالتزام، لأن من عرف أنه مخلوق من دم عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فان التراب أقبل للحياة من الدم، و من صدق [بالإعادة -[5]] ١٠ عمل لها، و خص العلق لأنه مركب الحياة، و لذلك سمى[6] نفسا ﴿بسم الله﴾ الذى له صفات الكمال فاستحق التفرد بالإلهية / ﴿الرحمن﴾ الذى عمت / ٨٠٦ نعمته فاستوجب الشكر من سائر البرية ﴿الرحيم ﴾ الذى وفق من شاء

---

(١) السادسة و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ١٩ .
(٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ، و فى الأصل و م: كما (٤) زيد فى الأصل: القيامة و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: سميا .

من خواصه لما أنالهم به[١] المواهب السنية [٢] و العطايا الوفية[٢] .

لما أمره سبحانه و تعالى فى الضحى بالتحديث بنعمته ، و ذكره بمجامعها فى " ألم نشرح " فأنتج ذلك إفراده بما أمره به[٣] فى ختمها من تخصيصه بالرغبة إليه ، فدل فى الزيتون على أنه أهل لذلك لتمام قدرته ٥ الذى يلزم منه[٤] أنه لاقدرة لغيره إلا به ، فأنتج ذلك تمام الحكمة فأثمر قطعا البعث[٥] للجزاء فتشوف السامع[٦] إلى ما يوجب حسن الجزاء فى ذلك اليوم و بأىّ وسيلة يقف بين يدى الملك الأعلى فى يوم الجمع الأكبر من خصال الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، فأرشد[٧] إلى ذلك فى هذه السورة ، فقال بادئا بالتعريف بالعلم الأصلى ذاكرا أصل من خلقه سبحانه و تعالى ١٠ فى أحسن تقويم و بعض أطواره الحسنة و القبيحة تعجيبا من تمام قدرته سبحانه و تعالى و تنبيها على تعرفها و إنعام[٨] النظر فيها ، و قدم الفعل العامل فى الجار و المجرور هنا لأنه أوقع فى النفس لكونها أول ما نزل فكان الأمر بالقراءة أهم : ﴿ اقرأ ﴾ و حـــذف مفعوله إشارة إلى أنه لا قراءة إلا بما أمره به ، و هى الجمع الأعظم ، فالمعنى : أوجد القراءة لما ١٥ لامقروء غيره ، و هو القرآن الجامع لكل خير ، و أفصح له بأنه لايقدر

(١) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٣) فى م : بها (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : منها . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : البحث (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الشارع (٧) زيد فى الأصل : السياق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : امعان .

على ذلك إلا بمعونة الله الذى أدبه فأحسن تأديبه، و رباه[1] فأحسن تربيته،
فقال ما أرشد المعنى إلى [أن -[2]] تقديره: حال كونك مفتتحا القراءة
﴿باسم ربك﴾ أى بأن تبسمل، أو مستعينا بالمحسن إليك لما[3] له من الأسماء
الحسنى و الصفات العلى بما خصك به فى "ألم نشرح" أو بذكر اسمه،
و المراد على هذا بالاسم الصفات العلى، و عبر به لأنه يلزم من حسن ٥
الاسم حسن مدلوله، و من تعظيم الاسم تعظيم المسمى و جميع ما يتصف
به و ينسب إليه[4]، قالوا: و هذا يدل على أن القراءة لا تكون تامة
إلا بالتسمية، و لكونه فى سياق الأمر بالطاعة الداعى إليها تذكر النعم
لم يذكر الاسم الأعظم الجامع، و ذكر صفة الإحسان بالتربية الجامع
لما عداه و تأنيسا له صلى الله عليه و سلم لكونه أول ما نزل حين حبب ١٠
إليه الخلاء، فكان يخلو بنفسه[5] يتعبد ربه فى غار حراء، فجاءه جبريل عليه
الصلاة و السلام بخمس آيات من أول هذه السورة إلى قوله "ما لم يعلم"،
و لهذا السر ساقه مساق البسملة بعبارة هى أكثر تأنيسا فى أول الأمر
و أبسط منها، فأشار إلى الاسم الأعظم بما فى مجموع الكلام من صفات
الكمال، و أشار إلى عموم منة الرحمن بصفة / الخلق المشار إلى تعميمها[6] ١٥ / ٨٠٧
بحذف المفعول، و إلى خصوص صفة الرحيم بالأكرمية التى من شأنها

(١) من م، و فى الأصل و ظ: زيادة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الى ما (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: نعيمها.

بلوغ النهاية ، و ذلك لا يكون بدون إفاضة العمل بما يرضى ، فيكون سببا للكرامة[1] الدائمة ، و بالتعليم[2] الذى من شأنه أن يهدى إلى الرضوان ، و أشار إلى الاستعاذة[3] بالأمر بالقرآن لما أفهمه قوله سبحانه و تعالى "و اذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة - [أى من
٥ شياطين الإنس و الجن - [4]] - حجابا مستورا " - و قوله تعالى " فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " .

و لما خصه تشريفا[5] باضافة هذا الوصف الشريف إليه ، وصفه على جهة العموم بالخلق و الأمر إعلاما بأن له التدبير و التأثير ، و بدأ بالخلق لأنه محسوس بالعين ، فهو أعلق[6] بالفهم ، و أقرب إلى التصور ، و أدل
١٠ على الوجود و عظيم القدرة و كمال الحكمة[7] ، فكانت البداءة به فى هذه السورة التى هى أول ما نزل أنسب الأمور لأن أول الواجبات [8]معرفة الله[8] ، و هى بالنظر إلى أفعاله فى غاية الوضوح فقال : ﴿الذى خلق ج﴾ و حذف مفعوله إشارة إلى أن له هذا الوصف و هو التقدير و الإيجاد على وفق التقدير الآن و فيما كان و فيما يكون ، فكل شىء يدخل فى
١٥ الوجود فهو من صنعه و متردد بين إذنه و منعه و ضره و نفعه .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكرامة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالتعظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : سعاته - كذا (٤) زيد من ظ و م . (٥) زيد فى الأصل : بما خصه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : أعلم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : القدرة (٨-٨) فى ظ و م : معرفته سبحانه .

و لما كان الحيوان أكمل المخلوقات، و كان الإنسان أكمل الحيوان و زبدة مخضه، و لباب حقيقته و سر محضه، و أدل على تمام القدرة لكونه جامعا لجميع ما فى الأكوان، فكان خلقه أبدع من خلق غيره، فكان لذلك أدل على كمال الصانع[1] و على وجوب إفراده بالعبادة، خصه فقال: ﴿ خلق الانسان ﴾ أى هذا الجنس الذى من شأنه الأنس بنفسه ٥ و ما رأى من أخلاقه و حسه، و ما ألفه من أبناء جنسه.

و لما كانت العرب تأكل الدم، و كان الله تعالى قد حرمه لأنه[2] أصل الإنسان [3]و غيره من الحيوان[3] و هو مركب الحياة، فاذا أكل تطبع آكله بخلق ما هو دمه، قال معرفا بأنه [4]سبحانه و تعالى بنى هذه الدار[4] على حكمة الأسباب مع قدرته على الإيجاد من غير تطوير[5] فى تسبيب: ١٠ ﴿من علق ﴾ أى [خلق -[6]] هذا النوع من هذا الشىء و هو دم شديد الحمرة جامد غليظ، جمع علقة، و كذا الطين الذى يعلق باليد يسمى علقا، و هم[7] مقرّون بخلق الآدمى من الأمرين كليهما، فالآية من أدلة إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه على استعمال المشترك فى معنييه، و لعله عبر به ليعم الطين فيكون - مع ما فيه من الإشارة إلى بديع الصنعة - إشارة إلى ١٥ حرمة أكل ما هو أصلنا من الدم و التراب قبل أن يستحيل، فاذا

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الصنع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لأن.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: من الحيوان و غيره (٤-٤) فى ظ و م: بنى هذه الدار سبحانه و تعالى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تطور (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: هو.

استحال وصف بالحلال لأن الاستحالات لها مدخل فى الإحلالات[1]
٨٠٨ / فى النكاح و غيره /، و احمرار النطفة ليس استحالة لأنها كانت حمراء قبل
قصر الشهوة لها، وربما ضعفت الشهوة عن قصرها فنزلت [حمراء -[2]]،
فاذا تحول[3] الدم لحما صار إلى جنس ما يحل، وكذا إذا تحول التراب
٥ بمخالطة الماء تمرا[4] أو حبا حل.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال الله سبحانه و تعالى لنبيه
صلى الله عليه و سلم "فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين"
وكان معنى ذلك: أيّ شيء حمل على هذا بعد وضوح الأمر لك وبيانه
و قد نزهه سبحانه وتعالى عن التكذيب بالحساب و أعلى قدره عن ذلك،
١٠ و لكن سبيل مثل هذا إذا ورد كسبيل قوله تعالى "لئن اشركت ليحبطن
عملك" و بابه، و حكم هذا القبيل واضح فى حق من تعدى إليه الخطاب
و قصد بالحقيقة به من أمته صلى الله عليه و سلم من حيث عدم عصمتهم
و إمكان تطرق[5] الشكوك و الشبهة إليهم، فتقدير الكلام: أيّ شيء
يمكن[6] فيه أن يحملكم على التوقف أو التكذيب بأمر الحساب، و قد
١٥ وضح لكم ما يرفع الريب و يزيل الإشكال، ألم تعلموا أن ربكم أحكم
الحاكمين؟ أفيليق[7] به و هو العليم الخبير أن يجعل اختلاف أحوالكم فى

---

(١) من ظ، و فى الأصل: الاستحلالات، و فى م: الاستحالات (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: استحال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بحر (٥) من ظ و م، وفى الأصل: طريق (٦) من م، و فى الأصل و ظ: يمكنكم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يليق.

الشكوك بعد خلقكم فى أحسن تقويم؟ أفيحسن ان يفعل ذلك عبثا؟ و قد قال تعالى "و ما خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما باطلا" فلما[1] قرر سبحانه العبيد على أنه أحكم الحاكمين مع ما تقدم ذلك من موجب نفى الاسترابة فى نوع الحق إذا اعتبر و نظر، و وقعت فى الترتيب سورة العلق مشيرة إلى ما به يقع [الشفاء -[2]]، و منه يعلم الابتداء و الانتهاء، ٥ و هو كتابه المبين، الذى جعله الله تعالى تبيانا لكل شىء و هدى و رحمة و بشرى للمحسنين، فامر بقراءته ليتدبروا آياته فقال "اقرا باسم ربك" مستعينا به فسوف يتضح سبيلك و ينتهج دليلك "تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" و أيضا فانه تعالى أعلم عباده بخلقه الإنسان فى أحسن تقويم "ثم رددناه أسفل سافلين" و حصل منه على ما ١٠ قدم[3] بيانه افتراق الطرفين و تباين القائلين، كل ذلك بسابق حكمته و إرادته "و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها" و قد بين سبحانه لنا أقصى غاية ينالها أكرم خلقه و أجل عباده لديه من الصنف الإنسانى، و ذلك فيما أوضحت السورتان قبل من حال نبينا المصطفى صلى الله عليه و سلم و جليل وعده الكريم له فى قوله "و لسوف يعطيك ربك ١٥ فترضى" و فضل حال ابتداء "الم نشرح" على تقدم سؤال "رب اشرح" إلى ما أشارت إليه آى السورتين من خصائصه الجليلة، و ذلك أعلى مقام يناله[4] أحد ممن ذكر، فوقع [تعقيب -[2]] ذلك بسورة

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: وقد (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: تقدم (٤) فى ظ: لا يناله.

تضمنت الإشارة إلى حال من جعل فى الظرف الآخر من الجنس الإنسانى، و ذلك حال من أشير إليه من لدن قوله تعالى "ا رأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى" إلى قوله "كلا لا تطعه" ليظهر تفاوت / المنزلتين و تباين ما بين ٨٠٩ / الحالتين، و هى العادة المطردة فى الكتب، و لم يقع صريح التعريف هنا كما وقع فى الظرف الآخر ليطابق[1] المقصود، و لعل بعض من لم يتفطن ٥ يعترض هنا بأن هذه السورة من أول ما أنزل فكيف يستقيم مرادك من ادعاء ترتيبها على ما تأخر [عنها-[2]] نزولا، فنقول له: و أين غاب اعتراضك فى عدة سور مما تقدم بل فى معظم ذلك، و إلا فليست سورة البقرة من المدنى، و مقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السور على الترتيب الحاصل فى مصحف الجماعة إنما هو عليها و فيما بعد من المكى[3] ما لا يحصى، ١٠ فانما غاب عنك نسيان(؟) ما قدمناه فى الخطبة من أن ترتيب السور على ما هى عليه راجع إلى فعله عليه الصلاة و السلام أكان ذلك بتوقيف منه أو باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم على ما قدمناه، فارجع بصرك، وأعد فى الخطبة نظرك، و الله يوفقنا إلى اعتبار بيناته و تدبر آياته، و يحملنا فى ذلك على[4] ما يقربنا إليه بمنه [و -[5]] فضله - انتهى. ١٥

و لما أتم سبحانه ما أراد من أمر الخلق و هو الإيجاد [بالأسباب-[5]]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ليوافق (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) زيد من م.

بالتدريج

بالتدريج، أخذ فى التنبيه على عالم الأمر و هو الإبداع من غير أسباب، فقال مكررا للأمر بالقراءة تنبيها على عظم شأنها و تأنيسا له صلى الله عليه و سلم و[1] مسكنا لروعه و معلما أن من جاءه الأمر من قبله ليس كأربابهم: ﴿ اقرأ ﴾ و لما كان قد قال صلى الله عليه و سلم عند هذا الأمر إخبارا
بالواقع كما يقوله لسان الحال لو لم ينطق بلسان القال: ما أنا بقارئ، ٥
فكان التقـــدير: فربك الذى رباك فأحسن تربيتك و ادبك فأحسن تأديبك[2] أمرك بالقراءة و هو قادر على جعلك قارئا، عطف عليه [قوله -[3]]: ﴿ و ربك ﴾ أو يكون التقدير: و الحال أن الذى خصك بالإحسان الجم ﴿ الاكرم ۝ ﴾ أى الذى له الكمال الأعظم مطلقا من جهة الذات و من
جهة الصفات و من جهة الأفعال، فلا يلحقه نقص فى شيء من الأشياء ١٠
[أصلا -[4]] لأن حقيقته البعيد عن اللوم الجامع لمساوئ الاخلاق، فهو الجامع[5] لمعالى الأخلاق، و ليس غيره يتصف بذلك، فهو يعطيك ما لا يدخل تحت الحصر، و أشار إلى [أن -[4]] من ذلك أنه يفيض على[6] أمته الامية من العلم و الحظ ما لم يفضه على أمة قبلها على قصر أعمارهم، فقال مشيرا
إلى العلم التعليم، مشعرا بوصفه سبحانه بالمنح بالعلم إلى ترتيب الحكم بالأكرمية ١٥
على هذا الوصف الناقل للانسان من الحال العلق[7] السافل إلى هذا الحال

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تادبك (٣) زيد من م.
(٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الاصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٧) من م، و فى الأصل و ظ: العقلى.

العالى الكامل ﴿ الذى علّم ﴾ أى بعد[1] الحلم عن معاجلتهم[2] بالعذاب و العقاب[3] جودا منه من غير مانع من خوف عاقبة و لا رجاء منفعة ﴿ بالقلم ﴾ أى الكتابة به . و لما نبه بذلك على [ما فى - [3]] الكتابة[4] من المنافع التى لا يحيط بها غيره سبحانه و تعالى ، لأنها انبنت عليها استقامة أمور
٥ الدنيا و الدين فى الدنيا و الآخرة ، و هى كافية فى الدلالة على دقيق[5]
٨١٠ / حكمته / تعالى و لطيف تدبيره ، زاد ذلك عظمة على وجه يعم غيره فقال[6] : ﴿ علّم ﴾ أى[7] العلم الضرورى و النظرى ﴿ الانسان ﴾ أى الذى من شأنه الأنس بما هو فيه لا ينتقل إلى غيره بل ينساه إن لم يلهمه ربه إياه ﴿ ما لم يعلم ﴾ أى بلطفه و حكمته لينتظم[8] به حاله [فى دينه - [9]] من الكتاب
١٠ و السنة و دنياه من المعاملات و الصنائع ، فيفيض عليه من علمه اللدنى الذى لا سبب له ظاهر ما يعرف بـه ترتيب المقدمات بالحدود [و - [9]] الوسطى ، فيعلم النتائج ، و ما يعرف به الحدسيات ، و ذلك بعد خلق القوى و نصب الدلائل و إنزال الآيات . و لو كان ذلك بالأسباب فقط لتساوى الناس فى مدة التعليم [و - [9]] فى أصل المعلوم كما تساووا فى
١٥ مدة الحمل و أصل الإنسانية ، و قد ذكر سبحانه مبدأ الإنسان و منتهاه بنقله من أخس الحالات[10] إلى أعلاها تقريرا لربوبيته[11] و تحقيقا لأكرميته ،

---

(١) زيد فى ظ : محكم (٢-٢) فى ظ و م : بالعقاب (٣) زيد من ظ و م . (٤) زيد فى الأصل : و ما فيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل تدقيق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٧) زيد فى ظ : من (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لينظم (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الأحوال (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : الربوبية .

قال الملوی : و لو كان شیء من العطاء و النعم أشرف من العلم لذكره[1] عقب صفة الأكرمية - انتهى ، و فی ذلك إشارة إلى مزيد كرم العلماء بالتعليم ، و فی الآية الإشارة إلى مطالعة عالمی الخلق و الأمر ، قال الرازی ، و فی كل من العالمين خصوص و عموم - انتهى ، فالمعنى أنه يعلمك أيها النبی الكريم و إن كنت أميا لا تعلم الآن شيئا كما علم بالقلم من لم يكن يعلم ، ٥ فتكون أنت - بما أشارت إليه صفة الأكرمية على ما أنت فيه من الأمية - أعلم من أهل الأقلام ، و أعلى فی [كل - [2]] مقام سام .

و لما كان الدم أكثر الأخلاط و أشدها هيجانا[3] ، فان مرضه لا يشبهه شیء من أمراض بقية الأخلاط ، و كان مع ذلك سريع البرء إن أصيب علاجه و عولج بأمر قاهر أقوى منه ، و كان العلم قرين الغنى فی الأغلب ، ١٠ و كانت[4] زلة العالم تفوق زلة غيره ، قال معرفا بعد التعريف بالإلهيات بأمر النفس مبينا لقسم الإنسان المردود أسفل سافلين مقررا لحاله ، و رادعا له عن ضلاله : ﴿ كلآ ﴾ أی ارتدع أيها العالم عن الطغيان إن نلت الغنى حقا ﴿ ان الانسان ﴾ أی هذا النوع الذی هو نوعك و من شأنه الأنس بنفسه و النظر فی عطفه ﴿ ليطغىٓ ﴾ أی من شأنه - إلا من ١٥ عصمه الله سبحانه - أن يزيد على الحد الذی لا ينبغی له مجاوزته كما يزيد الخلط[5] الدموی ، و أكده لما لأكثر الخلق من التكذيب به فانه لا طاغی يقر بأنه طغى ﴿ ان ﴾ ای لأجل أن ﴿ راٰه ﴾ أی علم الإنسان نفسه

---

(١) من ظ و م ، و فی الأصل : لذكر (٢) زيد من ظ و م (٣) فی ظ و م : هيجا (٤) من م ، و فی الأصل و ظ : كان (٥) من ظ و م ، و فی الأصل : الحفظ .

علما وجدانيا ﴿ استغنىٰ[٥] ﴾ أى وجد له الغنى ، هذا هو الطبع الغالب فى الإنسان متى استغنى عن شىء عمى عن مواضع افتقاره ، فتغيرت أحواله معه ، و تجاوز فيه ما ينبغى له الوقوف عنده « و لا يملأ[٢] جوف ابن[١] آدم إلا التراب» و من كان مفتقرا[٢] إلى شىء كان منطاعا له كما فى حديث

٥ آخر أهل النار خروجا منها يقسم لربه أنه[٣] لا يسأل غير ما طلبه ، فاذا أعطيه و استغنى به سأل غيره حتى يدخل دار القرار ، [و -[٤]] لعله نبه بهذا على أن هذه الأمة المحتاجة ستفتح / لها خزائن الأرض فيطغيها /٨١١ الغنى كما أطغى من قبلها و إن كانوا هم ينكرون ذلك كما قال صلى الله عليه و سلم حين بشرهم بالفتوحات و قال : إنه يغدى على أحدكم بصفحة

١٠ و يراح عليه بأخرى[٥] ثم قال لهم : أنتم اليوم خير أم يومئذ ، فقالوا : بل يومئذ ، نتفرغ لعبادة ربنا ، فقال : بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ[٦] ، قال صلى الله عليه و سلم : و الله ما الفقر أخشى عليكم ، و لكن أخشى أن يبسط[٧] عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم - أو كما قال صلى الله عليه و سلم .

١٥ و لما كان لا دواء [لذلك -[٨]] مثل تذكر الجزاء . قال معرفا أن

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بنى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : معتقدا .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اخرى (٦) زيد فى الأصل : كما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٨) زيد من ظ و م .

الإنسان لايزال مفتقرا إلى مولاه فى حياته و [مماته -[1]] و غناه و فقره، محذرا له سوء حالاته مؤكدا لأجل إنكارهم ذلك: ﴿ان الى ربك﴾ أى المحسن إليك بالرسالة التى رفع بها ذكرك، لا إلى غيره من التراب ونحوه[2] ﴿الرجعى﴾ أى الرجوع الأعظم الثابت الذى لامحيد عنه، أما فى الدنيا فلا محيد عن الإقرار به، فانه لايقدر أحد على شىء إلا بتقديره، ٥ وأما فى الآخرة فبما أثبت فى برهانه فى سورة التين، فيحاسب الناس بأعمالهم، ويجازى كل أحد بما يستحق من ثواب أو عقاب، ففيه وعيد للطاغى [وتحقير -[1]] لغنى ينقطع.

و لما أخبر بطغيانه و عجل بذكر دوائه لأن المبادرة بالدواء لئلا[3] يتحكم الداء واجبة، دل على طغيانه مخوفا من عواقب الرجعى فى أسلوب ١٠ التقرير لأنه أوقع فى النفس و أروع[4] للب لأن أباجهل قال: لئن رأيت محمدا يعفر وجهه لأفضخن رأسه بصخرة، فجاء ليفعل ما[5] زعم فنكص على عقبيه و يبست يداه على حجره فسئل عما دهاه، فقال: إن بينى و بينه لهولا و أجنحة، و فى رواية: لخندقا من النار[6]، و فى رواية: لفحلا من الإبل، فما رأيت مثله، و لودنوت [منه -[7]] لأكلنى، و أصل الحديث فى صحيح ١٥ مسلم[8] عن أبى هريرة رضى الله عنه، [فقال -[7]]: ﴿ارءيت﴾ تقدم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: و غيره (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قبل ان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: آورع (٥) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٦) فى ظ: الغبار (٧) زيد من ظ (٨) راجع صفات المنافقين.

فى الأنعام أن هذا الفعل إذا لم يكن بصريا كان بمعنى أخبر، فالمعنى: [أخبرنى - [1]] هل علمت بقلبك علما هو فى الجلاء كرؤية بصرك ﴿ الذى ينهىٰ ﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار .

و لما كان أفحش ما يكون صد العبد عن خدمة سيده، قال معبرا ٥ بالعبودية منكرا للمبالغة فى تقبيح النهى و الدلالة على كمال العبودية: ﴿ عبدا ﴾ أى من العبيد ﴿ اذا صلّىٰ ﴾ أى خدم سيده الذى لا يقدر أحد أن ينكر سيادته بإيقاع الصلاة التى هى وصلته به، و هى أعظم أنواع العبادة لأنها مع كونها أقرب وصلة إلى الحق انقطاع و تجرد بالكلية عن الخلق، فكان نهيه له عن ذلك نهيا عن أداء الحق لأهله ١٠ حسدا أو بغيا، فكان دالا على أن من طبع [أهل - [1]] كل زمان عداوة أهل الفضل و صدهم عن الخير لئلا يختصوا [2] بالكمال .

و لما كان هذا أمرا خارجا عن الحد فى الطغيان، و كان السؤال إنما / هو عن رؤية حاله فى نهيه العبد عن الصلاة، لا عن رؤية ذاته، /٨١٢ فتشوف السامع إلى معرفة ذلك [الحال - [1]]، كرر التقرير بزيادة ١٥ التعجيب من حاله و التحذير، فقال مكررا العامل زيادة فى التأكيد و بيانا لأن هذا فى الحقيقة أول السؤال عن الحال: ﴿ ارءيت ﴾ أى أخبرنى [3] عن حاله ﴿ ان كان ﴾ أى هذا الناهى، و عبر بأداة الاستعلاء إشارة إلى أنه فى غاية الثبات و التمكن فقال: ﴿ على الهدىٰ ﴾ أى الكامل

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ د م، و فى الأصل: لئلا يختصموا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اخبرت .

فى الهداية فكف[1] عن نهى هـذا المصلى عن خدمة مولاه الذى هو معترف بسيادته و إن ادعى كذبا أن له شريكا كما أنه لاينهى عن السجود للأصنام .

و لما ذكر ما لعله يكون عليه فى تكميل نفسه ، ذكر ما لعله يعانيه من إنجاء غيره فقال: ﴿او امر﴾ أى ذلك الناهى ﴿بالتقوىٰ ﴾ ٥ أى التى هى عماد الدين ، و هى عمارة الباطن بالنور الناشئة عن الهدى ، و عمارة الظاهر لذلك ، المترشحة من عمارة الباطن ، الموجب لذلك ، فأمر هذا المصلى بملازمة خدمة سيده المجمع على سيادته ، و لاشك فى توحيده[2] بالربوبية بالإقبال على ما يرضيه من أفعال العبادة[3] ، ليكون ذلك وقاية للفاعل من سخطه فيأمن الهلاك . و الجواب محذوف تقديره : ألم يكن خيرا ١٠ له فليتدبر[4] كل أمر من أموره فلا يقدم عليه حتى يعلم بالدليل أنه هدى و تقوى .

و لما كان التقدير حتما كما هدى إليه السياق ما قدرته من جواب السؤالين ، بنى عليه قوله زيادة فى التوبيخ و التعجيب و التقريع استفهاما عن حال لهذا الناهى مناف[5] للحال الأول معيدا الفعل إيضاحا لذلك : ١٥ ﴿ ارءيت ﴾ أى أخبرنى أيها السامع و لا تستعجل ﴿ ان كذب ﴾ أى [أوقع -[6]] هذا الناهى التكذيب بأن المصلى على الهدى بخدمة سيده

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكيف (٢) فى ظ : توحده (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : العباد (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فيتدبر (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : منافيا (٦) زيد من ظ و م .

المتفق على سيادته، فكان بذلك مرتكبا للضلال الذى لا شك فى كونه ضلالا، و لايدعو إليه إلا الهوى •

و لما كان المكذب [قد -[1]] لايترك من كذبه، أشار إلى أن حال هذا على غير ذلك فقال: ﴿وتولّىٰ﴾ أى وكلف فطرته الأولى بعد
٥ معالجتها الإعراض عن قبول الأمر بالتقوى، و ذلك التولى إخراب الباطن بالأخلاق السيئة الناشئة عن التكذيب [و إخراب الظاهر بالأعمال القبيحة الناشئة عن التكذيب -[2]]، و الجواب محذوف تقديره: ألم يكن ذلك التولى و التكذيب شرا له لأن التكذيب و التولى من غير دليل شر محض، فكيف إذا كان الدليل قائما على ضدهما •

١٠ و لما عجب من حالته البعيدة عن العقل مع نفسه و مع أبناء جنسه، أنكر عليه معجبا من كونه يعلم أنه ليس بيده شيء، المنتج لأنه مراقب و حاله مضبوط غاية الضبط و ينسى ذلك، فقال ذاكرا مفعول «أرءيت» الثانى و هو لايكون إلا جملة استفهامية: [﴿ الم يعلم﴾ -[1]] أى يقع له علم يوما من الأيام ﴿ بان الله ﴾ أى و هو الملك الأعلى ﴿يرىٰ﴾ أى [له -[1]]
١٥ صفتا البصر و العلم على الإطلاق، فهو يعلم كل معلوم و يبصر كل مبصر، و من كان له ذلك كان جديرا بأن يهلك[3] من يراه على الضلال و الإضلال و ينصر / من يطيع امره على كل من يعاديه، و إنما جاء ٨١٣/ هذا الاستفهام الإنكارى على هذا الوجه لأنهم يعترفون بكل ما أنكر عليهم

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل: كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فيه

فيه و يلزمهم [بما يفعلون - ١] من عداوة النبي صلى الله عليه و سلم أن يكونوا منكرين له، و ذلك هو عين التناقض الذي لا أشنع عندهم منه، هذا و يمكن، و هو أحسن، أن تنزل الآية على الاحتباك فيقال: لما كان السؤال عن حال الناهي لأن الرؤية علمية لابصرية، فتشوف السامع إلى معرفتها. و كان للناهي حالان: طاعة و معصية، بدأ بالأولى لشرفها[٢] على ٥ الأسلوب الماضي في التقرير على سبيل التعجيب فقال: "ارءيت" أي أخبرني "ان كان" الناهي ثابتا في نهيه هذا متمكنا "على الهدى" أي الكامل "او" كان قد "امر" في ذلك الأمر [٣]أو في أمر[٣] ما من عبادة الأوثان و غيرها "بالتقوى" و حذف جواب السؤال عن هذا الحال لدلالة جواب الحال الثاني عليه، و هو ألم يعلم بأن الله يرى كل ١٠ ما يصح أن يرى، فينهى عنه إن كان مكروها و لا يقر عليه و يحاسب به ليزن هذا الناهي أفعاله بما شرعه سبحانه من الدليل العقلي و السمعي فيعلم أهي مما يرضيه ليقره[٤] عليه كما يقر [سائر - ١] ما يرضيه أو يسخطه فيمنعه منه. و لما ذكر ما يمكن أن يكون عليه حال الناهي من السداد، ذكر ما يمكن أن يكون عليه من الفساد، فقال مقررا معجبا معيدا ١٥ العامل لزيادة التعجيب على النمط الاول: "ارءيت ان كذب" أي هذا الناهي بالحق في وقت النهي - و لما كان لا يلزم من التكذيب التولي

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: اشرفها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: فيقره.

قال: " و تولى " أى عن الدين بنهيه هذا ، فكان على الضلال و الهوى متمكنا فى[1] ذلك بحيث [أنــه -[2]] لا يصدر عنــه فعل إلا فاسدا[3] " الم يعلم بان الله يرى " فيحاسب نفسه بما ارشد إليه سبحانه من البراهين فيعلم أن ما هو عليه[4] من الرشد إن كان الله يقره عليه و يمكنه منه أو الغواية ٥ إن كان ينهاه عنه و لا يقره عليه ، كما فعل بهذا الذى أقسم : ليرضخن رأس هذا المصلى ، و أقدم عليه بصخرته و هو عند[5] نفسه فى غاية القدرة على ذلك بزعمه فمنعه الله منه و رده عنه فرجع على عقبيه خاسئا ظاهرا عليه الجبن و الرعب و غيرهما مما يتحاماه الرجال[6] ، و يأنف منه الضراغمة الأبطال ، و الاحتباك هنا بطلب « أرءيت » جملة ليس هو من التنازع لأنه يستدعى ١٠ إضمارا و الجمل لا تضمر ، إنما هو من باب الحذف لدليل ، فحذف الكون[7] على الضلال ثانيا [8]لدلالة الكون[8] على الهدى [عليه -[2]] أولا ، و حذف " الم يعلم بأن الله يرى " أولا لدلالة ذكره[9] آخرا عليه ٠

و لما كان هذا الخبيث معرضا عن هذا العلم الذى هو معترف به كله ، و إنما[10] كان إعراضه لما[11] عنده من الحظوظ و الشهوات الموقعة له

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فاسد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عاته (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عنه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الرجل (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لكونه (٨-٨) من ظ و م ، و فى الاصل : للدلالة (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر (١٠) من ظ ، و فى الأصل و م : لما (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : مما ٠

- بحكم الرد[1] أسفل سافلين - إلى رتبة البهائم ، أى بأعظم أدوات الردع فقال: ﴿ كلا ﴾ أى ليس عنده علم بشيء من ذلك لسفول رتبته عن رتبة البهائم و لا فى يده شيء من الأشياء ، فهو لايقدر / على شيء مما رامه من الأذى ، فليرتدع عن تعاطى ذلك لأنه لايضر إلا نفسه . / ٨١٤

و لما كان نفى العلم عنه يوهم أنه فى عداد الغافلين الذين لاملامة عليهم ، بين أن انتفاء العلم عنه ليس عن غفلة يعذر صاحبها ، إنما هو عن تهاون بالخير[2] و رضى بالعمى و التقليد ، فهو من قسم الضال[3] الذى فرط فى استعمال القوة العلمية المذكور[4] فى الفاتحة ، فاستأنف الإخبار عنه فى جواب من يقول : فما يفعل [به -[5]] ؟ معبرا[6] بأداة الشك إقامة له و لغيره فى محل الرجاء لانتهائه إبقاء للتكليف و مؤكدا لأنهم منكرون : ﴿ لئن لم ينته لا ﴾ أى يفتعل[7] هذا الناهى لهذا العبد المطيع فيقف و يكف عما هو فيه من نهيه و تكذيبه و توليه .

و لما كان الحال غير محتاج إلى أكثر من التأكيد لإيقاع الفعل ، عبر بالحقيقة و لم ينقلها إشارة إلى أن هذا الناهى أقل من أن يحتاج فيه إلى فعل شديد ، بل أقل نفحة من العذاب تكفى فى إهلاكه ، و ما كان أصل التأكيد إلا تطيبيا[8] لقلوب الأولياء و تكذيبا للأعداء فقال[9] :

---

(١) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الخير (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الضلال (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : المذكورة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يعتقد (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تعليليا (٩) فى الأصل و ظ : قال ، و ساقط من م .

﴿ لنسفعاً ﴾ أى و الله لنأخذن و نقبضن قبضا و أخذا بشدة و عنف مع الجر و الاجتذاب و اللطم و الدفع و الغيظ أخذ من يعض ما خوذه و يذله و يسود وجهه و يقذره ﴿ بالناصية ﴾ أى بالشعر الذى فى مقدم رأسه و هو أشرف ما فيه، و[1] العرب لاتأنف من شيء أنفتهم من أخذ ٥ الناصية، و إذا انتكهت حرمة الأشرف فما بالك بغيره، و استغنى بتعريف العهد عن الإضافة .

و لما كان من المعلوم أن من صار فى القبضة على هذه الهيئة المهينة المزرية فهو هالك، اغتنى به عن أن يقول: و لنسحبنه بها على وجهه إلى[2] النار، و وصفها بما يدل على ذلك فقال مبدلا لأن البدل وصف بما قربه من المعرفة: ﴿ ناصية ﴾ أى عظيمة القبح ﴿ كاذبة ﴾ أى متعمدة ١٠ للكذب ﴿ خاطئة ﴾ فهى صادر[3] عنها الذنب من الكذب و غيره من غير تعمد، وأغلب أحوالها على [غير ـ[4]] صواب تارة عن عمد و تارة عن[5] غير عمد، و ما ذاك إلا لسوء جبلة صاحبها حتى كاد لا يصدر عنه فعل سديد، و وصفها بما هو لصاحبها على الإسناد المجازى مبالغة فى تكذيبه فى أنه لا يقدر على منع المهتدى أو إذلاله أو شيء من أذاه ألا إن ١٥ أذن له صاحب الأمر كله فيما يكون سببا لزيادة رفعته، [6]و فى[6] العدول عن الحقيقة، كأن يقال: ناصية كاذب خاطئ، بالإضافة إلى هذا المجاز،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لأن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ف .
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: صادرة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: او .

من

من الجزالة و الفخامة و الجلالة ما لا يخفى .

و لما كان هذا هو[1] غاية الإهانة ، و كان الكفار إنما يقصدون باعراضهم الشماخة و الأنفة و العز عن أن يكونوا أتباعا أذنابا ، و إنما عزهم بقومهم ، وأقرب من يعتز به الإنسان أهل ناديه ، و هم القوم الذين يجتمعون نهارا ليحدث بعضهم بعضا و يستروح بعضهم إلى بعض لما عندهم من التصافى ٥ لأنهم لا يتركون أشغالهم نهارا و يجتمعون لذلك إلا عن ذلك ، قال تعالى / مسببا عن أخذه على هذا الوجه[2] المزرى : ﴿فليدع﴾ أى دعاء استغاثة ﴿ناديه لا﴾ أى [القوم -[3]] الذين كانوا[4] يجتمعون معه[4] نهارا يتحدثون فى مكان ينادى فيه بعضهم بعضا من أنصاره و عشيرته ليخلصوه مما هو فيه ، و الذى نزلت فيه هو أبوجهل ، قال للنبى صلى الله عليه و سلم : أتهددنى ١٠ و أنا أكثر أهل[5] الوادى ناديا .

٨١٥/

و لما كان كأنه قيل : فلو دعا ناديه يكون ماذا ؟ قال : ﴿سندع﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿الزبانية لا﴾ أى الأعوان الموكلين بالنار ليجروه إليها ، و هم فى الأصل الشرط ، الواحد زبنية كهبرية[6] ، من الزبن و هو الدفع أو زبنى على النسبة ، أصلها زبانى و التاء عوض عن الياء ، و هم كل من ١٥ عظم خلقه ، و اشتد بطشه ، و قدا جتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من هذا [الفعل -[7]] خطا ، و لا موجب لحذفه من العربية لفظا ،

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : المذكور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤-٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٦) من القاموس ، و فى الاصول : كعفرية (٧) زيد من ظ و م.

و كأن المعنى فى ذلك - والله أعلم - أن لا يظن أنهم دعوا لرفعة لهم فى ذواتهم يستعان بهم بسببها لأن معنى الواو عند الربانيين العلو و الرفعة، إشارة إلى أنهم لا قوة لهم إلا بالقوى العزيز، أو يقال: إن الحذف دال على تشبيه الفعل بالأمر ليدل على أن هذا الدعاء أمر لابد من إيقاع مضمونه، و من إجابة المدعوين[1] إلى ما دعوا إليه، و أن ذلك كله يكون [على -[2]] غاية الإحكام، و الاتساق بين خطه و معناه و الانتظام، لاسيما مع التأكيد بالسين، الدال على تحتم الاتحاد و التمكين، أو يكون المعنى: إنا ندعوهم بأيسر دعاء و أسهل أمر، فيكون منهم ما لا يطاق و لا يستطاع[3] دفاعه بوجه، فكيف لو أكدنا دعوتهم و قوينا عزمتهم.

و لما كان الذى تقدم نهى الناهى للصلى و السفع بناصيته إن لم ينته و أمره بدعاء ناديه، و كان الحكم فى الأول أنه[4] لا يجيبه إلى ترك الصلاة، و فى الثانى أن الناهى لا ينتهى عن عصيانه بالتهديد[5] و أنه لا يفيده [دعاء -[6]] ناديه، فالكل منفى، حسن كل الحسن الإتيان بأداة الردع فقال: ﴿ كلا [4] ﴾ أى لا يقدر على دعاء ناديه و لا ينتهى عن أذاه للطيع بالتهديد فليرتدع عن كل [من -[6]] ذلك.

و لما كان كأنه قيل: فما أفعل؟ قال معرفا أن[7] من علم أنه

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المدعين (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى النهاية (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: اى.

طبع الزمان و أهله الفساد، وجب [عليه -[1]] الإقبال [على شأنه -[1]] و الإعراض عن سائر العباد ﴿لا تطعه﴾ أي في نهيه لك عن الطاعة بالصلاة أو غيرها .

و لما كان نهيه عن الصلاة التي هي عماد الدين، و كانت الصلاة يعبر عنها بالسجود لأنه - مع أنه جزؤها - هو أشرفها، و هو أيضا يطلق على ٥ مطلق العبادة، قال تعالى مشيرا إلى النصر له صلى الله عليه و سلم و لأتباعه على كل من يمنعهم عبادته[2]: ﴿و اسجد﴾ أي دم على صلاتك و خضوعك بنفسك وجدد ذلك في كل وقت . و لما كان السجود أقرب مقرب للعبد إلى الله قال: ﴿و اقترب ع السجدة﴾ أي اجتهد بسرك في بلوغ درجة القرب إلى ربك و التحبب إليه بكل عبادة لا سيما الصلاة فانه[3] أقرب ما يكون العبد ١٠ من ربه و هو ساجد، و قد شرح[5] / هذا المقام كما تقدم في الفاتحة / ٨١٦ قوله صلى الله عليه و سلم «أعوذ بعفوك [من -[1]] عقوبتك» فان هذه الجملة أفادت - كما قال الإمام الغزالي في كتاب الشكر[6] - مشاهدة أفعال الله فقط، فكأنه لم ير إلا الله و أفعاله، فاستعاذ بفعله من فعله، قال: ثم اقترب ففني في[7] مشاهدة الأحوال، و ترقى إلى مصادر الأفعال، و هي الصفات، فقال: ١٥ «أعوذ برضاك من سخطك» و هما صفتان، ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: عبادة لهم (٣) من ظ و م، و في الاصل: وانه (٤) من ظ و م، و في الأصل: الى (٥) من ظ و م، و في الأصل: صرح (٦) راجع الإحياء ٤/٥٦ (٧) في الإحياء: عن .

فاقترب و ترقى من [مقام - [1]] مشاهدة الصفات[2] إلى مشاهدة الذات[3] فقال «و أعوذ بك منك» فرارا[4] منه إليه من غير رؤية فعل و صفة، و لكنه رأى نفسه فارا منه إليه و مستعيذا و مثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه إذ[5] رأى ذلك نقصانا فاقترب فقال «أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصى ثناء عليك» فقوله
٥ «لا أحصى» [خبر عن - [6]] فناء نفسه و خروجه عن مشاهدتها، و قوله «[أنت - [7]] كما أثنيت» بيان أنه المثنى و المثنى عليه، و أن الكل منه بدأ و إليه يعود، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، فكان أول مقامه نهاية مقامات[8] الموحدين و هو أن لا يرى إلا الله و أفعاله فيستعيذ بفعل من فعل، فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره و مشاهدته
١٠ سوى الذات الحق، و لقد كان صلى الله عليه و سلم لا يرقى من مرتبة إلى أخرى إلا و يرى الأولى بعدا بالإضافة إلى الثانية، فكان يستغفر الله من الأولى، و يرى ذلك نقصا [فى - [7]] سلوكه و تقصيرا فى مقامه، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم «إنه ليغان[9] على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم و الليلة سبعين مرة» فكان [ذلك - [7]] لترقيه إلى سبعين مقاما
١٥ بعضها يعد نقصا لنقص أوائلها و إن كان مجاوزا أقصى غايات مقامات الخلق، و لكن كان نقصانا بالإضافة إلى أواخرها، فكان استغفاره لذلك.

---

(١) زيد من ظ و الإحياء (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذات (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الصفات (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اقرارا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اى (٦) زيد من الإحياء (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: مقام (٩) من م، و فى الأصل و ظ: ليعاد.

و لما قالت عائشة رضى الله عنها : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ، فما هذا البكاء فى السجود و ما هذا الجهد الشديد ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا - معناه : أفلا أكون طالبا للمزيد فى المقامات ، فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى "و لئن شكرتم لأزيدنكم" انتهى . و هو على ما ترى من النفاسة فمن أكثر من الدعاء فى سجوده ٥ فقمن أن يستجاب له ، و الصلاة لا تكون إلا بالقراءة ، فاذا فعلت ذلك احتجبت عن الأغيار بحجاب منيع[1] ، فازددت صفاء و صنت[2] حالك عن الغير - كما يرشد إليه ما فى صحف إبراهيم عليه الصلاة و السلام : ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه - [3]و الله أعلم[3] ، فقد رجع آخرها إلى الأول ، على أحسن وجه و أجمل [4] و أكمل - ١٠ و الله الهادى[4] .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالجمع (٢) زيد فى الأصل : احوالك و صفت ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة القدر[1]

مقصودها تفصيل الأمر الذى هو أحد قسمى ما ضمنه مقصود "اقرأ" و على ذلك دل اسمها لأن الليلة فضلت به ، فهو من[2] إطلاق المسبب على السبب ، و هو دليل / لمن يقول باعتياد تفضيل الأوقات لأجل ما ٨١٧ /
٥ كان فيها ، [كما -[3]] قال ذلك اليهودى فى اليوم الذى نزل فيه [4]قوله تعالى[4] "اليوم أكملت لكم دينكم" و أوره الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على ذلك و اعلمه أنه صار لنا عيدين : عيدا من جهة كونه يوم عرفة ، و عيدا من جهة[5] كونه يوم جمعة ﴿ بسم الله ﴾ الذى جل أمره و [6]تنزه ذاته[6] ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت رحمته فبدعت صفاته ﴿ الرحيم ﴾
١٠ الذى خص أهل التوحيد بإتمام النعمة فاختصت بهم جناته .

لما ذكر الله سبحانه و تعالى كتابه فى هذا الذكر العربى المعجز ، ذكر إنزاله مستحضرا فى كل قلب . كان ذلك مغنيا عن إعادته بصريح اسمه ، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما[7] فى السياق من القرائن الدالة عليه ، و بما له فى القلب من العظمة و فى الذهن من الحضور لاسيما فى هذه

---

(١) السابعة و التسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ه (٢) زيد فى الأصل : باب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) سقط من م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تنزهت صفاته (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كما .

السورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته، و ختمها بالصلاة التى هى أعظم أركانها، فكانت دلالتها عليه دلالة هى فى غاية الوضوح، فكان كأنه قال: و اقترب بقراءة القرآن فى الصلاة، فكان إضماره أدل على العظمة الباهرة[1] من إظهاره، لدلالة[2] الإضمار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو بحيث لا يحتاج إلى التصريح به، قال مفخما له بأمور: إضماره، و إسناد ٥ إنزاله إليه، و جعل ذلك فى مظهر العظمة، و تعظيم وقت إنزاله المتضمن لعظمة البلد الذى أنزل فيه - على قول الأكثر، و النبى الذى أنزل عليه، مؤكدا لأجل ما لهم من الإنكار: ﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ انزلنه ﴾ أى هذا الذكر كله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء [الدنيا -[3]] مرتبا هذا الترتيب الذى جمع الله الأمة المعصومة ١٠ عليه، و هو الموجود الآن، و كذا كان إنزال أول نجم منه، و هو أول السورة الماضية إنزالا مصدقا لأن عظمته من عظـمتنا بما له من الإعجاز فى نظمه، و من تضاؤل القوى عن الإحاطة بعلمه، و أول ما أنزل منه صدرها إلى خمس آيات منها [آخرها -[4]] «ما لم يعلم» على النبى صلى الله عليه و سلم و هو مجاور فى هذا الشهر الشريف بجبل حراء ١٥ من جبال مكة المشرفة، ثم صار ينزل مفرقا بحسب الوقائع حتى تم فى ثلاث و عشرين سنة، و كلما نزل منه نجم يأمر النبى صلى الله عليه و سلم

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لدلالته على (٣) زيد من م.
(٤) زيد من ظ و م.

بترتيبه فى سورته عن أمر الله تعالى حتى تم فى السور [1]على ما هو عليه الآن[1] على ما هو عليه فى بيت العزة .

و لما عظمه بما ذكر، زاده عظما بالوقت الذى اختار إنزاله فيه ليكون طالعه سعيدا[2] لما كان أثره حميدا فقال: ﴿فى ليلة القدر ج‍ صلے﴾ أى ٥ الليلة التى لها قدر عظيم و شرف كبير، و الأعمال فيها ذات قدر و شرف، فكانت بذلك كأنها مختصة بالقدر فلا قدر لغيرها[3] .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: ورد تعريفا بانزال ما تقدم الأمر بقراءته لما قدمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتب، و أن السلوك إليه سبحانه إنما هو من ذلك الباب، أعلم سبحانه و تعالى بليلة إنزاله ١٠ و عرفنا / بقدرها لنعتمدها فى مظان دعائنا و تعلق رجائنا و نبحث فى[4] ٨١٨/ الاجتهاد فى العمل لعلنا نوافقها و هى كالساعة فى يوم الجمعة فى إبهام أمرها مع جليل قدرها و من قبيل الصلاة الوسطى، و لله سبحانه فى إخفاء ذلك أعظم رحمة، و كان فى التعريف بعظيم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المنزل فيها، فصارت سورة القدر من تمام ما تقدم ١٥ و وضح اتصالها - انتهى .

و لما علم من السياق تعظيمها بعظمة ما أنزل فيها و بالتعبير عنها بهذا، قال مؤكدا لذلك التعظيم حثا على الاجتهاد فى إحيائها لأن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: سيدا . (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لغيره (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على . للانسان

للانسان من الكسل و التداعى إلى البطالة ما يزهده فى ذلك :
﴿ وما ادرٰىك ﴾ أى و أى شىء أعلمك وأنت شديد التفحص ﴿ ما ليلة القدر ۝ ﴾
أى لم تبلغ درايتك و أنت أعلم الناس غاية فضلها و منتهى[1] علىّ قدرها
على ما لك من سعة العلم و إحاطة الفكر و عظيم المواهب .

و لما ثبتت عظمتها بالتنبيه على أنها أهل لأن يسأل عن خصائصها، ٥
قال مستأنفا : ﴿ ليلة القدر لا ﴾ أى التى خصصناها بانزالنا [له - [٢]] فيها
﴿ خير من الف شهر ۝ ﴾ أى خالية [عنها - [٢]] أو العمل فيها خير من
العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، و ذلك ثلاث و ثمانون
سنة و أربعة أشهر ، قالوا : و هى مدة ملك[٣] بنى أمية سواء ، و تسميتها
بذلك لشرفها و لعظيم قدرها ، أو لأنه يفصل فيها من أم الكتاب مقادير ١٠
الأمور ، فيكتب فيها عن الله حكم ما يكون من تلك الليلة إلى مثلها
من العام المقبل ، من قولهم : قدر الله على هذا الأمر يقدره قدرا ، أى قضاه ،
و هى الليلة المرادة فى سورة الدخان بقوله تعالى " فيها يفرق كل أمر
حكيم " و ذكر الألف إما للبالغة بنهاية مراتب العدد ليكون أبلغ من
السبعين فى تعظيمها أو لأن النبى صلى الله عليه و سلم ذكر شخصا من مؤمنى ١٥
بنى إسراءيل ليس السلاح مجاهدا فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب المؤمنون
منه فتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعطاهم الله سبحانه و تعالى ليلة من قامها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : تنتهى (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ : دولة .

كان خيرا[1] من ذلك ، [2]و أبهمها[2] فى العشر الآخير من شهر رمضان فى قول الجمهور على ما صح من الأحاديث ليجتهدوا فى إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة و الصلاة الوسطى فى الخمس ، و اسمه الأعظم فى الأسماء ، و رضاه فى سائر الطاعات ليرغبوا فى جميعها ، و سخطه فى المعاصى ٥ لينتهوا عن جميعها ، و قيام الساعة فى الأوقات ليجتهدوا فى كل لحظة حذرا من قيامها ، و السر فى ذلك أن النفيس لايوصل[3] إليه إلا باجتهاد عظيم إظهارا لنفاسته و إعظاما للرغبة فيه و إيذانا بالسرور به ، لكن جعل السورة ثلاثين كلمة سواء يرجح أنها السابعة و العشرون التى وازاها[4] قوله هى - كما نقل عن أبى بكر الوراق .

١٠ و لما عظمها ، ذكر وجه العظم ليكون إعلاما بعد إبهام و هو أوقع فى النفس فقال مستأنفا :﴿تنزل﴾ أى تنزلا متدرجا هو أصلا على غاية ما يكون من الخفة و السرعة بما أشار إليه / حذف التاء ﴿الملآئكة﴾ ٨١٩ / أى هذا النوع العظيم الذى هو خير كله ﴿و الروح﴾ أى جبريل عليه الصلاة والسلام ، خصه بيانا لفضله أو هو مع أشراف الملائكة أو هو ١٥ خلق أكبر من الملائكة أو هو أمر تسكن إليه نفوس العارفين و يحصل به اليمن و البركة ﴿ فيها ﴾ و أشار إلى خفاء ذلك التنزل باسقاط تاء التنزل [مع -[5]] ما تقدم من الإشارات ، و دل على زيادة البركة فى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ثواب قيامها خير (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قائها - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لايتوصل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : وزاها (٥) زيد من ظ و م .

ذلك التنزل وعظيم طاعة الملائكة بقوله: ﴿بإذن ربهم ج﴾ أى بعلم المحسن إليهم المربى لهم وتمكينه، وتنزلهم إلى الأرض أو السماء الدنيا أو تقربهم من المؤمنين، مبتدئ تنزلهم[1] ﴿من كل امر لا﴾ أى الأمور الكلية التى يفرقون فيها بإذن [الله -[2]] تفاصيل الأمور التى يريدها سبحانه فى ذلك العام فى أوقاتها من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، أو من أجل ٥ تقدير كل شىء يكون فى تلك السنة، وعبر عن الشىء بالأمر إعلاما بأنهم لا يفعلون شيئا إلا بأمره.

ولما ذكر سبحانه هذه الفضائل، كانت النتيجة أنها متصفة بالسلامة التامة كاتصاف الجنة - التى هى سببها - بها، فكان ذلك أدل[3] على عظمتها فقال تعالى: ﴿سلم قف﴾ أى عظيم جدا ﴿هى﴾ أى ما هى إلا سلامة ١٠ وخير ليس فيها شر، ولا يزال ذلك السلام والبركة فيها ﴿حتى﴾ أى إلى ﴿مطلع الفجر ع﴾ أى طلوعه ووقت طلوعه وموضع طلوعه، لا يكون فيه شر كما فى غير ليلتها، فلا تطلع الشمس فى صبيحتها بين قرنى الشيطان إن شاء الله تعالى. وذلك سر قراءة الكسائى [بالكسر -[2]] - والله أعلم، واختير التعبير بـ «حتى» دون «إلى» ليفهم أن لما بعدها حكم ما قبلها، فيكون المطلع فى ١٥ حكم الليلة، وعن ابن عباس[4] رضى الله عنهما أن جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل ليلة القدر فى كوكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر يركزه

(١) من م، وفى الأصل وظ: نزلهم (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: دليل واضح، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) راجع اللباب ٧ / ٢٣٠ - رواية أنس.

فوق الكعبة، ثم يفرق الملائكة فى[1] الناس حتى يسلموا على كل قائم و قاعد و ذاكر و راكع و ساجد[2] إلى أن يطلع الفجر. فمن تأمل هذه السورة علم منها ما للقرآن من العظمة فأقبل عليه بكليته يتلوه حق تلاوته كما أمر فى سورة «اقرأ» فأمن من غير شك من هول يوم الدين

٥ المذكور فى التين. و من تلاوته بحقه تعظيم ليلة القدر لما ذكر من شرفها، و ذلك جار إلى الحرص عليها فى كل السنة. فان لم يكن ففى كل رمضان، فان لم يكن ففى جميع ليالى العشر الأخير منه، ليكون له من الأعمال بسبب فضلها و مضاعفة العمل[3] فيها ما لا يحصيه إلا الله تعالى بحيث أنه ربما يكون خيرا من عمل من اجتهد فيما قبلنا ألف سنة،

١٠ و رجوع آخرها بكون هذا التنزل فى ليلة القدر على أولها فى غاية الوضوح لأن أعظم السلام فيها نزول القرآن، و لعل كونها ثلاثين[4] كلمة إشارة إلى إن خلافة النبوة التى هى ثلاثون سنة بعد موت النبى صلى الله عليه و سلم الى آخرها يوم نزل أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنهما [فيه - [5]] عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه فى شهر

١٥ ربيع الأول سنة إحدى و أربعين هى كليلة القدر فى الزمان، و ما بعدها كليالى العام فيه الفاضل و غيره، و تلك المدة كانت لخمسة خلفاء / أشارت /٨٢٠ إليهم حروف الكلمة الأخيرة منها، فالألف لأبى بكر رضى الله عنه

(١) من م، و فى الاصل و ظ: بين (٢) زيد فى الأصل و ظ: و قارئ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الاعمال.
(٤) من م، و فى الأصل و ظ: تاثير - كذا (٥) زيد من ظ و م.

و هى

و هى فى غاية المناسبة له، فان الربانيين قالوا: هو اسم للقائم المحيط
الأعلى الغائب عن مقامه[1] لكنها الحاضر معه وجودا كالروح، و كذا كان
رضى الله عنه حاضرا مع[2] الأمة بوجوده و هو غائب عنهم بتوجهه،
و جميع قلبه إنما هو مع الله عز و جل، و اللام لعمر رضى الله عنه و هى
شديدة المناسبة[3] له فانها صلة بين باطن الألف و ظاهر الميم الذى هو ٥
لمحمد صلى الله عليه و سلم لأنه للتمام، و كذلك فعل - وصل بين السيرتين[4]
وصلا تاما بحيث وصل ضعف الصديق فى بدنه[5] و قوته فى أمر الله
بقوة رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى انتظم به الأمر انتظاما لامزيد
عليه، و الفاء لعثمان رضى الله تعالى عنه و هو إشارة لبدأ خلوص منته
لتنقل بمزيد أو نقص، و آيته[6] الفطرة الأولى، و آيتها المحسوسة اللبن أول ١٠
خروجه إذا أصابه أقل شىء من الهواء الممدود غيّره، و كذلك الفطرة
إذا أصابها أقل شىء من الهوى المقصود غيّرها، و كذا [كان -[7]] حاله
رضى الله تعالى عنه، حصلت له آفات الإحسان إلى أقاربه الذى قاده إليه
قويم فطرته حتى حصلت [له -[8]] الآفات الكبار رضى الله عنه، و الجيم لعلى
رضى الله عنه [و هو -[7]] إشارة إلى الجمع، و الإجمال الذى يحصل عنده ١٥
عنا و هو أنسب الأمور له رضى الله تعالى عنه فانه حصل به الجمع بعد

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مقاصد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ
و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للناسبة (٤) من ظ و م، و فى الأصل:
السورتين (٥) من ظ و م، و فى الأصل: باطنه (٦) من ظ و م، و فى
الأصل: انه (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ و م.

الافتراق العظيم بقتل [أمير المؤمنين -[1]] عثمان رضى الله تعالى عنه شهيدا مظلوما، و حصل به الإجمال لكن لم يتم التفصيل بسبب ما حصل من العناد، و الراء إشارة إلى الحسن رضى الله تعالى عنه و هى تطوير و تصيير[2] و تربية، و هى لكل مرب مثل زوج المرأة و سيد العبد، ٥ و لذلك فعل رضى الله عنـه لما رأى الملك يهلك بقتل المسلمين ما فعله بنزوله عن الأمر لمعاوية، فكان كالسيد أذن لعبده و ربى أمره به، و قد سماه النبي صلى الله عليه و سلم سيدا - رضى الله عنهم أجمعين، [و الله أعلم بالصواب -[3]].

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تصوير (٣) زيد من ظ.

سورة لم يكن[1] و تسمى القيامة و المنفكين

مقصودها الإعلام بأن هذا الكتاب القيم من علو مقداره و جليل آثاره أنه كما أنه لقوم نور و هدى فهو لآخرين[2] وقر وعمى، فيقود[3] إلى الجنة دار الأبرار، و يسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار، و على ذلك [دل-[4]] كل من أسمائها « الذين كفروا » « و المنفكين » بتأمل الآية فى انقسام الناس ٥ إلى أهل الشقاوة و أهل الهداية، و كذا القيامة بانقسام أهل الدعوة فيها بحسب الإرادة إلى القسمين : أهل الشقاوة و أهل السعادة ﴿بسم الله﴾ الذى له / العلو المطلق فلا يخرج شيء عن مراده ﴿ الرحمن ﴾ الذى / ٨٢١ عم بنعمة إيجاده و بيانه جميع عباده ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وداده بالأعمال الصالحة[5] المتكفلة بانجاء العامل بها و إسعاده. ١٠

لما أخبر سبحانه و تعالى أن الليلة الشريفة التى صانها بنوع خفاء فى تنزل من يتنزل فيها و فى تعيينها لا تزال قائمة على ما لها من تلك الصفة حتى يأتى الفجر الذى يحصل به غاية البيان، أخبر أن أهل الأديان سواء كان لها أصل من[6] الحق أم لا لم يصح فى العادة الجارية على حكمة الأسباب [7]فى دار الأسباب[7] أن يتحولوا عما هم فيه إلا بسبب عظيم ١٥

---

(١) الثامنة و التسعون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها ٨ (٢) من ظ و م، و فى الأصل : لآخر (٣) من ظ و م، و فى الأصل : فيقول (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ و م (٦) فى ظ : فى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

يكون بيانه أعظم من بيان الفجر، و هو القرآن المذكور فى القدر
و الرسول المنزل عليه ذلك فقال: ﴿ لم يكن ﴾ أى فى مطلق الزمان
الماضى و الحال و الاستقبال كونا هو كالجبلة و الطبع، و هذا يدل على
ما كانوا عليه قبل ذلك من أنهم يبدلون ما هم عليه من الكفر أو الإيمان
٥ بكفر أو بدعة[1] ثم لايثبتون عليه [لأن - [2]] ذلك ليس فى جبلاتهم،
و إنما هو خاطر عارض كما هو محكى عن سيرتهم من بعد موسى عليه
الصلاة و السلام [لما كانت تسوسهم الأنبياء عليهم السلام - [2]] كما دل
على بعض ذلك قوله تعالى "فعموا و صموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا
و صموا" و كذا المشركون كانوا يبدلون دين إسماعيل عليه الصلاة
١٠ و السلام و لاينفصلون عنه بالكلية، و تارة يعبدون الأصنام، و تارة
الملائكة، و أخرى الجن، و لم يكونوا يثبتون على حالة واحدة ثباتا كليا
مثل ثباتهم على الإسلام بعد مجيء البينة و نسيانهم أمور الجاهلية بالكلية
حتى نسوا الميسر[3]، فلم يكن أحد من أولادهم يعرف كيفيته و كذا السائبة
و ما معها و غير ذلك من خرافاتهم ﴿ الذين كفروا ﴾ أى سواء كانوا
١٥ عريقين فى الكفر أم لا.

و لما كان العالم أولى باتباع الحق و أشد جرما عند فعل ما يقتضى
اللوم، بدأ بقوله: ﴿ من اهل الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى الذين
كان أصل دينهم حقا، فألحدوا فيه بالتبديل و التحريف و الاعوجاج

(١) من م، و فى الأصل و ظ: ببدعة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م،
و فى الأصل: المسير.

فى

فى صفات الله تعالى، ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته فى الفروع و موافقته فى الأصول فكذبوا ﴿و المشركين﴾ اى بعبادة الأصنام و النار و الشمس و نحو ذلك ممن هم عريقون فى دين لم يكن له أصل فى الحق بأن [لم -[1]] يكن لهم كتاب ﴿منفكين﴾ أى منفصلين زائلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث[2] لا يبقى لهم به ٥ علقة، و يثبتون على ذلك الانفكاك، و أصل الفك الفتح و الانفصال لما كان ملتحما، من فك الكتاب و الختم و العظم - إذا [3]زايل ما[3] كان ملتصقا و متصلا به، أو عما فى أنفسهم من ظن اتباع الحق إذا[4] جاءهم الرسول المبشر به بما كان أهل الكتاب يستفتحون به و المشركون يقسمون بالله جهد أيمانهم "/ لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم"[5] - ١٠ / ٨٢٢ الآية، فيصيروا بذلك أحزابا و فرقا ﴿حتى﴾ أى [إلى -[1]] أن ﴿تاتيهم﴾ عبر بالمضارع لتجدد البيان فى كل وقت بتجدد [6]الرسالة و التلاوة[6] ﴿البينة ۝﴾ أى الآية التى هى فى البيان كالفجر المنير الذى لا يزداد بالتمادى إلا ظهورا وضياء و نورا، و ذلك هو الرسول و ما معه من الآيات التى[7] أعظمها الكتاب سواء كان التوراة أو الإنجيل أو الزبور ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: حيث (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ازال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اذ (٥) زيد فى الأصل و ظ: فلما جاءهم نذير، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: التلاوة و الرسالة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الذى.

أو الفرقان، و لذلك أبدل منها قوله: ﴿رسول﴾ أى عظيم جدا، و زاد عظمته بقوله واصفا [له -[1]] : ﴿من الله﴾ [أى -[1]] الذى له الجلال و الإكرام ﴿يتلوا﴾ أى يقرأ قراءة متواترة ذلك الرسول بعد تعليمنا له ﴿صحفا﴾ جمع صحيفة و هى القرطاس و المراد ما فيها، عبر بها ٥ عنه لشدة المواصلة ﴿مطهرة ۙ﴾ أى هى فى غاية الطهارة [2]و النظافة[2] و النزاهة من [3]كل قذر[3] بما جعلنا لها من البعد من[4] الأدناس بأن الباطل من الشرك بالأوثان و غيرها من كل زيغ لا يأتيها من بين يديها و لا من خلفها و أنها لا يمسها إلا المطهرون، و قراءته و إن كان [5]أميا لمثل[5] ما فيها قراءة لها . و لما عظمه بأن وصف صحفه التى [هى -[1]] محل ١٠ المكتوب بالطهارة، بين سبب ذلك فقال: ﴿فيها﴾ أى تلك الصحف ﴿كتب﴾ جمع كتاب أى علوم هى لنفاستها[6] حقيقة بأن تكتب ﴿قيمة ۗ﴾ أى هى فى غاية الاستقامة لنطقها بالحق الذى لا مرية فيه ليس[7] فيها شرك و لا عوج بنوع من الأنواع، فاذا أتتهم هذه البينة انفكوا [و -[1]] انفكاكهم أنهم كانوا مجتمعين[8] قبل هذا، أهل الكتاب يؤمنون ١٥ بالنبى صلى الله عليه و سلم لما عندهم من البشائر الصريحة به، و المشركون يقولون: لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم، و يقولون: نحن

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : القدر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كنفاستها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : مجمعين .

نعرف الحق لأهله و لا ندفعه بوجه ، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا شبهة فيه تفرقوا ، فبعضهم[1] آمن و بعضهم [2] كفر .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هي من كمال[3] ما تقدمها لأنه لما أمره عليه الصلاة و السلام بقراءة كتابه الذى [به -[4]] اتضحت سبيله و قامت حجته ، [و -[4]] أتبع ذلك بالتعريف بليلة إنزاله وتعظيمها ٥ بتعظيم ما أهلت له مما أنزل فيها ، أتبع ذلك بتعريفه[5] صلى الله عليه و سلم بأن هذا الكتاب هو الذى كانت اليهود تستفتح به على مشركى العرب و تعظم أمره و أمر الآتى به ، حتى إذا حصل ذلك مشاهدا لهم كانوا هم[6] أول كافر به ، فقال تعالى "لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكين حتى تأتيهم البينة - إلى قوله : و ذلك دين القيمه" ١٠ و فى التعريف بهذا تأكيد ما تقدم بيانه مما يثمر الخوف و ينهج باذن الله التسليم و التبرؤ من أدعاء حول أو قوة ، فان هؤلاء قد كانوا قدم إليهم فى[7] أمر الكتاب و الآتى / به[8] يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة / ٨٢٣ و الإنجيل ، و قد كانوا يؤملون الانتصار به عليه الصلاة و السلام من أعدائهم و يستفتحون بكتابه ، فرحم الله من لم يكن عنده علم منه كأبى بكر ١٥ و عمر و أنظارهما رضى الله عنهم أجمعين ، و حرم[9] هؤلاء الذين قد كانوا

(١) فى ظ و م : فبعض (٢) فى ظ وم : بعض (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : كلام (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بتعريف النبي .
(٦) سقط من م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : من (٨) زيد فى ظ : ما .
(٩) من م ، و فى الأصل و ظ : رحم .

على بصيرة من امره و جعلهم بكفرهم شر البرية، و رضى[1] عن الآخرين و رضوا عنه، و أسكنهم فى جواره و منحهم الفوز الأكبر و الحياة الأبدية و إن كانوا قبل بعثه عليه الصلاة و السلام على جهالة و عمى، فلم يضرهم إذ قد سبق لهم فى الأزل "أولئك هم خير البرية _" انتهى.

٥ و لما كان التقدير: فاذا أتتهم البينة انفكوا، فلقد تفرق المشركون بعد إتيانك و أنت البينة العظمى إليهم إلى مهتد و ضال، و الضال إلى مجاهر[2] و مساتر، و كذا اهل الكتاب، ثم [ما -[3]] اجتمع العرب على الهدى إلا من بعد ما جاءتهم البينة، عطف على هذا الذى أفهمه السياق قوله معلما بزيادة القبح فى وقوع الذنب من العالم بافرادهم بالتصريح عن

١٠ المشركين: ﴿و ما تفرق﴾ أى الآن و فيما مضى من الزمان تفرقا عظيما ﴿الذين﴾ و لما كانوا فى حال هى أليق بالإعراض، بنى للفعول قوله: ﴿اوتوا الكتب﴾ أى عما كانوا عليه من الإطباق على الضلال أو الوعد باتباع[4] الحق المنتظر فى محمد صلى الله عليه و سلم، و كذا كان فعلهم فى عيسى صلى الله عليه و سلم من قبل، فاستمر بعضهم على الضلال و بالغ

١٥ فى نقض العهد و العناد، و وفى [5]بعض بالوعد[5] فاهتدى، و كان تفرقهم لم يعد تفرقا إلا[6] زمنا يسيرا، ثم اجتمعوا فلم يؤمن منهم من يعد

(١) زيد فى الاصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الاصل: مهاجر (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: باطباق (٥-٥) من م، و فى الأصل: نقص العهد، و فى ظ: بعضهم بالوعد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا.

خلافه[1] لباقيهم تفرقا لكونه قليلا من كثير، فلذلك أدخل الجار فقال: ﴿ الا من بعد ﴾ و كان ذلك الزمن اليسير هو باسلام من أسلم من قبائل العرب الذين[2] كانوا قد أطبقوا على النصرانية من تنوخ و غسان و عاملة و بكر بن وائل و عبد القيس و نحوهم و كذا من كان تهود من قبائل اليمن و أسلم، ثم أطبق اليهود و النصارى على الضلال فلم يسلم ٥ منهم إلا من لا يعد لقلته مفرقا لهم ﴿ ما ﴾ أي[3] الزمن[4] الذى ﴿ جآءتهم ﴾ فيه أو بمجيء ﴿ البينة[5] ﴾ فكان حالهم كما قال سبحانه "وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به[5]" و قد كان مجئ البينة يقتضى اجتماعهم على الحق،[6] لا تفرقهم فيه[6]، و كأنه أشار إلى المشركين بالعاطف و لم يصرح بذكرهم لأنهم كانوا عكس أهل الكتاب لم يتفرقوا ١٠ إلا زمنا يسيرا فى أول الأمر، فكان الضال منهم أكثر، ثم أطبقوا على الهدى لما لهم من قويم الطبع و معتدل المزاج، فدل ذلك على غاية العوج لأهل الكتاب لأنهم كانوا لما عندهم من العلم أولى من المشركين بالاجتماع على الهدى، و دل ذلك على أن وقوع اللدد و العناد / من العالم أكثر، / ٨٢٤ و حصول الآفة لهم من قوة ما لطباعهم من كدر النقص بتربيته وتنميته ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: خلافهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٣) ليس فى ظ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: زمن (٥) زيد فى الأصل: فاستحقوا اللعن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه تفرقهم.

بالمعاصى من أكل السحت من الربا و غيره من الكبائر و التسويف بالتوبة ، فألفت ذلك أبدانهم فأشربته قلوبهم حتى تراكم ظلامها ، وتكاثف رينها و غمامها ، فلما دعوا لم يكن عندهم شيء من نور تكون لهم به قابلية الانقياد للدعاء .

٥ و لما [1] كان حال من ضل على علم أشنع ، زاد فى فضيحتهم فقال : ﴿ و مآ ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أنهم ما . و لما [1] كان المقصود بروز الأمر المطاع [2] ، لا تعيين الآمر ، قال بعد وصف الصحف بأنه ثبت أنها قيمة بانيا للفعول : ﴿ امروآ ﴾ أى وقع أمرهم بما أمروا به ممن إذا أطلق الأمر لم يستحق أن ينصرف إلا إليه ، فى تلك الكتب التى ١٠ وجب ثبوت اتباعها و أذعنوا [له - [3]] ﴿ الا ليعبدوا ﴾ أى لأجل أن يعبدوا ﴿ الله ﴾ أى الإله الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد غيره بأن يوجدوا عبادته و يجددوها فى كل وقت ، و العبادة امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه آمر ، مع المبادرة بغاية الحب و الخضوع و التعظيم ، و ذلك مع الاقتصاد لئلا ١٥ يمل الإنسان فيخل [4] أو يحصل له الإعجاب فتفسد [5] عبادته ، حال كونهم ﴿ مخلصين ﴾ أى ثابتا غاية الثبات إخلاصهم ﴿ له الدين ﴾ بحيث لا يكون فيه شوب شيء مما يكدره من شرك جلى و لا خفى بأن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : المستطاع .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيحل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : مفسد .

يكون الامتثال لكونه أمر لرضاه لا لشيء من نفع و لا دفع[1]، و يكون ذلك على الصواب، فان كثيرا من العاملين يكون مخلصا، و يكون بناؤه بغير أساس صالح، فلا ينفعه بل يكون وبالا عليه، فانه ضيع الأصل كالرهبان و كذا كثير ممن يعتقد ولاية شخص و هو لا يعرف أن يميز بين الولى و العدو و المكرم و المستدرج، و حقيقة الإخلاص أنه إفراد ٥ الحق فى الطاعة بالقصد[2] مع نسيان الخلق فى الأعمال و التوصل إليه بالتوقى عن ملاحظتهم مع التنقى عن مطالعة النفس برؤية العبد نفسه عبدا مأمورا لا يريد ثوابا، جاعلا[3] كل شيء وسيلة إلى الله، و علامته عدم رؤية العمل، و يعرف ذلك بالخوف و عدم الالتفات إلى طلب الثواب، وبالحياء منه لكونه يرى أنه ما قام بحق السيد على ما ينبغى كما قال تعالى ١٠ "يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون" قال القشيرى: [و يقال ـ[4]]: الإخلاص تصفية العمل من الخلل، و قال الرازى: الإخلاص النية الصافية لأن [النية ـ[5]] دائمة[6]، و العمل ينقطع، و العمل يحتاج[7] إلى النية، و النية لا تحتاج إلى العمل، و لأجل[8] ما أفهمه التعبير بالاسم من التمكن و الثبات أكده بقوله: ﴿ حنفاء ﴾ أى فى غاية الميل ١٥

(١) زيد فى الأصل و ظ : ضرر ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالقدر (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عاجلا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الدائمة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : محتاج (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : لاجله .

مع الدليل [1]إلى القوم[1] بحيث لا يكون عندهم اعوجاج أصلا، بل مهما
حصل أدنى زيغ عرضوه على الدليل فالوا معه بما لهم من الحنف فقادهم[2]
/٨٢٥ إلى الصلاح / فصاروا فى غاية الاستقامة، و تلك هى العبادة الإحسانية،
و أصل الحنف فى اللغة : الميل، قال الملوى : و خصه العرف بالميل إلى
٥ الخير، و لذا سمى الأحنف بن قيس [لميل -[3]] فى رجليه إلى داخل
من جهة القدام إلى الوراء، و سموا الميل إلى الشر إلحادا، فالحنيف
المطلق الذى يكون متبرئا عن أصول الملل الخمس : اليهود و النصارى
و الصابئين و المجوس و المشركين، و عن فروعها من جميع النحل إلى
الاعتقادات الحقة، و عن توابعها من الخطايا و السيئات إلى العمل الصالح
١٠ و هو مقام التقى [و -[4]]، عن المكروهات إلى المستحبات و هو المقام
الأول من الورع، و عن الفضول شفقة على خلق الله و هو[5] ما لا يعنى
إلى الذى يعنى، و هو المقام [الثانى من الورع، و عما يجر إلى الفضول
و هو -[3]] مقام الزهد، فالآية جامعة لمقامى الإخلاص الناظر أحدهما
إلى الحق، و الثانى إلى الخلق، فالإخلاص لمقام المشتغل بالمصفى له لأنه
١٥ إفراد الحق بالقصد فى الطاعة، و الحنوف لمقام المشتغل بالمصفى منه لأنه
الميل عن سائر المخلوقات إلى الله تعالى و إلى ما يرضيه.

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل : الاقوم (٢) من ظ و م، و فى الأصل :
نقادوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : ترك،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما

و لما ذكر أصل الدين، أتبعه الفروع، فبدأ بأعظمها الذى مر بجمع الدين و موضع التجرد عن العوائق فقال: ﴿و يقيموا﴾ أى يعدلوا من غير اعوجاج ما، بجميع الشرائط و الأركان و الحدود ﴿الصلوٰة﴾ لتصير بذلك أهلا لأن تقوم بنفسها، و هى التعظيم لأمر الله تعالى.

و لما ذكر صلة الخالق، أتبعها وصلة الخلائق فقال: ٥ ﴿و يؤتوا الزكوٰة﴾ [أى - [1]] بأن يحضروها لمستحقيها شفقة على خلق الله إعانة على الدين، و لكنهم حرفوا ذلك و بدلوه بطباعهم المعوجة، و تدخل الزكاة عند أهل الله فى كل ما رزق الله من عقل و سمع و بصر و لسان و يد و رجل و وجاهة و غير ذلك - كما هو واضح من قوله تعالى "و مما رزقناهم ينفقون". ١٠

و لما كان هذا دينا حسنا [بينا - [2]] فضلوا عنه على [ما - [2]] عندهم من الأدلة، زاد فى توبيخهم بمدحه فقال: ﴿و ذلك﴾ أى و الحال أن هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور الذى هو فى غاية العلو و الخير ﴿دين القيمة ﴿٥﴾﴾ أى الملة أو النفوس أو الكتب التى لا عوج فيها، و هو على الأول من إضافة [3]الموصوف إلى الصفة[3]، و عن الخليل أنه ١٥ قال: هو جمع قيم، و القيم و القائم واحد، و المعنى دين القائمين لله تعالى بالتوحيد، و دل على ما قدرته فى أمر المشركين بذكرهم [4]فى نتيجة[4] ما

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الصفة الى الموصوف (٤-٤) من ظ و م. و فى الأصل: بنتيجة.

مضى [1]في قوله[1] مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى وقع منهم الستر لمرائى عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا و استمروا على ذلك و إن لم يكونوا عريقين فيه ﴿ من اهل الكتب ﴾ أى اليهود و النصارى ﴿ و المشركين ﴾ أى العريقين فى الشرك ، و دل بالإتيان

٥ بالوصف هنا و الفعل فى أولئك[2] - و الله أعلم - على أن المشرك[3] يرجع عن[4] شركه و يؤمن إن لم يكن عريقا فى الشرك بخلاف أهل الكتاب متى تلبس أحد منهم بكفر لا يرجع عنه و إن كان / تلبسه به على أضعف ٨٢٦ / الوجوه ، و كذا كل من ينسب إلى علم و لا سيما إن كان بليدا متى عرضت له شبهة بعد رجوعه عنها ، فلذلك جمع بينهم فى قوله : ﴿ فى نار جهنم ﴾

١٠ أى النار التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة تكون عذابا لأجسامهم ﴿ خلدين فيها ﴾ أى يوم القيامة أو فى الحال لسعيهم فى موجباتها ، و اشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب التساوى فى النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر و خفته .

و لما كان معظم السياق للعبادة و الترغيب فيها من القراءة والسجود

١٥ و الانفكاك عن الكفر ، لم يذكر التأبيد بلفظه ، بل اكتفى بما دل عليه و قال فى نتيجة ما مضى : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ أى خاصة بما لضمائرهم من الخبث ﴿ شر البرية ﴾ أى الخليقة الذين أهملوا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بقوله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اولـ كذا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : المشركين (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

إصلاح أنفسهم، و فرطوا فى حوائجهم و مآربهم، و هذا نار لأرواحهم حين ينادى عليهم به.

و لما ذكر الأعداء و بدأ بهم، لأن السياق لذم من جمد مع المألوف[1] و ترك المعروف، أتبعه الأولياء فقال مؤكدا لما للكفار من الإنكار: ﴿ ان الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان من الخلق كلهم[2] الملائكة ٥ و غيرهم ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ أى [هذا -[3]] النوع. و لما كان نعيم القلب أعظم، قدمه على نعيم البدن إبلاغا فى مدحهم فقال: ﴿ اولـئك ﴾ أى العالو الدرجات ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿خير البرية ﴾.

و لما خصصهم بالخيرية، ذكر ثوابهم، فقال ذاكرا جنه أبدانهم معظما ١٠ لهم بالتعبير عن إنعامه عليهم بلفظ الجزاء المؤذن بأنه فى مقابلة ما وصفوا به: ﴿جزآؤهم﴾ اى على طاعاتهم، و عظمه بقوله: ﴿عند ربهم﴾ إليهم المربى لهم و أى المحسن ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة لا تحول عنها ﴿ تجرى ﴾ أى جريا دائما لا انقطاع له. و لما كان عموم الماء مانعا من تمام اللذة، قرب و بعض بقوله: ﴿ من تحتها ﴾ أى تحت أرضها ١٥ و غرفها و أشجارها ﴿ الانهر ﴾.

و لما كانت اللذة لاتكمل إلا بالدوام قال: ﴿ خلدين فيهآ ﴾ و لما كان النظر إلى الترغيب فى هذا السياق أتم حثا على اتباع الدليل

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المالوفة (٢) زيد فى ظ: من (٣) زيد من ظ و م.

المعروف، و المفارقة للحال المألوف، أكد معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله: ﴿ ابدا ﴾ .

و لما كان هذا [كله - [1]] ثمرة الرضا، و كان التصريح به أقر للعين لأنه جنة الروح، قال مستأنفا أو معللا : ﴿ رضى الله ﴾ أى بما له من نعوت

٥ الجلال و الجمال ﴿ عنهم ﴾ أى بما كان سبق لهم [2] من العناية و التوفيق . و لما كان الرضا إذا كان من الجانبين، كان اتم و أعلى لهم [2] قال: ﴿ و رضوا عنه ﴾ لأنهم [3] لم يبق لهم أمنية إلا أعطاهموها مع علمهم أنه متفضل فى جميع ذلك، لا يجب عليه لأحد شىء و لا يقدره أحد حق قدره، فلو أخذ الخلق بما يستحقونه أهلكهم، و أعظم نعمه عليهم ما من / عليهم ٨٢٧ /

١٠ به من متابعتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، فان ذلك كان سببا لكل خير .

و لما كان ذلك ربما ادعى أنه لناس مخصوصين [4] فى زمان مخصوص، قال معمما له و منبها على الوصف الذى كان سبب أعمالهم التى كانت [5] سبب جزائهم: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الذى جوزوا به ﴿ لمن خشى ربه ﴾

١٥ أى خاف المحسن إليه خوفا [5] يليق به، فلم يركن إلى التسويف و التكاسل، و لم يطبع نفسه بالشر بالجرى مع الهوى فى التطعم بالمحرمات بل كان ممن [6]

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من م، وفى الأصل وظ : لأنه (٤) من م، وفى الأصل و ظ : مخصوص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : مما .

يطلب

يطلب معالى الأخلاق فيستفتى قلبه فيما يرضى ربه ، فكان تواتر إحسانه
يزيده خوفا فيزيده شكرا ، فان الخشية ملاك الأمر ، و الباعث على كل خير ،
و هى للعارفين ، قال الملوى ما معناه : إن الإنسان إذا استشعر عقابا يأتيه
أو خسرا ، لحقته حالة يقال لها الخوف و هى انخلاع القلب عن طمأنينة
[1]الأمن و قلقه[1] و اضطرابه لتوقع مكروه ، فان اشتد سمى وجلا لجولانه ٥
فى نفسه ، فاذا اشتد سمى رهبا[2] لأدائه إلى الهرب ، و هى حالة المؤمنين
الفارين إلى الله و من غلب عليه الحب لاستغراق فى شهود الجماليات
لحقته حالة تسمى مهابة إذ لا ينفك عن خوف إبعاد أو صد لغفلة أو ذلة ،
و من غلب عليه التعظيم لاستغراق فى شهود الجلاليات[3] صار فى الإجلال ،
و وراء هذا[4] الخشية "إنما يخشى الله من عباده العلماء" فمن خاف ربه هذا ١٠
الخوف انفك من جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه سبحانه ، و لم يقدح
فى البينة و لا توقف فيها ، و ما فارق الخوف قلبا إلا خرب ، فكان جديرا
بأن يقدح فى كل ما أدى إلى العمارة ، و قد رجع آخر السورة على
أولها بذلك ، و بتصنيف[5] الناس صنفين : صنف انفك عن هوى نفسه
فأنجاها ، و صنف استمر فى أسره فأرداها ، و قد ذكرت فى «مصاعد ١٥
النظر للاشراف على مقاصد السور» سر تخصيص النبى صلى الله عليه و سلم
لأبى[6] رضى الله عنه بقراءة هذه السورة عليه بخصوصها ، و حاصله

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : انقلاب وتلقله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذهبا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الجلائيات - كذا (٤) فى ظ : هذه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بتنصيف (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لأبى بكر .

أن سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة رضى الله عنهم قد خالفاه فى القراءة فرفعهما[1] إلى النبى صلى الله عليه و سلم فأمرهما فعرضا عليه فحسن لهما، قال : فسقط فى نفسى من التكذيب أشد مما [كان - [2]] فى الجاهلية، فضرب صلى الله عليه و سلم فى صدرى ففضت عرقا، وكأنما
٥ أنظر إلى الله فرقا، ثم قص علىّ خبر التخفيف [3]بالسبعة الأحرف[3]، وكانت السورة التى وقع فيها الخلاف النحل و فيها أن الله يبعث رسوله صلى الله عليه و سلم يوم البعث شهيدا، و أنه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى و رحمة، و أنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا، و أن اليهود اختلفوا فى السبت،/ و سورة "لم يكن" على قصرها حاوية /٨٢٨
١٠ إجمالا لكل ما فى النحل على طولها بزيادة، و فيها التحذير من الشك بعد البيان، و تقبيح حال من فعل ذلك، و أن حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب فى العناد، فيكون شر البرية، فقرأها النبى صلى الله عليه و سلم [عليه - [2]] رضى الله عنه تذكيرا له بذلك كله على وجه أبلغ و أخصر ليكون أسرع له تصورا فيكون أرسخ فى النفس و أثبت
١٥ فى القلب و أعشق[4] للطبع، فاختصه الله بالتثبيت و أراد له الثبات، فكان من المريدين المرادين لما وصل إليه قلبه ببركة ضرب النبى صلى الله عليه و سلم لصدره من كشفه الحجب و نفى الشياطين و النظر إلى سبحات القدس

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : فى رفعهما (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل : بالاحرف السبعة (٤) من ظ و م، و فى الأصل : اعتق.

و شهود[1] تلك الحضرة الشماء، و صيرورتـه إلى أن يكون أصفى الصحابة رضى الله عنهم مراقبه لتلاوة النبى صلى الله عليه و سلم بما يتذكر من الأمر الشريف بتخصيصه بذلك، فيصير كلما قرأ هذه السورة الجامعة غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا بأذنى قلبه إلى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذى وصل إليه بسر تلك الضربة. و لثبوته فى ٥ هذا المقام قال صلى الله عليه و سلم: أقرؤكم[2] أبى - رواه أحمد و الترمذى[3] و ابن ماجه[4] عن أنس رضى الله تعالى عنه و هو صحيح، و رواه بعضهم مرسلا، و مما فيه و لم أذكره[5] فى المصاعد سنة التواضع حتى لا يمنع [6]أحدا ما[6] يراه من علوه من القراءة على من هو دونه فانـه ما منع أكثر أهل الكتاب من الإسلام إلا رؤية ما كانوا عليه من العلم ١٠ بكتب الله و سنن الرسل عليهم الصلاة و السلام و جهل العرب بذلك، فنظروا إلى ما كان و لم ينظروا إلى الحالة الراهنة[7] الآن، فحلق الحسد أديانهم و سلبهم إيمانهم، و صاروا أشقى الناس - كما نبه عليه أول السورة - نسأل الله العفو و العافية [8]فى الدين و الدنيا و الآخرة - آمين[8].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الشهود الى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اقرركم (٣) راجع مواقيت الصلاة (٤) راجع ص ١٤ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم اذكر (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: ما احد (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الرهنة (٨-٨) فى ظ: والله أعلم.

سورة الزلزلة[1]

مقصودها انكشاف الأمور، و ظهور المقدور أتم[2] ظهور، و انقسام الناس فى الجزاء فى دار البقاء إلى سعادة و شقاء[3]، و على ذلك دل اسمها بتأمل الظرف و مظروفه، و ما أفاد من بديع القدر و صروفه ﴿بسم الله﴾ ٥ المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿الرحمن﴾ الذى عم الخلق بنعمته الظاهرة قسما ﴿الرحيم﴾ الذى أتم النعمة على خواصه حقيقة و اسما، عينا و رسما.

لما ختم تلك بجزاء الصالح و الطالح فى دار البقاء على ما أسلفوه فى مواطن الفناء[4]، ذكر فى هذه أول مبادئ تلك الدار[5] و أوائل غاياتها، و ذكر فى القارعة ثوانى مبادئها و آخر غاياتها، و أبلغ فى التحذير ١٠ بالإخبار باظهار ما يكون عليه الجزاء، فقال معبرا بأداة التحقق / لأن الأمر / ٨٢٩ حتم لا بد من كونه[6]: ﴿اذا﴾.

و لما كان المخوف الزلزلة و لو لم يعلم فاعلها، و كان البناء للفعول يدل على سهولة الفعل و يسره جدا، بنى للفعول قوله: ﴿زلزلت الارض﴾ أى حركت واضطربت زلزلة البعث بعد النفخة الثانية بحيث يعمها ذلك

(١) التاسعة والتسعون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ٨ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ام (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شقاوة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: البقاء (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الداية (٦) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لا كما كان يتفق قبل ذلك من زلزلة[1] بعضها دون بعض و على وجه دون ذلك، و عظم هذا الزلزال و هوّله بإبهامه لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فقال كاسرا الزاء لأنه[2] مصدر ، و لو فتحها لكان اسما للحركة، قال البيضاوي[3]: و ليس إلا في المضاعف . ﴿ زلزالها﴾ أى تحركها و اضطرابها الذى يحق لها في مناسبته لعظمة[4] جرم الأرض وعظمة ٥ ذلك اليوم، و لو شرح بما يليق به لطال الشرح، و ذلك كما تقول: أكرم التقى إكرامة و أهن الفاسق [الشقى - [5]] إهانة، أى على حسب ما يليق به .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : وردت عقب سورة البرية ليبين بها[6] حصول جزاء الفريقين و مآل الصنفين المذكورين فى قوله تعالى ١٠ "ان الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين - إلى قوله: اولئك شر البرية" و قوله "ان الذين آمنوا" - إلى آخر[7] السورة . و لما كان حاصل ذلك افتراقهم على صنفين و لم يقع تعريف بتباين[8] أحوالهم، أعقب ذلك بمآل الصنفين و استيفاء جزاء[9] الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى "يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم" إلى آخر السورة - انتهى . ١٥

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : زلت (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لانها. (٣) راجع الأنوار ص: ٨٠٧ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كعظمة (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٧) فى ظ : خاتمة (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تباين (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : خبر .

و لما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفى فى المضطرب[1] قال: ﴿ و اخرجت ﴾ و أظهر و لم يضمر تحقيقا للعموم فقال: ﴿الارض﴾ أى كلها ﴿ اثقالها لا ﴾ أى مما هو مدفون فيها كالأموات[2] و الكنوز التى[3] كان أمرها ثقيلا على الناس، و هو جمع ثقل - بالكسر، و ذلك
٥ [4]حين يكون[4] البعث و القيام متأثرا ذلك الإخراج عن ذلك الزلزال، كما يتأثر عن زلزال البساط بالنفض إخراج ما فى بطنه و طيه و غضونه من وسخ و تراب و غيره، و ما كان على ظهرها فهو ثقل عليها لأنها يعطيها الله قوة إخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة [5]أن تخرج[5] النبت الصغير اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير فيشق الارض
١٠ الصلبة التي تكل عنها المعاول[6] و الحديد، و يشق النواة مع ما لها من الصلابة التى تستعصى بها على الحديد فينفلق نصفين و ينبت منها ما يريده سبحانه و تعالى، و يفلق قشر الجوز و اللوز و نوى[7] الخوخ و غيره مما[8] هو فى غاية الصلابة كما نشاهده، و يخرج منه الشجر بشق الأرض على ضعفه و لينه و صلابتها / و بكونه على ظهرها حتى يصير أغلظ شيء ٨٣٠ /
١٥ و أشده، و كذا الحب سواء، فالذى قدر على ذلك هو سبحانه و تعالى

(١) من ظ وم، وفى الأصل: المضطر (٢) فم: من الأموات (٣) من ظ وم، و فى الأصل: الذى (٤-٤) من ظ وم، و فى الأصل: يكون حين (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: اخراج (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المعاويل. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: نقا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ما.

قادر على تكوين الموتى[1] فى بطن الأرض و إعادتهم على ما كانوا عليه
كما يكون الجنين فى البطن و يشق[2] / جميع منافذه على التحذير من السمع / ٨٣٠
و البصر و الفم و غير ذلك من [غير -[3]] أن يدخل [إلى -[3]] هناك
بيكار و لا منشار، ثم يخرج من البطن، فكذا إخراج الموتى من غير فرق،
كل عليه هين - سبحانه ما أعظم شأنه و أعز سلطانه. ٥

و لما كان الإنسان إذا رأى هذا عجب له و لم يدرك سببه لأنه
أمر عظيم فظيع[4] يبهر عقله و يضيق عنه ذرعه، عبر [عنه -[5]] بقوله[6]:
﴿و قال الانسان﴾ أى هذا النوع الصادق بالقليل و الكثير لما له
من النسيان لما تأكد عنده من أمر البعث بما له من الأنس بنفسه
و النظر فى عطفه، على سبيل التعجب و الدهش أو الحيرة، و يجوز أن ١٠
يكون القائل الكافر كما يقول "من بعثنا من مرقدنا" فيقول له المؤمن
"هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون": ﴿ما لهاج﴾ أى أىّ شيء
للأرض فى هذا الأمر الذى لم يعهد مثله.

و لما طال الكلام و أريد التهويل، أبدل من "إذا" قوله معرفا
للانسان ما سأل عنه: ﴿يومئذ﴾ [أى -[3]] إذ كان ما ذكر من الزلزال ١٥

---

(١) زيد فى الأصل و ظ: من غير فرق، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.
(٢) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) زيد من م.
(٤) زيد فى الأصل: شنيع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد
من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و ما لزم عنه و نصبه و كذا ما أبدل منه بقوله: ﴿تحدث﴾ أى الأرض بلسان الحال باخراج ما فى بطنها من الموتى و الكنوز و غيرها على وجه يعلم الإنسان به لم زلزلت و لم أخرجت، و أن الإنذار بذلك كان حقا، و قال ابن مسعود رضى الله عنه[1]: تحدث بلسان المقال. ﴿اخبارها ﴾

٥ أى[2] التى زلزلت و أخرجت ما أخرجت لأجلها، و كل شىء عمل عليها شهادة[3] منها على العاملين[4] فتقول: عمل فلان كذا و كذا - تعدد حتى يود المجرم أنه يساق إلى النار لينقطع عنه تعداد[5] ذلك الذى يلزم منه العار، و تشهد للمؤمن بما عمل حتى يسره ذلك، فيشهد للمؤذن كل ما امتد إليه صوته من رطب و يابس.

١٠ و لما كان من المقرر أنه لا يكون شىء إلا باذنه تعالى، و كان قد بنى الأفعال لما لم يسم فاعله، فكان الجاهل ربما خفى عليه فاعل ذلك قال: ﴿بان﴾ أى تحدث بسبب أن ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك باحقاق الحق و إزهاق الباطل لإعلاء شأنك ﴿اوحى﴾ و عدل عن حرف النهاية إيذانا بالإسراع فى الإيحاء فقال: ﴿لها ﴾ أى بالإذن فى التحديث المذكور

١٥ بالحال أو المقال.

و لما أخبر تعالى باخراج الأثقال التى منها الأموات، اشتد التشوف

---

(١) راجع تفسير الطبرى ٣٠ / ١٤٧ (٢) زيد فى الأصل: الارض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شهادته (٤) من م و فى الأصل و ظ: العالمين (٥) من ظ و م، وفى الأصل: تعدد.

إلى

إلى هيئة ذلك الإخراج و ما يتأثر عنه، فقال مكررا ذكر[1] اليوم زيادة في التهويل: ﴿ يومئذ ﴾ أي إذ كان ما تقدم و هو حين[2] يقوم الناس من القبور ﴿ يصدر ﴾ أي يرجع رجوعا هو في غاية السرعة و الاهتداء إلى الموضع الذي ينادون منه لا يغلط أحد منهم فيه و لا يضل [عنه - [3]] ﴿ الناس ﴾ من قبورهم [4]إلى ربهم[4] الذي كان لهم بالمرصاد ٥ ليفصل بينهم ﴿ اشتاتا ۙ ﴾ أي متفرقين بحسب مراتبهم في الذوات[5] و الأحوال من مؤمن و كافر، و آمن و خائف، و مطيع و عاص.

و لما ذكر ذلك، أتبعه علته فقال بانيا للفعول على طريقة كلام القادرين: ﴿ ليروا ﴾ أي / يرى الله المحسن منهم و المسيء بواسطة من / ٨٣١ يشاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه و تعالى كل أحد ١٠ من غير ترجمان و لا واسطة كما أخبر بذلك رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿ اعمالهم ؕ ﴾ فيعلموا جزاءها أو صادرين عن الموقف كل إلى داره ليرى جزاء عمله، ثم سبب عن ذلك قوله مفصلا الجملة التي قبله: ﴿ فمن يعمل ﴾ من محسن أو مسيء مسلم أو كافر ﴿ مثقال ﴾ أي مقدار[6] وزن ﴿ ذرة خيرا ﴾ أي من جهة الخير ﴿ يره ؕ ﴾ أي حاضرا لا يغيب عنه ١٥ شيء منه لأن المحاسب له الإحاطة علما و قدرة، فالكافر يوقف على

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: ذاكرا (٢) زيد في الأصل: يوم، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: التي كانت لهم (٥) من ظ و م، و في الأصل: الذات (٦) زيد في الأصل و ظ «او» و لم تكن الزيادة في م فحذفناها.

أنه جوزى به فى الدنيا او أنه أحبط لبنائه على غير أساس الإيمان، فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه و يقوى حزنه و أسفه، و المؤمن يراه ليشتد سروره به •

و لما ذكر الخير، أتبعه ضده فقال: ﴿ و من يعمل ﴾ أى كائنا
٥ من كان ﴿ مثقال ذرة شرا ﴾ أى من جهة الشر[1] ﴿ يره ع ﴾ فما فوقه، فالمؤمن يراه و يعلم أنه قد غفرله ليشتد فرحه، و الكافر يراه فيشتد حزنه و ترحه، و الذره النملة الصغيرة أو الهباءة التى ترى [طائرة -[2]] فى الشعاع الداخل من الكوة، و قد رجع آخرها على أولها بتحديث الأخبار و إظهار الأسرار[3]، و قد ورد فى حديث الأعرابى أن هذه السورة جامعة
١٠ لهذه الآية الأخيرة، و قال ابن مسعود رضى الله عنه[4]: إنها أحكم آية فى القرآن، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم [يسميها -[5]] الفاذة الجامعة، و من فقه ذلك لم يحقر ذنبا و إن دق لأنه يجتمع إلى أمثاله فيصير كبيرا[6] كما[7] قال صلى الله عليه و سلم لعائشة رضى الله عنها[8]: إياك و محقرات الذنوب، فان لها من الله طالبا، و روى كما ذكرته فى
١٥ كتابى[9] «مصاعد النظر فى الإشراف على مقاصد السور» فى حديث

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : فانه ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) راجع المعالم ٧/٢٣٤ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كثيرا (٧) سقط من ظ و م (٨) راجع مسند الإمام أحمد ٦/٧٠ (٩) من ظ وم ، و فى الأصل : كتاب .

[انها تعدل نصف القرآن، و فى حديث - [1]] آخر أنها تعدل ربع القرآن. [2]و لا تعارض[2]، فالأول نظر إليها من جهة أن الأحكام تنقسم إلى أحكام الدنيا و أحكام الآخرة، و هذه السورة اشتملت على أحكام الآخرة إجمالا، و زادت على [3]القارعة باخراج الأثقال[3] و أن كل أحد يرى كل ما عمل، و الثانى نظر إليها باعتبار ما تضمنه الحديث الذى رواه ٥ الترمذى[4] عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله بعثنى بالحق، و يؤمن بالموت، و يؤمن بالبعث بعد الموت، و يؤمن بالقدر. [فاقتضى - [1]] هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذى قررته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذى دل عليه القرآن، و أيضا فأمر الدين أربعة أجزاء: أمر ١٠ المعبود، و أمر العبيد[6]، و أمر العبادة، [و أمر - [1]] الجزاء[7]، فهذه السورة تكفلت بأمر الجزاء، و سورة الكافرون ربع لأنها فى أمر العبادة على وجه الخصوص و الخفاء و إن كانت على وجه التمام و الوفاء، و سورة النصر ربع لأنها لأمر العبادة على وجه العموم و الجلاء و الظهور و العلا - [8]و الله الهادى للصواب و إليه المآب[8]. ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: فلا معارض (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: الآخره باثقال الاحمال (٤) راجع الجامع - القدر (٥) من ظ و م، و فى الأصل: السه - كذا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: العبد. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالجزاء (٨-٨) فى ظ: و الله أعلم بالصواب، و ما بين الرقمين ساقط من م.

سورة العاديات[1]

مقصودها الإعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك لإيثار الفانى من العز [و المال -[2]] على الباقى عند ذى[3] الجلال، المدلول عليه بالقسم و هو العاديات و المقسم عليه و ما عطف عليه، و قد علم أن اسمها أدل شيء ٨٣٢ / ٥ على ذلك ؛ لما هدى إليه[4] القسم و المقسم عليه : ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله فلا يسئل عما يفعل ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم[5] بنعمة إيجاده و بيانه فنعمته أتم نعمة و أشمل ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص خلص عباده بتوفيقه فأتم نعمته عليهم و أكمل .

لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال[6] الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ١٠ ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع، و ما ينجر[7] إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، موبخا من[8] لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام[9] من تلك الأعمال، معنفا[10] من آثر دنياه على أخراه، مقسما بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر، فمن غلب عليه الروح شكر، و من غالب

(١) المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١١ (٢) زيد من ظ وم.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل : ذوى (٤) من م، و فى الأصل وظ : عليه .
(٥) من ظ وم، وفى الأصل : عما (٦) من ظ وم، وفى الأصل : على الأعمال من (٧) من ظ و م، و فى الأصل : يجر (٨) من ظ وم، و فى الأصل : لمن .
(٩) من م، وفى الأصل وظ : التمام (١٠) من ظ وم، وفى الأصل : مشبتا .

عليه

عليه الطبع - و هم الأكثر - كفر فقال: ﴿ و العديٰت ﴾ أى الدواب التى من شأنها أن تجرى بغاية السرعة ، و هى الخيل التى ظهورها[1] عز و بطونها كنز ، و هى لرجل وزر و لرجل أجر ، فمن فاخر بها و نادى بها أهل الإسلام و أبطره عزها حتى قطع الطريق و أخاف الرفيق كانت له شرا ، و من جعلها فى سبيل الله كانت له أجرا ، و من حمل[2] عليها و لم ينس ٥ حق الله فى رقابها و ظهورها كانت له سترا[3] ، و إنما أقسم بها ليتأمل ما فيها من الأسرار الكبار التى باينت به أمثالها من الدواب كالثور مثلا و الحمار ليعلم أن الذى خصها بذلك فاعل [4]مختار واحد[4] قهار ، فالقسم فى الحقيقة به سبحانه .

و لما كانت دالة على الضابحات بالالتزام ، قال ناصبا به أو بـ «تضبح» ١٠ مقدرا : ﴿ضبحا ﴾ [و الضبح -[5]] صوت جهير يخرج من أفواهها عند العدو الشديد ، ليس بصهيل و لا حمحمة و لا رغاء و هو من النفس ، و ليس شىء من الدواب يضبح[6] غير الفرس و الكلب و الثعلب ، و أصله للثعلب و استعير للخيل ، و حكاه ابن عباس رضى الله عنهما فقال : أح أح ، او الضبح عدو دون التقريب . ١٥

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بطونها (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : عمل (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : سيرا (٤ - ٤) من م ، و فى الأصل و ظ : واحد مختار (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : سفخ - كذا .

و لما ذكر عدوها، أتبعه ما ينشأ عنه، فقال عاطفا بأداة التعقيب لأن العدو بحيث يتسبب عنه و يتعقبه الإيراء: ﴿فالموريٰت﴾ أى المخرجات للنار بما يصطك من نعالها بالأحجار، لا سيما عند سلوك الأوعار.

و لما كان الإيراء أثر القدح قال: ﴿قدحا ۙ﴾ أى تقدح ضربا بعنف ٥ كضرب الزند ليورى النار، و نسب الإيراء إليها لإيجادها صورته و إن لم يكن لها قصد إليه.

و لما ذكر العدو و ما يتأثر عنه، ذكر نتيجته و غايته فقال: ﴿فالمغيرٰت﴾ أى باغارة أهلها عليها / على [العدو و -[1]] الإغارة و الركض الشديد لإرادة القتل و النهب. و لما كانت الإغارة الكائن ١٠ عنها الثبور و الويل أروع ما تكون فى أعقاب الليل قال: ﴿صبحا ۙ﴾ أى ذات دخول فى الصباح.

/٨٢٣

و لما كان الأعداء[2] حال الإغارة يكون مختلفا تارة يمينا [و تارة-[1]] شمالا و تارة أماما و تارة وراء بحسب الكر و الفر فى المصاولة و المحاولة تارة أثر الهارب، و أخرى فى مصاولة المقبل المحارب، فينشأ ١٥ عنها الغبار الكثير لإثارة الهواء له و اصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة الدفع من قوائمها و ما تحركه منه، و كان المقسم به منظورا فيه إلى ذاته و نتيجة القسم منظورا فيها إلى الفعل بادئ بدء مع قطع النظر بالأصالة عن[3] الذات، عطف على اسم الفاعل بعد حله إلى أن وصلتها فقال:

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اعداء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: على.

﴿ فأثرن به ﴾ [أى - [1]] بفعل[2] الإغارة و مكانها و زمانها من شدة العدو ﴿ نقعا ﴾ أى غبارا مع الاعناق و الصياح و الزجر بالنعق حتى صار ذلك الغبار منحبكا و منعقدا عليها .

و لما كان المغير يتوسط الجمع عند اختلال حالهم فيفرق شملهم لأنهم متى افترقوا حصل فيهم الخلل ، و متى اختلفوا تخالهم العدو ففرق شملهم ٥ قال : ﴿ فوسطن به ﴾ أى بذلك النقع أو الفعل و الوقت و الموضع ﴿ جمعا ﴾ أى و هو المقصود بالإغارة ، فدخلت فى وسط ذلك الجمع لشجاعتها و قوتها و طواعيتها و شجاعة فرسانها .

و لما[3] أقسم بالخيل التى هى أشرف الحيوان[4] كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف[5] منه بالبيان ، و تجرى به أفكاره كخيل الرهان ، و تقدح ١٠ المعانى تارة مقترنة[6] بأشرف المعان ، و أخرى[7] بأخس ما يقع به الاقتران[8] ، من الزور و البهتان ، و الإلحاد و الطغيان ، وتغير[9] منه ثواقب[10] الأذهان ، تارة على شبه الخصوم بالبرهان . و أخرى بما يغير به من الشبه الملتبسة فى وجوه المعانى الحسان ، و ينثر تارة المعانى الصحيحة على أهل الطغيان ،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : فعل (٣) العبارة من هنا إلى « أولى الإيمان و » ص ٢١٤ س ٢ و م ساقطة من ظ (٤) من م ، و فى الأصل : الحيوانات . (٥) من م ، و فى الأصل : اتصل (٦) من م ، و فى الأصل : مقرنة (٧) من م ، و فى الأصل : اخر (٨) من م ، و فى الأصل : الافتراق (٩) من م ، و فى الأصل : يعز (١٠) من م ، و فى الأصل : مواقبة .

من ذوى البدع و[1] الكفران ، و أخرى[2] الفاسدة على حزب الملك الديان ، و تتوسط تارة جمع أولى الطغيان ، و أخرى جمع أولى الإيمان ، و كانت الإغارة فى الغالب لأجل قهر المغار عليهم على أموالهم عدوانا إن كان ذلك فى غير الجهاد ، و إن كانت فى الجهاد فقل من

٥ يخلص فى ذلك الحال ، فيكون عمله ليس إلا لله كما أشار إليه الحديث القدسى[3] " ان عبدى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه " قال مجيبا للقسم بذكر المقسم عليه حاكما على النوع باعتبار عد المخلص لقلته عدما ، مؤكدا لما لهم من تكذيب ذلك فان كل أحد يتبرأ من مثل هذا الحال : ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع بما له من الأنس بنفسه

١٠ و النسيان لما ينفعه ﴿ لربه ﴾ أى المحسن إليه بابداعه ثم إبقائه وتدبيره و تربيته[4] ﴿ لكنود ج ﴾ أى كفور نكد لسوء المعاملة حيث يقدم بما أحسن به الله إليه من الصافنات الجياد و بما آتاه من قوه الجنان و الأركان على ما نهاه عنه ، و مصدره الكنود بالضم و هو كفران النعمة ، فالمراد هنا - بالتعبير [عنه -[5]] بهذه الصيغة التى هى للمبالغة / -

٨٣٤ /

١٥ من يزدرى[6] القليل و لا يشكر الكثير ، و ينسى كثير النعمة بقليل المحنة ، و يلوم ربه فى أيسر[7] نقمة ، و قال الفضيل بن عياض : هو من أنسته

---

(١) فى م : أو (٢) من م ، و فى الأصل : اخر (٣) راجع الترمذى - الدعوات.
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ترتيبه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : دورى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : السى - كذا .

الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان[1]، و الشكور ضده .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : أقسم[2] سبحانه على [حال -[3]] الإنسان[4] بما هو فقال "ان الانسان لربه لكنود" أى لكفور، يبخل بما لديه من المال كأنه لا[5] يجازى و لا يحاسب على قليل ذلك و كثيره من أين ٥ اكتسبه و فيما أنفقه، و كأنه ما سمع بقوله تعالى "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره" "و انه لحب الخير" أى المال "لشديد" لبخيل، "و إنه على ذلك لشهيد" فان الله على ذلك لمطلع فلا نظر فى أمره و عاقبة مآله "إذا بعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور" أى ميز ما فيها من الخير و الشر ليقع الجزاء عليه "إن ١٠ ربهم بهم يومئذ لخبير" لايخفى عليه شيء من أمرهم "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره" - انتهى .

و لما كان إقدام الإنسان على الظلم عجبا، فاذا كان يشهد على نفسه بالظلم كان أعجب، قال[6] مؤكدا لما لأكثر الخلق قبل البعث و المحاقة[7] من إنكار كفرانه : ﴿ و انه ﴾ أى الإنسان ﴿ على ذلك ﴾ أى الكنود ١٥ العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الأعظم المحسن مع الكفر لإحسانه

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الانسان (٢) زيد فى الأصل : بالله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحسان (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المحقاقة .

﴿ لشهيد ﴾ لأنه مقر إذا حوقق بأن جميع ما هو فيه من إحسان ربه و بأن ربه نهاه عن المخالفة ، أو أنه لا أمر عنده [منه -[1]] بما فعل ، و أنه لا ينبغي لعاقل أن يتحرك بحركة يمكن أن يكرهها الملك الذي هو في خدمته و لاشيء له إلا منه بغير إذنه ، و أنه إن تحرك بغير ذلك كان ٥ كافرا لإحسانه مستحقا لعقابه ، لايقدر على إنكار شيء منه .

و لما كان من العجائب أن يكفر أحد إحسان المنعم ، و هو شاهد على نفسه ، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال : ﴿ و انه ﴾ أي الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذي يقتضي سلب النعم ﴿ لحب ﴾ أي لأجل حب ﴿ الخير ﴾ أي المال الذي لا يعد غيره ١٠ لجهله خيرا ﴿ لشديد ﴾ أي بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه ، أو بليغ القوة في حبه لأن منفعته في الدنيا و هو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه[2] يشغله عن حسن الخدمة لربه و هو معرض عن الدين حيث كانت منفعته آجلة غائبة مع علمه بأن المعرّف بما يرضي من خدمة ربه الحاث[3] عليها الداعي إليها فهو لحب عبادة الله[4] ١٥ ضعيف متقاعس ، و كان حبه الخير يقتضي عنه الشكر الذي يتقاضى الزيادة ، و لا يتخيل أن شديدا عامل في الحب لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها ، و إنما[5] ذلك المتقدم دليل على المعمول المحذوف .

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : إن (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الحادث (٤) من ظ و م ، و في الأصل : ربه (٥) من م ، و في الأصل و ظ : ان .

و لما كان المال فانيا لاينبغي لعاقل أن يعلق أمله به فضلا عن أن يؤثره على الباقي، نبهه على ذلك بتهديد بليغ. فقال مسببا عن ذلك معجبا، موقفا له على ما يؤل إليه أمره: ﴿ افلا يعلم ﴾ أي هذا الإنسان الذي / أنساه أنسه بنفسه. / ٨٣٥

و لما كان الحب أمرا قلبيا، لايطلع عليه إلا عالم الغيب، و كان ٥ [البعث من عالم الغيب، و كان -[1]] أمرا لا بد منه، و كان المخوف مطلق كونه، لم يحتج إلى تعيين الفاعل، فبنى للمفعول قوله مهددا مؤذنا بأنه شديد القدرة على إثارة الخفايا، معلقا بما يقدره ما يؤول إليه أمره[2] من أن الله يحاسبه[3] و يجازيه على أعماله، و أنه لاينفعه مال و لاغيره، و لاينجيه إلا ما كان من أعماله موافقا لأمر ربه مبنيا على أساس الإيمان واقعا ١٠ بالإخلاص[4]: ﴿ اذا بعثر ﴾ أي أثير بغاية السهولة و أخرج و فرق و نظر و فتش بغاية السهولة. و لما كان الميت قبل البعث جمادا، عبر عنه بأداة ما لايعقل فقال[5]: ﴿ ما في القبور ﴾ أي أخرج ما فيها من الموتى الذين تنكر العرب بعثهم[6] فنشروا للحساب، أو من عظامهم و لحومهم و أعصابهم و جلودهم و جميع أجسامهم. و قلب بعضه على بعض حتى أعيد ١٥ كل شيء منه على ما كان عليه، ثم أعيدت إليه الروح، فكان كل أحد على ما مات عليه.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: امره (٣) من ظ و م، و في الأصل: يحاسب (٤) من ظ و م، و في الأصل: بعد الاخلاص. (٥) في م: فقيل (٦) من م، و في الأصل و ظ: بعثتهم.

و لما كان الخوف إنما هو ما يتأثر عن البعث من الجزاء على الأعمال الفاسدة قال: ﴿ و حصل ﴾ اى أخرج و ميز و جمع فعرف أنه معلوم كله بغاية السهولة كما أشار البناء للفعول[١] ﴿ ما فى الصدور ﴾ أى من خير أو شر مما يظن مضمره أنه لا يعلمه أحد أصلا، و ظهر مكتوبا فى ٥ صحائف الأعمال، و هذا يدل على [ان -[٢]] النيات يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها.

و لما كان علم ما فى الصدور أمرا باهرا للعقل، قال جامعا نظرا[٣] إلى المعنى لما عبر عنه بالإفراد بالنظر إلى اللفظ، لأن العلم بالكل يلازمه العلم بالبعض بخلاف العكس مؤكدا إشارة إلى أنه مما لا يكاد يصدق، ١٠ معللا للجملة المحذوفة الدالة على الحساب: ﴿ ان ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بخلقهم و رزقهم و تربيتهم و جعلهم أقوياء سويين ﴿ بهم ﴾ قدم هذا الجار [٣]و المجرور[٤] لا للاختصاص، بل للاشارة إلى[٥] نهاية الخبر. و لما كانت الخبرة للاحاطة بالشيء ظاهرا و باطنا، و كان يلزم من الخبرة بالشيء بعد كونه بمدد طوال الخبرة به حال كونه من باب الأولى قال: ١٥ ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ[٦] كانت [هذه -[٢]] الأمور و هو يوم القيامة ﴿ لخبير ﴾ اى محيط بهم من[٧] جميع الجهات عالم غاية العلم ببواطن أمورهم، فكيف

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الى المفعول (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ وم. وفى الاصل: للعنى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد فى الأصل: انها، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: يكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فى

بظواهرها جواهر و أعراضا، أقوالا و أفعالا، خفية كانت أو ظاهرة، سرا كانت او علانية، خيرا كانت أو شرا، و من المعلوم أن فيها الظلم و غيره، و منهم المحسن و غيره، فلأجل علمه سبحانه بذلك غاية العلم يحاسبهم لئلا يقع ما ينافى الحكمة و هو أن تستوى الحسنة و السيئة، فالقصد بالقيد و تقديم الظرف الإبلاغ فى التعريف بأنه سبحانه و تعالى ٥ محيط العلم بذلك كما إذا قيل / لك : تعرف فلانا؟ فقلت : و لا أعرف /٨٣٦ إلا هو، فان قصدك بذلك أن معرفتك به فى غاية الإتقان، لا نفى معرفة غيره، و فيه إشعار بأن كل أحد يعرف غاية المعرفة فى ذلك اليوم أنه سبحانه و تعالى [عالم - [1]] بأحواله لا ذهول له عن شيء من ذلك كما يقع فى هذه الدار من أن الإنسان يعمل أشياء كثيرة و هو ١٠ غافل عن أن ربه سبحانه مطلع عليه فيها، و لو نبه اعلم، فلاحاطته سبحانه و تعالى بجميع أحوالهم كان عالما [2] بأن الإنسان [2] لربه لكنود، و قد رجع آخرها إلى أولها، و تكفل مفصلها بشرح مجملها - و الله [3] الهادى للصواب [3] .

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ : بالانسان ان (٣-٣) فى ظ : أعلم بالصواب .

سورة القارعة[1]

مقصودها إيضاح يوم الدين بتصوير ثواني أحواله في مبدئه[2] و مآله، و تقسيم الناس فيه إلى ناج و هالك، و اسمها القارعة واضح في ذلك[3] ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعلى ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمة إيجاده و بيانه
٥ جميع الورى ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص أهل حزبه بالتوفيق لما يحب و يرضى.

لما ختم[4] العاديات بالبعث، ذكر صيحته فقال: ﴿ القارعة ۝ ﴾ أى[5] الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تقرع أسماع الناس و تدقها دقا شديدا [عظيما -[6]] مزعجا بالأفزاع، و الأجرام الكثيفة بالتشقق و الانفطار، و الأشياء الثابتة بالانتثار[7].

١٠ و لما كانت تفوق الوصف في عظم شأنها [و -[6]] جليل سلطانها، عبر عن ذلك و زاده عظما بالإبهام و الإظهار في موضع الإضمار مشيرا بالاستفهام إلى أنها مما يستحق[8] السؤال عنه على وجه التعجيب و[9] الاستعظام فقال: ﴿ ما القارعة ۝ ﴾ و أكد تعظيمها [إعلاما -[6]]

---

(١) الحادية و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ١١.
(٢) من ظ و م، و في الأصل: مبابه (٣) زيد في الأصل: والله أعلم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) من م، و في الأصل و ظ: ختمت.
(٥) من ظ و م، و في الأصل: أو (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و في الأصل و ظ: بالانتشار (٨) في ظ و م: يحق (٩) في ظ و م: أو.

بأنه

بأنه [مهما - [1]] خطر ببالك[2] من عظمها فهي أعظم منه[3] فقال: ﴿ و مآ ادرىٰك ﴾ أى و أىّ شيء أعلمك و إن بالغت فى التعرف، و أظهر موضع الإضمار لذلك فقال: ﴿ما القارعة ۝﴾ أى أنك لاتعرفها لأنك لم تعهد مثله .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال الله سبحانه و تعالى ٥ "افلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور" كان ذلك مظنة لأن يسأل: متى ذلك؟ فقيل: يوم القيامة الهائل الأمر، الفظيع الحال، الشديد البأس، و القيامة هى القارعة، و كررت تعظيما لأمرها كما ورد فى قوله تعالى "الحاقة ما الحاقة" و[فى - [1]] قوله سبحانه "فغشيهم من اليم ما غشيهم" ثم زاد عظيم[4] هولها إيضاحا بقوله تعالى ١٠ "يوم يكون الناس كالفراش المبثوث" و الفراش ما تهافت فى النار من البعوض[5]، و المبثوث: المنتشر "و تكون الجبال كالعهن المنفوش" و العهن: الصوف المصبوغ، و خص لإعداده للغزل إذ لايصبغ لغيره / بخلاف الأبيض [فانه - [1]] لايلزم فيه ذلك، ثم ذكر حال الخلق فى /٨٣٧ وزن الأعمال و صيرورة كل فريق إلى ما كتب له و قدر - انتهى . ١٥

و لما ألقى السامع جميع فكره إلى تعرف أحوالها، قال ما تقديره: تكون ﴿يوم يكون﴾ أى كونا كأنه جبلة ﴿الناس﴾ أى الذين[6] حالهم

---

(١) زيد من ظ وم (٢) فى ظ: مالك (٣) من ظ و م، و فى الأصل: منها . (٤) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: البقوم (٦) فى ظ و م: الذى .

النوس على كثرتهم و اختلاف ذواتهم و أحوالهم و مراتبهم و مقاديرهم و انتشارهم بعد بعثرة القبور و تحصيل ما فى الصدور ﴿ كالفراش ﴾ أى صغار الجراد لأنها تتفرش و تتهافت على النار، أو [1]هو طير[1] غير ذلك لا دم له، يتساقط فى النار و ليس ببعوض و لا ذباب، [2]و قال[2] حمزة ٥ الكرمانى: شبههم بالفراش التى تطير من هنا و من هنا و لا تجرى على سمت واحد و هى همج يجتلبها السراج، و قال غيره: وجه الشبه الكثرة و الانتشار و الضعف و الذلة و التطاير إلى الداعى من كل جانب كما تتطاير الفراش، و كثرة التهافت فى النار و ركوب بعضهم [بعضا - [3]] و موج بعضهم فى بعض من شدة الهول كما قال تعالى "كأنهم جراد ١٠ منتشر": ﴿ المبثوث ﴾ أى المنتشر المتفرق .

[4]و لما كانت الجبال أشد ما تكون، عظم الرهبة بالإخبار بما يفعل بها[5] فقال تعالى: ﴿ و تكون الجبال ﴾ على ما هى عليه من الشدة و الصلابة و أنها صخور راسخة ﴿ كالعهن ﴾ أى الصوف المصبغ[6] لأنها ملونة كما قال تعالى "و من الجبال جدد بيض و حمر" [7]أى و[7] غير ذلك ﴿ المنفوش ﴾ ١٥ أى المندوف المفرق الأجزاء الذى ليس هو بمتلبد شىء منه على غيره،

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: هطه (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: على (٣) زيد من م (٤) العبارة من هنا إلى «بها فقال تعالى» ساقطة من ظ (٥) من م، و فى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المصبوغ.
(٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الى .

فتراها

فتراها لذلك متطايرة فى الجو كالهباء المنثور حتى تعود الأرض كلها لاعوج فيها و لا أمتا .

و لما كان اليوم إنما يوصف لأجل ما يقع فيه ، سبب عن ذلك قوله مفصلا لهم : ﴿ فاما من ثقلت ﴾ أى بالرجحان . و لما كانت الموزونات كثيرة الأنواع جدا ، جمع الميزان باعتبارها فقال : ﴿ موازينه ﴾ أى مقادير ٥ أنواع حسناته باتباع [الحق - ١] لأنه ثقيل فى الدنيا و اجتناب الباطل ، و الموزون الأعمال أنفسها تجسدا و صحائفها ﴿ فهو ﴾ بسبب رجحان حسناته ﴿ فى عيشة ﴾ أى حياة تتقلب فيها ، و لعله ألحقها الهاء الدالة على الوحدة - و المراد العيش - ليفهم أنها على حالة [واحدة - ١] فى الصفاء و اللذة و ليست ذات ألوان كحياة الدنيا ﴿ راضية ﴾ أى ذات رضى ١٠ أو مرضية [لأن أمه - ١] جنة عالية ﴿ و اما من خفت ﴾ أى طاشت ﴿ موازينه ﴾ أى بأن غلبت سيئاته أو لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه فى الدنيا ﴿ فامه ﴾ أى التى تؤويه و تضمه إليها كما يقال للأرض : أم - لأنها تقصد لذلك ، و يسكن إليها كما يسكن إلى الأم ، و كذا المسكن ، و هو يفهم أنه مخلوق[٢] منها غلب عليه طبع ١٥ الشيطان لكون العنصر النارى أكثر أجزائه ، و عظمها بالتنكير و التعبير بالوصف المعلم بأنه لا قرار لها فقال : ﴿ هاوية ﴾ أى نار نازلة سافلة جدا ، فهو بحيث لا يزال يهوى / فيها نازلا و هو فى عيشة ساخطة ، / ٨٣٨ فالآية من الاحتباك ، ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا ، و ذكر

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : مخلوط .

الأم[1] ثانيا دليلا على حذفها أولا .

و لما كانت مما يفوت الوصف بعظيم أهوالها و شديد زلزالها، جمع الأمر فيها فقال منكرا ان يكون مخلوق يعرف وصفها[2] : ﴿ و مآ ادرٰنك ﴾ أى و أىّ شيء أعلمك و إن اشتد[3] تكلفك ﴿ ماهيه ۠ه ﴾ أى الهاوية ٥ لأنه لم يعهد أحد مثلها ليقيسها عليه ، و هاء السكت إشارة إلى أن ذكرها مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال فى الكلام ، أو [إلى -[4]] أنها مما ينبغى للسامع أن يقرع بهذا الاستفهام عنها سمعه فيسكت لسماع الجواب و فهمه غاية السكوت و يصغى غاية الإصغاء .

و لما هوّلها بما ذكر ، أتبعها ما[5] يمكن البشر معرفته من وصفها ١٠ فقال ﴿ نار حامية ۝ ﴾ أى قد انتهى حرها ، هذا ما تتعارفونه بينكم ، و أما التفاصيل فأمر لا يعلمه إلا الله تعالى ، و هذا نهاية القارعة ، فتلاؤم[6] الأول للآخر واضح جدا و ظاهر ـ و الله أعلم .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الامام (٢) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : منك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فتلازم .

سورة التكاثر [١]

مقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم الجمع - الذى[٢] صورته القارعة - الجمع للمال، و الإخلاد إلى دار الزوال، و اسمها واضح الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالإنعام، [بالبيان -[٣]] بعد الابهام، و الإيجاد ٥ بعد الإعدام ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وده[٤] بدوام نعمتهم بالإتمام.

لما أثبت فى القارعة أمر الساعة، و قسم الناس فيها إلى شقى و سعيد، و ختم بالشقى، افتتح هذه بعلة الشقاوة و مبدأ الحشر لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكا لأنه ﴿ الهكم ﴾ أى أغفلكم إلا النادر منكم غفلة عظيمة ١٠ عن الموت الذى هو وحده كاف فى البعث على الزهد فكيف بما بعده ﴿ التكاثر ﴾ و هو المباهاة و المفاخرة بكثرة الأعراض الفانية من[٥] متاع الدنيا: المال و الجاه و البنين و نحوها مما هو شاغل عن الله، فكان ذلك موجبا لصرف الهمة كلها إلى الجمع، فصرفكم ذلك إلى اللهو، فأغفلكم

(١) الثانية والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٨ (٢) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م. (٤) زيد فى الأصل: بتمام، مع يسير بياض بعده، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ممن.

عما أمامكم [1]من الآخرة[1] و الدين الحق و عن ذكر ربكم و عن كل ما ينجيكم من سخطه ، أو عن المنافسة فى الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات ، و ذلك كله لأنكم لا تسلمون بما[2] غلب عليكم من الجهل الذى سببه شهوة النفس وحب الراحة خفت[3] موازينكم ، و حذف هذا ٥ الشيء الملهو عنه لتعظيمه و الدلالة على أنه ليس غيره مما يوصف على اللهو عنه .

و لما كانوا ينكرون البعث ، و يعتقدون / [دوام -[4]] الاقامة فى القبور ، /٨٣٩ عبر بالزيارة إشارة إلى أن البعث لابد منه و لا مرية فيه ، و أن اللبث فى البرزخ و إن طال فانما هو كلبث الزائر عند مزوره فى جنب الإقامة ١٠ بعد البعث فى دار النعيم أو غار الجحيم ، و أن الإقامة [فيه -[4]] محجوبة للعلم بما بعده من الأهوال و الشدائد و الأوجال ، فقال : ﴿ حتى ﴾ أى استمرت مباهاتكم و مفاخرتكم إلى أن ﴿ زرتم المقابر ۝ ﴾ أى بالموت و الدفن ، فكنتم فيها عرضة للبعث لا تتمكنون من عمل ما ينجيكم لأن دار العمل فاتت كما أن الزائر ليس بصدد[5] العمل عند المزور ، لا يمكثون ١٥ بها[6] إلا ريثما يتكمل المجموعون بالموت كما أن الزائر معرض للرجوع[7]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مما .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : خففت (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بعدد (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فيها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الرجوع .

إلى

إلى داره و محل قراره، فلو لم يكن لكم وازع[1] عن الإقبال[2] على الدنيا إلا الموت لكان كافيا فكيف و الأمر أعظم من ذلك؟ فان الموت مقدمة من مقدمات العرض، قال أبو حيان[3]: سمع بعض الأعراب الآية فقال: بعث القوم للقيامة و رب الكعبة، فان الزائر منصرف لا مقيم، و روى ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأها ثم قال: ما ٥ [أرى -[4]] المقابر إلا زيارة، و لا بد لمن زار أن يرجع إلى بيته، إما إلى الجنة أو إلى النار.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم ذكر القارعة و عظيم[5] أهوالها، أعقب بذكر ما شغل و صد[6] عن الاستعداد لها و ألهى عن ذكرها، و هو التكاثر بالعدد و القرابات و الأهلين فقال: "ألهاكم التكاثر" وهو ١٠ فى معرض التهديد و التقريع و قد أعقب بما يعضد ذلك و هو قوله "كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون" ثم قال "كلا لو تعلمون علم اليقين" و حذف جواب "لو" و التقدير: لو تعلمون علم اليقين [7]لما شغلكم[7] التكاثر، قال صلى الله عليه و سلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا - الحديث، وقوله تعالى "لترون الجحيم" جواب ١٥ لقسم مقدر أي و الله لترون الجحيم، و تأكد بها التهديد و كذا ما بعد

(١) من م، و فى الأصل و ظ: رادع (٢) زيد فى الأصل: عن الدنيا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) راجع البحر المحيط ٨/٥٠٧ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عظم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: صدر (٧-٧) من م، و فى الأصل و ظ: لشغلكم.

إلى آخر السورة - انتهى .

و لما كان الاشتغال بالتكاثر فى غاية الدلالة على السفه لأن[1] من المعلوم قطعا أن هذا الكون على هذا النظام لايكون إلا بصانع حكيم، و كان العقلاء المنتفعون بالكون فى غاية التظالم، و كان الحكيم لايرضى ٥ أصلا أن يكون عبيده[2] يظلم بعضهم بعضا ثم لا يحكم بينهم و لاينظر فى مصالحهم علم قطعا أنه يبعثهم ليحكم بينهم لأنه كما قدر على إبدائهم يقدر على إعادتهم، و قد وعد بذلك و ارسل به رسله و أنزل به كتبه، فثبت ذلك ثبوتا لا مرية فيه و لا مزيد عليه، و كان الحال مقتضيا لأن يردع غاية الردع من أعرض عما يعنيه و أقبل على ما لا يعنيه، فقال ١٠ سبحانه معبرا بأم الروادع، و جامعة الزواجر و الصوادع: ﴿كلا﴾ أى ارتدعوا أتم ردع و انزجروا / أعظم زجر عن الاشتغال بما لايجدى، /٨٤٠ فانه ليس الأمر كما تظنون من أن الفخر فى المكاثرة بالأعراض[3] الدنيوية و لم تخلقوا لذلك، إنما خلقتم لأمر عظيم، فهو الذى يهمكم [فاشتغلتم عنه بما لايهمكم -[4]] فكنتم لاهين كمن كان يكفيه كل يوم درهم[5] فاشتغل بتحصيل ١٥ أكثر، و كذا من ترك المهم من التفسير و اشتغل بالأقوال الشاذة أو ترك المهم من الفقه و اشتغل[6] بنوادر الفروع وعلل النحو و غيرها[7] و ترك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عبيد. (٣) من م، و فى الأصل وظ: فى الأعراض (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: درهما (٦) من ظ و م، و فى الأصل: استعمل (٧) فى م: نحوها.

ما هو أهم منه مما لا عيش له إلا به .

و لما كان الردع لا يكون إلا عن ضار بجر وبالا وحسرة ، دل على ذلك بقوله استئنافا : ﴿ سوف ﴾ أى بعد مهلة طويلة يتذكر فيها من تذكر ﴿ تعلمون ﴾ أى يتجدد لكم العلم بوعد[1] لا خلاف فيه بما أنتم عليه من الخطأ عند معاينة ما يكشفه الموت و يجر حزنه الفوت من عاقبة ٥ ذلك و وباله .

و لما كان من الأمور ما لو شرح شأنه على ما هو عليه لطال و أدى إلى الملال ، دل على أن [2]شرح هذا[2] الوعيد مهول بقوله مؤكدا مع التعبير بأداة التراخى الدالة على علو الرتبة : ﴿ ثم كلا ﴾ أى ارتدعوا ارتداعا أكبر من ذلك لأنه ﴿ سوف تعلمون ﴾ أى يأتيكم العلم من ١٠ غير شك و إن تأخر زمنه يسيرا بالبعث .

و لما كان هذا أمرا صادعا[3] ، أشار إلى أنه يكفى هذه الأمة المرحومة التأكيد بمرة ، فقال مرددا الأمر بين تأكيد الردع ثالثا بالأداة الصالحة له و لأن تكون [لمعنى -[4]] حقا كما يقوله أئمة القراءة : ﴿ كلا ﴾ [أى -[4]] ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فانه أساس كل بلاء فانكم ١٥ ﴿ لو تعلمون ﴾ أيها المتكاثرون . و لما كان العلم قد يطلق على الظن رفع مجازه بقوله : ﴿ علم اليقين ﴾ أى لو يقع لكم علم [على -[5]] وجه اليقين

(١) فى م : بوعيد (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا شرح (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : صادقا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م .

مرة من الدهر لعلمتم ما بين أيديكم، فلم يلهكم التكاثر و لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا ، و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون[١] - لحذف هذا الجواب بعد حذف المفعول للتفخيم فهو إشارة إلى أنه لايقين غيره ، و المعنى أن أعمالكم أعمال من لا يتيقنه ، قال الرازى : و اليقين مركب ٥ الآخذ فى هذا الطريق ، و هو غاية درجات العامة ، و أول خطوة الخاصة ، قال عليه الصلاة و السلام[٢] : خير ما ألقى فى القلب اليقين . و علم قبول ما ظهر من الحق و قبول ما غاب للحق[٣] و الوقوف على ما قام بالحق ، و الآية من الاحتباك : ذكر الإلهاء أولا و حذف سببه و هو الجهل لدلالة الثانى [عليه -[٤]] ، و ذكر ثانيا العلم الذى هو الثمرة[٥] و حذف ما يتسبب ١٠ عنه من عدم اللهو الذى هو ضد الأول ، و زاد فى التفخيم لهذا الوعيد بايضاح المتوعد به بعد إبهامه[٦] مع قسم[٦] دل عليه بلامه ، فقال : ﴿ لترون ﴾ أى بالمكاشفة و عزتنا ، و لايصح أن يكون هذا جوابا لما قبله لأنه محقق ﴿ الجحيم ﴾ أى النار التى تلقى المعذبين بها بكراهة و تغيظ و عتو [و -[٧]] شديد[٨] توقد ، فالمؤمن يراها و ينجو منها سواء خالطها ١٥ أم لا و الكافر / يخلد فيها .

/ ٨٤١

و لما كان هذا توعدا[٩] على التكاثر لأنه يقتضى الإعراض عن الآخرة

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : تجاورون (٢) راجع الكنز ٢/ ٩٠ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : للخلق (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العمرة (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بقسم (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : و شدة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : توعد .

فيوقع في غمرات البلايا الكبار، أكد فقال مفخما له بحرف التراخي: ﴿ثم لترونها﴾ و عزة الله، و رقي الظم عن رتبة الأول فقط فقال تعالى: ﴿عين اليقين ﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين، و ذلك هو المعاينة بغاية ما يكون من صفاء العلم [1]لكونه لاريبة[1] فيه فان المشاهدة أعلى انواع العلم، قال الرازي: [و-[2]] هو [3]المغني بالاستدراك[3] عن الاستدلال، و عن الخبر ٥ بالعيان، و خرق الشهود[4] حجاب - العلم - انتهى. و يجوز أن يكون هذا الثاني بالملامسة و الدخول، فالمؤمن وارد و الكافر خالد.

و لما كان من أهول[5] الخطاب التهديد برؤية العذاب، زاد في التخويف بأنه لأجل أن يكون ما يعذب به العاصي عتيدا، فاذا أوجب السؤال النكال كان حاضرا لا مانع من إيقاعه في الحال، و لو [لم-[2]] ١٠ يكن حاضرا كان لمن[6] استحقه في مدة إحضاره محال، فقال مفخما بأداة التراخي: ﴿ثم﴾ أي بعد أمور طويلة عظيمة مهولة جدا[7] ﴿لتسئلن﴾ و عزتنا ﴿يومئذ﴾ أي [إذ-[8]] ترون الجحيم ﴿عن النعيم ﴾ أي الذي [9]أداكم التكاثر إليه[9] حتى عن الماء البارد في الصيف و الحار في

(١ - ١) من م، و في الأصل و ظ: لا كونه لارتبة (٢) زيد من م.
(٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: المغير المستدرك (٤) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و في الأصل: اهل (٦) زيد في ظ: فاز (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد من ظ و م (٩ - ٩) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م.

الشتاء هل كان استمتاعكم به على وجه السرف[1] لإرادة الترف أو كان لإرادة القوة للنشأة إلى الخير فلم يخرج عن السرف، فالمؤمن المطيع يسأل سؤال تشريف، و العاصي يسأل سؤال توبيخ و تأفيف، و لام النعيم قد تكون لمطلق الجنس و إليه يشير حديث أبي هريرة رضى الله ٥ عنه عند الترمذى[2] و غيره أن النبي صلى الله عليه و سلم ضاف أبا الهيثم ابن التيهان مع أبي بكر و عمر رضى الله عنهما فأطعمهم بسرا و رطبا و سقاهم ماء باردا و بسط[3] لهم بساطا فى ظل، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: إن هذا من النعيم الذى تسألون عنه: ظل بارد و رطب طيب و ماء بارد. [و -[4]] قد يكون للكمال فيكون من أعلام النبوة كما فى ١٠ حديث محمود بن لبيد رضى الله عنه عند أحمد[5] من وجه حسن إن شاء الله أنهم قالوا عند نزولها: أى نعيم و إنما هما الأسودان: التمر و الماء، و سيوفنا على رقابنا و العدو حاضر، قال: إن ذلك سيكون. له شاهد عند الطبراني عن ابن الزبير رضى الله عنهما، و عند[6] الطبراني[7] أيضا عن الحسن البصرى مرسلا، فقد التحم آخرها بأولها على وجه [هو -[4]] ١٥ من ألطف الخطاب، و أدق المسالك فى النهى عما يجر إلى العذاب، لأن العاقل[8] إذا علم أن بين يديه سؤالا عن كل ما يتلذذ به علم أنه يعوقه

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الشرف (٢) راجع الجامع /الزهد (٣) فى ظ: بسر (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع المسند ٥ /٤٢٩ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٧) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٤٢ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العامل.

ذلك فى زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال الغوال، فكان خوفه / من مطلق السؤال مانعا له عن[1] التنعم بالمباح[2] فكيف بالمكروه فكيف ثم كيف بالمحرم؟ فكيف إذا كان السؤال من ملك تذوب لهيبته الجبال؟ فكيف إذا كان السؤال على وجه العتاب؟ فكيف إذا جر إلى العذاب؟ فتأمل كلام خالقك ما ألطف إشاراته و أجل عباراته، ٥ فى نذاراته و وبشاراته - [3]و الله أرحم[3] .

/ ٨٤٢

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : من (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمحال .

(٣-٣) فى ظ : والله أعلم ، و ما بين الرقمين ساقط من م .

سورة العصر [1]

قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : إنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم ، و هو معنى [2]قول غيره[2] : إنها [3]شملت جميع علوم[3] القرآن[4]، مقصودها تفضيل نوع الإنسان المخلوق من علق ، و بيان خلاصته و عصارته ٥ و هم الحزب الناجي يوم السؤال عن زكاء الأعمال بعد الإشارة إلى أضدادهم ، و الإعلام بما ينجي من الأعمال و الأحوال بترك الفاني و الإقبال على الباقي لأنه خلاصة الكون و لباب الوجود . و اسمها العصر واضح في ذلك فإن[5] العصر يخلص روح المعصور و يميز صفاوته ، و لذلك كان وقت هذا النبي[6] الخاتم الذي هو خلاصة الخلق وقت العصر ، و كانت ١٠ صلاة العصر أفضل الصلوات ، و بيان اشتمالها على علوم القرآن[7] تنزيل جملتها على [ما - [8]] قال الغزالي : إن القرآن كالبحر الذي فيه جزائر

(١) الثالثة و المائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آيها ٣ . (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : قوله (٣-٣) من ظ و م ، و في الأصل : اشتملت على جميع (٤) زيد في الأصل و ظ : كل من هذا صنعته ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : كان (٦) زيد في الأصل : القائم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى « بها معادن » ص ٢٣٥ س ١ ساقطة من ظ (٨) زيد من م .

بها

بها معادن ستة، منها أربعة مهمة: مهمان منها هما ياقوت أنخر فأحمره للعلم بالله، و أخضره لصفاته، و ازرقه لأفعاله، [1]و زمرد أخضر[1] هو العلم باليوم الآخر و ما[2] فيه، و مهمان أولهما در أنضر وهو العلم بالعبادات المقربة إليه سبحانه و تعالى، و ثانيهما[3] مسك أذفر، و هو العلم بالعادات[4] التى بها تهيأ العبادات، و متمان[5] و هما درياق أكبر و هو العلم بازاحة الشكوك ٥ و الشبه و الأوهام لأنها[6] سموم و مهلكة للدين، و عنبر أشهب و هو الاعتبار بمن هلك باجتناب ما كان سبب هلاكه، و الاقتفاء بمن نجا باتباع ما كان سبب نجاته، فالجملة الأولى للعنبر لأن فيها شم روائح الهالك وضده الناجى، و بدئ بها لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، و الجملة الثانية للياقوت بصفاته الثلاث و الزمرد، و الثالثة للدر و المسك، ١٠ و هما عبادات مقصودة، و عادات وسيلة إليها معدودة، و الرابعة للدرياق لأن الشبه و الشكوك إنما هى من أوهام عاطلة و خيالات باطلة، و الخامسة وسيلة إليها و متمة[7] لها لأن معرفة ذلك و اجتنابه لا يكون إلا ببذل الجهد فى الصبر ﴿ بسم الله ﴾ الذى كل شيء هالك إلا وجهه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالنعمة البر و الفاجر فليس شيء شبهه ﴿ الرحيم ﴾ ١٥ الذى [خص -[8]] باتمام النعمة أولياءه، فكانوا للدهر غرة و لأهله جبهة.

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: زمرده الأخضر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مما (٣) من ظ و م، و فى الاصل: ثانيها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالعبادات (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مهمان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لأنهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: متممة (٨) زيد من ظ و م.

لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع، و كان الإنسان مسؤلا بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعدا برؤية الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، / فكان نعيمه في غاية الكدر، قال دالا على ذلك بأن أكثر الناس هالك، مؤكدا بالقسم ٨٤٣ /
٥ و الأداة لما[1] للأغلب من التكذيب لذلك إما بالقال أو بالحال:
﴿و العصر ﴾ أي الزمان الذي خلق فيه أصله[2] آدم عليه الصلاة و السلام و هو في عصر يوم الجمعة كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم[3]، أو الصلاة الوسطى أو وقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع[4] الذي مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه،
١٠ أو زمان كل أحد الذي هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبيها له على نفاسته إشارة إلى اغتنام إنفاقه في الخير إشفاقا من الحشر[5]، أو وقت الأصيل لأنه أفضله بما يحويه من الفراغ من الأشغال[6] و استقبال الراحة و الحصول على فائدة[7] ما أنفق فيه ذلك النهار، [و -[8]] بما دل عليه من طول الساعة و ربح من كان له فيها بضاعة باختتام الأعمال و تقوض النهار،
١٥ و الدال على البعث، او جميع الدهر الذي أوجد فيه سبحانه و تعالى المخلوقات و قدر فيه المقدورات بما ظهر [فيه -[8]] من العجائب الدالة على ما لله

(١) من ظ و م، و في الأصل: بما (٢) زيد في الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) راجع ١/٢٨٢ (٤) من ظ و م، و في الأصل: الشرح (٥) من ظ و م، و في الأصل: الشرا - كذا (٦) من ظ و م، و في الأصل: الاشتغال (٧) من م، و في الاصل و ظ: الفائدة (٨) زيد من م.

تعالى من العز و العظمة الداعى إلى صرف الهمة إليه و قصرها عليه:
﴿ان الانسان﴾ أى هذا النوع الذى هو أشرف الأنواع لكونه فى
أحسن تقويم كما أن العصر خلاصة الزمان، و العصر يكون لاستخراج
خلاصات الأشياء ﴿لفى خسرٍ﴾ أى نقص بحسب مساعيهم فى أهوائهم
و صرف أعصارهم فى أغراضهم لما لهم بالطبع من الميل إلى الحاضر ٥
و الإعراض عن الغائب و الاغترار بالفانى أعم من أن يكون الخسر
قليلا أو جليلا بحسب تنوع الناس إلى أكياس و أرجاس، فمن كان
كافرا كان فى كفران، و من كان مؤمنا عاصيا كان فى خسران[1] إن كان
بالغا فى المعصية و إلا كان فى مطلق الخسر، و هو مدلول المصدر المجرد،
و فى هـذا إشارة إلى العلم بالاحتياج إلى إرسال الرسل لبيان المرضى ١٠
[لله -[2]] من الاعتقادات و العبادات و العادات إيمانا و إسلاما و إدامة
لذلك ليكون فاعله من قبضة اليمين و تاركه [3]من أصحاب[3] الشمال[4].

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما قال تعالى "الهاكم التكاثر"
و تضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان و حصر إدراكه فى العاجل
دون الآجل الذى فيه فوزه و فلاحه[5] و ذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع ١٥
"إنه كان ظلوما جهولا" أخبر سبحانه أن [6]ذلك شأن[6] الإنسان بما

---

(١) فى ظ وم: خسارة (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من ظ وم، وفى الأصل: فى قبضة (٤) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: صلاحه (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: شان ذلك.

هو إنسان فقال "و العصر ان الإنسان لفى خسر" فالقصور شأنه، و الظلم طبعه، و الجهل جبلته، فيحق أن يلهيه التكاثر، و لا يدخل الله عليه /٨٤٤ روح الإيمان "إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات" إلى آخرها، فهؤلاء الذين "لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله" - انتهى.

٥ و لما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا ذلك، وكان فيهم من خلصه الله سبحانه و تعالى مما طبع عليه الإنسان بجعله فى أحسن تقويم، و حفظه عن الميل مع ما فيه من النقائص، اشتثناهم سبحانه و تعالى لأنهم قليل جدا بالنسبة إلى أهل الخسر[1] فقال دالا بالاشتثناء على أن النفوس داعية إلى الشر[2] مخلدة إلى البطالة و اللهو، ١٠ فالمخلص واحد من ألف كما فى الحديث الصحيح[3] ﴿الا الذين امنوا﴾ أى أوجدوا الإيمان و هو التصديق بما علم بالضرورة بمجىء النبى صلى الله عليه و سلم به من توحيده سبحانه و تعالى و التصديق بملائكته و كتبه و رسله و اليوم[4] الآخر، و لعل حكمة التعبير بالماضى الحث على الدخول فى الدين و لو على أدنى الدرجات، و البشارة لمن فعل ذلك بشرطه بالنجاة[5] ١٥ من الخسر.

(١) من ظ و م. و فى الأصل: الخسران (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الشره (٣) زيد فى الأصل: قال تعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها. (٤) من م، و فى الأصل و ظ: التصديق باليوم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالتجارة.

و لما

و لما كان الإنسان حيوانا ناطقا، و كان كمال حيوانيته فى القوة العملية للحركة بالإرادة لا بمقتضى الشهوة القاسرة البهيمية قال تعالى: ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا بما أقروا به من الإيمان[1] ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ أى هذا الجنس، وهو اتباع الأوامر و اجتناب النواهى فى العبادات كالصلاة و العادات كالبيع فكانوا بهذا مسلمين بعد أن كانوا مؤمنين فاشتروا ٥ الآخرة بالدنيا فلم يلههم التكاثر، ففازوا بالحياة الأبدية و السعادة السرمدية فلم يلقهم شىء من الخسر.

[و لما كان الإنسان بعد كماله فى نفسه بالأعمال لاينتفى عنه مطلق الخسر -[2]] إلا بتكميل غيره، و حينئذ يكون وارثا لأن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بعثوا للتكميل، و كان الدين لايقوم، و إذا قام لا يتم ١٠ إلا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر الناشىء عن نور القلب، و لا يتأتى ذلك إلا بالاجتماع. قال مخصصا لما دخل فى الأعمال الصالحة تنبيها على عظمه: ﴿ و تواصوا ﴾ أى أوصى[3] بعضهم بعضا بلسان الحال أو المقال: ﴿ بالحقّ ﴾ أى الأمر الثابت، وهو كل ما حكم الشرع بصحته فلا يصح بوجه نفيه من قول أو عمل أو اعتقاد أو غيره من ١٥ فعل أو ترك، فكانوا محسنين، و التكميل [4]فى القوة[4] العملية باجتلاب[5] الخيور.

---

(١) زيد فى الأصل: بالله وحده الأعمال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يوصى (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالقوة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: باجتناب.

و لما كان [الإنسان -[1]] ميالا إلى النقصان ، فكان فاعل ذلك الإحسان معرضا للشنآن من أهل العدوان، و هم الأغلب فى كل زمان، قال تعالى: ﴿و تواصوا﴾ [2]لأن الإنسان ينشط بالوعظ و ينفعه اللحظ و اللفظ ﴿ بالصبر ﴾ أى الناشئ عن زكاة النفس على العمل بطاعة الله ٥ من إحقاق / الحق و [3]إبطال الباطل[3] و النفى له و المحق و على ما يحصل بسبب ذلك من الأذى باجتناب الشرور إلى الممات الذى هو سبب موصل إلى دار السلام[4] ، فكانوا مكملين للقوة العملية حافظين لما قبلها من العلمية، و ذلك هو حكمة العبادات فان حكمة الشيء هى الغاية و الفائدة المقصودة منه ، و هى هنا أمران: خارج عن العامل و هو الجنة ، و داخل قائم ١٠ به و هو النور المقرب من[5] الحق سبحانه و تعالى ، و اختير التعبير بالوصية إشارة إلى الرفق [6]فى الأمر[6] بالمعروف و النهى عن المنكر ، واستعمال اللين بغاية الجهد، و الصبر هو خلاصة الإنسان و سره و صفاوته و زبدته و عصارته ، الذى لايوصل إليه إلا بضغط الإنسان لنفسه و قسرها على أفعال الطاعة و قهرها على لزوم السنة و الجماعة حتى يصير الصبر لها ١٥ بالتدريب عادة و صناعة ، فقد عانق آخرها أولها ، و واصل [7]مفصلها موصلها[7] ،

٨٤٥ /

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ابطال (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسلام (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالامر (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : موصلها مفصلها .

و هى أربع عشرة كلمة تشير إلى أن فى السنة الرابعة عشرة من النبوة يكون الإذن فى الجهاد الذى هو رأس الأمر بالمعروف بالفعل لإظهار الحق و هى سنة الهجرة التى تم فيها بدره، و عم نوره و قدره، و جم عزه و نصره، فاذا ضممت إليها أربع كلمات البسملة كانت موازية فى العدد لسنة خمس من الهجرة، و كان فيها غزوة بدر الموعد و غزوة ٥ الأحزاب، و قد وقع فيهما أتم الصبر من النبى صلى الله عليه و سلم ثم[1] ممن وافقه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لإظهار[2] الحق و الصواب، فانهم فى بدر خذلوا من ركب عبد القيس أو من نعيم بن مسعود و موافقة المنافقين و خوفوا حتى كاد يعمهم الرعب و الفشل، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: و الله لأخرجن و لو لم يخرج معى أحد، و أنزل الله فيها "الذين ١٠ قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم [3]فزادهم ايمانا و قالوا[3]" الآيات، و فى الأحزاب زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و أسفرت عاقبة الصبر فيها عما قال النبى صلى الله عليه و سلم عند ذهابهم: [4]الآن نغزوهم[4] و لا يغزوننا. فاذا ضممت إليها الضمائر الأربعة أشارت إلى سنة تسع، و قد كانت فيها غزوة تبوك و هى غزوة العسرة لما [كان-[5]] ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: الا ان نغزوهم (٥) زيد من ظ و م.

فيها من الشدة التي أسفرت عاقبة الصبر فيها[1] عن إقبال الوفود، بفخامة العز و الجدود و تواتر السعود، بلطف الرحيم الودود، و بذلك كان نور الوجود، و تواتر الفضل و الجود[2] من الإله المعبود - [3]و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه خيار الوجود[3].

---

(١) وقع في الأصل بعد «أسفرت» و الترتيب من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: الوجود (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م.

سورة

سورة الهمزة[1]

مقصودها بيان الحزب الأكبر الخاسر الذى ألهاه التكاثر، فبانت خسارته[2] يوم القارعة الخافضة الرافعة، و اسمها الهمزة / ظاهر الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له تمام العز و هو الحكم العدل ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم ظاهر نعمته أهل البخل و أولى البذل ﴿ الرحيم ﴾ الذى أتم نعمته على من شاء من عباده فخصهم بالفضل .

/ ٨٤٦

٥

لما بين الناجين من قسمى الإنسان فى العصر، و ختم بالصبر، حصل تمام التشوف[3] إلى أوصاف الهالكين، فقال مبينا لأضلهم وأشقاهم الذى الصبر على أذاه فى غاية الشدة ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة للصابر[4] : ﴿ ويل ﴾ أى هلاك عظيم جدا ﴿ لكل همزة ﴾ أى [5]الذى صار له الهمز[5] عادة لأنه خلق ثابت فى جبلته و كذا ﴿ لمزة ﴾ و الهمز الكسر كالهزم ، و اللمز الطعن - هذا أصلهما، ثم خصا بالكسر من أعراض الناس و الطعن فيهم، و قال ابن هشام فى تهذيب السيرة[6] : الهمزة الذى[7] يشتم الرجل علانية، و يكسر[8] عينيه عليه و يهمز به ، و اللمزة الذى

١٠

(١) الرابعة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٩ .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التكاثر (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : التصوف (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المصابر (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الذين صار لهم الهمز (٦) راجع السيرة ١/١٢٤ (٧) من السيرة ، و فى الأصول : التى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كسر .

يعيب الناس سرا - انتهى . و قال البغوى[1] : و أصل الهمز الكسر و العض [2] على الشيء[2] بالعنف ، و الذى دل على الاعتياد صيغة فعل بضم و فتح كما يقال ضحكة للذى يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له و ضرى به ، و الفعلة بالسكون للفعول و هو الذى يهمزه[3] الناس و يلمزونه ، و قرئ

٥ بها و كأنه إشارة إلى[4] من يتعمد أن يأتى بما يهمز به و يلمز به فيصير مسخرة يضحك منه - و الله أعلم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه و تعالى " ان الانسان لفى خسر " أتبعه بمثال [من ذكر نقصه و قصوره و اغتراره ، و ظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره ، و اعتماده على ما جمعه من المال

١٠ ظنا أنه يخلده و ينجيه ، و هذا كله هو عين النقص ، الذى هو شأن الإنسان ، و هو المذكور فى السورة قبل ، فقال تعالى « ويل لكل همزة لمزة » فافتتحت السورة - [5]] بذكر[6] ما أعد له من العذاب جزاء له [على - [7]] همزه [8]و لمزه الذى أثم[8] حسده ، و الهمزة العياب الطعان و اللمزة مثله ، ثم ذكر تعالى ماله و مستقره بقوله "لينبذن فى الحطمة"

١٥ أى ليطرحن فى النار جزاء له[9] على اغتراره و طعنه - انتهى .

و لما كان الذى يفعل النقيصة من غير حاجة تحوجه إليها أقبح حالا

(١) راجع المعالم ٧/٢٤٠ (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يميزه (٤) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما ذكره (٧) زيد من م (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) سقط من م .

و كان المتمول[1] عندهم هو الرابح، و هم يتفاخرون بالربح و يعدون الفائز به من ذوى المعالى، قال مقيدا لـ «كل» بالوصف مبينا الخاسر كل الخسارة: ﴿الذى جمع﴾ و لما كان مطلق الجمع يدل على الكثرة جاء التشديد فى فعله لأبى جعفر و ابن عامر و حمزة و الكسائى، و خلت تصريحا بما علم تلويحا و دلالة على أن المقصود به من جعل الدنيا أكبر ٥ همه، و التخفيف لمن عداهم[2] اكتفاء بأصل مدلوله بخلاف عدد، فان مجرده يكون لما قل، و لهذا أجمعوا على التضعيف فيه: ﴿مالا﴾ أى عظيما[3]، و أكد مراد الكثرة بقوله: ﴿و عدده﴾ أى جعله بحيث إذا أريد عدده طال الزمان فيه و كثر / التعداد، أو[4] ادخره و أمسكه إعدادا /٨٤٧ لما ينوبه فى هذه الدنيا المنقضية، و زاده قيدا آخر فى بيان حاله فقال: ١٠ ﴿يحسب﴾ لقلة عقله ﴿ان ماله﴾ أى ذلك الذى عدده ﴿اخلده﴾ أى أوصله إلى رتبة الخلد فى الدنيا، فأحب ذلك المال كما يحب الخلود، و يجوز أن يكون ذلك كناية عن أنه عمل[5] - بانهماكه فى المعاصى و الإعراض عن الله عز وجل و الإقبال على التوسع فى الشهوات و الأعراض الزائلات - عمل من يظن أنه لا يموت، و يجوز أن يكون ١٥ استئنافا، و فيه تعريض[6] بأنه لا يفيد الخلد إلا الأعمال الصالحة المسعدة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المشهور (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عاداهم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عظيمة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عمله (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تعرض.

في الدار الآخرة .

و لما كان هذا الحسبان لشدة وهيه و بيان ضعفه لا يحتاج إلى إقامة دليل على فساده ، اكتفى فيه بأداة الردع الجامعة[1] لكل زجر فقال : ﴿ كلا ﴾ أي لا يكون ما حسبه لأنه لا يكون له ما لا يكون لغيره من ٥ أمثاله بل يموت كما مات[2] كل حي مخلوق .

و لما كان كأنه قيل : فما الذي يفعل به بعد الموت ؟ قال مقسما [دالا -[3]] باللام الداخلة على الفعل على القسم : ﴿ لينبذن ﴾ أي ليطرحن بعد موته طرح[4] ما هو خفيف هين جدا على كل طارح كما دل عليه التعبير بالنبذ و بالبناء للمفعول ﴿ في الحطمة ﴾ أي الطبقة من النار التي ١٠ من شأنها أن تحطم أي تكسر و تهشم بشدة و عنف كل ما طرح فيها فيكون[5] أخسر الخاسرين ، و عبر بها في مقابلة الاستعداد بالمال الحامل على الاستهانة بالخلق ، قال الأستاذ أبو الحسن الحرالي : فلمعنى ما يختص بالحكم يسمى تعالى باسم من أسمائها من نحو جهنم فيما يكون مواجهة و من نحو الحطمة فيما يكون جزاء لقوة قهر و استعداد بعدد ، و نحو ١٥ ذلك في سائر أسمائها . و عظم شأنها سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ و مآ ادرٰك ﴾ أي و أي شيء أعلمك و لو بمحاولة منك للعلم و اجتهاد في التعرف مع

(١) زيد في الأصل : لاداة الزجر ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، و في الأصل : يموت (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم ، و في الأصل : صرح (٥) من ظ و م ، و في الأصل : يكون .

كونك أعلم[1] الخلق ﴿ ما الحطمة ۞ ﴾ أى ما الدركة النارية التى سميت هذا الاسم[2] لهذه الخاصية[2] فانه ليس فى الوجود الذى شاهدتموه ما يقاربها ليكون مثالا لها ، ثم فسرها بقوله : ﴿ نار الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى عدل المشركون عنه إلى شركائهم ، فعظمة هذه النار من عظمته ، و انتقامه من نقمته[3] ﴿ الموقدة ۞ ﴾ أى التى وجد و تحتم إيقادها ٥ بايقاده ، و من الذى يطيق محاولة ما أوقده ؟ فهى لا يزال لها هذا الاسم ثابتا .

و لما وصف الهامز الهازم[4] ، وصف الحاطم فقال تعالى : ﴿ التى ﴾ و لما كان لا يطلع على أحوال الشىء إلا من قبله علما قال[5] : ﴿ تطلع ﴾ اطلاعا شديدا ﴿ على الافئدة ۞ ﴾ جمع فؤاد و هو القلب الذى يكاد[6] ١٠ يحترق من شدة ذكائه ، فكان ينبغى أن يجعل ذكاءه فى أسباب[7] الخلاص ، / و اطلاعها عليه بأن تعلو وسطه و تشتمل عليه اشتمالا بليغا ، سمى /٨٤٨ بذلك لشدة توقده ، و خص بالذكر لأنه ألطف ما فى البدن و أشده تألما بأدنى شىء من الأذى ، و لأنه[8] منشأ العقائد الفاسدة و معدن حب المال الذى هو منشأ الفساد و الضلال ، و عنه تصدر الأفعال القبيحة . ١٥

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اغرو (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الخاصية (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نقمه (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الهاذم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فقال (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تكاد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسباب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كانه .

و لما كان الاطلاع على الفؤاد مظنة الموت، و فى الموت راحة من العذاب، أشار إلى خلودهم فيها و أنهم لا يموتون و لا ينقطع عنهم العذاب، فقال مؤكدا لأنهم يكذبون [بها - [1]] : ﴿ انها ﴾ و أشار إلى قهرهم و غلبتهم فقال: ﴿ عليهم ﴾ و آذن بسهولة التصرف فى تعذيبهم ٥ و انقطاع الرجاء من خلاصهم بقوله معبرا باسم المفعول: ﴿ مؤصدة ﴾ أى مطبقة بغاية الضيق، من أوصدت الباب - إذا أطبقته.

و لما كانت[2] عادتهم فى المنع من التصرف أن يضعوا خشبة عظيمة تسمى المقطرة[3] فيها حلق توثق فيها الرجل، فلا يقدر صاحبها بعد ذلك على حراك[4]، قال مصورا لعذابهم بحال من ضمير «عليهم»: ﴿ فى ﴾ [أى - [5]] ١٠ حال كونهم موثقين فى ﴿ عمد ﴾ بفتحتين و بضمتين جمع عمود ﴿ ممددة ﴾ أى معترضة كأنها موضوعة على الأرض، فهى فى غاية المكنة فلا يستطيع الموثق بها على نوع حيلة فى[6] أمرها فهو تأكيد ليأسهم من الخروج بالإيثاق بعد الإيصاد، و هذا[7] أعظم الويل و أشد النكال، فقد رجع آخرها إلى[8] أولها، و كان لمفصلها [أشد - [9]] التحام بموصلها - ١٥ و الله الموفق [10]للصواب، و إليه المرجع و المآب[10].

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: السطرة (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الترك (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: من (٧) من ظ و م، و فى الأصل: هو. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: على (٩) زيد من ظ (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة الفيل[1]

مقصودها الدلالة على آخر الهمزة من إهلاك المكاثرين فى دار التعاضد و التناصر بالأسباب ، فعند[2] انقطاعها أولى لاختصاصه سبحانه و تعالى بتمام القدرة دون التمكن بالمال و الرجال ، و اسمها الفيل ظاهر الدلالة على ذاك بتأمل سورته ، و ما حصل فى سيرة جيشه و صورته ﴿ بسم الله ﴾ ٥ الذى له الإحاطة فقدرته فى كل شىء عاملة ﴿ الرحمن ﴾ الذى له النعمة الشاملة ﴿ الرحيم ﴾ الذى يختص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة .

لما قدم فى الهمزة أن كثرة الأموال المسببة بالقوة بالرجال[3] ربما أعقبت الوبال ، دل عليه[4] فى هذه بدليل شهودى وصل فى تحريقه و تغلغله[5] فى الأجسام و تحريفه إلى القلوب فى العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها ١٠ للعذاب الأكبر الأخفى ، محذرا[6] من الوجاهة[6] فى الدنيا وعلو الرتبة ، مشيرا إلى أنها كلما عظمت زاد ضررها بما[7] يكسبه من الطغيان حتى ينازع صاحبها الملك الأعلى ، ومع كونه شهوديا فللعرب[8] و لاسيما[8] قريش به الخبرة[9] التامة ، فقال مقررا منكرا على من يخطر له خلاف ذلك :

---

(١) الخامسة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٥ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فقد ـ كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : للرجال . (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عليها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تغلظه . (٦-٦) من ظ وم ، و فى الأصل : للوجاهة (٧) من ظ وم . و فى الأصل : مما . (٨-٨) من ظ وم ، وفى الأصل : فلاسيما (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : الحلوة .

/ ٩٤٨ ﴿ألم تر﴾ أى تعلم علما [هو - [1]] فى تحققه كالحاضر / المحسوس بالبصر، و ذلك لأنه صلى الله عليه و سلم و إن لم يشهد تلك الوقعة فانه شاهد آثارها، و سمع بالتواتر مع إعلام الله له أخبارها، و خصه صلى الله عليه و سلم إعلاما بأن ذلك لايعلمه و يعمل به إلا هو صلى الله عليه
٥ و سلم و من وفقه الله لحسن اتباعه، لما [2] الانسان من علائق النقصان، و علائق الحظوظ و النسيان، و قرئ "تر" باسكان الراء، قالوا جدا فى إظهار أثر الجازم، وكان السر فى هذه القراءة الإشارة إلى الحث فى الإسراع بالرؤية إيماء إلى أن أمرهم على كثرتهم كان كلمح البصر، من لم يعتن به و يسارع إلى تعمده لايدركه حق إدراكه.

١٠ و لما كان للناظر فى الكيفية من التدقيق و الوقوف على التحقيق فى وجوه الدلالات على كمال علم الله و قدرته و إعزاز نبيه بالإرهاص لنبوته و التمكين [4] لرسالته لتعظيم بلده و تشريف قومه ما ليس للناظر إلى مطلق الفعل قال: ﴿كيف﴾ [5] دون أن يقول: ما ﴿فعل﴾ أى فعل من له أتم داعية إلى ذلك الفعل، و فعل الرؤية معلق عن [6] "كيف" لما
١٥ فيه من معنى الاستفهام فلا يتقدم عامله عليه، بل [7] ناصبه فعل [8]، و جملة الاستفهام فى موضع نصب بالفعل المعلق ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٣) من ظ و م، و فى الأصل: وجوده (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تمكين (٥) زيد فى ظ: اى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فعله.

و من

و من إحسانه [إحسانه -[1]] إلى قومك بك و بهـذه الواقعة الخارقة للعادة إرهاصا لنبوتك [كما -[1]] هو معلوم من أخبار الأنبياء المتقدمين فيما[2] يقع بين أيدى نبواتهم من مثل ذلك ليكون مؤيدا لادعائهم النبوة بعد ذلك، و فى تخصيصه صلى الله عليه و سلم بالخطاب و التعبير بالرب مع التشريف له و الإشارة [3]بذكره التعريض[3] بحقارة الأصنام التى ٥ سموها أربابا لهم، يعلم ذلك منهم علم اليقين من آمن، و من استمر على كفره فسيعلم ذلك حق اليقين عند ما يسلط الله عليهم رسوله صلى الله عليه و سلم بالبلد الحرام، و يحلها له على أعلى حال و مرام ﴿ بأصحب الفيل ﴾ أى الذين قصدوا انتهاك حرمات الله سبحانه و تعالى فيخربوا[4] بيته و يمزقوا جيرانه بما أو صلهم إلى[5] البطر [6]من الأموال و القوة[6] التى من[7] عليهم ١٠ سبحانه و تعالى بها، فحسبوا أنها تخلدهم فبان أنها توردهم المهالك ضد ما حسبوه. وهم الحبشة الذين كانوا غلبوا على بلاد اليمن، بنى أميرهم وهو أبو يكسوم أبرهة بن الصباح الأشرم بيعة بصنعاء و سماها القليس وزن قبيط، و أراد أن يصرف إليها - فيما زعم - حج العرب، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا - يعنى تغوط و لطخها به، فأغضب ذلك الأشرم ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٣-٣) فى ظ و م: التحقير (٤) فى ظ: ليخربوا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: والقوة والأموال (٧) زيد فى الأصل: الله، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فسأل فقيل له: زى الفاعل من أهل البيت الذى بمكة[١] - خلف: ليهدمن
الكعبة، و من عجائب صنع الله أنه ألهمه سبحانه و تعالى تسميتها هذا
الاسم الذى هو مشتق / من القاس الذى[٢] أحد معانيه أنه ماء خرج ٨٥٠ /
من الحلق ملء الفم، فهو مبدأ القيء الذى هو أخو الغائط الذى آل
٥ أمرها إليه، فكان سبب هلاكها[٣] بهلاك بانيها، و ذلك أنه غضب من
ذلك فخرج بجيشه لهدم بيت الله الكعبة و معه أفيال كثيرة منها فيل
عظيم اسمه محمود، فقاتله بعض العرب فهزمهم و قتل منهم، فلما دوّخهم
دانوا له[٥]، فلما وصل إلى المغمس خرج إليه[٦] عبد المطلب جد النبي صلى الله
عليه و سلم، فعرض عليه ثلث اموال تهامة على أن يرجع عنهم، و قيل:
١٠ بل كانت طلائعه أخذت له مائتى بعير فطلبها منه فقال: قد كنت أعجبتنى
حين رأيتك، فزهدت فيك حين تكلمنى فى مائتى بعير، و تترك كلامى
فى بيت هو دينكم[٧] و فيه عزكم؟ فقال: أنا رب الإبل، و أما البيت فله
رب يمنعه[٨]، فقال: ما كان يمنعه منى، فقال[٢]: أنت و ذاك، فرد عليه
إبله فساقها و مضى، و أمر قريشا أن يتفرقوا فى الشعاب و يتحرزوا فى

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل: مكة (٢) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لهلاكها (٤) زيد فى الأصل: فقتله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ايه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اليهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: دونكم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يمنع عنه (٩) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.

الجبال، و أتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب و جعل يقول[1] :

[يا رب لا أرجو لهم سواكا فامنعهم أن يقربوا[2] قراكا - [3]]

و قال :

لاهم إن المرء يمـ ـنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم و محالهم عدوا محالك

جروا جميع تلادهم في الفيل كي يسبوا عيالك ٥

عمدوا حماك بكيدهم جهلا و ما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكعـ ـبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك الحلقة و توجه [في - [3]] بعض تلك الوجوه فلما أصبح أبرهة[4] تهيأ للدخول إلى الحرم و عبأ جيشه و قدم الفيل فبرك فعالجوه فلم تفد فيه حيلة، فوجهوه إلى غير الحرم فقام يهرول فوجهوه إلى ١٠ الحرم فبرك، و كان هذا دأبه في ذلك اليوم فبينماهم كذلك إذ أرسل الله تعالى عليهم طيرا أبابيل، كل طائر منها في منقاره حجر، و في رجليه حجران. الحجر منها أكبر من العدسة و أصغر من الحمصة، فرمتهم بها، فكان الحجر منها يقع في[5] رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا، و أهل مكة و من حضر من العرب [في رؤس الجبال - [3]] ١٥ ينظرون إلى صنع الله تعالى بهم و إحسانه إليهم - أي أهل مكة - و كان ذلك إرهاصا لنبوة محمد صلى الله عليه و سلم، فان ذلك كان

---

(١) راجع للابيات تاريخ الطبري ٢ / ١١٢ و فيه بعض المفارقات (٢) في م : يحربوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل : توجه و، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : على .

عام مولده ، و قال حمزة الكرماني : [و في رواية -[1]] : يوم مولده ، و كأنه كان سببا اضعفهم حتى ذهب سيف بن ذي يزن إلى كسرى و أتى منه بجيش فاستأصل[2] بقيتهم - كما هو مشهور في السير ، و مأثور في الخبر ، و وفدت قريش لتهنئته بالنصرة عليهم ، و كان رئيسهم عبد المطلب ٥ جد النبي صلى الله عليه و سلم ، و بشره سيف بأنه يولد له ولد اسمه محمد فأعلمه بأنه[3] ولد و أن أباه توفي ، فأخبره سيف بأنه النبي المبعوث في[4] آخر الزمان ، و أن يثرب مهاجره ، و أنه لو علم / أنه يعيش إلى زمن ٨٥١/ بعثته لأتى يثرب و جعلها قراره حتى[5] ينصر النبي صلى الله عليه و سلم [بها -[1]] و يظهر نبوته[6] .

١٠ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة الهمزة ذكر اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده و ما أعقبه ذلك ، أتبع هذا أصحاب الفيل الذين غرهم تكاثرهم ، و خدعهم امتدادهم في البلاد و استيلاؤهم حتى هموا بهدم البيت المكرم ، فتعجلوا النقمة ، و جعل الله كيدهم في تضليل . و أرسل عليهم طيرا أبابيل ، أي جماعات متفرقة ، ترميهم ١٥ بحجارة من سجيل حتى استأصلتهم[7] و قطعت[7] دابرهم فجعلهم كعصف مأكول ، و أثمر[8] لهم ذلك[8] اغترارهم بتوفر حظهم من الخسر

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و في الأصل و ظ : واستاصل (٣) من ظ و م ، و في الأصل : انه (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد في الأصل : انه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و في الأصل وظ : دينه . (٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : فقطعت (٨ - ٨) من ظ و م ، و في الأصل : ذلك لهم .

المتقدم - انتهى .

و لما قرره بالكيفية تنبيها على ما فيها من وجوه الدلالة[1] على مقدمات الرسالة، أشار إلى تلك الوجوه مقدما عليها تقريرا آخر جامعا لقيصتهم و معلما بغصتهم فقال: ﴿الم يجعل﴾ أى بما له من الإحسان إلى العرب لا سيما قريش ﴿كيدهم﴾ [اى -[2]] فى تعطيل الكعبة بتخريبها ٥ و بصرف الحج إلى كنيستهم على زعمهم و [قد -[3]] كان كيدهم عظيما[4] غلبوا به من ناواهم من العرب ﴿فى تضليل﴾ اى مظروفا لتضييع عما قصدوا له من نسخ الحج إلى الكعبة أولا و من هدمها ثانيا و إبطال و بعد عن السداد و إهمال بحيث صار بكونه مظروفا لذلك معمورا به لا مخلص له منه، و هذا مشير[5] إلى أن كل من تعرض ١٠ [6]لشيء من حرمات[6] الله كبيت من بيوته أو ولى من أوليائه أو عالم[7] من علماء الدين و إن كان مقصرا نوع تقصير وقع فى مكره، و عاد [8]عليه وبال شره[8] «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب[9]» و إلى أن من جاهر بالمعصية أسرع إليه الهلاك بخلاف من تستر، و إلى أن الله تعالى يأتى من يريد عذابه من حيث لا يحتسب ليدوم الحذر منه و لا يؤمن ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الدلالات (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تعظيما (٥) من م، و فى الأصل و ظ: مشيرا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لحرمات (٧) من ظ و م، و فى الأصل: عالما (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: اليه لما ورد (٩) من ظ و م، و فى الأصل: فى محاربته .

مكره و لو كان الخصم أقل عباده، لم يخطر للحبشة ما وقع لهم أصلا ولا خطر لأحد سواهم ان طيورا تقتل جيشا دوّخ الأبطال و دانت له غلب الرجال، يقوده ملك جبار كتيبته فى السهل تمشى و رجله على[1] القاذفات فى رؤس المناقب.

٥ و لما كان التقدير: فمنعهم من الدخول إلى حرم إبراهيم عليه الصلاة و السلام فضلا عن الوصول إلى بلدة[2] الرسول صلى الله عليه و سلم، عطف عليه أو على «يجعل» معبرا بالماضى لأنه بمعناه و هو أصرح و التعبير به أقعد قوله: ﴿و ارسل﴾ و بين أنه إرسال عذاب بقوله: ﴿عليهم﴾ أى خاصة من بين من كان[3] هناك من كفار العرب،

١٠ وأشار إلى تحقيرهم و تخسيسهم عن أن يعذبهم بشيء عظيم لكونهم عظموا أنفسهم و تجبرو على خالقهم بالقصد القبيح لبيته فقال تعالى معلما بأنه سلط عليهم ما [لا -[4]] يقتل مثله فى العادة[5]: ﴿طيرا﴾ / و هو اسم جمع يذكر على اللفظ، و يؤنث على المعنى، و قد يقع على الواحد، و لذلك قال مبينا الكثرة ﴿ابابيل لا﴾ أى جماعات [6]كثيرة جدا متفرقة[6] يتبع بعضها

١٥ بعضا من نواحى شتى فوجا فوجا و زمرة زمرة، أمام كل فرقة منها طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق. قال أبو عبيدة[7]: يقال: جاءت

/٨٥٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ف (٢) من م، و فى الأصل و ظ: بلد. (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: و كان ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م. و فى الأصل: كثير متفرقة جدا (٧) فى م: أبو عبيد.

الخيل أبابيل من هاهنا و[1] هاهنا، و هو جمع إبالة بالكسر و التشديد و هي[2] الحزمة الكبيرة - شبهت بها الجماعة من الطير في تضامّها، و في أمثالهم: ضغث على إبالة، أي بلية على أخرى.

و لما تشوف السامع إلى فعل الطير بهم، [3]قال مستأنفا[3]: ﴿ترميهم﴾ أي الطير ﴿بحجارة﴾ أي عظيمة [4]في الكثرة[4] و الفعل، صغيرة في ٥ المقدار و الحجم، كان كل [واحد -[5]] منها في نحو مقدار العدسة، في منقار كل طائر منها واحد و في[6] كل رجل واحد.

و لما كان الشيء إذا كان مصنوعا للعذاب كان أشد فعلا فيه قال: ﴿من سجيل ۝﴾ أي طين متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو كما بين في سورة هود عليه الصلاة و السلام، قال[7] حمزة الكرماني: ١٠ قال أبو صالح: رأيت تلك الحجارة مخططة بالحمرة. و لما تسبب عن هذا المرمى هلاكهم، و كان ذلك بفعل الله [8] سبحانه و تعالى القادر على ما أراد[8] لأنه الذي خلق الأثر قطعا لأن مثله لا ينشأ عنه[9] ما نشأ من الهلاك، قال: ﴿فجعلهم﴾ أي ربك المحسن إليك باحسانه إلى

---

(١) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و في الأصل: هو (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: كان قائل قال. (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: كثيرة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل و ظ: رجليه، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٧) زيد في الأصل: الشيخ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م، و في الأصل: منه.

قومك لأجلك بذلك ﴿ كعصف مأكول ع ﴾ أى ورق زرع وقع فيه الآكال وهو أن يأكله الدود ويجوفه لأن الحجر كان يأتى فى الرأس فيخرق[1] بما له من الحرارة وشدة الوقع كل ما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه أسود لما له من النارية، أو أكل حبه فبقى[2] صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته، ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله تعالى: "كانا يأكلان الطعام" وهذا الإهلاك فى إعجابه هو [3]من معانى[3] الاستفهام التقريرى فى أولها، فقد تعانق طرفاها، والتف أخراها بأولاها - [4]والله أعلم بمراده[4].

(١) من ظ و م، وفى الأصل: فينخرق (٢) من ظ و م، وفى الأصل: وبقى (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: فى معنى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة قريش[1]

مقصودها الدلالة على [ضد -[2]] ما دلت عليه[3] الفيل بأن إهلاك الجاحدين المعاندين لإصلاح المقرين[4] العابدين، و هو بشارة عظيمة لقريش خاصة باظهار[5] شرفهم فى الدارين، و اسمها قريش ظاهر الدلالة على ذلك، و التعبير بقريش دون قومك أو الحمس مثلا و نحوه دال على أنهم يغلبون ٥ الناس اجمع بقوة كما يدل عليه الاسم، و[6]بغير قوة[6] كما دل عليه ما فعل لأجلهم من قصة الفيل: ﴿بسم الله﴾ ذى السبحات و الحمد فله جميع الكمال ﴿الرحمن﴾ ذى النعم العامة بالإيجاد و البيان فهو ذو الأفضال ﴿الرحيم ه﴾ ذى الانتقام بالإبعاد و الاختصاص / بمن يشاء بالإسعاد بالتقريب /٨٥٣ و الإجلال ه ١٠

لما[7] كان ما فعله سبحانه - من منع هذا الجيش العظيم - الذى من قوته طاعة أكبر ما خلق الله من الحيوان البرى فيما نعلمه له - من دخول الحرم الذى هو مظهر قدرته و محل عظمته الباهرة و عزته و المذكر بخليله عليه

(١) السادسة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٤ (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: سورة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من م، و فى الأصل و ظ: المقربين (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لاظهار (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: تعرفوه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: و لما .

الصلاة و السلام و ما كان من الوفاء بعظيم خلته - كرامة لقريش عظيمة ظاهرة عاجلة حماية لهم عن أن تستباح ديارهم و تسبى ذراريهم لكونهم أولاد خليله و خدام بيته و قطان[1] حرمه و متعززين به و منقطعين إليه، و عن أن يخرب موطن[2] عزهم و محل أمنهم و عيشهم و حرزهم، ذكرهم ٥ سبحانه و تعالى ما فيه من النعمة الآجلة إكراما ثانيا بالنظر في العاقبة، فقال مشيرا إلى أن من تعاظم عليه قصمه، و من ذل له و خدمه أكرمه و عظمه: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ أي لهذا الأمر لا غيره[3] فعلنا ذلك و هو إيقاعهم الإيلاف و هو ألفهم للبدم الذي ينشأ عنه طمأنينتهم و هيبة الناس لهم، و ذلك ملزوم لألفهم أولا في أنفسهم، فإذا كان لهم ١٠ الألف بحرمهم بما حصل لهم من العز و المكنة به بما دافع عنهم فيه مع ما له من بعد الآفات عنه، و كان لهم الألاف بينهم. فكان بعضهم يألف بعضا، قوي أمرهم فآلفوا غيرهم أي جعلوه يألف ما ألفوه إياه أي سنوه[4] له و أمروه به، أو يكون اللام متعلقا بفعل العبادة بدلالة[5] "فليعبدوا" أي ليعبدونا لأجل ما أوقعنا من[6] ألفهم و إيلافهم، و على ١٥ التقديرين الألاف علة للعبادة أو لما يوجب الشكر بالعبادة. و في هذا إشارة إلى تمام قدرته سبحانه و تعالى و أنه إذا أراد شيئا يسر سببه لأن

(١) من ظ و م، و في الأصل: خطان (٢) من م، و في الأصل و ظ: مواطن (٣) من ظ و م، و في الأصل: لغيره (٤) من ظ و م، و في الأصل: يسوه (٥) من ظ و م، و في الأصل: بذلك لا له (٦) من ظ و م، و في الأصل: عن.

التدبير كله له يخفض من يشاء و إن عز، و يرفع[1] من يشاء و إن ذل، ليثمر اعتقاد ذلك حبه و الانقطاع لعبادته و الاعتماد عليه في [كل - [2]] نفع و دفع، و قريش ولد النضر بن كنانة و اسمهم و اسم قبيلتهم مشتق من القرش [و التقرش - [3]] و هو التكسب و الجمع، يقال : فلان يقرش لعياله و يقترش أي يكتسب، و قال البغوى[4] : و قال [أبو - [5]] ٥ ريحانة : سأل معاوية ابن عباس رضى الله عنهما : لم سموا بهذا ؟ فقال : لدابة تكون في البحر [هي - [3]] أعظم دوابه، يقال لها القرش، لا تمر بشيء من الغث و السمين إلا أكلته، و هي تأكل و لا تؤكل وتعلو و لا تعلى، قال : و هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم، و أنشد للجمحي : ١٠

و قريش هي التي تسكن البحـــر بها سميــت قريش قريشـا

سلطت بالعلو في لجة البحـــر على سائر الجيوش جيوشـا

و قال[5] الزمخشري[6] : هي دابة عظيمة تعبث بالسفن و لا تطاق إلا بالنار، و التصغير للتعظيم - انتهى، و قيل : سموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم بعد تفرقهم، فان القرش - كما تقدم - الجمع، و كان المجمع لهم قصيا، و القرش[7] ١٥ أيضا[8] الشديد، و قيل : هو من تقرش الرجل - إذا تنزه عن مدانيس

(١) من ظ و م، و في الأصل : رفع (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م . (٤) راجع المعالم ٧ / ٢٤٧ (٥) زيد في الأصل : ابو القاسم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) راجع البحر ٨/٥١٣ (٧) من ظ و م، و في الأصل : القريش (٨) من ظ و م، و في الأصل : ابا - كذا .

/٨٥٤ الأمور، و من تقارشت الرماح / فى الحرب - إذا دخل بعضها فى [بعض -[1]] .

و المادة كلها للشدة و الاختلاط، و التعبير بهذا الاسم لمدحهم. و كما أجرى سبحانه و تعالى مدحهم على الألسنة جعلهم موضعا للدح،
٥ قال النبي صلى الله عليهم عليه و سلم[2] : إن الله اصطفى كنانة من بنى إسماعيل و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى بنى هاشم من قريش و اصطفانى من بنى هاشم، و قال صلى الله عليه و سلم[3] : الأئمة من قريش، قال العلماء: و ذلك أن طيب العنصر يؤدى إلى محاسن الأخلاق، و محاسن الأخلاق تؤدى إلى صفاء القلب، و صفاء القلب [4]عون على[4] إدراك العلوم، و بادراك
١٠ العلوم تنال الدرجات العلى فى [الدنيا و -[1]] الآخرة، و صرف الاسم هنا على معنى الحى ليكون الاسم بمادته دالا على[5] الجمع، و بصرفه دالا على[6] الحياة إشارة إلى كمال حياتهم ظاهرا و باطنا، قال سيبويه فى معد و قريش و ثقيف: صرف هذه الأحياء أكثر، و إن جعلتها اسما للقبائل - يعنى فمنعتها - فجائز حسن، و الذى يدل على تعلق اللام بفعل دلت عليه
١٥ الفيل أن السورتين فى مصحف أبى[7] رضى الله عنه سورة واحدة من غير

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع المعالم ٧ / ٢٤٧ (٣) راجع مسند أحمد ٣/١٢٩.
(٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: يودى الى (٥) زيد فى الأصل: معنى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابى بكر.

فصل

فضل، و أن عبد الرزاق[١] و ابن أبي شيبة[٢] رويا عن أبي إسحاق عن عمرو ابن ميمون قال: صلى بنا عمر رضي الله عنه المغرب فقرأ في الأولى بالتين و الزيتون، و في الثانية ألم تركيف و لئيلاف قريش.

و قال [الإمام -[٣]] أبو جعفر ابن الزبير: لاخفاء [٤]في اتصالها[٤] أي أنه سبحانه و تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل و منعهم عن بيته و حرمه ٥ لانتظام شمل قريش، و هم سكان الحرم و قطان بيت الله الحرام، و ليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة و تأمن[٥] ساحتهم - انتهى.

و لما علل بالإيلاف[٦] و كان لازما و متعديا، تقول: آلفت المكان أولفه إيلافا فأنا مؤلف[٧] و آلفت فلانا هذا الشيء أي جعلته آلفا له، وكان الإتيان بالشيء محتملا لشيئين[٨] ثم إبدال[٩] أحدهما منه أضخم لشأنه ١٠ و أعلى لأمره، أبدل منه قوله: ﴿ إلفهم ﴾ أي إيلافنا إياهم ﴿ رحلة الشتاء ﴾ التي يرحلونها في زمنه إلى اليمن لأنها بلاد حارة ينالون بها متاجر الجنوب ﴿ والصيف ﴾ التي يرحلونها إلى الشام في زمنه لأنها بلاد باردة ينالون فيها منافع[١٠] الشمال، و هم آمنون من سائر العرب لأجل عزهم بالحرم

(١) راجع مصنفه ٢/١٠٩ (٢) راجع مصنفه - كتاب الصلاة (٣) زيد من ظ. (٤-٤) في م: باتصالها (٥) من ظ وم، وفي الأصل: تومن (٦) من ظ وم، وفي الأصل: يلاف (٧) من ظ وم، وفي الأصل: يولف (٨) في ظ: للشيئين (٩) من ظ وم، و في الأصل: ابدا (١٠) من ظ وم، و في الأصل: منع.

المكرم المعظم ببيت الله و الناس يتخطفون من حولهم[1]، ففعل الله تعالى بأصحاب الفيل ما فعل ليزداد العرب لهم[2] هيبة و تعظيما فتزيد في إكرامهم لما رأت من إكرام الله تعالى لهم فيكون لهم غاية التمكن في رحلتهم، و الرحلة بالكسر هيئة الرحيل، و قرئ بالضم و هي الجهة التي ٥ يرحل إليها، و كانوا معذورين لذلك لأن بلدهم لازرع به[3] [ولاضرع -[4]]، فكانوا إذا ضربوا في الأرض قالوا : نحن سكان [5]حرم الله[5] و ولاة بيته[6]، فلا يعرض أحد بسوء، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، و لولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، و أول من سن لهم الرحلة هاشم ابن عبد مناف، و كان يقسمون ربحهم بين الغني و الفقير [7]حتى كان[7] ١٠ فقيرهم كغنيهم، و في ذلك يقول[8] الشاعر :

قل للذي طلب السماحة و الندى هلا مررت بآل عبد مناف

الرائشين و ليس يوجد رائش و القائلين هلم للاضياف

و الخالطين فقيرهم بغنهيم حتى يكون فقيرهم كالكاف

القائلين بكل وعد صادق و الراحلين برحلة الإيلاف

١٥ عمرو العلا هشم الثريد لقومه و رجال مكة مستنون[9] عجاف

(١) في ظ : حواه (٢) من ظ و م ، و في الأصل : عنده (٣) من ظ و م ، و في الأصل : بها (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : الحرم (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بيت الله (٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : فكان (٨) من ظ و م ، و في الأصل : قد قالى - و راجع المعالم ٧/ ٢٤٨ للأبيات (٩) من ظ و م ، و في الأصل : منون .

سفرين سنّهما له و لقومـــــه سفر الشتاء و رحلة الأصياف

و تبع هاشما على ذلك إخوته ، فكان هاشم يؤلف[١] إلى الشام و عبد شمس إلى الحبشة ، و المطلب إلى اليمن ، و نوفل إلى فارس ، و كان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هذه الإخوة - أى عهودهم - التى أخذوها بالأمان[٢] لهم من ملك كل ناحية [من هذه النواحى -[٣]] ، و أفرد الرحلة ٥ فى موضع التثنية لتشمل كل رحلة - كما هو شأن المصادر و أسماء الأجناس ، إشارة [لهم -[٣]] بالبشارة بأنهم يتمكنون عن قريب من الرحلة [٤]إلى أى بلد أرادوا لشمول[٤] الأمن لهم و بهم جميع الأرض بما نشره الله سبحانه و تعالى من الخير فى قلوب عباده فى سائر الأرض بواسطة هذا النبى الكريم الذى هو أشرفهم و أعظمهم و أجلهم و أكرمهم . ١٠

و لما كان هذا التدبير لهم من الله كافيا[٥] لهمومهم الظاهرة بالغنى و الباطنة بالأمن ، و كان شكر المنعم واجبا ، فاذا أنعم بما يفرغ المنعم عليه للشكر كان[٦] وجوبه عليه أعظم ، [٧]سبب عن[٧] الإنعام عليهم بذلك قوله[٨] : ﴿ فليعبدوا ﴾ اى قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة خاصة إن لم يشكروه على جميع نعمه التى لا تحصى لأنهم يدعون ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يالف (٢) من ظ و م ، و فى الأصل: فالامان. (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من م ، و فى الأصل : اى اى الى اى بلاد ارادوا لشموم ، و فى ظ : الى اى بلاد اراد والشموم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كاينا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فان (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بسبب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : قال تعالى .

أنهم أشكر الناس للاحسان و أبعدهم عن الكفران[1] ﴿رب هذا البيت ۝﴾ أى الموجد له و المحسن إلى أهله بتربيتهم به و بحفظه من كل طاغ، و تأثيره لأجل حرمته فى كل باغ، و باذلال الجبابرة له ليكمل إحسانه إليهم و عطفه عليهم باكمال إعزازه لهم فى الدنيا و الآخرة و جعل ما ٥ داموا عابدين له موصولا بعز الآخرة، فتتم النعمة و تكمل الرحمة، [2]و المراد[2] به الكعبة، عبر عنها بالإشارة تعظيما إشارة إلى أن ما تقدم فى السورة الماضية من المدافعة عنهم معروف أنه بسببه لايحتاج إلى تصريح، و أن[3] ذلك جعله متصورا فى [4]كل ذهن[4] حاضرا مشاهدا لكل مخاطب، و فى هذا التلويح من التعظيم ما ليس للتصريح، ثم وصف نفسه الأقدس بما هو ١٠ ثمرة الرحلتين / و مظهر لزيادة شرف البيت فقال تعالى : ﴿الذى اطعمهم﴾ أى قريشا بحمل الميرة إلى مكة بالرحلتين آمنين من ان يهاجوا، و باهلاك الذين أرادوا إخراب البيت الذى به نظامهم، إطعاما مبتدئا ﴿من جوع ۝﴾ أى عظيم فيه غيرهم من العرب، أو كانوا هم فيه قبل ذلك لأن بلدهم مهيأ لذلك لأنه ليس بذى زرع، فهم عرضة للفقر[5] ١٥ الذى ينشأ عنه[6] الجوع، فكفاهم ذلك وحده و لم يشركه أحد فى كفايتهم، فليس من الشكر إشراكهم فى عبادته و لا من البر بأبيهم إبراهيم عليه

/٨٥٦

(١) من ظ وم، وفى الأصل : الكفر قال (٢-٢) من ظ وم، و فى الأصل : فالمراد (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الى (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل : ذهن كل احد (٥) من م، و فى الأصل و ظ : الفقراء (٦) من ظ و م، و فى الأصل : عنهم .

الصلاة و السلام الذى دعا لهم بالرزق و نهى أشـد النهى عن عبادة الأصنام، ولم [يقل: أشبعهم -[1]] لأنه ليس كلهم كان يشبع، و لأن من كان يشبع منهم طالب لأكثر مما [هو -[1]] عنده «و لايملأ جوف ابن آدم إلا التراب».

و لما ذكر السبب فى إقامة الظاهر، ذكر السبب فى إقامة العيش ٥ بنعمة الباطن فقال: ﴿وءامنهم﴾ أى تخصيصا لهم ﴿من خوف ع﴾ أى شديد جدا من أصحاب الفيل و مما ينال من حولهم من[2] التخطف بالقتل و النهب و الغارات و [3]بالأمن من[3] الجذام بدعوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، [و من الطاعون و الدجال بتأمين النبى صلى الله عليه و سلم -[1]]، و عن ذلك تسبب الاتحاف بما خصهم به من الإيلاف، فعلم [أن -[1]] ١٠ آخرها علة لأولها، و يجوز أن يكون إلفهم للبلد وقع أولا لحماه الله لهم مما ذكر، فيكون ذلك مسببا عن الإلف فيكون أولها علة لآخرها[4]، فقد التقى الطرفان[5]، و التأم البحران المغترفان، و كما التقى آخر كل سورة مع أولها فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله بالنسبة إلى تسع سور هذه أولها إذا عددت من الآخر إليها، فان حاصلها المن على قريش ١٥ بالإعانة على المتجر إيلافا لهم بالرحلة فيه و الضرب[6] فى الأرض بسببه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: من الامن (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لاخراها. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الطرف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الصرف.

و اختصاصهم بالأمر بعبادة الذى منّ عليهم بالبيت الحرام و جلب لهم به الأرزاق و الأمان، و من أعظم مقاصد التوبة - المناظرة لهذه بكونها التاسعة من الأول - البراءة من كل مارق ، و أن فعل ذلك يكون سببا للألفة بعد ما ظن أنه سبب الفرقة . و ذكر مناقب البيت و من يصلح
٥ لخدمته ، و الفوز بأمانه و نعمته ، و البشارة بالغنى على وجه أعظم من تحصيله بالمتجر و أبهى و أبهر ، و أوفى و أوفر ، [1]و أزهى[1] و أزهر ، و أجل أفخر ، بقوله تعالى " ما كان للشركين أن يعمروا مساجد الله [2]شاهدين على أنفسهم[2]" - الآيات ، و قوله تعالى "و ان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله" فعلم بهذا علما جليا أنه شرع سبحانه فى رد المقطع على المطالع من سورة
١٠ قريش الذين أكرمهم الله بانزال القرآن بلسانهم و أرسل[3] به النبي صلى الله عليه و سلم إليهم كما أكرمهم ببناء البيت فى شأنهم[4] ، و تعظيمه لغناهم و أمانهم ، و من أعظم المناسبات فى ذلك كون أول السورة التى أخذ فيها فى رد المقطع على المطالع شديد المشابهة للسورة المناظرة لها حتى أن فى كل منهما مع[5] التى قبلها كالسورة الواحده فان[6] براءة مع الأنفال كذلك
١٥ حتى قال عثمان رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم[7] توفى

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ارسله (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : شانه (٥) زيد فى الأصل و ظ : السورة ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
(٦) زيد فى الأصل : مع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : ومات ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لم يبين أمرها، فلم يتحرر له أنها مستقلة عنها، و لذلك لم يكتب بينهما
سطر بسم الله الرحمن الرحيم، و كانت هذه التي من الآخر مقطوعا بأنها
مستقلة مع ما و رد من كونها مع التي قبلها سوره واحدة في مصحف
أبي[1] رضى الله تعالى عنه، و قراءة عمر رضى الله تعالى عنه [لهما - [2]]
على وجه يشعر بذلك كما مضى إشارة إلى أن الآخر يكون أوضح من ٥
الأول، و من أغرب ذلك أن السورتين اللتين قبل سورتي[3] المناظرة
بين أمريهما طباق، فالأولى في الآخر و هي الفيل أكرم الله فيها قريشا
باهلاك [أهل - [2]] الإنجيل، و الأولى في الأول و هي الأنفال أكرمهم
الله فيها بنصر أهل القرآن عليهم باهلاك جبابرتهم، فكان ذلك سببا
لكسر شوكتهم و سقوط نخوتهم المفضى[4] إلى سعادتهم[5]، و علم أن البراءة ١٠
و غيرها إنما عمل لإكرامهم لأنهم المقصودون بالذات و بالقصد الأول
بالإرسال و الناس لهم تبع كما أن جميع الرسل تبع للرسول[6] الفاتح الخاتم
الذي شرفوا بارساله إليهم صلى الله عليه و سلم، و كان عدد التسع مشيرا
إلى أن قريشا أهل لأن يتصلوا بعروج الأسرار في الملكوت إلى
[الفلك - [2]] التاسع، و هو العرش الذي هو مقلوب الشرع، فهم ١٥
يصعدون بأسرار الشرع - التي من أعظمها الصلاة - من الأسفل إلى الأعلى

(١) من ظ و م، و في الأصل: ابي بكر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: سورة (٤) من ظ و م، و في الأصل: المقتضى (٥) في ظ: شقاوتهم (٦) من ظ و م، و في الأصل: المرسول.

من الطرفين معا كما أنه يتنزل عليهم بالبركات من الجانبين، و إذا ضممت التسع الأولى إلى الأخرى كانت ثمان عشرة، فكانت مشيرة إلى ركعات الصلوات مضموما إليها الوتر، و إلى ظهور الدين ظهورا كاملا [على - [1]] غالب أقطار الأرض كما كان فى سنة ثمان و عشرين، و هى الثامنة عشرة ٥ من موت النبي صلى الله عليه و سلم، و ذلك فى أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه فانه كان فيها قد تمزق ملك كسرى و ضعف جدا، وكذا ملك الروم مع ما كان من زوال أمر [2] القبط بالكلية، و من بديع الإشارات أيضا أنك إذا نظرت إلى نزول براءة وجدته سنة تسع من الهجرة فى غزوة تبوك و عقب الرجوع منها، فكان كونها تاسعة و نزولها ١٠ فى السنة التاسعة مشيرا [3] إلى كون الدين يظهر على كل مخالف بعد تسع سنين، و هى السنة الثامنة من موت النبي صلى الله عليه و سلم فى وسط خلافة الفاروق حين [4] ظهر المسلمون على الفرس و الروم، فقتلوا رجالهم، و انتثلوا أموالهم، كما كان قد ظهر عند نزولها على عباد الأوثان من / العرب، و من الغريب أن قصة الفيل كانت سنة مولد النبي صلى الله عليه ١٥ و سلم، فهى قبل النبوة بأربعين سنة بعدد كلمات السورتين: [الفيل - [1]] و قريش، فان الفيل ثلاث و عشرون و قريش سبع عشرة، و ذلك - و الله أعلم - إشارة إلى أن ابتداء الأمن - باهلاكهم و الإشباع بنهب ما كان معهم من أموالهم و متاعهم - كان لمولده صلى الله عليه و سلم

/ ٨٥٨

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ملك (٣) فى ظ و م: مشير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حتى.

و تشريف الوجود بوجوده، و يكون ذلك ظاهرا كما كان السبب - الذى هو وجوده صلى الله عليه و سلم - ظاهرا، و إلى أن وسطه يكون بنبوته صلى الله عليه و سلم، و يكون ذلك باطنا كما أن السبب - و هو الوحى باطن، ثم كان أمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى السنة الثامنة الموازية لعدد كلمات البسملتين على يد النجاشى ملك الحبشة الذين كان الأمن ٥ أولا باهلاكهم، و إذا ضممت إليها أحد عشر ضميرا - سبعة فى الفيل و أربعة فى قريش - كانت[1] تسعا و خمسين توازيها إذا حسبت من المولد[2] سنة [ست - [3]] من الهجرة، و فيها كانت عمرة الحديبيه و هى الفتح السبى [الخفى - [3]]، و إلى ذلك أشار صلى الله عليه و سلم بقوله فى بروك ناقته الشريفة حين بركت فقالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم: خلأت[4] ١٠ القصوى - أى حرنت: ما خلأت و لكن[5] حبسها حابس الفيل، و فيها نزلت سورة الفتح، فكان[6] سبب الأمن العظيم و الغنى، و عقبها فى سنتها كان البعث إلى ملوك الأمصار، و فتح خيبر و [انبساط - [7]] ذكر الإسلام[8] فى جميع الأقطار، و كذا كان عقبها قبل عمرة القضية إسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى[9] لما سأله أن يعطيه عمرو بن أمية الضمرى رضى الله ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الولد.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: محلات - كذا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لكنها (٦) من م، وفى الأصل و ظ: فكانت (٧) زيد من م (٨) من م، وفى الأصل و ظ: ملوك الامصار (٩) من ظ و م، و فى الأصل: النائى.

عنه ليقتله ، و ذلك حين أرسله النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي رضى الله عنهما يدعوه إلى الإسلام فأنكر النجاشي ذلك عـلى ابن العاص و شهد للنبي صلى الله عليه و سلم بالرسالة و أمره بأن[1] يؤمن به ، ففعل فكان ملك الحبشة بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم ناجيا هاديا ،
٥ [و -[2]] إلى النبي صلى الله عليه [داعيا ، عكس ما كان لملك الحبشة بمولده صلى الله عليه و سلم -[2]] من أنه كان هالكا ، و إلى الجحيم هاويا ، و إن حسبت من سنة بنيان الكعبة فى الخامسة و العشرين من مولده صلى الله عليه و سلم كانت السنة التاسعة و الخمسون هى الحادية و الثلاثون بعد الهجرة ، و هى سنة استئصال ملك الفرس بقتل آخر ملوكهم يزدجرد ، و الفرس هم
١٠ الذين أزالوا الحبشة عن بلاد اليمن و طهروا منهم أرض العرب ، و لعل قسمة السورتين إلى ثلاث و عشرين و سبع عشرة إشارة إلى [أن -[2]] هذا المولد الشريف الذى حرست الكعبة بمولده صلى الله عليه و سلم و حصل الأمن و العز ببركته تبنى الكعبة و تجدد بعد بضع و عشرين سنة من مولده ، قالوا : كان بنيانها [و - [2]] سنه خمس و عشرون
١٥ [سنة -[2]] ، فلعله كان فى آخر الرابعة و العشرين[3] ، و لعل قصة الفيل كانت /٨٥٩ و له نحو سنة من حين الولادة ، و به حين البنيان ألف الله بين قريش بعد أن كانوا تنافروا أشد المنافرة و تعاقدوا على الحرب فى أمر الحجر

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عشرين .

الاسود من يضعه فى موضعه حتى أصلح الله بينهم به صلى الله عليه و سلم فوضعه بيده الشريفة فى ثوب ، و أمرهم فأمسكت جميع القبائل بأطرافه، ثم رفعوه حتى وازوا به موضعه فأخذه [هو -[1]] صلى الله عليه و سلم فوضعه فى مكانه، فكان الشرف له خاصة فى الإصلاح و البنيان، و تشير مع ذلك إلى انه يبقى فى النبوة ثلاثا و عشرين سنة، ثم يتوفاه ٥ الله سبحانه و تعالى بعد أن جعل الله كيد جميع الكفرة فى تضليل من عباد الأوثان و الفرس و الروم و غيرهم بما[2] فتح الله عليه من جزيرة العرب التى ألف الله بها بين كلمتهم حتى انسابوا على غيرهم فما وافقهم أحد ناوشوه القتال و ساوموه النضال و النزال، و لعل الإشارة بكون قريش سبع عشرة كلمة إلى أنه صلى الله عليه و سلم بعد سبع عشرة سنة ١٠ من بنيان البيت يبعثه الله سبحانه و تعالى لأمر قريش بالعبادة التى أجلّها[3] الصلاة التى أعظمها الفرائض التى هى سبع عشرة ركعة شكرا لنعمة من آمنهم من خوف و أطعمهم من جوع بأعظم[4] العبادة، و إلى أن ابتداء ألفة قريش بالقوة القريبة من الفعل بعد الشتات العظيم الظاهر و جعل كيد الكفار [5]فى تضليل يكون[5] فى السنة السابعة عشرة[6] من النبوة، ١٥ و ذلك سنة أربع من الهجرة فان فيها كان إجلاء بنى النضير من اليهود

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٣) زيد فى الأصل : واعظمها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بنعمة. (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون فى تضليل (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السابعة عشر .

من المدينة الشريفة و إخلاف قريش [الموعد -[1]] فى بدر الموعد وهناً
منهم عن لقاء جيش النبى صلى الله عليه و سلم[2]، و كانت بعد بيسير غزوة
الأحزاب، و لذلك قال النبى صلى الله عليه و سلم بعد انصرافهم : **الآن**
نغزوهم و لا يغزونا - يعنى أن نخوة الشيطان منهم و حمية الجاهلية أخذت
٥ فى الاضمحلال لانتهاء قوتهم فى الباطل الذى كان سبب عزهم الظاهرى
الذى هو الذل فى الباطن. و كان ذلك ابتداء عزهم فى الباطن الذى هو
ذلهم لأهل الإسلام فى الظاهر، و فى أثر الأحزاب كانت غزوة بنى
قريظة، فاذا ضممت إلى الكلمات الضابر الأربعة كانت إحدى و عشرين
توازيها سنة ثمان من الهجرة و هى سنة الفتح الأعظم الذى وقعت به[3]
١٠ الآلفة العظمى بين قريش و أمنهم و غنائم الذى وعدهم [الله -[1]] به
فى السورة المناظرة لها - و هى براءة - بائتلاف جميع العرب و انبعاثهم
لاجتماع كلمتهم إلى جهاد الفرس / و الروم و القبط و أخذهم لبلادهم، /٨٦٠
و انتثالهم لكنوزهم و تحكمهم فى نسائهم و أولادهم، فسبحان من هذا
كلامه، و تعالى شأنه و عز مرامه[4].

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : بعد انصرافهم الآن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل و ظ : فيه (٤) زيد فى الأصل : و لا اله غيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

سورة الدين و تسمى أرأيت و التكذيب و الماعون [1]

مقصودها التنبيه على ان التكذيب بالبعث لأجل الجزاء أبو الخبائث ، فانه يجرئ المكذب على مساوئ الأخلاق و منكرات الأعمال حتى تكون الاستهانة بالعظائم خلقا له فيصير ممن ليس له خلاق ، و كل من أسمائها الأربعة [2] فى غاية الظهور فى الدلالة على ذلك بتأمل السورة أتعرف هذه ٥ الأشياء المذكورة [3] ، فهى ناهية عن المنكرات بتصريحها ، داعية إلى المعالى بافهامها و تلويحها ﴿ بسم الله ﴾ الذى تعالت عظمته عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمته [4] المحسن و المسىء فغمر الكل بالنوال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أولياءه باتمام النعمة فحباهم بنعيم الاتصال ٠ ١٠

لما أخبر سبحانه و تعالى عن فعله [5] معهم من الانتقام ممن تعدى حدوده فيهم ، و من الرفق بهم بما هو [6] غاية فى [6] الحكمة ، فكان معرفا بأن فاعله لايترك الناس سدى من غير جزاء ، و أمرهم آخر قريش بشكر [7] نعمته بافراده بالعبادة ، عرفهم أول هذه أن ذلك لا يتهيأ إلا بالتصديق

(١) السابعة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية ، وعدد آيها ٧ (٢) سقط من ظ و م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : المذكورات (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نعمة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فعلهم (٦-٦) من ظ وم ، و فى الأصل : فى غاية (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يشير .

بالجزاء الحامل على معالى الأخلاق الناهى عن مساوئها ، و عجب ممن يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة[١] عليه بحكمة الحكيم ، و وصف المكذب [به -[٢]] بأوصاف هم منها فى غاية النفرة . و صوّره بأشنع صورة بعثا لهم على التصديق و زجرا عن التكذيب ، فقال خاصا بالخطاب رأس الأمة
٥ إشارة إلى أنه لا يفهم هذا الأمر حق فهمه غيره : ﴿ اريت ﴾ أى أخبرنى يا أكمل الخلق ﴿ الذى يكذب ﴾ أى يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان ﴿ بالدين ۵ ﴾ أى الجزائى الذى يكون يوم البعث الذى هو محط الحكمة و هو غاية الدين التكليفى الآمر بمعالى الأخلاق الناهى عن سيئها ، و من كذب بأحدهما كذب بالآخر[٣] . و لما كان فعل الرؤية بمعنى
١٠ أخبرنى ، المتعدى إلى مفعولين ، كان تقدير المفعول الثانى : أليس جديرا بالانتقام منه .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت السور[٤] المتقدمة من الوعيد لمن انطوى على ما ذكر فيها مما هو جارٍ على حكم الجهل و الظلم الكائنين فى[٥] جبلة الإنسان ما تضمنت كقوله "ان الإنسان لربه
١٥ لكنود" "ان الانسان لفى خسر" "يحسب ان ماله اخلده" و انجر أثناء ذلك مما تثيره هذه الصفات الأولية[٦] ما ذكر فيها أيضا كالشغل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الادلة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل: عن الآخر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦) بهامش م : أى المكلم بها فى الأزل اوالأولية بمعنى أنها فى الفطرة الأولى .

بالتكاثر، و الطعن على الناس و لمزهم و الاغترار المهلك أصحاب[1] الفيل آتبع ذلك / بذكر صفات قد توجد فى المنتمين إلى الإسلام أو[2] يوجد بعضها أو أعمال من يتصف بها و إن لم يكن من أهلها كدع اليتيم، و هو دفعه عن حقه و عدم الرفق به، و عدم الحض على طعام المسكين، و التغافل عن الصلاة و السهو عنها، و الرياء بالأعمال و الزكاة و الحاجات التى يضطر فيها الناس بعضهم إلى بعض، و يمكن أن يتضمن إبهام الماعون هذا كله، و لا شك أن هذه الصفات توجد فى المتسمين بالإسلام، فأخبر سبحانه و تعالى أنه [من -[3]] صفات من يكذب بيوم الدين و لا ينتظر الجزاء و الحساب، أى إن هؤلاء هم أهلها، و من هذا القبيل قوله عليه الصلاة و السلام «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا» و قوله عليه الصلاة و السلام «لا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن» و هذا الباب كثير فى الكتاب و السنة، و قد بسطته فى كتاب «إيضاح السبيل من حديث سؤال جبريل» فمن هذا القبيل عندى - و الله أعلم - قوله تعالى "أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم" أى أن هذه الصفات من دفع اليتيم و بعد الشفقة عليه، و عدم[4] الحض على إطعامه[5] و السهو عن الصلاة و المراءاة بالأعمال و منع الحاجات إن

/ ٨٦١

٥ ١٠ ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لاصحاب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اى.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: طعامه.

هذه كلها من شأن المكذب بالحساب و الجزاء لأن نفع[1] البعد عنها
إنما يكون إذذاك، فمن صدق به جرى فى هذه الخصال على السنن
المشكور و السعى المبرور، و من كذب به لم يبال بها و تأبط جميعها.
فتنزهوا أيها المؤمنون عنها. فليست من صفاتكم فى أصل إيمانكم الذى
٥ بايعتم[2] عليه، فمن تشبه بقوم فهو منهم، فاحذروا هذه الرذائل فان دع
اليتيم من الكبر الذى أهلك أصحاب الفيل، و عدم الحض على إطعامه
فانما هو فعل البخيل الذى يحسب أن ماله أخلده. و السهو عن الصلوات
من ثمرات إلهاء[3] التكاثر، و الشغل بالأموال و الأولاد، فنهى عباده
عن هذه الرذائل التى يثمرها[4] ما تقدم و التحمت السور[5] - انتهى.
١٠ و لما كان المراد بهذا الجنس، و كان من المكذبين من يخفى
تكذيبه، عرفهم بأمارات تنشأ من عمود الكفر الذى صدر به و يتفرع
منه تفضحهم، و تدل عليهم[6] و إن اجتهدوا فى الإخفاء و توضحهم،
فقال مسببا عن التكذيب ما هو دال عليه: ﴿ فذلك ﴾ أى البغيض
البعيد من كل خير ﴿ الذى يدع ﴾ أى يدفع دفعا عنيفا بغاية[7] القسوة
١٥ ﴿ اليتيمۙ ﴾ و يظلمه و لا يحث على إكرامه لأن الله تعالى نزع الرحمة من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: النفع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تابعتم (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الهاكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ثمرتها (٥) من ظ و م. و فى الأصل: السورة (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عليه (٧) زيد فى الأصل: القوة و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

قلبه، و لا ينزعها إلا من شقى لأنه لاحامل على الإحسان[1] إليه إلا الخوف من الله[2] سبحانه و تعالى، فكان التكذيب بجزائه سببا للغلظة [عليه -[3]].

و لما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير، و لذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم «اللهم إنى أسألك فعل الخيرات، و ترك المنكرات، وحب ٥ المساكين» كانت القسوة عليهم / علامة على الشر، و كان من بخل باللين فى قاله أشد بخلا بالبذل[4] من ماله، قال معرفا لأن المكذب / ٨٦٢ ينزله تكذيبه إلى أسفل الدركات، و أسوإ الصفات الحامل على شر الحركات: ﴿ و لا يحض ﴾ أى يحث نفسه و اهله و لا غيرهم حثا عظيما يحمى فيبعث[5] على المراد ﴿على طعام المسكين ؕ﴾ أى بذله له و إطعامه ١٠ إياه بل يمقته و لا يكرمه و لا يرحمه، و تعبيره [6]عن الإطعام[6] - الذى هو المقصود - بالطعام الذى هو الأصل و إضافته إلى المسكين للدلالة على أنه يشارك الغنى فى ماله بقدر ما فرض الله من كفايته، و قد تضمن هذا أن علامة التكذيب [بالبعث -[3]] إيذاء الضعيف و التهاون بالمعروف، و الآية من الاحتباك[7]: الدع فى الأول يدل على المقت فى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانسان ان يحسن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاله (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف البذل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فينبعث (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالاطعام (٧) زيد فى الأصل: ذكر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الثانى، و الحض فى الثانى يدل على مثله [فى الأول - ١] .

و لما كان هذا حاله مع الخلائق ، أتبعه حاله مع الخالق إعلاما بأن كلا منهما دال على خراب القلب و موجب لمقت الرب ، و أعظم الإهانة و الكرب ، و أن المعاصى شؤم مهلك ، تنفيرا عنها و تحذيرا [منها-١] ، ٥ فسبب عنه قوله معبرا بأعظم ما يدل على الإهانة : ﴿ فويل ﴾ و لما كان الأصل : له - بالإضمار و الإفراد ، و كان المراد بـ « الذى » الجنس الصالح للواحد و ما فوقه و كان من يستهين بالضعيف لضعفه يعرض عما لايراه و لايحسه لغيبته ، و كان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع ، و كان من باشرها ربما ظن النجاة و لو كانت مباشرته لها على وجه[٢] الرياء ١٠ أو غيره من الأمور[٣] المحبطة للعمل ، عبر بالوصف تعميما و تعليقا للحكم به و شقه من الصلاة تحذيرا من الغرور ، و إشارة إلى أن الذى أثمر له تلك الخساسة هو ما تقدم من الجرى مع[٤] الطبع الردئ ، و أتى[٥] بصيغة الجمع تنبيها على أن الكثرة ليست لها عنده عزة لأن إهانة الجمع مستلزمة لإهانة الأفراد من غير عكس فقال : ﴿للصلين[٦]﴾ و لما كان الحكم إنما ١٥ هو [على ذات الموضوع من غير اعتبار لوصفه بالفعل علم أن المقصود إنما هو - ١] من كان مكلفا بالصلاة لأن[٦] من كان متلبسا بها مثل قوله

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ و م : حال (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لأن .

صلى الله عليه و سلم «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» فلذلك وصفهم بقوله: ﴿الذين هم﴾ أي بضمائرهم و خالص سرائرهم. و لما كان المراد تضييعهم قال: ﴿عن﴾ دون "في" ﴿صلاتهم﴾ أي هي جديرة بأن تضاف إليهم لوجوبها عليهم و إيجابها لأجل مصالحهم و منافعهم بالتزكية و غيرها ﴿ساهون ۙ﴾ اى عريقون في الغفلة عنها و تضييعها و عدم المبالاة بها ٥ و قلة الالتفات إليها، و يوضح ذلك أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ "لاهون" و فائدة التعبير بالوصف الدلالة على ثبوته لهم ثبوتا يوجب أن لايذكروها من ذات أنفسهم أصلا، و لذلك كشفه بما بعده، روى البغوي[1] أن النبي صلى الله عليه و سلم سئل عن الآية فقال: هو إضاعة الوقت[2]،/ و عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المنافقون يتركون ١٠ /٨٦٣ الصلاة إذا غابوا و يصلونها إذا حضروا مع الناس.

و لما كان من كان بهذه الصفة لا نظر له لغير الحاضر كالبهائم، قال دالا [3] على أن المراد[3] بالسهو ههنا[4] تضييعها عند الانفراد بالترك حسا و معنى و عند[5] الاجتماع بالإفساد في المعنى: ﴿الذين هم﴾ أي بجملة سرائرهم ﴿يرآؤن ۙ﴾ أي بصلاتهم و غيرها يرون[6] الناس أنهم يفعلون ١٥ الخير ليراهم الناس فيروهم الثناء عليهم و الإحسان إليهم و لو بكف ما هم

(١) راجع المعالم ٧ / ١٤٩ (٢) زيد في الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: عنها (٤) من م، و في الأصل و ظ: عنها (٥) زيد في الأصل: الاجتهاد و، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و في الأصل: يورون.

يستحقونه[1] من السيف عنهم، لا لرجاء الثواب و لا لخوف العقاب من[2] الله سبحانه و تعالى، و لذلك يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس.

و لما كان من كان بهذه الصفة ربما فعل قليل الخير دون جليله رياء[3]، بين أنهم غلب عليهم الشح حتى أنهم مع كثرة الرياء منهم لم يقدروا
٥ على أن[4] راؤا بهذا الشيء التافه، فانسلخوا من جميع خلال المكارم، فقال إبلاغا في ذمهم إشعارا بأن أحب الخلق إلى الله انفعهم لعياله: ﴿و يمنعون﴾ أي على تجدد الأوقات، و حذف المفعول الأول تعميما حتى يشمل كل أحد و إن جل و عظمت منزلته و لطف محله من قلوبهم[5] تعريفا بأنهم بلغوا من الرذالة دركة[6] ليس وراءها للحسد[7] موضع
١٠ ﴿الماعون ع﴾ أي حقوق الأموال و الشيء اليسير من المنافع مثل إعارة التافه من متاع البيت التي جرت عادة الناس أن يتعاوروه بينهم، و يمنعون أهل الحاجة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق، و الحاصل أنه ينبغي حمل ذلك على منع ما يجب بذله مثل فضل[8] الكلأ و الماء و الزكاة و نحوه ليكون موجبا للويل، و على الزكاة حمله علي و ابن
١٥ عمر رضي الله عنهما و الحسن و قتادة، قال العلماء: هو مأخوذ من المعن،

(١) من ظ و م، و في الأصل: فيه مستحقون (٢) من ظ و م، في الأصل: عن (٣) زيد في الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: قولهم (٦) من ظ و م، و في الأصل: درجة (٧) في ظ: للحسن (٨) من ظ و م، و في الأصل: فضلا.

و هو

و هو فى اللغة الشيء اليسير، و لذلك فسره بعضهم [بالماء -[1]] و بعضهم بما يعار من المتاع نحو القدر و الفأس و الدلو. و بعضهم بالزكاة لأنه [لا -[2]] يؤخذ من المال على وجه الزكاة إلا شيء[3] يسير جدا بالنسبة إليه، و قيل: هو كل عطية أو منفعة، و قال قطرب: هو فاعول من المعن، و المعن: المعروف، و قال أبو عبيدة: الماعون فى الجاهلية العطاء و المنفعة ٥ و فى الإسلام الزكاة، و قال الهروى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: هو العارية - ذكر هذا[3] الأستاذ[4] عبد الحق الإشبيلى فى كتابه الواعى، و قال ابن جرير[5]: و أصل الماعون من كل شيء منفعته. فدل ذلك على أنهم بلغوا نهاية التكذيب باستهانتهم بأعظم[6] دعائم الدين و استعظامهم لأدنى أمور الدنيا[7]، و هذا الآخر كما ترى هو الأول لأن الذى جر إليه هو ١٠ التكذيب. و من منع هذه الأشياء التافهة كان جديرا بأن يمنع ورود الكوثر فى يوم المحشر، و كما التقى آخرها بأولها[8] التقت[9] السورة / كلها[9] مع مناظرتها فى العدد من أول القرآن، و ذلك انه قد علم أن حاصل هذه السورة الإبعاد عن سفساف الأخلاق و رديها و دنيها من التكذيب

/ ٨٦٤

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بشيء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٤) فى م: الإمام (٥) راجع جامع البيان ١٧٥/٣٠ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بما عظم (٧) من م، و فى الأصل و ظ: الدين (٨) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: السوار بالمعصم كله.

بالجزاء الذى هو حكمة الوجود[١] المثمر للاعراض عن الوفاء بحق الخلائق و طاعة الخالق ، و الانجذاب مع النقائص إلى الاستهانة [بالضعيف -[٢]] الذى لايستهين به إلا أندل الناس و أرذلهم ، و الرياء الذى لا يلم به إلا من كان فى غاية الدناءة ، فكان ذلك موجبا للميل إلى أعظم الويل ، و [فى -[٢]] ٥ ذلك أعظم مرغب فى معالى الأخلاق التى هى أضداد ما ذكر فى السورة ، و كلا الأمرين موجود فى الأنفال المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع على أتم وجه ، ليكون ذلك إشارة إلى أنها شارحة لهذا ففيه الإيماء إلى ملاحظتها عند قراءتها ، انظر إلى قوله تعالى "الذين يقيمون الصلاة[٣] و مما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا" الآية[٤] "و إذ قالوا اللهم ان ١٠ كان هذا هو الحق من عندك" الآية "و ما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء و تصدية" "و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون" [الآية -[٢]] "فان لله خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل" الآية "الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم بطرا و رياء الناس" الآية ، و لقد انطبقت السورة بمعانيها و تراكيبها العظيمة و نظومها و مبانيها ١٥ على الأراذل الأدنياء الأسافل ، و أحاطت برؤسهم بعد كلماتها مفردة قبل حروفها[٥] ، و أدارت عليهم كؤس حتوفها من نوافذ الرماح بأيدى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الموجود (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و ظ : و يؤتون الزكاة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الآيات (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : خروجها .

جنودها و مواضي سيوفها، و ذلك أن عدة كلماتها خمس و عشرون كلمة، فاذا اعتبرتها من أول سنى [النبوة وازت السنة الثانية عشرة من -[1]] الهجرة، و ذلك أواخر[2] خلافة الصديق رضي الله عنه، و فيها لم يبق على يده[3] أحد من المصلين الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم أو منعوا الزكاة، فتبين أنهم ما كانوا يصلون فى حياته صلى الله ٥ عليه وسلم و يزكون إلا رياء الناس فعل الأدنياء الأنجاس حتى حل بهم الويل بأيدى جنود الصديق الذين جاؤهم بالرجل و الخيل فمزقوهم عن آخرهم، و لم تمض تلك السنة إلاوقد فرغ منهم بالفراغ من بنى حنيفة باليمامة و أطراف بلاد اليمن من أهل النجير ببلاد كندة و الأسود العنسى من صنعاء، و ما مضت سنة ست عشرة الموازية لعدد[4] الكلمات بالبسملة[4] ١٠ - و ذلك فى أوائل خلافة الفاروق - حتى زالوا من [جميع -[1]] جزيرة العرب و هم مشركو العرب و متنصروهم و متمجسوهم الذين كانوا بنواحى العراق و الشام و البحرين فأسلم أكثرهم، و ذهب الباقون إلى بلاد الروم، فحل الويل بالمرائين من أهل الصلاة فانهم الذين أتى إليهم نبيهم صلى الله عليه و سلم [بالصلاة -[5]] فاعرضوا عنها[6] والناس لهم تبع، ولم يصح ١٥ فى هذه السورة اعتبار الضمائر لأن الدين فى هذا الحد كان قد ظهر على

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : اول (٣) من م، و فى الأصل : يد، و الكلمة ساقطة من ظ (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل : كلمات البسملة (٥) زيد من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ : عنه .

كل ظاهر، إلى حد لا إضمار [فيه-[1]] بوجه ولا عائق له و لاساتر، و كما أنه لاحاجه إلى الرمز بالضمائر، لما دقت له فى الخافقين من البشائر، على رؤس المنابر / و المنائر، فكذلك لم يناسب بعد الوصول إلى هذا الحال ٨٦٥ / المكشوف، الايماء بالدلالة باعداد الحروف -[2]و الله أعلم بالصواب، و إليه ٥ المرجع و المآب[2] .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة

سورة[1] الكوثر [2]و تسمى النحر[2]

مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون ، و اسمها الكوثر واضح فى ذلك ، وكذا النحر لأنه معروف فى نحر الإبل[3] ، و ذلك غاية الكرم عند العرب ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الجواد الأكرم [الذى - [4]] لا حد لفائض فضله ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل الخلائق بجوده[5] و فاوت بينهم ٥ فى صوب وبله ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص حزبه بالاهتداء بهديه و الاعتصام بحبله .

لما[6] كانت سورة الدين بافصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق ، كانت بافهامها[7] داعية إلى معالى الشيم ، [8] فجاءت الكوثر[8] لذلك ، و كانت الدين قد ختمت بأبخل البخلاء و أدنى الخلائق : المنع تنفيرا من البخل و مماجره ١٠ من التكذيب ، فابتدئت الكوثر بأجود الجود . العطاء لأشرف الخلائق ترغيبا فيه و ندبا إليه ، فكان كأنه قيل : أنت يا خير الخلق غير متلبس بشىء مما نهت[9] عنه تلك المختتمة بمنع الماعون : ﴿ انا ﴾ بما لنا من العظمة ،

---

(١) الثامنة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٣ (٢-٢) سقط بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الابر (٤) زيد من ظ و م . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بوجوده (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : و لما (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بابهامها (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فكانت بمجيئها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : غيت - كذا .

و أكد لأجل تكذيبهم[1] : ﴿ اعطيناك ﴾ أى خولناك مع التمكين[2] العظيم، و لم يقل: آتيناك، لأن الإيتاء أصله الإحضار و إن اشتهر فى معنى[3] الإعطاء ﴿ الكوثر ه ﴾ الذى هو من جملة الجود على المصدقين بيوم الدين ٠

و لما كان كثير الرئيس أكثر من كثير غيره، فكيف بالملك فكيف بملك الملوك، فكيف إذا أخرجه [4]فى صيغة[4] مبالغة فكيف إذا كان فى مظهر العظمه، فكيف إذا بنيت الصيغة على الواو الذى له العلو و الغلبة فكيف إذا أتت أثر الفتحه التى لها من ذلك [مثل ذلك -[5]] بل أعظم، كان المعنى: أفضنا عليك و أبحناك من كل شيء من الأعيان و المعانى من العلم و العمل و غيرهما من معادن الدارين و معاونهما الخير الذى لا غاية له، فلا يدخل تحت الوصف، فأغنيناك عن أن تؤثر بذلك أو توفر مالك بجلب نفع أو دفع ضر. و منه النهر[6] الذى فى الجنة و يسقى المؤمنين من الحوض الممدود [منه -[7]] فى المحشر الذى مثاله فى الدنيا شريعته صلى الله عليه و سلم التى عراها و أسبابها عدد النجوم الذين هم علماء أمته [المقتدى بهم، فقد اجتمع لك الغبطتان : أشرف العطاء من أكرم المعطين -[7]] و أعظمهم ٠

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما نهى عباده عما يلتذ به من

---

(١) زيد فى الاصل و ظ : اى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل : التمكن (٣) من ظ و م، و فى الأصل: منع ٠ (٤-٤) من م، و فى الأصل : بصفة، و فى ظ : بصيغة (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : النهى (٧) زيد من ظ و م ٠

أراد الدنيا و زينتها من الإكثار و الكبر و التعزز بالمال و الجاه و طلب الدنيا ، أتبع ذلك بما منح بنيه مما هو خير مما يجمعون ، و هو الكوثر و هو الخير الكثير ، و منه[1] الحوض الذى ترده أمته فى القيامة ، لا يظمأ من شرب منه / ، و منه مقامه المحمود الذى يحمده[2] فيه الأولون و الآخرون /٨٦٦ عند شفاعته العامة للخلق[3] و إراحتهم من هول الموقف ، ومن هذا الخير ٥ ما قدم له فى دنياه من [4]تحليل الغنائم[4] و النصر بالرعب و الخلق العظيم إلى ما لا يحصى من خيرى[5] الدنيا و الآخرة مما بعض ذلك خير من الدنيا و ما فيها إذ لا تعدل الدنيا و ما فيها واحدة من هذه العطايا "قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" و من الكوثر و الخير الذى أعطاه الله كتابه المبين ، الجامع لعقل الأولين و الآخرين ، ١٠ و الشفاء [لما -[6]] فى الصدور .

و لما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتى عليه حصر مما لا يناسب [7]أدناه نعيم الدنيا بجملتها، قال مبينا [له -[6]] منبها على عظيم ما أعطاه "لا تمدن عينيك إلى ما متعنا" إلى قوله "و رزق ربك خير و ابقى" فقد اضمحل فى جانب نعمة الكوثر الذى اوتى كلُّ ما ذكره الله تعالى ١٥ فى الكتاب من نعيم أهل الدنيا و تمكن[8] من تمكن منهم ، و هذا أحد

(١) من م ، و فى الأصل وظ : هو (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يحمد .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الحق (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : جليل الغناء (٥) فى ظ و م : خير (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تمكين .

موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا و لا ذكر أحد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض و تمامه، و سورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشاراتها، و تبين بهذا وجه[1] تعقيبها بها - و الله تعالى أعلم - انتهى.

٥ و لما أعطاه ما فرغه [2]به للعبادة[2] و أكسبه غنى لا حاجة معه، سبب عنه قوله آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر: ﴿فصل﴾ أى بقطع العلائق من[3] الخلائق بالوقوف بين يدي[4] الله فى حضرة المراقبة شكرا لإحسان[5] المنعم خلافا للساهي عنها و المرائى فيها.

و [لما -[6]] أتى بمظهر العظمة لتكثير العطاء فتسبب عنه الأمر بما

١٠ للملك من العلو، و كان أمره صلى الله عليه و سلم تكوينيا لا إباء معه، وقع الالتفات إلى صفة الإحسان المقتضى للترغيب، و الإقبال لما يفيد من التحبيب، مع التصريح بالتوحيد، و إفادة أن العبادة لا تقع إلا شكرا[7] فقال تعالى: ﴿لربك﴾ أى المحسن إليك بذلك سرا و علنا مراغما من شئت فلا سبيل لأحد عليك ﴿و انحر﴾ أى أنفق له الكوثر من المال

١٥ على المحاويج خلافا لمن يدعهم و يمنعهم الماعون لأن النحر أفضل نفقات

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الوجه (٢ - ٢) من م، و فى الأصل: منه للعباد، و فى ظ: للعبادة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) زيد فى الأصل و ظ: حضرة، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لانعام (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: شكر.

العرب لأن الجزور الواحد يغني مائة مسكين، و إذا أطلق العرب المال انصرف إلى الإبل، و لذا[1] عبر عن هذا المراد بالنحر ليفهم الزجر عما كانوا يفعلونه من الذبح للأوثان، و من معناه أيضا أظهر الذل و المسكنة و الخشوع في الصلاة بوضع اليمنى على اليسرى تحت النحر هيئة الذليل الخاضع، و قد[2] قابل في هذا أربعا / من سورة الدين بأربع، و هي البخل ٥ / ٨٦٧ بالإعطاء، و إضاعة الصلاة بالأمر بها، و الرياء بالتخصيص بالرب، و منع الزكاة بالنحر .

و لما أمره باستغراق الزمان في عبادة الخالق، و الإحسان إلى الخلائق بأعلى الخلائق، علله بما حاصله أنه لا شاغل له و لا حاجة[3] أصلا تلم به فقال: ﴿ان شانئك﴾ أي مبغضك و المتبرئ منك و المستهين ١٠ بك مع ما أوتيت من الجمال، و الخصال الفاضلة و الكمال ﴿هو﴾ أي خاصة ﴿الابترع﴾ أي المقطوع من أصله و المقطوع النسل و المعدم و المنقطع الخير و البركة و الذكر، لا يعقبه من يقوم بأمره و يذكر به وإن جمع المال، و فرغ بدنه لكل جمال، و أنت الموصول الأمر، النابه الذكر، المرفوع القدر، فلا تلتفت إليهم بوجه من الوجوه، فانهم أقل ١٥ من أن يبالي بهم من يفرغ نفسه [4]للفوز بالمثول[4] في حضراتنا الشريفة[5]،

---

(١) في ظ: لعله (٢) زيد في الأصل: قال، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد في الأصل: له، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: في المثول (٥) زيد في الأصل: والانتعار، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

و الافتخار بالعكوف فى أبوابنا العالية المنيفة ، لك ما أنت عليه ، و لهم ما هم فيه ، فالآية الأخيرة[1] النتيجة لأن من الكوثر علو أمره و أمر محبيه و أتباعه فى ملكوت السماء و الأرض و نهر الجنة و سفول شأن عدوه فيهما ، فقد التف[2] كما ترى مفصلها بموصلها ، و عرف آخرها من
٥ أولها ، و علم أن وسطاها كالحدود الوسطى معانقة للأولى بكونها من ثمارها ، و متصلة بالأخرى لأنها من غايات مضمارها ، و قد صدق الله و من أصدق من الله قيلا[3] ، لم يبق لأحد من مبغضيه ذكر بولد و لا تابع ، و لا يوجد [لهم -[4]] شاكر و لا مادح[5] و لا رافع ، و أما هو صلى الله عليه و سلم فقد ملأت ذريته من فاطمة الزهراء الأرض ، و هم الأشراف
١٠ مع مبالغة الملوك فى قتلهم ، و إخلاء الارض من نسلهم ، خوفا من شرفهم العالى على شرفهم ، و رفعتهم بالتواضع [الغالب -[4]] لصلفهم ، و إذا راجعت آية " ما كان محمد ابا احد من رجالكم و لكن رسول الله " من الأحزاب علمت أن توفى بنيه عليهم السلام قبله من إعلاء قدره و مزيد تشريفه بتوحيد ذكره ، و أما أتباعه فقد استولوا على أكثر
١٥ الأرض و هم أولو الفرقان ، و العلم الباهر و العرفان ، و يؤخذ منها أن من فرغ نفسه لربه أهلك عدوه و كفاه كل واحد[6] منهم ، و قد علم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الآخرة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التفت (٣) زيد فى الأصل : ومن أصدق من الله حديثا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل وظ : مادع .
(٦) سقط من ظ و م .

أن حاصل هذه السورة المن عليه صلى الله عليه و سلم بالخير العظيم الذى من جملته النهر المادّ من الجنة فى المحشر المورود لمن اتبعه[1]، الممنوع عمن تأبى عنه و قطعه، و أمره بالصلاة و النحر للتوسعة على المحاويج، و البشارة بقطع دابر أعدائه و نصر جماعة أوليائه. كما أن من مقاصد الأعراف المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع[2] تهديد الظالمين[2] بالإهلاك ٥ فى قوله "و كم من قرية أهلكناها"-الآية، و تصوير ذلك بذكر مصارع[3] الماضين لمخالفتهم الرسل عليهم الصلاة و السلام و الأمر بالصلاة و ستر العورة و ما يقصد بالنحر بقوله "خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا و اشربوا" الآيات، و ذكر من يمنح ماء / الجنة و من يمنعه بقوله ٨٦٨ / تعالى "و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما ١٠ رزقكم الله"-الآيات، و قوله تعالى "و رحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم" الآيات[4] - هذا ما يتعلق بتفسير تراكيبها و جملها، و [5]تأويل تفاصيلها[5] و بجملها، و كذا نظيرتها فى مبادئ أمرها و مكملها، ثم إن هذه السورة عشر كلمات فى الكتابة[6] ١٥ إشارة إلى أن [تمام -[7]] بتر شانئه يكون مع تمام السنة العاشرة من

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل: اتبع (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: تهديدا للظالمين (٣) من ظ وم، و فى الأصل: مصادع (٤) فى ظ و م: الآية. (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: تفاصيل تاويلها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الكتاب (٧) زيد من ظ و م.

الهجرة، و كذا كان ، لم تمض السنة الحادية عشرة من الهجرة و فى جزيرة العرب إلا من يرى أشرف أحواله بذل نفسه و ماله فى حبه، و إذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت[١] اثنتا عشرة، و فى السنة الثانية عشرة من النبوة بايعه صلى الله عليه و سلم الأنصار [على منابذة الكفار، و إذا أضيف إلى العشرة الضمائر البارزة الخمسة كانت خمس عشرة. فتكون إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم -[٢]] عند تمام السنة الخامسة عشرة من نبوته يبسط يده العالية لبتر أعدائه و [٣]كذا كان[٣] فى وقعة بدر الرفيعة القدر، ففى ضمائر الاستتار كانت البيعة و هى مستترة، و فى الضمائر البارزة كانت بدر و هى مشتهرة، و إذا أضيف إلى ذلك الضميران المستتران كانت سبع عشرة، و فى السنة السابعة عشرة من نبوته كانت غزوة بدر الموعد، وفى [فيها -[٢]] النبى صلى الله عليه و سلم بالوعد [٤]فى الإتيان[٤] إلى بدر للقاء قريش للقتال و مقارعة الأبطال، فآذنهم الله فلم يأتوا، و إنما اعتبر ما بعد الهجرة من أحوال النبوة [عند ما عدت الكلمات الخطية العشر لكونها أقوى أحوال النبوة -[٢]] كما[٥] أن الكلمات الخطية أقوى من الضمائر و إن اشترك الكل فى اسم الكلمات، فلذلك أخذ تمام البتر للشانئ و هو ما كان فى السنة الحادية عشرة من هلاك[٦] أهل الردة و ثبات العرب فى صفقة الإسلام . و لما ضمت الضمائر البارزة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كانتا (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من م ، وفى الأصل و ظ : كان كذلك (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الى اتيان . (٥) زيد فى الأصل : ترى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اهلاك .

الخمسة - التى هى أقرب من المستترة - إلى الكلمات الخطية [و أضعف من الكلمات الخطية - ١] اعتبر من أول السورة لمناسبة ما كان من ضعف الحال فيما كان[٢] قبل الهجرة، فوازى ذلك السنة الثانية من الهجرة التى كانت[٣] فيها غزوة بدر الكبرى، و هى و إن كانت من العظم على أمر بالغ جدا لكنها كانت على وجه مخالف للقياس، فان حال الصحابة ٥ رضى الله عنهم كان [فيها - ١] فى غاية الضعف، و لكونها أول ما وقع فيه[٤] النصر من الغزوات لم تكن نفوس المخالفين مذعنة لأن ما بعدها يكون مثلها، فاذا ضم[٥] إلى ذلك الضميران المستتران - و هما أضعف [من - ١] البارز - انطبق العدد على سنة غزوة بدر الموعد فى سنه أربع، و هى و إن كانت قوية لكون قريش ضعفوا عن اللقاء ١٠ لكن [كان - ١] حالها أضعف من بدر التى وقع فيها القتال و أستر، و كون كلماتها الخطية و الاصطلاحية التى هى أبعاض الكلمات الخطية سبع عشرة مؤذن بأن الأمر فى "فصلّ" مصوب بالذات و بالقصد الأول إلى الصلوات الخمس التى / هى[٦] سبع عشرة [ركعة - ١]، و أن /٨٦٩ من ثابر عليها [كان - ١] مصليا خارجا من عهدة الأمر، فاذا قصدت ١٥ [فى - ٧] السفر بما اقتضته صفة التربية[٨] بالإحسان نقصت بقدر عدة

(١) زيد من ظ وم (٢) سقط من ظ وم (٣) من م، وفى الأصل وظ: كان.
(٤) من م، وفى الأصل وظ: فيها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: انضم.
(٦) زيد فى الأصل: سنة، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الربوبية.

الضمائر سوى الذى [1]وفى الأمر[1] بها لأن الأمر الناشىء عن مظهر العظمة لا يليق فيه التخفيف بنفس كلمة الأمر، و إذا أضفنا إليها كلمات البسملة الأربع كان لها أسرار كبرى من جهة أخرى، و ذلك أن الكلمات الخطية تكون أربع عشرة إشارة إلى أن ابتداء البتر للاضداد يكون بالقوة ٥ القريبة من الفعل [2]بالتهيئ له[2] فى السنة الرابعة عشرة من النبوة، وذلك عام الهجرة، فاذا أضفنا إليها[3] الضمائر البارزة التى هى أقرب إلى الكلمات الخطية و هى خمسة كانت تسع عشرة، و فى السنة التاسعة [عشرة -[4]] من النبوة و هى السادسة من الهجرة كان الفتح المبين على الشانئين الذى أنزل الله فيه[5] سورة الفتح، فاذا أضفنا إليها الضميرين المسترين كانت[6] ١٠ إحدى و عشرين و هى سنة ثمان من الهجرة سنة الفتح الأكبر الذى عم العلم فيه بأن الشانئ هو الأبتر، و إذا اعتبرت حروفها المتلفظ بها كانت أربعة و أربعين حرفا، فاذا ناظرتها بالسنين من أول حين النبوة كان آخرها سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة، و هى سنة البتر الأعظم لشانئه الأكبر الذى مزق كتابه، و كان[7] مالكا لبلاد اليمن، و هو قدر كبير ١٥ من بلاد العرب و كذا لغيرهم مما قارب بلاده، و كانت قريش تجعله من عدادهم كما مضى بيانه فى سورة الروم وهو كسرى[8] ملك الفرس،

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل : بالامر (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالتهويلة (٣) من ظ و م، و فى الأصل : اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل : كانتا (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و م، و فى الأصل : كسر.

ففيها كان انقراض ملكهم بقتل آخر ملوكهم يزدجرد ، كما أنك إذا اعتبرت كلماتها الخطية مع الضمائر البارزة التى هى كلمات اصطلاحية دون ما استتر - فان وجوب استتاره منع [من -[1]] عده - كانت تسع عشرة كلمة . فاذا اعتبرت بها ما بعد الهجرة وازت وقت موت قيصر طاغية الروم فى سنة تسع عشرة من الهجرة أهلكه الله ، و قد تجهز إلى قتال ٥ العرب بالإسكندرية بنفسه ، و أمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم فكسر الله بموته شوكة الروم ، و استأسدت العرب عند ذلك ، فكانت الأحرف مشيرة إلى بتر الشانئ من الفرس ، و [الكلمات مشيرة إلى بتر الشانئ من الروم ، [و الفرس -[1]] أولى بإشارة الأحرف لأنهم ليسوا بذوى علم ، و الروم بالكلمات لأنهم أهل علم ، و الكلمات أقرب إلى ١٠ العلم ، و إذا اعتبرت أحرف البسملة اللفظية كانت ثمانية عشر حرفا ، فاذا جعلتها سنين[2] من أول النبوة كان اخرها سنة خمس من الهجرة ، و فيها كانت غزوة الأحزاب ، قال النبى صلى الله عليه و سلم بعد انصرافهم منها « الآن نغزوهم و لا يغزونا » فهو أول أخذ الشانئ فى الانبتار[3] ، و إذا اعتبرت الأحرف بحسب الرسم كانت تسعة / عشر آخرها سنة ست ، ١٥ / ٨٧٠ و هى عمرة الحديبية سنة الفتح السببى و هو الصلح الذى نزلت فيه سورة الفتح و سماه الله فتحا ، و قال النبى صلى الله عليه و سلم : إنه أعظم الفتح

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سبعين (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الايثار .

فكان سبب الفتح الأعظم بخاطة الكفار لأهل الإسلام بالصلح، فأسرعوا إلى الإسلام بالدخول فيه لما رأوا من محاسن الدين و إعجاز القرآن، فكانوا يوم الفتح عشرة آلاف بعد أن كانوا قبل ذلك بسنتين يوم الحديبية ألفا و أربعمائة - و الله الموفق، هذا يسير من أسرار هذه السورة ٥ و قد علم منه من إعجازها ما يشرح الخواطر و يبهج النواظر، لأنه يفوق حسنا على الرياض النواضر، و علم أيضا[1] جنون الخبيث المسخرة مسيلمة الكذاب - عليه اللعنة و التباب، و له سوء المنقلب و المآب، حيث قال في معارضتها : انا أعطيناك الجماهر، فصل لربك و هاجر، إنا[2] كفيناك المكابر أو المجاهر، لأنه كلام، مع أنه قصير المدى، ركيك اللحمة و السدى، ١٠ غريق الساحة و الفنا في الهلك و الفنا، ليس فيه غنى، بل كله نصب و عنا، هلهل النسج[3] رث القوى، منفصم العرى، مخلخل الأرجا، فاسد المعنى و البنا، سافل الألفاظ مر الجنا، لأن العلل منافية للعلولات، و الشوامل منافرة للشمولات، ثم رأيت في دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني أن[4] الوسطى من قال : العاهر و جاهر فان كان بالدين[5] لم يمنع ١٥ الصدح بالباطل، و ذلك لا يرضا به عاقل، و إن كان بالحرب كان على النصف لكل من تدبر فعرف، و لا نص فيه على الغلب بمطلوبيه، و لا طلب

---

(١) زيد في الأصل : من، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من م، و في الأصل و ظ : ان (٣) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) من م، و في الأصل و ظ : في الدين.

مع نقص الجود على كل تقدير، الذى هو المقصود للغنى و الفقير، و المأمور و الأمير، هذا مع الإغارة على الأسلوب و الحذو على المعهود غير محاذ "فى القصاص حياة" فى إسقاط "القتل أنفى للقتل" بالرشاقة مع الوجازة، و العذوبة مع البلاغة، فى إصابة حاق المعنى بما يقود إلى السماح[1] بالنفس، و يحمل على المبادرة إلى امتثال الأمر، و الأولى من ٥ سخيف عقل الخسيف، و أكله؟ إلى الخلق مع نقصان المعنى السارللاسرار و الأخرى مهملة [2] لذوى الشبه[2] و الستر مع ما فاتها من قصر الخسار و خصوص التبار إلى ما حوت من بيان الكذب البتار للاعمار المخرب للديار تصديقا للنبى صلى الله عليه و سلم البار بأيدى صحابته الأخيار[3]، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار - فسبحان من علا فعلا كلامه كل كلام، ١٠ و السلام [4]و الحمد لله على كل حال[4].

(١) من م، و فى الأصل و ظ : السماحة (٢ - ٢) من م، و فى الأصل و ظ : لذى الشبهة (٣) من م، و فى الأصل و ظ : الخيار (٤ - ٤) سقط إما بين الرقمين من ظ و م.

سورة الكافرون[1] وتسمى الإخلاص و المقشقشة

٨٧١ / / مقصودها إثبات مقصود الكوثر بالدليل[2] الشهودى على منزلها كامل العلم
شامل القدرة لأنه المنفرد بالوحدانية، فلذلك لايقاوى من كان معه،
و لذلك لما نزلت قرأها صلى الله عليه و سلم [عليهم -[3]] فى المسجد أجمع
٥ ما كانوا، و هذا المراد بكل[4] من أسمائها. أما الكافرون فمن و جهين، ناظر
إلى إثبات، و ناظر إلى نفى، أما المثبت فمن حيث أنه إشارة إلى[5] تأمل جميع
السورة من إطلاق البعض على الكل، و أما النافى فمن جهة أنهم[6] إنما كفروا[6]
بانكار ما هو مقصودها إما صريحا كالوحدانية و تمام القدرة، و إما
لزوما و هو العلم فانه يلزم من نقص القدرة نقصه، و أما الإخلاص
١٠ فلأن من اعتقد ذلك كان [مؤمنا -] مخلصا بريئا من كل شرك
و[7] كل كفر، و أما القشقشة فلأنها أبرأت من كل نفاق و كفر، من
قولهم: تقشقشت قروحه - إذا تقشرت للبرء، و عندى أنه من الجمع
اخذا من القش الذى هو تطلب المأكول من ههنا و ههنا فانها جمعت

(١) التاسعة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٦ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بايل (٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: من كل (٥) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: ما كانوا (٧) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

جميع أصول الدين، فاثبتها على أتم وجه، فلزم من ذلك أنها جمعت
جميع أنواع الكفر لحذفتها و نفتها، و قد تقدم[1] تمام توجيه ذلك فى
براءة، فأمرهما دائر على الإخلاص، و من المعلوم أن من أخلص لله
كان من اهل ولايته حقا، فحق له ما يفعل الولى مع وليه، و لذلك
- و الله أعلم - سنت قراءتها مع "قل هو الله أحد" فى ركعتى الفجر
ليحوز [2]فاعل ذلك[2] بالبراءة من الشرك و الاتصاف بالتوحيد أول النهار ٥
ثمرة ما ورد أن من صلى الصبح كان فى ذمة الله، و من كان كذلك
كان جديرا بأن ينال ما أشارت إليه السورتان اللتان بين سورتى
الإخلاص من الفتح له و النصر و الخيبة لعدوه و الخسر و الحسرة:
﴿ بسم الله ﴾ المحيط علما و قدرة، فهو الواحد الذى لايستطيع أحد أن
يقدر قدره ﴿الرحمن﴾ الذى عم برحمة[3] البيان من أوجب عليهم شكره ١٠
﴿الرحيم ه﴾ الذى خص أهل وده فالتزموا [4]نهيه و أمره[4].

لما [5]أخبره فى الكوثر[5] أن العريق فى شنآنه[6] عدم، وجب أن يعرض
[عنه - [7]] و يقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك، فقال معلما له ما
يقول و يفعل: ﴿ قل ﴾ و لما كان شانئه أعرق الخلق فى الضلال و البعد
من الخير، قال مناديا له بأداة البعد و إن كان حاضرا معبرا بالوصف ١٥

(١) زيد فى الأصل: جميع، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: فاعلها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: برحمته. (٤ - ٤) من ظ وم، و فى الأصل: امره و نهيه (٥ - ٥) من ظ وم، و فى الأصل: اخبر بالكوثر (٦) من ظ وم، وفى الأصل: شانه (٧) زيد من ظ وم.

المؤذن بالرسوخ : ﴿يايها الكفرون﴾ اى الذين قد حكم بثباتهم على الكفر، فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من أدناس الحظ، و هم كفرة مخصوصون و هم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع، و بما دل عليه التعبير بالوصف[1]
٥ دون الفعل، و استغرقت اللام كل من كان على هذا / الوصف فى كل ٨٧٢ /
مكان و كل زمان، و إنما عبر بالجمع الذى هو أصل فى القلة و قد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا فى حياته صلى الله عليه و سلم و إشارة إلى حقارة الكافر و ذلته و إن كان كثيرا - كما يشير إليه جعل كل كلمة منها بحرف من
١٠ الكوثر كما سيأتى[2]، و فى مناداتهم بهذا الوصف الذى يسترذلونه فى بلدتهم و محل عزهم[3] و حميتهم إيذان بأنه محروس منهم علما من أعلام النبوة .

و قال [الإمام -[4]] أبو جعفر ابن الزبير : لما انقضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما فى الكتاب العزيز من أوله إلى آخره على اختلاف أحوال
١٥ كل فريق و شتى درجاتهم، و أعنى بالفريقين من أشير إليه فى قوله سبحانه و تعالى " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم " فهذا طريق أحد الفريقين، و فى قوله " غير المغضوب عليهم و لا الضالين "

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ : من الوصف (٢) فى ظ : يأتى (٣) من ظ و م، و فى الأصل : عزتهم (٤) زيد من ظ و م .

إشارة إلى طريق من كان فى الطرف[1] الآخر من حال أولئك الفريق إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك "فريق فى الجنة و فريق فى السعير" "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" والسالكون[2] طريق السلامة فأعلى درجاتهم مقامات الرسل و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ثم يليهم أتباعهم من صالحى العباد و علمائهم العاملين و عبادهم و أهل الخصوص منهم و القرب ٥ من أحوال من تنسك منهم، و رتبتهم مختلفة و إن جمعهم جامع و هو قوله "فريق فى الجنة"، و أما أهل التنكب عن هذا[3] الطريق و هم الهالكون فعلى طبقات أيضا، [و - [4]] يضم جميعهم طريق واحد فكيفما تشعبت الطرق فالى ما ذكر من الطريقين [مرجعها - [4]]، و باختلاف [5]سبل الجميع[5] عرفت [آى - [4]] الكتاب و فصلت، ذكر كله تفصيلا ١٠ لايبقى معه ارتياب لمن[6] وفق. فلما[6] انتهى ذلك كله بما[7] يتعلق به، وتداولت بيانه الآى من لدن قوله بعد أم القرآن "هدى للتقين" إلى قوله "ان شانئك هو الابتر" أتبع ذلك بالتفاصيل و التسجيل فقال تعالى "قل يايها الكفرون" فبين سبحانه أن من قضى عليه بالكفر و الوفاة[8] عليه لاسبيل له إلى خروجه عن ذلك، و لايقع منه الإيمان أبدا "و لو ١٥ أننا نزلنا إليهم الملائكة و كلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شيء قبلا

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: طرف (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كون.
(٣) من ظ، و فى الأصل و م: هذه (٤) زيد من ظ وم (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: سبيل الجمع (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: وقف (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لما (٨) من ظ، و فى الأصل و م: الموافاة.

ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله" و لو أنهم بعد عذاب الآخرة و معاينة [١] العذاب و [١] البعث و عظيم تلك الأهوال و سؤالهم الرجوع إلى الدنيا و قولهم "ربنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل" فلو[٢] أجيبوا إلى هذا و[٣] رجعوا لعادوا إلى حالهم الأول "و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه"[٤]

/ ٨٧٣ ٥ تصديقا لكلمة الله و إحكاما / لسابق قدره "افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار" فقال لهم "لا اعبد ما تعبدون و لا انتم عابدون ما اعبد" إلى آخرها، فبان أمر[٤] الفريقين و ارتفع الإشكال، و استمر كل [على -[٥]] طريقه "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" "[إن -[٥]] عليك الا البلاغ" فتأمل موقع هذه[٦] السورة و أنها الخاتمة لما قصد فى الكتاب

١٠ يلح لك وجه تأخيرها - و الله أعلم - انتهى .

و لما كان القصد إعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه، و أنه لا يبالى بهم بوجه لأنه محفوظ منهم، قال مؤذنا بصدق خبره تعالى آخر الكوثر من حيث أنه مع الجزم بالمنابذة لا يستطيعون له نوع مكابدة نافذة[٧]، بادئا بالبراءة من جهته لأنها الأهم: ﴿لآ اعبد﴾ اى الآن و لا فى مستقبل

١٥ الزمان لأن "لا" للمستقبل و "ما" للحال، كذا قالوا، و ظاهر عبارة سيبويه فى قوله: "لن" نفى لقوله "سيفعل" "و لا" لقوله[٨] "يفعل"، و لم يقع:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فلم.
(٣) زيد فى الأصل: لو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: هذا (٧) من م، وفى الأصل و ظ: نافذ (٨) من ظ و م، وفى الأصل: قوله.

أنها تقع للمضارع الذى لم يقع سواء كان فى غاية القرب من الحال أم لا، كما نقلته عنه فى أول[٢] البقرة عند "و لن تفعلوا" على أن نطقنا بهذا الكلام لايكاد يتحقق حتى يمضى زمن فيصير [مستقبلا -[٢]]، فلذا عبر بـ «لا» دون [«ما» -[٢]] بشارة بأنه سبحانه يثبته[٣] على الصراط المستقيم، و لايظفرهم[٤] به - علما من أعلام النبوة . ٥

و لما كان فى معبوداتهم ما لا يعقل، و كان المقصود تحقير كل ما عبدوه سوى الله، عبر بـ «ما» فقال: ﴿ ما تعبدون ﴾ أى الآن و فى آتى الزمان من دون الله من المعبودات الظاهرة و الباطنة بوجه من وجوه[٥] العبادة فى[٦] سر و لا علن لأنه [لا -[٢]] يصلح للعبادة بوجه .

و لما بدأ بما هو الأحق بالبداءة[٧] و هو البراءة من الشرك، و الطهارة ١٠ من وضر الإفك، لأنه من درء[٨] المفاسد، فأبلغ فى ذلك بما هو الحقيق بحاله صلى الله عليه و سلم، و كانوا هم يعبدون الله تعالى على وجه الإشراك، و كانت العبادة مع الشرك غير معتد بها بوجه، نفى عبادتهم له فى الجملة الاسمية الدالة على الثبات لا فى الفعلية الدالة على نفى كل قليل و كثير من حيث [أن -[٢]] الفعل نكرة فى سياق النفى فقال: ﴿ و لآ انتم عٰبدون ﴾ ١٥ أى عبادة معتدا بها بحيث يكون أهلا لأن تكون وصفا ثابتا .

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: سورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، وفى الأصل و ظ: ثبته (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لا يظفر (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الوجوه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لامن (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالبراءة (٨) من م، و فى الأصل و ظ: وراء .

و لما كانوا لا نزاع لهم فى أن معبوده عالم، و كانت "ما" صالحة الاطلاق عليه سبحانه و تعالى، عبر فيه أيضا بها لأن ذلك - مع أنه لا ضرر فيه - أقرب إلى[1] الإنصاف، فهو أدعى إلى عدم المراء[2] أو الخلاف، فقال[3]: ﴿مآ اعبد ج ه﴾ أى الآن و ما بعده لأن معبودى[4] - [و له -[5]] العلم
٥ التام و القدرة الشاملة - أبعدكم عنه فلا مطمع فى الوفاق بيننا.

و لما كان ما نفى عن النبى صلى الله عليه و سلم [لا يدخل فيه الماضى، و كان عدم المشاركة بوجه من الوجوه فى زمن من الأزمان أدل على البراءة و أبعد فى دوام الاستهانة، و كانوا يعدون سكوته صلى الله عليه و سلم عنهم -[5]] فيما قبل النبوة عبادة، و كانوا / غير مقتصرين[6] على /٨٧٤
١٠ عبادة أصنامهم التى[7] اتخذوها، بل إذا خرجوا من الحرم فنزلوا منزلا نظروا لهم حجرا ليستحسنوه فيعبدونه، فان لم يروا[8] حجرا جمعوا شيئا من تراب و حلبوا[9] عليه شيئا من لبن و عبدوه ما داموا فى ذلك المنزل، و كان ذلك من أشد[10] ما يعاب به من جهة عدم الشباب و أنه[11] لامعبود

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : عدم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : قال.
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : معيدى (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل : مستقصرين ، و فى ظ : مختصرين (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الذين (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : لم يجدوا (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : حلوا (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : ابتداء (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : انهم.

لهم معين، قال منبها على ذلك كله: ﴿و لآ انا عابد﴾ أى متصف بعبادة ﴿ما عبدتم ﴾ أى فيما سلف، لم يصح وصفى قط بعبادة ذلك من أول زمانكم إلى ساعاتنا هذه، فكيف ترجون ذلك منى و أنا لم أفعله و لاقبل النبوة و لا كان من شأنى قط.

و لما كان هو صلى الله عليه و سلم ثابتا على إله واحد لم يعبد غيره ٥ و لم يلتفت يوما لفت سواه. و كان قد انتفى عنه بالجملتين هذه الماضية و التى أول السورة أن يعبد باطلهم حالا أو مآلا، و أن يكون[1] عبده قبل ذلك، و كان ربما ظن ظان أن النفى عنهم إنما هو لعبادة معبوده فى الحال، نفى ذلك فى الاستقبال أيضا علما من أعلام النبوة مع تأكيد ما أفادته الجملة الماضية جريا على مناهيج[2] العرب فى التأكيد قطعا لآمالهم ١٠ منه على أتم وجه و آكده لأنه على وجه لايقدرون عليه لما تفيده كل جملة مع[3] التأكيد من فائدة جديدة مهمة، فقال: ﴿ و لآ انتم عبدون﴾ أى عبادة هى لكم وصف معتد به فى الحال أو[4] الاستقبال.

و لما لم يكن قبل البعث مشهورا عندهم بعبادة الله سبحانه و تعالى، عبر بما لا[5] يتوجه [لهم [6]] إليه إنكار، و هو المضارع الذى ظاهره ١٥

---

(١) زيد فى الأصل: قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مناهج (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) من م، و فى الأصل و ظ «و» (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم (٦) زيد من ظ و م.

الحال أو الاستقبال [١]مرادا به ما[١] يشمل الماضي لما ذكر أبو حيان و غيره
في سورة الحج عند "ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله" من
أنه يطلق المضارع مرادا به مجرد إيقاع الفعل من غير نظر إلى زمان
معين، فقال: ﴿مآ اعبد﴾ أي و جدت مني عبادته و اتصفت بها الآن
٥ و في ماضي الزمان[٢] و مستقبله اتصافا يعتد به.

و لما كان ذلك كله[٣]، و بدأ النفي في الجمل[٤] السابقة بالمنسوب إليه
صلى الله عليه و سلم إيذانا بالاهتمام ببراءته منهم، أنتج قطعا قوله مقدما
لما يتعلق بهم على وجه اختصاصهم به تأكيدا لما صرح به ما مضى من
براءته منهم: ﴿لكم﴾ أي خاصة ﴿دينكم﴾ أي الذي تعلمون أنه لا أصل
١٠ له يثبت عليه، و لادليل يرجع بوجه إليه[٥]، لا أشارككم فيه بوجه
و لا ترجعون عنه بوجه بل تموتون عليه موتا لبعضكم حتف الأنف
و لآخرين قتلا على يدي بالسيف ﴿ولي﴾ أي خاصة ﴿دين﴾ من
واسع روضة الإسلام إلى [[٦]أعلى-] مقام: [مقام-[٧]] الإيقان و الإحسان،
و أنتم تعلمون - لو جردتم[٨] / عقولكم عن الهوى و أخلصتم أفكاركم من ٨٧٥ /
١٥ الحمية و الإبا - أنه كله دليل و فرقان و نور و حجة و برهان، لا تشاركوني
فيه بوجه، و لا تقدرون على ردي عنه أصلا، فكانت هذه علما

(١ - ١) من ظ و م، و في الأصل: مريدا لما (٢) من ظ و م، و في الأصل: الازمان (٣) من ظ و م، و في الأصل: كلمه (٤) من ظ و م، و في الأصل: الجملة (٥) من ظ و م، و في الأصل: اليكم (٦) زيد من ظ. (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و في الأصل: جردتكم.

من أعلام النبوة من حيث أنه مات منهم ناس كثير بعد[1] ذلك على الكفر و أتم الله له هذا[2] الدين ، فصدق سبحانه فيما قال ، و ثبت مضمون الكوثر بأكمل استدلال ، و أما من آمن بعد ذلك فليس[3] مرادا لأنه لم يكن عريقا فى وصف الكفران ، و لا راسخا فى الضلال و الطغيان ، فأسعده وصف الإسلام و الإيمان ، و ساق الجمل كلها غير مؤكد إشارة إلى أنها ٥ من الوضوح فى حد لا خفاء به أصلا . و لاشك أن آخرها الذى هو اختصاص كل بدينه هو أولها[4] الذى أفاد أنه لايعبد معبودهم و لا يعبدون معبوده فصار آخرها أولها . و مفصلها موصلها - هذا هو الذى دل عليه السياق ، و ليس فيه إذن فى الكفر و لامنع عن الجهاد ليحتاج إلى نسخ ، و من أعظم دلائل إعجازها و جمعها للمعانى فى إشارتها[5] و إيجازها ١٠ أن حاصلها قطع رجاء أهل الكفران من أن يقاربهم النبى صلى الله عليه و سلم فى أن يعدل بربه[6] أحدا فى زمن من الأزمان ، و ذلك من أعظم مقاصد المناظرة لها فى رد الآخر على [أول -[7]] الانعام لأنها[8] السادسة فى العد من الأول ، كما أن هذه السادسة فى العد من الآخر "اغير الله أتخذ وليا" "افغير الله أبتغى حكما" الآية ، "اغير الله أبغى ربا و هو ١٥

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يعبد (٢) فى م : هو (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم يكن (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : واهلها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اثباتها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كانها .

رب كل شيء"- إلى غير ذلك من الآيات، و الفواصل و الغايات، هذا ما يتعلق بمعانى تراكيبها و نظومها عـلى [ما -[1]] هى عليه و تراتيبها و سياقاتـها[2] و أساليبها، و كلماتها الخطية سبـع و عشرون إلى أربع كلمات البسملة إحـدى و ثلاثون إلى أربعة[3] ضمائر مستترة خمس[4] و ثلاثون إلى تسعة بارزة، فتلك أربع[5] و أربعون كلمة الضمائر منها ثلاثة عشر هى مدة[6] الإقامة بمكة المشرفة قبل الهجرة لأنها فى الخفاء كالضمائر فى خزائن السرائر، و لا سيما الأربع الأول منهـا الموازية لضمائر الاستتار و غير الضمائر إحدى و ثلاثون المناظر لها من السـنين سنة إحدى و ثلاثين، و هى سنة قتل يزدجرد ملك الفرس أكفر الـكفرة من أهل ذلك الزمان و أعتاهم، و موافقة كلماتها فى العدة لأحرف الـكوثر مشيرة إلى أن اليسير من أتباعه صلى الله عليه و سلم أكثر و أكبر من كثير شانئيه و أضداده و حاسديه، و قد دل عـلى ذلك شاهد الوجود فى يوم الفتح و المسلمون عشرة الآف، و الـكفار[7] من قريش / و ممن حولهم لا يحصون كثرة، و قد كان فعلهم فى ذلك اليوم ما شهد به اعتذار حماس الذى كان يعد امرأته أن يخدمها بعض المسلمين فى قوله و قد فر هاربا و لم يستطع أن يغلق وراءه، بل قال

٨٧٦ /

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : سياقها (٣) من م، و فى الأصل و ظ : اربع (٤) زيد فى الأصل : و تسعون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل و م : اربعة (٦) من ظ و م، و فى الأصل : عدة (٧) من م، و فى الأصل و ظ : المشركون.

[لها -[1]] : أغلق بابي، فقالت [له -[1]] : أين ما كنت تعدنى به؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمه إذ فر صفوان و فر عكرمه

و استقبلتهم بالسيوف المسلمه يقطعن كل ساعد و جمجمه

ضربا فلا يسمع إلا غمغمـــه بهم تهيب[2] خلفنا و همهمه

لم تنطق باللوم[3] أدنى كلمه ٥

هذا مع [أن -[4]] النبي صلى الله عليه و سلم كان[5] أوصاهم ألا يقاتلوا إلا من بدأهم بالقتال. و هذا مع ما كان من اهل الإسلام حين قصدهم الكفار يوم الخندق و المشركون [فى -[1]] عشرة آلاف و هم لا يبلغون ربعهم و لا مدد لهم ممن حولهم و لا ناصر إلا الله، بل جاءتهم الأعداء - كما قال الله تعالى - من فوقهم[6] و من أسفل منهم[7] و ما زادهم[8] إلا ايمانا ١٠ و تسليما، و إلى هذا أيضا[9] أشار بلوغ عـــدد[9] كلمات النصر خطيها و اصطلاحيها ظاهرها و مسترها إلى عدد كلمات الكافرون الخطية، فذلك رمز إلى أن أضعف أهل الإسلام[10] لا يضعف عن مقاومة أقوى أهل الكفر و أرسخهم فى كل صفة يريدها[11] - و الله هو الموفق.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تهت - كذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: باليوم (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ: فوقكم (٧) فى ظ: منكم، والكلمة ساقطة من م (٨) زيد فى ظ وم: ذلك (٩-٩) من ظ وم، وفى الأصل: الاشارة بلوغ (١٠) من م، وفى الأصل وظ: الانسان (١١) زيد فى الأصل: الله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

سورة النصر[1] و تسمى التوديع

مقصودها الإعلام بتمام الدين اللازم عن [2]مدلول اسمها[2] النصر، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه و سلم، اللازم عنه العلم بأنه ما برز إلى عالم الكون و الفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى و إدحاض كلمة الشيطان[3]
٥ - [4]لعنة الله تعالى عليه[4] - اللازم عنه أنه[5] صلى الله عليه و سلم خلاصة الوجود، و أعظم عبد للولي الودود، و على ذلك أيضا دل اسمها التوديع و حال نزولها و هو أيام التشريق [من -[6]] سنة حجة الوداع ﴿ بسم الله ﴾ الذي له الأمر كله. فهو العليم الحكيم ﴿ الرحمن ﴾ الذي أرسلك رحمة للعالمين، فعمهم بعد نعمة الإيجاد بأن بين لهم إقامة لمعاشهم
١٠ و معادهم بك طريق النجاة غاية البيان، بما أنزل عليك من معجز[7] القرآن الذي من سمعه فكأنما سمعه من العلي العظيم ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص من أراده بالإقبال به إلى حزبه و جعله من أهل قربه بلزوم الصراط المستقيم[8].

(١) العاشرة و المائة من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ٣ (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل: مدلولها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: الله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) وقع في الأصل قبل « خلاصة الوجود » والترتيب من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: معجزات. (٨) زيد في الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

/ ٨٧٧ / لما دلت التي قبلها على أن الكفار قد صاروا إلى حال لا عبرة بهم فيه و لا التفات و لا خوف بوجه منهم ما دام الحال على المتاركة، كان كأنه قيل: فهل يحصل نصر عليهم و ظفر بهم بالمعاركة، فأجاب بهذه السورة بشارة [للمؤمنين -[1]] و نذارة للكافرين، و لكنه لما لم يكن هذا بالفعل إلا عام حجة الوداع بعد فتح مكة بسنتين كان كأنه لم يستقر ٥ [الفتح -[2]] إلا حينئذ، فلم ينزل سبحانه و تعالى هذه السورة إلا في ذلك الوقت و قبل منصرفه من غزوة حنين، فقال تعالى تحقيقا لأنه ينصر المظلوم و يعلي دينه و يمهل و لا يهمل، فانه لا يعجزه شيء، حثا على التفويض له و الاكتفاء به، مقدما معمول « سبح » تعجيلا للبشارة: ﴿ اذا ﴾ . ١٠

و لما كانت المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها، يسوقها إليها سائق القدرة، فتقرب منها شيئا فشيئا، كانت كأنها آتية إليها، فلذلك[3] حصل التجوز بالمجيء عن الحصول فقال: ﴿ جآء ﴾ اي استقر و ثبت في المستقبل بمجيء وقته المضروب له في الأزل، و زاد في تعظيمه بالإضافة ثم بكونها اسم الذات فقال: ﴿ نصر الله ﴾ أي الملك الأعظم الذي لا مثل له و لا أمر لأحد معه على جميع الناس في ١٥ [كل -[1]] أمر يريده.

و لما كان للنصر درجات، و كان قد أشار سبحانه بمطلق الإضافة

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و في الأصل: فان لك.

إليه ثم بكونها إلى الاسم الأعظم إلى أن المراد أعلاها، صرح به فقال:
﴿و الفتح ﴾ أى المطلق الصالح لكل فتح الذى نزلت فيه سورته بالحديبية
مبشرة له بغلبة حزبه الذين[1] أنت قائدهم و هاديهم و مرشدهم، لاسيما
على مكة التى بها بيته و منها ظهر دينه، و بها كان أصله، و فيها استقر
٥ عموده، و عز جنوده، فذل بذلك جميع العرب، و قالوا: لاطاقة لنا
بمن أظفره الله بأهل الحرم، فعزوا[2] بهذا الذل حتى كان ببعضهم تمام[3]
هذا الفتح، و يكون بهم كلهم فتح جميع البلاد، و للاشارة إلى الغلبة
على[4] جميع الأمم ساقه تعالى فى أسلوب الشرط، و لتحققها عبر عنه[5]
بـ"إذا" إعلاما بأنه لايخلف الوعد و لاينقص ما قدره و إن توهمت العقول
١٠ أنه فات وقته، و إيذانا بأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ليحصل
لمن علم ذلك الإخلاص و الخوف و الرجاء، فأشعرت العبارة بأن الوقت
قد قرب، فكان المعنى: فكن مترقبا لوروده و مستعدا لشكره.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما كمل دينه و اتضحت شريعته
و استقر أمره / صلى الله عليه و سلم و أدى أمانة[6] رسالته حق أدائها عرف ٨٧٨ /
١٥ عليه الصلاة و السلام نفاد عمره و انقضاء أجله، و جعلت له على ذلك

---

(١) من م، وفى الأصل و ظ: الذى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فعدوا.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: عام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عنها.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: الامانة.

علامة دخول الناس فى دين الله جماعات بعد التوقف و التثبط "حكمة بالغة و لوشاء الله لجمعهم على الهدى" و أمر بالإكثار من الاستغفار المشروع فى أعقاب المجالس و فى أطراف النهار و خواتم المآخذ[1] مما عسى أن يتخال من لغو أو فتور، فشرع سبحانه و تعالى الاستغفار ليحرز لعباده من حفظ أحوالهم و رعى أوقاتهم ما[2] بنى بعلى أجورهم كما وعدهم ٥ "و تمت كلمات ربك صدقا و عدلا لا مبدل لكلماته" و قد بسطت ما أشارت إليه هذه السورة العظيمة - و كل كلام ربنا عظيم - فيما قيدته فى غير هذا، و أن أبا بكر رضى الله عنه عرف منها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نعيت إليه[3] نفسه الكريمة على ربه و عرف بدنو أجله، و قد أشار إلى هذا الغرض أيضا بأبعد من الواقع فى هذه السورة قوله تعالى ١٠ "اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا" و سورة براءة و أفعاله عليه الصلاة و السلام فى حجة الوداع لكن لم يبلغنا استشعار أحد من الصحابة رضى الله عنهم تعين الأمر إلا من هذه السورة. و قد عرفت بإشارة براءة و آية المائدة تعريفا شافيا، و استشعر الناس عام حجة الوداع و عند نزول[4] براءة ذلك لكن لم يستيقنوه و غلبوا ١٥ رجاءهم فى حياته صلى الله عليه و سلم، و منهم من توفى، فلما نزلت "إذا جاء نصر الله و الفتح" استيقن أبو بكر رضى الله عنه [ذلك - [5]]

(١) فى ظ: المساجد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مما (٣) من م، و فى الأصل: اه، و فى ظ: عليه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: نزل (٥) زيد من ظ و م.

استيقانا حمله على البكاء لما قرأها رسول الله صلى الله عليه و سلم - انتهى •

و لما عبر عن المعنى بالمجيء، عبر عن المرئى بالرؤية فقال: ﴿و رأيت﴾ أى بعينيك[1] ﴿الناس﴾ أى العرب الذين كانوا حقيرين عند جميع الأمم، فصاروا بك هم[2] الناس - كما دلت عليه لام الكمال، و صار

٥ سائر أهل الأرض لهم أتباعا، و بالنسبة إليهم رعايا، حال كونهم ﴿يدخلون﴾ شيئا فشيئا متجددا دخولهم مستمرا ﴿ فى دين الله ﴾ اى شرع من لم تزل كلمته هى العليا فى حال إباء الخلق - بقهره لهم على الكفر الذى لا يرضاه لنفسه عاقل - ترك الحظوظ، و فى حال طواعيتهم بقسره لهم على الطاعة، و عبر عنه بالدين الذى معناه الجزاء لأن العرب كانوا لا يعتقدون

١٠ القيامة التى لا يتم ظهور الجزاء إلا بها ﴿ افواجا ﴾ أى قبائل قبائل و زمرا زمرا و جماعات كثيفة كالقبيلة بأسرها أمة بعد أمة كأهل مكة و الطائف /٨٧٩ و هوازن و همدان و سائر القبائل من [غير -[3]] قتال فى خفة و سرعة و مفاجأة و لين بعد دخولهم واحدا واحدا و نحو ذلك لأنهم قالوا: أما إذا ظفر بأهل الحرم و قد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل الذين

١٥ لم يقدر أحد على ردهم فليس لنا بهم يدان • فتبين أن هذا القياس المنتج هذه النتيجة البديهية بقصة أصحاب الفيل ما رتبه الله إلا إرهاصا لنبوته و تأسيسا لدعوته فألقوا بأيديهم، و أسلموا قيادهم حاضرهم و باديهم •

---

(١) فى م: أى نفسك (٢) من م، و فى الأصل: اهم، و فى ظ: ادهم - كذا (٣) زيد من ظ •

و لما كان التقدير : فقد سبح الله نفسه بالحمد بإبعاد نجس[1] الشرك عن جزيرة العرب بالفعل، قال إيذانا بأنه منزه عن النقائص التي منها إخلاف الوعد، و أن له مع ذلك الجلال و الجمال، معبرا بما يفيد التعجب لزيادة التعظيم للتعجب منه ليثمر ذلك الإجلال و التعظيم و التذلل و[2] التقبل لجميع[2] الأوامر، و يفهم أمره تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم ٥ بالاشتغال [بخاصة نفسه بدنو أجله ، و أن اشتغاله -[3]] بالناس قد انتهى ، لأن الدين قد كمل فلم يبق له صلى الله عليه و سلم شغل في دار الكدر[4] : ﴿ فسبح ﴾ أي نزه أنت بقولك[5] و فعلك بالصلاة و غيرها موافقة لمولاك فيما فعل، و زد في جميع أنواع العبادة ، تسبيحا متلبسا ﴿ بحمد ﴾ أي بكمال[6] و إجلال و تعظيم[6] ﴿ ربك ﴾ أي الذي أنجز لك ١٠ الوعد بإكمال الدين و قمع المعتدين، المحسن إليك بجميع ذلك ، لأنه كله لكرامتك ، و إلا فهو عزيز حميد على كل حال ، تعجبا لتيسير الله من هذا الفتح مما لم يخطر بالبال ، و شكرا لما أنعم به سبحانه و تعالى [عليه -[3]] من أنه أراه[7] تمام ما أرسل لأجله ، و لأن كل حسنة يعملها أتباعه له مثلها . ١٥

و لما أمره صلى الله عليه و سلم بتنزيهه عن كل نقص ، و وصفه تنزلا

---

(١) في ظ : جيش (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : ليقبل بجميع (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها. (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بقوله (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : اراده .

عن غيب الغيب إلى الغيب بكل كمال مضافا إلى الرب تدليا إلى مشاهدة الأفعال، وصل إلى نهاية التنزل من الخالق إلى المخلوق مخاطبا لأعلى الخلائق كلهم[1] فأمره بما يفهم العجز عن الوفاء بحقه لما[2] له من العظمة المشار إليها بذكره مرتين بالاسم الأعظم الذى له من الدلائل على العظم
٥ والعلو إلى محل الغيب الذى لامطمع فى دركه ما تنقطع الأعناق دونه ليفهم عجز غيره من باب الأولى، فقال معلما بأن[3] من كماله أن يأخذ بالذنب إن شاء ويغفر إن شاء وإن عظم الذنب، ليحث ذلك على المبادرة إلى التوبة وتكثير الحسنات وحسن الرجاء: ﴿واستغفره﴾[4] أى اطلب غفرانه إنه كان غفارا إيذانا بأنه لايقدر أحد أن يقدره حق
١٠ قدره كما أشار / إلى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التى هى أعظم العبادات ٨٨٠ / ليتقتدى بك أمتك فى المواظبة على الأمان الثانى لهم، فان الأمان الأول - الذى هو وجودك[4] بين أظهرهم قد دنا رجوعه إلى معدنه فى الرفيق الأعلى والمحل الأقدس الأولى، وكذا فعل صلى الله عليه وسلم - كان يقول «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ودخل يوم
١٥ الفتح مكة مطاطئا رأسه حتى أنه ليكاد يمس واسطة الرحل تواضعا لله سبحانه وتعالى إعلاما لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[5] أن ما وقع[5]

---

(١) سقط من ظ وم (٢) من م، وفى الأصل وظ: بما (٣) من ظ وم، وفى الأصل: بانه (٤) من ظ وم، وفى الأصل: وجدك (٥-٥) من ظ وم، وفى الأصل: والذى فتح.

إنما هو بحول الله، لا بكثرة من معه من الجمع، و إنما جعلهم[1] سببا لطفا منه بهم[2]، و لذلك نبه من ظن منهم أو هجس فى خاطره أن للجمع مدخلا بما وقع من الهزيمة فى حنين أولا، و ما وقع بعد من النصرة بمن ثبت مع النبى صلى الله عليه و سلم و هم لا يبلغون ثلاثين[3] نفسا ثانيا، فالتسبيح الذى هو تنزيه عن النقص إشارة إلى إكماله الدين تحقيقا ٥ لما [كان - [4]] تقدم به وعده[5] الشريف. و الاستغفار إشارة إلى أن عبادته صلى الله عليه و سلم التى هى أعظم العبادات قد شارفت الانقضاء، و لا يكون ذلك إلا بالموت، فلذلك أمر بالاستغفار لأنه يكون فى خاتمة المجالس و الأعمال [جبرا - [4]] لما لعله وقع فيها على نوع من الوهن و اعترافا [6]بذل العبودية[6] و العجز. ١٠

و لما امر بذلك فأرشد السياق إلى أن التقدير: و تب إليه[7]، علله مؤكدا لأجل استبعاد من يستبعد مضمون ذلك من رجوع الناس فى الردة و من غيره بقوله: ﴿ انه ﴾ أى المحسن إليك [8] غاية الإحسان[8] بخلافته لك فى أمتك، و يجوز أن يكون التأكيد لأجل دلالة ما تقدم من ذكر الجلالة مرتين على غاية العظمة و الفوت عن الإدراك ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جعله (٢) من ظ و م، و فى الأصل: به. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: ثلاثون (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: صلى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالربوبية (٧) من ظ، و فى الاصل و م: عليه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

بالاحتجاب بإرادته الكبرياء و العز و التجبر و القهر مع أن المالوف أن من كان على شيء من ذلك كان بحيث لا يقبل عذرا و لا يقيل نادما ﴿ كان ﴾ أي لم يزل [1]على التجدد و الاستمرار[1] ﴿ توابا ﴾ أي رجاعا بمن ذهب به[2] الشيطان من أهل رحمته فهو، الذي رجع بأنصارك عما كانوا
٥ عليه من الاجتماع على الكفر [3] و الاختلاف و العداوات [3] فأيدك بدخولهم في الدين شيئا فشيئا حتى أسرع بهم بعد سورة الفتح إلى أن دخلت مكة في عشرة آلاف، و هو أيضا يرجع بك إلى الحال التي يزداد بها ظهور رفعتك في الرفيق الأعلى و يرجع عن تخلخل من أمتك في دينه ردة أو معصية دون ذلك إلى ما كان عليه من الخير، و يسير بهم
١٠ أحسن سير، فقد رجع[4] آخر السورة إلى[5] أولها بأنه لولا[6] تحقق وصفه بالتوبة لما وجد الناصر الذي وجد به الفتح[7] و التحم مقطعها أي / التحام بمطلعها، و علم أن كل جملة منها مسببة عما قبلها، فتوبة الله [8]على عبده[8] نتيجة توبته [9]باستغفاره الذي [هو - [10]] طلب المغفرة بشروطه، و ذلك ثمرة اعتقاده الكمال في ربه، و ذلك ما دل عليه إعلاؤه لدينه، و قسره
١٥ للداخلين فيه على الدخول مع [أنهم - [11]] أشد الناس شكائم و أعلاهم

/ ٨٨١

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: اليه. (٣ - ٣) من ظ و م، و في الاصل: العداوات والاختلاف (٤) من م، و في الأصل و ظ: ترجع (٥) من ظ وم، و في الأصل: على (٦) من ظ وم، و في الأصل: لو (٧) زيد في الأصل: الاعظم، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها. (٨-٨) من ظ وم، و في الأصل: بعبده (٩) من م، و في الأصل: بنوته، و في ظ: توبة عبد (١٠) زيد من ظ (١١) زيد من ظ و م.

هما[1] و عزائم، و قد كانوا فى غاية الإباء له و المغالبة للقائم به، و ذلك هو فائدة الفتح الذى هو آية النصر، و قد علم أن الآية الأخيرة من الاحتباك : دل بالأمر بالاستغفار [على الأمر بالتوبة، و بتعليل الأمر بالتوبة على تعليل الأمر بالاستغفار -[2]]، و علم ان السورة أشارت[3] إلى وفاته[4] صلى الله عليه و سلم بالحث على الاستغفار الذى هو الأمان الثانى، ومن شأنه أن تختم به الأعمال و المجالس[5] بعد ما اشار إليه إعلامها بظهور الدين على الدين كله و نزولها فى أوسط [أيام -[2]] التشريق من حجته عليه أفضل الصلاة و السلام سنة عشر كما ذكرته فى كتابى « مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور » و كتابى « الاطلاع على حجة الوداع » و ذلك بعد نزول آية المائدة - التى هى نظيرتها[6] فى رد المقطع على المطلع - فى يوم عرفة[7] " اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا " و من المعلوم أنه لا يكون فى هذه الدار كمال إلا بعده[8] نقصان، و لذلك سماها النبى صلى الله عليه و سلم حجة الوداع و خطب الناس فيها، فعلّمهم[9] أمور دينهم و أشهدهم على أنفسهم و أشهد الله عليهم

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هماما (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اشارة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المحاسن (٦) زيد فى الأصل : فى عد السور و ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : قوله تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بعد (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : يعلمهم .

بأنه بلغهم، و ودعهم[1] و قال: لا أدرى لعلى [لا - [2]] ألقاكم بعد عامى هذا، و أشار إلى ذلك أيضا بالتوبة و إلى وقوع الردة بعده صلى الله عليه و سلم و رجوع من ارتد إلى أحسن ما كانوا عليه من اعتقادهم [3]في الدين[3] و ثباتهم عليه بقتل من كان مطبوعا على الكفر المشار إليهم[4] بقوله تعالى "و لو أسمعهم - اى إسماع[5] قهر و غلبة و قسر - لتولوا و هم معرضون" فكان وجودهم ضررا صرفا من غير منفعة و قتلهم نفعا[6] لاضرر فيه بوجه، و لأجل إفهامها حلول الأجل للايذان بالتمام بكى[7] العباس رضى الله تعالى عنه - و فى رواية: ولده عبد الله - عند نزولها فسأله النبي صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال: نعيت إليك نفسك، فقال: إنه لكما تقول. كما بكى عمر رضى الله عنه عند نزول آية المائدة، و علل بهذا - والله الهادى، وقد ظهر بهذا[8] أن حاصلها الإيذان بكمال الدين و دنو الوفاة لخاتم النبيين، و النصر على جميع الظالمين [9]الطاغين الباغين[9]، و ذلك من أعظم مقاصد[10] المائدة، المناظرة لهذه فى التطبيق بين البادئة و العائدة، / كما أشار إليه [قوله تعالى -[11]] "اليوم أكملت لكم دينكم" /٨٨٢

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: وعدهم (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: سماع (٦) من م، و فى الأصل و ظ: نفعهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يبكى (٨) سقط من م (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: نظائر (١١) زيد من ظ و م.

الآية

الآية، و قوله تعالى [١]"و من يتولى الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون" و قوله تعالى[١] "لله ملك السماوات و الأرض و ما فيهن و هو على كل شيء قدير" و من أعظم لطائف هذه السورة و دقيق بدائعها و لطيف منازعها أن كلماتها تـدل بأعدادها على أمور[٢] جليلة و أسرار جميلة، فانها تسع عشرة كلمة، و قد كان في سنة [٣]تسع عشرة[٣] من الهجرة موت قيصر طاغية الروم، و ذلك أن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما فتح الإسكندرية قال قيصر: لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلكت الروم، فتجهز ليباشر قتالهم بنفسه، فعند ما فرغ من جهازه صرعه الله فمات و كفى الله المسلمين[٤] شره، و ذل الروم بذلك ذلا كبيرا، و استأسدت[٥] العرب، و في هذه السنة أيضا فتح الله قيسارية من بلاد الشام فلم يبق بالشام[٦] أقصاها و أدناها عدو، و فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا، و كان فيها أيضا فتح جلولاء، من بلاد فارس، و كان فتحها يسمى فتح الفتوح، لأن الفرس [٧]لم ينجبروا بعده[٧]، هذا إن عددنا ما يوازى كلماتها من سنة الهجرة، و إن عددنا من سنة نزول السورة في[٨] سنة عشر فقد فتحت سنة تسع و عشرين من الهجرة - و هى التاسعة عشرة من نزولها -

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و في الأصل: كلمات.
(٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: تسعة عشر (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: استالدت (٦) من ظ و م، و في الأصل: من بلاد الشام (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: لم يتجهزوا بعد (٨) من ظ و م، و في الأصل: من.

مدينة اصطخر، و اشتد ضعف الفرس، و أمر ملكهم يزدجرد [و -[1]]
اجتهاده في الهرب من العرب حتى قتل سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة
بعد ذلك بسنتين[2]، و ذلك هو العد الموازي لعد كلماتها ظواهر و ضمائر
مع كلمات البسملة[3]، و إذا نظرت إلى ما هنا من هذا و طبقت بينه و بين
ما ذكر في سورة الفتح من مثله زاد عجبك من باهر هذه الآيات -
و الله الموفق، ثم إنك إذا اعتبرت اعتبارا آخر وجدت هذه السورة
كما دلت بجملتها على انقضاء زمن النبوة بموت النبي صلى الله عليه و سلم
دلت بمفردات كلماتها على انقضاء خلافة النبوة لتمام ثلاثين[4] سنة كما
قال النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه أبو داود[5] و الترمذي[6] و النسائي
و ابن حبان في صحيحه عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه و سلم و رضي
عنه : خلافة النبوة ثلاثون، ثم يؤتى [الله -[1]] الملك من يشاء . و ذلك
أنك إذا عددت كلماتها مع البسملة كانت باعتبار الرسم ثلاثا و عشرين
كلمة، و ذلك مشير إلى انقضاء الخلافة التي لم تكن قط خلافة مثلها،
و هي خلافـــة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستشهاده في
ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين من الهجرة، فاذا ضممت إلى ذلك
الضمائر البارزة / و هي خمسة، و المستترة و هي ثلاثة، فكانت أحدا و ثلاثين، / ٨٨٣

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل : بسنتي (٣-٣) من ظ
و م، و في الأصل : ظواهرها وضمائرها مع كلماتها والبسمله (٤) من ظ
وم، وفي الأصل : ثلاث (٥) راجع السنن - أبواب السنة (٦) راجع الجامع -
أبواب الفتن .

و حسبت من حين نزول السورة على النبي صلى الله عليه و سلم فى ذى الحجة سنة عشر كان ذلك مشيرا إلى انقضاء خلافة النبوة كلها باصلاح أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنهما فى شهر ربيع الأول سنة إحدى و اربعين ، و ذلك عند مضى ثلاثين سنة من موت النبى صلى الله عليه و سلم فى شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة لا تزيد شهرا ٥
و لا تنقصه ، و إن أخذت الضمائر وحدها بارزها و مستترها دلت على فتح مكة المشرفة بعينه ، فانها - كما مضى - ثمانية و قد كان الفتح سنة ثمان من الهجرة ، و من لطائف الأسرار و بدائع الأنظار[1] أنها تدل على السنين بحسب التفصيل ، فالبارز يدل على سنة النصر و الظهور على قريش لأنهم المقصودون بالذات لأن العرب لهم تبع ، والمستتر يدل على ضد ذلك ، ١٠
و شرح هذا أنه لما كانت قد خفقت [فى -[2]] السنة الأولى من الهجرة رأيات الإسلام فى[3] كل وجه ، و انتشرت[4] أسده فى كل صوب ، و انبثت سراياه فى كل قطر ، أشار إليها التاء فى « رأيت » التى هى ضميره صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ما يختص بفهمه من البشارة . و لما كان فى السنة الثانية بغزوة بدر من واضح الظفر و عظيم النصر ما هدّ قلوب الكفار ، و شد ١٥
قلوب الأنصار فى سائر الأمصار ، و أعلى لهم القدر ، أشار إلى ذلك واو " يدخلون " ، و لما حصل فى السنة الثالثة ما لم يخف من المصيبة فى غزوة أحد التى ربما أوهمت بعض من لم يرسخ نقصا ، أشار إلى ذلك الضمير

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الامطار (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) فى ظ : انتشر .

المستتر فى "فسبح"، و لما كان الخبر فى الرابعة باجلاء بني النضير و إخلاف قريش للوعد فى بدر جبنا و عجزا حيث وفى النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله تعالى عنهم شجاعة و قوة بحول الله و انقلبوا، منها بنعمة من الله و فضل لم يمسهم سوء، أشار إلى ذلك الكاف فى "ربك"
٥ و لما كان فى [1]الخامسة غزوة الأحزاب أشار إليها المستتر فى "و استغفره"[1]

[و لما كان فى السادسة عمرة الحديبية التى سماها النبى صلى الله عليه و سلم فتحا، أنزل الله فيها سورة الفتح -[2]] لكونها كانت سببا للفتح، فكان ذلك علما من أعلام النبوة، و لبعث النبى صلى الله عليه و سلم فيها إلى الملوك يدعوهم إلى الله تعالى أشار إلى ذلك الضمير البارز فى "و استغفره"
١٠ و أكد قوته [كونه -[3]] للرب تعالى، و لما كان فى السابعة غزوة خيبر و عمرة القضاء أشار إليها الضمير الظاهر فى "انه" و لما كان ضمير [«كان» لله، و كان له سبحانه حضرتان: حضرة غيب و بطون، وحضرة شهادة و ظهور، و كانت حضرة -[3]] الغيب هى حضرة الجلال و الكبرياء و العظمة و التعالى، و حضرة الشهادة حضرة التنزل بالأفعال[4] و الاستعطاف
١٥ بالأقوال، كانت / الحضرتان للنصر، و كانت حضرة الغيب أعظمها نصرا ٨٨٤ / و أشدهما إزرا، فلذلك كان ضمير الاستتار دالا على الفتح الأكبر بالانتصار على السكان والديار بسطوة الواحد القهار، على أنا إذا نظرنا إليه من حيث كونه جائز البروز كان البارز فله[5] حكمه - فسبحان من شمل عمله، و دقت حكمته فنفذ حكمه.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى الأفعال (٥) من ظ و م، و فى الأصل: له.

سورة

سورة تبت[1]

مقصودها البت و القطع الحتم بخسران الكافر و لو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين ، اللازم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه الوصف ، فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفوء له أصلا ، حثا على التوحيد من سائر العبيد ، و لذلك وقعت بين سورة[2] الإخلاص المقرون بضمان النصر ٥ و كثرة الأنصار ، و اسمها تبت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة على هذه الصورة ﴿ بسم الله ﴾ الجبار المتكبر المضل الهاد ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الولى و العدو بنعمة البيان بعد[3] الإكرام بالإيجاد[3] ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص بالتوفيق أهل الوداد .

لما قدم سبحانه و تعالى فى سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل ١٠ هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة[4] ، و الأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذى مر عليهم [5]مع الذلة من[5] القلة ، و ختمها بأنه التواب ، و كان أبو لهب - من شدة العناد لهذا الدين و الأذى لإمامة النبى صلى الله عليه و سلم سيد العالمين مع قربه منه - بالمحل الذى لا يجهل ، بل شاع و اشتهر ، و أحرق الأكباد

(١) فى ظ : ابى لهب ، وهى الحادية عشرة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ه (٢) فى ظ : سورتى (٣-٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الايجاد والاكرام (٤) فى ظ : الدلالة (٥-٥) من ظ وم و فى الأصل : من الذلة مع .

و صهر، كان بحيث يسأل عن حاله إذذاك هل يثبت[1] عليه أو يذل، فشفى
ء هذا السؤال، و أزيل بما يكون [له -[2]] من النكال، و ليكون
[ذلك -[3]] بعد وقوع[4] الفتح و نزول[5] الظفر و النصر، و الإظهار على
الأعداء بالعز و القهر، مذكرا له صلى الله عليه و سلم بما كان فى أول
٥ الأمر من جبروتهم و أذاهم و قوتهم بالعَدد و العُدد، و أنه [6]لم يغن عنهم[6]
شيء من ذلك، بل صدق الله وعده فى قوله سبحانه و تعالى "قل للذين
كفروا ستغلبون و تحشرون إلى جهنم و بئس المهاد" و كذبوا فيما كانوا
فيه من التعاضد و التناصر و التحالف و التعاقد، فذكر تعالى أعداهم له
و أقربهم إليه فى النسب إشارة إلى أنه لا فرق فى تكذيبه لهم بين
١٠ القريب و البعيد، و إلى أنه لم ينفعه قربه له ليكون ذلك حاملا لأهل
الدين على الاجتهاد فى العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما
شرعه سبحانه، فقال تعالى معبرا بالماضى دلالة على أن الأمر قد قضى
بذلك و فرغ منه، فلا بد من كونه ولا محيص[7] /: ﴿تبت﴾ أى حصل ٨٨٥ /
القطع الأعظم و الحتم الأكمل، فإنها خابت و خسرت غاية الخسارة،
١٥ و هى المؤدية إلى الهلاك لأنه لا نجاة إلا نجاة الآخرة، و جعل خطاب
هذه السورة عن الله و لم يفتتحها بـ «قل» كأخواتها لأن هذا أكثر

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ثبتت (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: نزول (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قد
نزل (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لم يمنعهم (٧) زيد فى الأصل: والله
اعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

أدبا و أدخل فى باب العذر و أولى فى[1] مراعاة ذوى الرحم ، و لذلك لم يكرر ذكرها فى القرآن ، و أشد فى انتصار الله سبحانه و تعالى [له صلى الله عليه و سلم - [2]] و أقرب إلى التخويف و تجويز سرعة الوقوع .

و لما كانت اليد محل قدرة الإنسان ، فاذا اختلت اختل أمره ، ٥ فكيف إذا حصل[3] الخلل فى يديه جميعا ، قال مشيرا بالتثنية إلى عموم هلاكه بأن قوته لم تغن عنه شيئا ، و لأن التثنية يعبر بها عن النفس ، و مشيرا بالكنية و إن كان يؤتى بها غالبا للتشريف إلى مطابقة[4] اسمه لحاله ، و بمجانسته الموجبة لعظيم نكاله : ﴿يدآ ابى لهب﴾ فلا قدرة له [على -[5]] إعطاء و لا منع ، و لا على جلب و لا دفع ، و إشارة إلى أن ١٠ حسن صورته لم تغن عنه شيئا من قبيح سيرته لقوله صلى الله عليه وسلم «ان الله لا ينظر إلى صوركم و لا أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم» لأنه [إنما - [5]] كنى بهذا لإشراق وجهه و توقد وجنتيه ، و لأنها أشهر ، فالبيان بها أقوى و أظهر ، و التعبير بها - مع كونه أوضح - أقعد فى قول التى [هى - [5]] أحسن ، لأن اسمه عبد العزى و هو قبيح ١٥ موجب للعدول عنه غيرة[6] على العبودية[6] أن تضاف إلى غير مستحقها .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حضر (٤) من ظ ، و فى الأصل : مايطابقه ، و فى م : ماطابقه . (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للعبودية .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه السورة و إن نزلت على سبب خاص و فى قصة معلومة فهى مع ما تقدمها و اتصل[1] بها فى قوة أن لو قيل: قد انقضى عمرك يا محمد، و انتهى ما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، و أديت ما تحملته و حان[2] أجلك، و أمارة ذلك دخول ٥ الناس فى دين الله أفواجا، و استجابتهم بعد تلكؤهم، و الويل لمن عاندك و عدل عن متابعتك و إن كان اقرب الناس إليك، فقد فصلت سورة "قل يا ايها الكافرون" بين أوليائك و أعدائك، و بان بها حكم من اتبعك و من عاداك، و لهذا سماها عليه الصلاة و السلام المبرئة من النفاق، و ليعلم كفار قريش و غيرهم أنه لا اعتصام لأحـــد من النار ١٠ إلا بالإيمان، و أن القرابات غير نافعة و لا مجدية[3] شيئا إلا مع الإيمان[4] "لكم دينكم ولى دين" "أنتم بريئون مما أعمل و أنا برىء مما تعملون"، "و المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض" و ههنا انتهى أمر الكتاب بجملته - انتهى.

و لما كان ربما خص التباب بالهلاك، و حمل على هلاك اليدين حقيقة، و كان الإنسان لا يزول جميع منفعته بفوات يديه و إن كان قد ١٥ يعبر بهما عن النفس، قال مصرحا بالمقصود[5]: ﴿وتب﴾ أى هو بجملته / بتمام [6]الهلاك و[6]الخسران، فحقق بهذا ما أريد من الإسناد إلى اليدين /٨٨٦

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اتصل (٢) من ظ و م. و فى الأصل: آن.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: مجزية (٤) زيد فى الأصل: واشارة الى هذا بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط مابين الرقمين من ظ.

من

من الكناية عن الهلاك الذى لا بقاء بعده، و الظاهر أن الأول دعاء و الثانى خبر، و عرف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لايغنى[1] إلا أن وقع الاقتداء بهم فى أفعالهم لأنه عم النبي صلى الله عليه و سلم .

و مادة «تب» و «بتّ» - الجامعة بجمع التاء و الباء للسببين الأدنى الباطنى و الأعلى الظاهرى - تدور على القطع المؤدى فى أغلب أحواله إلى الهلاك، ٥ لأن من انقطع إلى الأسباب معرضا عن مسببها كان فى أعظم تباب، و ربما كان القطع باستجماع الأسباب، فحصل[2] الفوز بالمقاصد و المحاب، قال ابن مكتوم فى الجمع بين المحكم و العباب: التب و التباب: الخسار، و تبا له - على الدعاء، و تبا تبيبا - على المبالغة، قال الإمام أبو عبد الله القزاز: كأنك قلت: خسرانا له، و هو المصدر، نصب[3] نصب سقيا[3] له، قال ابن ١٠ دريد: وكأن التب المصدر والتباب الاسم، و[التبب و -[4]] [التباب و -[5]] التبيب: الهلاك، [و التتبيب -[5]] النقص و الخسار، و كل هذا واضح فى القطع عن الخير و الفوز، قال: [و -[5]] التاب: الكبير من[6] الرجال، و الأنثى تابة، و قال القزاز: إذا سألت الرجل عن المرأة قلت: أشابة هى أم تابة، أى أم [هى -[5]] عجوز فانية، [و -[7]] معلوم أن كبر السن مقرب ١٥ من القطع و الهلاك، و التاب: الضعيف، و الجمع أتباب - هذلية، و حمار

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لاينتمى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فحصر (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: نفسا سيفا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٧) زيد من ظ .

تاب الظهر - إذا دبر، و جمل [تاب -[1]] كذلك نادرة، و لاشك أن الدبر و الضعف هلاك فى المعنى، و تب: قطع مثل بت، أى بتقديم الموحدة، و وقعوا فى تبوب منكرة، و هو بتبة أى بحالة شديدة، و التبى - بالفتح و الكسر: ضرب من تمر البحرين، قيل: هو ردىء يأكله سقاط الناس، ٥ و أتب الله قوته: أضعفها، و تبوهم تتبيبا: أهلكوهم، و تبتب: شاخ، و كل ذلك واضح فى القطع بالهلاك و الخسار، و التبوب - يعنى بالضم: [ما -[1]] انطوت عليه الأضلاع كالصدر و القلب، و هذا يحتمل[2] الخير و الشر، فان القلب إذا فسد فسد الجسد كله، و إذا صلح صلح الجسد كله، فيكون حينئذ القطع بالفوز و النجاة، أو لأن انطواء الأضلاع ١٠ عليه قطعه عن الخارج، و استتب الأمر: تهيأ و استوى. و قال القزاز: و يقال: هذه العلة لا تستتب فى نظائر هذا القول، أى لا تجرى فى نظائره، كأنه من باب الإزالة إذ أن السين لما[3] جامعت حرفى السببين آذنت[4] بالنجاح و الفوز [و الفلاح -[1]]، فانها حرف تـدل على الاستيفاء فى الإنباء عن الشيء و التتمة و الألفة، و أحسن من هذا أنها إذا جرت ١٥ فى النظائر أوضحتها و كشفت معانيها / ففصلتها و أبانتها و قطعتها[5] عن غير النظائر[6] بما أزالت من الإلباس[7] بها، و الذى يحقق معانى التب و يظهر

/ ٨٨٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: محتمل (٣) من ظ، و فى الأصل و م: لا (٤) فى م: آذنته (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قطعها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: النظار (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الالباب.

أنه يؤل إلى القطع مقلوبه، و هو البت - بتقديم الموحدة التي هي السبب الظاهر الذي هو أقوى من حيث أنه لا يتحقق إلا بكمال السبب الباطن، يقال: بت الشيء يبته بتا، و أبته: قطعه[1] قطعا مستأصلا، و بت هو يُبت و يبِت بتا و انبت، و لعله استوى فيه المجرد و المزيد في التعدية دلالة على أن ما حصل بالمجرد من القطع هو من الكمال بحيث لا مزيد عليه، ٥ و كذا استوى القاصر مجردا و مطاوعا مع[2] المتعدي في أصل المعنى. و صدقة بتة: بتلة بائنة من صاحبها. و طلقها ثلاثا بتة و إبتاتا، أي قطعا لا عود فيه، و لا أفعله البتة - كأنه قطع فعله، قال سيبويه: و قالوا: قعد البتة - مصدر مؤكد، و لا يستعمل إلا بالألف و اللام، و بت عليه القضاء بتا و أبته: قطعه، و سكران ما يُبت كلاما و ما يُبت / أي [ما -[3]] ١٠ / ٨٨٨ يقطعه، قال القزاز: يُبت من أبت، و يبَت من بَتَّ، و سكران باتّ: منقطع عن العمل بالسكر، و أبت يمينه: أمضاها، أي قطعها عن الحنث، و بتت هي: وجبت و حلت [4]بتا و بتة[4] و بتاتا، و كل ذلك من القطع، و أبت بعيره، أي قطعه بالسير[5]، و المنبت في الحديث[6]: [الذي -[3]] أتعب دابته حتى [7]عطب ظهره[7] فبقي منقطعا به، و قال القزاز: هو الذي أتعب ١٥

(١) من ظ و م، و في الأصل: يقطعه (٢) زيد في ظ: التقدير (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: بته وبتا (٥) من ظ و م، و في الأصل: من السير (٦) راجع تاج العروس - البت (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: أعطب دابته.

دابته حتى قطع ظهرها فبقى منبتا به، أى منقطعا به، و بت عليه الشهادة و أبتها: قطع عليه بها و ألزمه إياها، و بت عليه [القضاء -[1]] و أبته: قطعه، و الباث: المهزول الذى لايقدر أن يقوم - كأنه قد انقطعت قوته، و فى الحديث[2]: لاصيام لمن لم يبت[3] الصيام من الليل، فمعناه: يوجبه، أى ٥ يقطعه على نفسه قبل الفجر، من أبت عليه الحكم - إذا قطعه، و روى: يبت، من بت - إذا قطع، و كلاهما [4]بمعنى، و هما[4] لغتان فصيحتان، و روى فى حديث: من لم يبت[5] - من البيات[6]. و أحمق بات: شديد الحمق - كذا قاله الليث، و قال الأزهرى: هو تاب - بتأخير الموحدة، و البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، و قيل: هو من وبر و صوف، و الجمع ١٠ بتوت، و البتات أى بالتخفيف: متاع البيت و الزاد، كأن ذلك يقطع صاحبه عن الحاجة. و بتتوه: زودوه[7]، أو أن ذلك من الإزالة لأنه صلة لصاحبه و رفد لأن الاستقراء حاصل بأن[8] كل مادة لها معنى غالب تدور عليه و فيها شيء لإزالة ذلك المعنى، و فلان على بتات أمر - إذا أشرف على فراغه، فانه ينقطع حينئذ، و تقول: طحنت بالرحى بتا - إذا ١٥ إبتدأت الإدارة عن يسارك، كأنه دال على القطع بتمام العزيمة لأن ذلك أقوى للطاحن و أمكن، و انبت الرجل: انقطع ماء ظهره، و يقال:

---

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع تاج العروس - ابت (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لم يبيت (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م، وفى الأصل: لم يبيت، وفى ظ: لم يلبث (٦) فى ظ: البت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: زودوه (٨) من م، و فى الأصل و ظ: فان.

هذا

هذا حبل بتّ - إذا كان طاقا واحدا، كأنه لما كان كذلك فكان[1] سهل القطع أطلق عليه القطع مبالغة مثل عدل، و قد انبت فلان عن فلان - إذا انقطع و انقبض.

و لما أوقع سبحانه الإخبار بهلاكه[2] على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصة و غيره من الكفار من التكذيب بلسان حاله ٥ و[3] قاله لما له من المال و الولد، و ما هو فيه من القوة بالعَدد و العُدد، زاد الأمر تحققا إعلاما بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها فقال مخبرا، أو مستفهما منكرا: ﴿مآ اغنى﴾ أى أجزى و ناب و سد ﴿عنه﴾ أى عن أبى لهب [4]الشقى الطريد المبعود عن الرحمة مع العذاب[4] ﴿ماله﴾ أى الكثير الذى جرت العادة بأنه ينجى من الهلاك. ١٠

و لما كان الكسب أعم من المال، و كان المال قد[5] يكسب منافع هى أعظم منه من الجاه و غيره، و كان الإنسان قد يكون فائزا و لا مال له بأمور أثلها بسعيه خارجة عن المال، قال مفيدا لذلك مبينا أنه لاينفع إلا ما أمر الله به: ﴿و ما كسبُه﴾ أى و إن كان ذلك على وجه هائل من الولد و الأصحاب و العز بعشيرته[7] التى كان رضيها باتباع ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فكانه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بهلاك الأعداء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: او (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: يكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لايقع (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بعشير.

النبي صلى الله عليه و سلم فى المحافل يؤذيه و يكذبه و ينهى الناس عن تصديقه [1]مع أنه كان قبل ذلك يناديه بالصادق الأمين[1]. وكان ابنه عتبه شديد الأذى للنبي صلى الله عليه و سلم [2]حتى قال[2] النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فكان أبو لهب يعرف أن هذه

٥ الدعوة لابد أن تدركه، [3]فلما حان الأمر و كان قد آن ما أراد صاحب العز الشامخ، سبب له أن سافر[3] إلى الشام فأوصى به أبوه الرفاق لينجوه رغم من هذه الدعوة، فكانوا يحدقون به إذا نام ليكون وسطهم، والحمول محيطة به و هم محيطون بها و الركاب محيطة بهم، فلم ينفعه ذلك بل جاء الأسد فتشمم[4] الناس حتى وصل[5] إليه فاقتلع رأسه و لم ينفع

١٠ أباه ذلك، بل استمر على ضلاله [1]لما سبق فى علم الله تعالى[1] حتى كانت وقعة بدر فلم يخرج، فيها فلما جاء الفلال[6] كان منهم ابن أخيه أبو سفيان[7] ابن الحارث فقال: هلم يا ابن أخي فعندك الخبر، فقال: نعم! فو الله ما هو [إلا -[8]] أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا / يقتلونها كيف شاءوا [ويأسروننا كيف شاءوا -[9]]، ومع ذلك و الله ملات الناس لقينا رجالا بيضا

١٥ على خيل بلق بين السماء و الأرض ما تليق شيئا -[أى -[9]] ما تبقيه -

/٨٨٩

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) فى ظ و م: فقال (٣-٣) فى ظ و م: فسافر (٤) فى ظ: فشمم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: صل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الفلان (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابى سفيان. (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد من م.

ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان جالسا[1] في حجرة في المسجد يبري نبلا، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وكنا نكتم إسلامنا، فما ملكت نفسي أن قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته فاحتملني [2] فضرب بي[2] الأرض [3]ثم برك[3] علي[4] يضربني ٥ وكنت رجلا ضعيفا، فقامت أم الفضل - يعني سيدته - ابنة العباس رضي الله عنها إلى عمود الحجرة - [4]أي الخيمة[4] - فضربته [به - [5]] ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة وقالت: استضعفته أي عدو الله ان غاب[6] عنه سيده، فقام[7] موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال أو ستا حتى رماه الله بالعدسة فقتله وما نفعه إبعاده عن الخطر[8] بتخلفه عن بدر، والعدسة بثرة[9] تشبه ١٠ العدسة تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل[10] غالبا، قال القزاز: كانت تعدى في الجاهلية فلما يسلم منها أحد، تقول: عدس الرجل فهو معدوس، كما تقول: طعن فهو مطعون - إذا أصابه الطاعون - انتهى. ولأجل تشاؤم العرب بها ترك أبو لهب من غير دفن ثلاثا

(١) من م، وفي الأصل وظ: جالس (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: فضربي (٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: فبرك (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم، وفي الأصل: قام (٧) من ظ وم، وفي الأصل: فغاب (٨) من ظ وم، وفي الأصل: الخطوب (٩) من ظ وم، وفي الأصل: تنزه - كذا (١٠) من ظ وم، وفي الأصل: فقتل.

حتى أنتن، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، و يقال: إنهم حفروا له حفرة بعيدة عنه من شدة نتنه ثم دفعوه بخشب طوال[1] حتى رموه فيها و رجموه بالحجارة و التراب من بعيد حتى طموه، فكان ذلك سنة في رجمه فهو يرجم إلى الآن، و ذلك من أول إعجاز هذه الآيات ٥ أن كان سبة[2] في العرب [دون أن - [3]] يغني عنه شيء [مما يظن أنه يغني عنه - [3]].

و لما أخبر سبحانه و تعالى بوقوع هذا التبار الأعظم به، و كان لاعذاب يداني عذاب الآخرة، بينه بقوله: ﴿ سيصلى ﴾ أي عن قرب بوعد لاخلف فيه ﴿ نارا ﴾ أي[4] فيدس فيها و تنعطف عليه ١٠ و تحيط به.

و لما كان المقصود شدة نكايته بأشد ما يكون من الحرارة كما أحرق أكباد الأولياء، و كانت النار قد تكون جمرا ثم تنطفىء عن قرب قال: ﴿ ذات لهب ﴾ ﴿ ٣ ﴾ أي لا تسكن و لا تخمد أبدا لأن ذلك مدلول الصحبة[5] المعبر عنها بـ «ذات»، و ذلك بعد موته، و ليس في السورة دليل قاطع على ١٥ أنه لا يؤمن لجواز[6] أن يكون الصلي على الفسق، فلا دليل فيها لمن يقول: إن فيها التكليف بما علم أنه محال ليكون[7] قد كلف بأن يؤمن و قد علم

(١) من ظ و م، و في الأصل: طول (٢) من م، و في الأصل و ظ: سنة. (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من م (٥) من ظ و م، و في الأصل: النضيحة (٦) من ظ و م، و في الأصل: الجواز (٧) من م، و في الأصل و ظ: لأنه يكون.

أنه

أنه حكم بأنه لايؤمن، [1]وإن كان الله قد حقق هذا الخبر بموته كافرا
في الثانية[1] من الهجرة عقب / غزوة بدر وهي الخامسة عشرة من النبوة، / ٨٩٠
لكن ما عرف تحتم كفره إلا بموته كافرا لابشيء في هذه السورة ولا غيرها،
ومن الغرائب أن الكلمات المتعلقة به في هذه السورة خمس عشرة كلمة،
فكانت مشيرة إلى سنة موته بعد أن رأى تبابه في وقعة بدر وغيرها ٥
بعينه. فاذا ضممنا إليها كلمات البسملة الأربع وازت سنة ست من
الهجرة، وهي سنة عمرة الحديبية سنة الفتح السببي التي تحقق[2] فيها
تبابه [وخساره -[3]] عند كل من عنده إيمان بالغيب ودفع للريب،
فاذا ضممت إليها الضميرين البارزين اللذين هما[4] أقرب [5]إلى الكلمات[5]
الاصطلاحية من المستترة وازت سنة ثمان من الهجرة التي كان فيها ١٠
الفتح الحقيق، فتحقق عند قريش كافة ما أنزل فيه في هذه السورة،
فاذا ضممت إليها الضمائر الثلاثة[6] المستترة وازت سنة إحدى عشرة على
أنك إذا بدأت بالضمائر المستترة حصلت المناسبة أيضا، وذلك أنها توازي
سنة تسع وهي سنة الوفود التي دخل [7]الناس فيها[7] في الدين أفواجا
وحج[8] فيها بالناس[9] أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أميرا. ونودي ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) في م: حقق (٣) زيد من ظ و م.
(٤) تكرر في الأصل نقط (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: للكلمات.
(٦) من م، وفي الأصل و ظ: الثلاث (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل:
فيها الناس (٨) من ظ و م، وفي الأصل: وكان الحج (٩) زيد في الأصل
و ظ: مع، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها.

فى الموسم ببراءة، وأن لايحج بعد[1] العام مشرك، [2]فتحققت خيبة[2] أبى لهب عند[3] كل من حضر الموسم لاسيما من كان يعلم دورانه وراء النبى صلى الله عليه و سلم و تكذيبه له من مسلم و غيره، فاذا ضممنا إلى ذلك الضميرين البارزين وازت سنة إحدى عشرة أول سنى
٥ خلافة الصديق رضى الله عنه التى فتحت فيها [جميع -[4]] جزيرة العرب بعد أن لعب الشيطان بكثير من أهلها، فرجعوا بعد أن قتل الله منهم من علم أنه مخلوق لجهنم، و تحقق حينئذ ما لأبى لهب من التباب و النار ذات الالتهاب عند العرب كافة بايمانهم عامة فى السنة الحادية عشرة[5] من الهجرة بعد مضى ثلاث و عشرين سنة من النبوة، و استقر الأمر
١٠ حينئذ، وعلم أن الدين قد رسخت أوتاده و ثبت[6] عماده، و أن الذى كان يحميه فى حياة النبى صلى الله عليه و سلم قد حماه [7]بعده و هو سبحانه[7] حيّ لايموت و قادر لايعجزه شيء، و عدد كلمات السورة ثلاث و عشرون و هى توازى سنة حجة الوداع سنة عشر، فانها السنة الثالثة و العشرون من المبعث و فيها كمل الدين و نزلت آية المائدة، و أخبر
١٥ النبى صلى الله عليه و سلم أن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرض العرب،

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى هذا (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: لحقق خيبته (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، وفى الأصل و ظ: الحادية عشر (٦) من ظ و م، وفى الأصل: لثبت.
(٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: سبحانه و هو.

/ فتحقق كل الناس لاسيما من حضر الموسم تباب أبي لهب الذى كان / ٨٩١
يدور فى تلك المشاهد وراء النبى صلى الله عليه و سلم يكذبه و يؤذيه
"إن فى ذلك لعبرة" .

و لما أخبر سبحانه و تعالى عنه بكمال التباب الذى هو نهاية
الخسار ، و كان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه حتى ٥
أنه يبذل نفسه دون ذلك لاسيما العرب ، فانه لايدانيهم فى ذلك أحد ،
زاده تحقيرا بذكر من يصونها[1] معبرا عنها بما صدرها بأزرأ صورة
و أشنعها[2] ، فقال مشيرا إلى أن[3] خلطة الأشرار غاية الخسار ، فان الطبع
و إن كان جيدا يسرق من الردىء ، فكيف إذا كان رديئا و إن أرضى[4]
الناس بما يسخط الله أعظم الهلاك : ﴿ و امراته ﴾ أى أم جميل أخت ١٠
أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى مثل
زوجها فى التباب و الصلى من غير أن يغنى عنها شيء[5] من مال و لا حسب
و لا نسب ، و عدل عن ذكرها بكنيتها لأن صفتها القباحة و هى ضد كنيتها،
و من هنا تؤخذ كراهة[6] التلقيب بناصر الدين و نحوها لمن ليس متصفا
بما دل عليه لقبه ، ثم وصفها بما أشار إليه ذنبها و أكمل قبيح صورتها ١٥
فقال : ﴿حمالة الحطبِ ج﴾ أى الحاملة أقصى ما[7] يمكن حمله من حطب

(١) من م ، و فى الاصل و ظ : يصونه (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اشقها (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) فى ظ : رضى (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : شيئا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كراهية (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : من .

جهنم بما كانت تمشى به و تبالغ فيه من حمل حطب البهت و النميمة الذى تحمل به على معاداة النبى صلى الله عليه و سلم و شدة أذاه و إيقاد نار الحرب و الخصومة عليه صلى الله عليه و سلم، من قول الشاعر[1] :

من البيض لم تصطد على ظهر لامه[2] ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

٥ أراد النميمة، و عبر بالرطب للدلالة على زيادة الشر بما فيه من التدخين، و شبهت النميمة بالحطب لأنها توقد الشر فتفرق بين الناس كما أن الحطب يكون وقودا للنار فتفرقه، و كذا بما كانت تحمل من الشوك و تنثره ليلا فى طريق النبى صلى الله عليه و سلم لتؤذيه، و كانت تفعله بنفسها من شدة عداوتها و تباشره ليلا لتستخفى به لأنها كانت شريفة،

١٠ فلما نزلت السورة صوّرتها بأقبح صورة فكان [ذلك -[3]] أعظم فاضح[4] لها، و قراءة عاصم بالنصب للقطع على الشتم تؤيد أن امرأته مبتدأ و أن الخبر ﴿فى جيدها﴾ أى عنقها و أجود ما فيها - هو حال على التقدير الأول ﴿حبل﴾ كالحطابين تخسيسا[5] لأمرها و تحقيرا لحالها ﴿من مسد ع﴾ أى ليف أو ليف المقل[6] او من شىء قد فتل و أحكم فتله، من قولهم:

١٥ رجل ممسود الخلق، أى مجدوله - و قد رجع آخرها على أولها، / ٨٩٢ فان من كانت امرأته مصورة بصورة حطابة على ظهرها حزمة حطب معلق

(١) زيد فى الأصل : حيث قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٢) من ظ و م، و فى الأصل : لاته (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ : فاتح (٥) من ظ و م، و فى الأصل : تحسينها (٦) فى ظ : الفتل.

حبلها

حبلها[١] فى جيدها فهو فى غاية الحقارة، و التباب و الخساسة و الخسارة، و حاصل هذه السورة أن أبا لهب قطع رحمه و جار[٢] عن قصد السبيل و اجتهد بعد ضلاله فى إضلال غيره، و ظلم الناصح له الرؤف به[٣] الذى لم يأل جهدا فى نصحه على ما تراه من أنه لم يأل [هو - [٤]] جهدا فى أذاه و اعتمد على ماله و أكسابه فهلك و أهلك امرأته معه[٥] و من ٥
تبعه من أولاده، و من[٦] أعظم مقاصد [٧]سورة النساء[٧] المناظرة لها فى رد[٨] المقطع على المطلع[٩] التواصل و التقارب و الإحسان لاسيما لذوى الأرحام، و العدل فى جميع الأقوال و الأفعال، فكان شرح حال الناصح الذى لا ينطق عن الهوى، [و حال الضال الذى إنما ينطق عن الهوى - [٤]] قوله تعالى " يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم" الآيات، ١٠
و ختمها إشارة إلى التحذير من مثل حاله، فكأنه قيل: يبين الله لكم أن تضلوا فتكونوا كأبى لهب فى البوار، و صلى النار - كما تبين لكم، فكونوا[١٠] على حذر من كل ما يشابه حاله و إن ظهر لكم خلاف ذلك، فأنا أعلم منكم - و الله بكل شيء عليم [١١]و الحمد لله رب العالمين[١١].

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: حبل (٢) فى ظ: جاء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: له (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: خزاهم الله جميعا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: هذه السورة النساء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: رده (٩) من ظ و م، و فى الأصل: المطبع (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: تكونوا.
(١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة[1] الإخلاص[2] و تسمى الأساس[3] و المقشقشة و قل هو الله أحد

مقصودها بيان حقيقة الذات[4] الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للاخلاص فى التوحيد باثبات الكمال،
٥ و نفى شوائب النقص و الاختلال، المثمر لحسن الأقوال و الأفعال، و ثبات اللجاء و الاعتماد فى جميع الأحوال، و على ذلك دل اسمها الإخلاص الموجب للخلاص، و كذا الأساس و المقشقشة، قال فى القاموس: المقشقشتان[5] الكافرون و الإخلاص أى المبرئتان من النفاق و الشرك كما يقشقش الهناء الجرب، الهناء: القطران، و قال الإمام عبد الحق فى كتابه
١٠ الواعى: كما يبرئ المريض من علته إذا برئ منها - انتهى. و هو مأخوذ من القش بمعنى الجمع، فسميتا بذلك لانهما تتبعتا النفاق بجميع أنواعه، و كذا الشرك و الكفر، فجمعتاه ونفتاه عن قارئهما حق القراءة، و قد تقدم الكلام على هذا الاسم مبسوطا فى براءة، و كذا اسمها[6] "قل هو الله أحد" دال على مقصودها / بتأمل جميع السورة و ما دعت إليه من ٨٩٣/

(١) الثانية عشرة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٤.
(٢) العبارة من هنا إلى «المقشقشة و» ساقطة من ظ (٣) من م، و فى الأصل: الأس (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ذات (٥) من م، و فى الأصل و ظ: المقشقشان (٦) من م، و فى الأصل و ظ: فسمها.

معانى التبرئة اليسيرة الكثيرة، و هذه السورة اعظم مفيد للتوحيد فى القرآن، قال الرازى : و التوحيد مقام يضيق عنه نطاق[1] النطق لأنك إذا أخبرت عن الحق فهناك مخبر عنه و مخبر[2] به و مجموعهما، و ذلك ثلاثة، فالعقل يعرفه و لكن النطق لايصل إليه، سئل الجنيد عن التوحيد فقال : معنى تضمحل [فيه -[3]] الرسوم، و تتشوش فيه العلوم، و يكون الله كما لم يزل. ٥
و قال الجنيد أيضا : أشرف كلمة[4] فى التوحيد ما قاله الصديق رضى الله عنه : سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .
﴿ بسم الله ﴾ الذى له جميع الكمال بالجلال و الجمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى أفاض من طوله على جميع الموجودات عموم الأفضال ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص أهل وداده من نور الإنعام [5]بالإتمام و الإكمال[5] . ١٠

لما كانت الكوثر علة للنهى عما تضمنه[6] التكذيب من مساوىء الأفعال، و علم بها أنه صلى الله عليه و سلم مختص بالخير المستلزم لأن شانئه هو الأبتر، فكان موضع السؤال عما يفعل مع الشانئين من معاركة أو متاركة، جاءت الكافرون للمتاركة لقلة أهل الدين إذذاك، [إشارة -[7]] إلى أن هذه الدار مبنية على الأسباب، فعلم بالكافرون ١٥ أن الشانئ[5] [مما -[3]] لا يعبأ به، فتحركت النفس إلى سؤال عن وقت الصلاحية

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : مقام (٢) من ظ و م، و فى الأصل : تخبر.
(٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ : كلمته (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الاصل : بالتمام والكمال (٦) فى م : تضمنته (٧) زيد من ظ و م .

للمعاركة بعد هذه المتاركة، و ما يترتب[1] على المعاركة من قهر الشانئ[2] بالفعل، فجاءت سورة النصر لذلك مع الإشارة إلى أنه [عما - [2]] لا يسأل عنه بمتى، لتغيير ذلك فى وجه الإحسان فى التسليم، وإنما يسأل عما يفعل عند وقوعه من الإحسان فى التعبد، معبرا بأداة التحقق[3] إعلاما بأنه آت[4]

٥ لا محالة، فالسؤال عن[5] وقته ليس من دأب السائرين . و لما ظهرت ذخائر هذه الكنوز بدقائق تلك الرموز، و ما انضم إليها من القرآن الظاهرة، استحضرت حال أبى لهب لما كان فيه مع قرابته القريبة من شدة العناد، و الاجتهاد العظيم فى كل ما يضاد أشرف العباد . [و اشتد - [2]] التشوف إلى انقلاب حاله إذذاك هل يكون بما ختمت به النصر من

١٠ التوبة أو بخذلانه و انقلابه بأعظم الخيبة و الحوبة؟ فجاءت سورته لذلك بيانا لأنه غلب عليه الشقاء فنزل به فى دركاته مانعا من معالى درج الارتقاء[6]، فلما بين سبحانه بذلك إهلاكه[7] عدوه صلى الله عليه و سلم، وختم بأعدى أعدائه فحكم بهلاكه و هلاك زوجه هلاكا لا جبر له على وجه مبين أنه فى أدنى دركات الحقارة، و أعظم أنواع الخسارة، فرقص

١٥ الفكر[8] طربا من هذه الأمور، و سكر اللب من عجائب المقدور، و اهتز

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يتركب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: التحقيق (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الالتقاء (٧) من م، و فى الأصل و ظ: اهلاك (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العقل .

السامع / غاية الاهتزاز إلى وصف الفاعل الذلك لذى هو خارج عن طوق البشر، و خارق للعوائد، و هو إظهار شخص واحد على الناس كافة مع شدة عداوتهم له، جاءت الإخلاص كاشفة لما ثبت من العظمة لولى النبى صلى الله عليه و سلم سبحانه و تعالى الذى أمره بهذا الدين و فعل له هذه [الأمور -[1]] العظيمة الموجبة لمن له قلب[2] أو ألقى السمع و هو شهيد، لئلا يستبعد عليه سبحانه و تعالى شيئا من ذلك و لا غيره، و إن تمثيل جميع ما يأمر[3] به كائنا ما كان و كائنا فيه ما كان على أيّ وجه كان موافقة لأمره و طاعة له و منبئة للاعتقاد الحق الذى اوجب هذه النصرة، [4]و رادة[4] على جميع فرق الضلال، هذا - فى انعطاف الآخر على الأول بالنسبة إلى السور - من أعظم المناسبات فى ذلك بالنظر إلى الآيات أنه سبحانه شرح بالفيل و ما بعدها[5] من السور آيات[6] الفاتحة كلها [ثم -[1]] من أول البقرة إلى آية التوحيد، فأشار بالفيل إلى استجماعه لصفات الكمال بأن له الحمد بما حرس به بيته من الملوك و حماه من كيد الجبابرة و أحسن التربية لقريش الذين هم أشرف العالمين و بصلاحهم صلاح بلدتهم أم القرى، و بصلاحها[7] صلاحها، فدل ذلك على أنه يدين

/ ٨٩٤

٥

١٠

١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ، و فى الأصل و م : لب (٣) من م، و فى الأصل : يمر، و فى ظ : يوس (٤-٤) من م، و فى الأصل و ظ : واردة. (٥) من ظ و م، و فى الأصل : بعد (٦) من ظ و م، و فى الأصل : بان. (٧) من م، و فى الأصل : بصلاحهم، والعبارة فى ظ ساقطة من « صلاح » إلى « صلاحها ».

العباد يوم التناد ، و لذلك أعطى رأس الهداة الدين الذى أفرده بالعبادة و الاستعانة بالكوثر ، و هداه إلى الصراط المستقيم ، و أعاذه من[1] طريق الكافرين المعاندين و الضالين ، و أشار أول البقرة إلى دخول المتقين - الذين الكتاب هدى لهم - فى الدين أفواجا و إن أغنى أهل الكفر[2]
٥ و أعتاهم سواء عليهم الإنذار و عدمه فى أنه لا يؤمن و هو أبو لهب و من سار بسيره من مجاهر و مساتر و يعمهم الخسار ، و يشملهم الهلاك و التبار ، بحكم الواحد القهار ، المأمور بعبادته و توحيده فى الآية الجامعة لدعوات التوحيد "يا ايها الناس اعبدوا ربكم" المتصف بما فى سورة الصمد التى لم ينزل[3] فى و صفه مثلها ، فتم الدين عند ذلك [بما له -[4]]
١٠ سبحانه من كمال الأوصاف ، و جلال النعوت[5] بالجبروت و الألطاف ، فلم يبق إلا تعويذ أهل الدين من أن يدخل عليهم خلل ، أو يلحقهم نزغ أو زلل ، فختم بالمعوذتين لذلك ، و الله المسؤل فى الإنعام بعائد السؤل لكل سالك .

و لما كان المقصود من القرآن دعوة العباد إلى المعبود ، و كان
١٥ المدعو إلى شيء أحوج ما يكون إلى معرفته ، و كان التعريف تارة للذات و تارة للصفات و تارة للأفعال ، و كانت هذه [الأمة -[4]]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الكفرة.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لم تزل - كذا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : النعوات

أشرف الأمم لأن نبيها أعلى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و[1]كان هي[1] الختام، أشبع الكلام في تعريفه سبحانه في القرآن، و أنهى[2] البيان في ذلك إلى حد لا مزيد عليه و لم يقاربه في ذلك كتابا من الكتب / السالفة، /٨٩٥
و لكنه لما كان الكبير إذا تناهى كبره عزت معرفة ذاته، و كان الله تعالى هو الأكبر مطلقا، و كانت معرفة ذاته - كما أشار إليه الغزالي في ٥
الجواهر، و الفخر الرازي في كتبه - أضيق ما يكون مجالا و أعسره[3] مقالا، و أعصاه على الفكر[3] منالا، و أبعده عن قبول الذكر استرسالا، لأن[4] القرآن لا يشتمل من ذلك إلا على تلويحات و إشارات[5] أكثرها يرجع إلى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى "ليس كمثله شيء و هو السميع البصير" و إلى التعظيم المطلق كقوله "سبحانه و تعالى عما يصفون" ١٠
فكان القياس أن يقتصر على ذلك مع التعريف بالصفات و الأفعال، لكن لما كانت هذه الأمة في الذروة من[6] حسن الأفهام مع ما نالته من الشرف، حباها سبحانه و تعالى بسورة الإخلاص كاملة ببيان لا يمكن أن تحتمل عقول البشر زيادة عليه، و ذلك ببيان أنه ثابت ثباتا لا يشبهه ثبات على وجه لا يكون لغيره أصلا، و أنه سبحانه و تعالى منزه عن الشبيه ١٥
و النظير و المكافئ[7] و المثيل، فلا زوجة له و لا ولد، و لا حاجة بوجه

(١ - ١) من ظ و م، و في الأصل: لما كان هو (٢) من ظ و م، و في الأصل: اعتمده (٣) من ظ و م، و في الأصل: الكفر (٤) سقط من م. (٥) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و في الأصل: «و» (٧) من ظ و م، و في الأصل: المكان.

إلى أحد، بل له الخلق و الأمر، فهو يهلك من اراد و يسعد من شاء[1]،
فقال آمرا لنبيه صلى الله عليه و سلم ليكون أول كلمة فيها دالة على
رسالته ردا على من كذبه فى خاصة نفسه و على البراهمة القائلين: إن فى
العقل غنى عن الرسل. و يكون البيان جاريا على لسانه صلى الله عليه
٥ و سلم ليكون إلى فهم الخلق عنه لتلك الصفات العلى أقرب لما لهم به
من المجانسة: ﴿ قل ﴾ أى يا أكرم الخلائق و من لا يفهم عن مرسله
حق الفهم سواه، و إطلاق الأمر بعدم التقييد [2]بمقول له[2] يفهم عموم
الرسالة، و أن[3] المراد كل من يمكن القول له سواء كان [4]سائلا عن ذلك[4]
بالفعل أو بالقوة حثا على [استحضار -[5]] ما لرب هذا[6] الدين - الذى حاطه
١٠ هذه الحياطة و رباه هذه التربية - من العظمة و الجلال، و الكبرياء و الكمال،
ففى الإطلاق المشير إلى[7] التعميم رد[8] على من أقر بارساله صلى الله عليه
و سلم إلى العرب خاصة، و يدل على أن مقول القول لا ضرر فيه على
أحد فان ظواهره مفهومة لكل أحد لا فتنة فيها[9] بوجه، و إنما تأتى الفتنة

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يشاء (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: بقوله (٣) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن ذلك سائلا (٥) زيد من ظ و م.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧) زيد فى الأصل: هذه الصفات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ردا.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: فيه.

عند تعمق الضال إلى ما [لا - [1]] يحتمله عقله .

و لما كان أهم المقاصد الرد على المعطلة الذين هم ضرب ممن يقول " نموت و نحيا و ما يهلكنا الا الدهر " أثبت وجوده سبحانه على أتم الوجوه و أعلاها و أوفاها و أجلاها بما معناه أن حقيقته ثابتة ثباتا لا يتوجه نحوه شك بوجه [2] من الوجوه [2] ، فقال مكاشفا للأسرار - فانه لا يمكن ٥ غيبته [عنها - [3]] أصلا - / [و - [3]] للواهين [4] : ﴿ هو ﴾ فابتدأ بهذا الاسم / ٨٩٦ الشريف الذى هو أبطن الأسماء إشارة إلى أنه غيب الغيب بالنظر إلى ذاته [كالألف ، و إلى أنه واجب الوجود لذاته - [1]] ، و أن هويته ليست مستفادة من شيء سواها و لا موقوفة على شيء سواها ، فان كل ما [5] كانت هويته مستفادة من غيره أو [6] موقوفة عليه [6] فتى لم يعتبر غيره ١٠ فلم يكن هو هو ، و ما [5] كانت هويته لذاته فهو هو سواء اعتبر [7] غيره أو لم يعتبر ، فاذاً لا يستحق هذا الاسم غيره أصلا على أن الهاء بمفردها مشيرة - بكونها من أبطن - الحلق إلى أنه هو الأول و الباطن المبدع [8] لما سواه ، و الواو - بكونها من [أظهر - [1]] حروف الشفة - إلى أنه الآخر و الظاهر ، و أن إليه المنتهى ، و ليس وراءه مرمى ، و أنه المبدئ المعيد ١٥ - كما يشير إلى ذلك تكرير الواو فى اسمها ، و إلى أنه محيط بكل شيء لما

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد من م .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو موقوف (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتبره (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المبتدع .

فيها من الإحاطة .

و لما كان وجوده سبحانه لذاته، و لم يكن مستفادا من غيره، فان ما استفيد وجوده من غيره كان ممكنا، [كان -[1]] لا يمكن شرح اسمه الذى هو هو، لا اسم لحقيقة غـيره يقوم من جنس و لا نوع

٥ و لا فصل لأنه لاجنس له و لا نوع [له -[2]] و لا سبب يعرف به، و الذى لا سبب له لا يمكن معرفته إلا بلوازمه، و اللوازم منها سلبية و منها إضافية، و منها قريبة و منها بعيدة[3]، [و التعريف بالإضافية و بالقريبة أتم من التعريف بالسلبية و بالبعيدة -[2]]، لأن البعيد كالضاحك الذى هو بعد المتعجب بالنسبة إلى الإنسان لا يكون معلولا[4] لشيء [بل -[2]]

١٠ معلولا لمعلوله، و بالجمع بين السلبية و الإضافية أتم من الاقتصار على أحدهما، فلذلك اختير اسم جامع[5] للنوعين ليكون التعريف[6] أتم، و ذلك[7] هو كون تلك الهوية إلها، فاختير لذلك اسم دال عليها و هو مختص غير مشترك، و هو أول مظاهر الضمير كما أن الهمزة أول مظاهر الألف، و لهذا قال بعضهم: الاسم الأعظم آخر الظواهر من الأسماء، و لهذا

١٥ كانت كلها صفـات له و هو أول البواطن، [8]فقال مكاشفا الأرواح[8]

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : بعيد.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل : معلوما (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الجامع.
(٦) زيد فى الأصل : بذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل : لذلك (٨-٨) فى الأصول : فقيل مكاشفة الأرواح - كذا.

وللموحدين: ﴿ الله ﴾ أي الموجود الذي لا موجود في الحقيقة سواه[1] هو المسمى بهذا الاسم، واختير هذا الاسم للاخبار عنه لدلالته على جميع صفات الكمال: [2]الجلال والجمال[2] ولأنه اسم جامع لجميع [معاني -[3]] الأسماء الحسنى، وهو أقرب اللوازم الهوية لأنه [لا -[3]] لازم لها أقرب من وجوب الوجود الذي هو مقتضى الذات على ما هي عليه من ٥ الصفات، لا بواسطة شيء آخر، وبواسطة وجوب وجوده كان مفيضا باختياره الإيجاد [على كل شيء أراده، وبمجموع الوجوب الذي هو سلب وحده والإيجاد -[3]] الذي هو اختيار للجود[4] [باضافة الوجود -[3]] وإضافة للالهية[5] التي جمعتها الجلالة، وهي أقرب اللوازم إلى الذات[6] الأقدس، ودل التعبير به على أنه [لا -[3]] مقوم للهوية من جنس ١٠ ولا غيره ولا سبب[7]، وإلا لكان العدول عنه إلى التعريف[8] باللازم قاصرا، وعلى أن إلهيتـــه [9]على الإطلاق[9] / لجميع الموجودات، فكان ٨٩٧ / شرح تلك الهوية باللازم أبلغ البلاغة وأحكم الحكمة، لأنه - مع كونه هو الحق - مشير[10] إلى ما ذكر من الدقائق.

ولما ذكر الذات [التي -[3]] لاسبب لها ولا مقوم من جنس ١٥

(١) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) في ظ: للوجود (٥) زيد في ظ: هو الالهية (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ذات (٧) من ظ و م، وفي الأصل: بسبب (٨) في ظ: التعبير (٩ - ٩) من ظ و م، وفي الأصل: للاطلاق (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: مشيرا.

و نوع و غيره أصلاً بل هى بمجرد وحده و تنزه عن تركب لا كثرة لها
و لا اثنينية بوجه، و عرفها باسم جامع [١]لأنواع السلوب[١] و الإضافات
اللازمة لها هو أقرب اللوازم إليها، فانشرح وجودها المخصوص على
ما هو عليه، فكان [ذلك - [٢]] تعريفا كاملا لأن تعريف ما لا تركب
٥ فيه باللوازم[٣] القريبة فى الكمال كتعريف المركبات بمقوماتها، فان
التعريف البالغ هو أن يحصل فى النفس صورة مطابقة للمعقول، و كانت
الزيادة فى الشرح مطلوبة لأنها أكمل لاسيما فى الأمور الباطنة الخفية،
أتبع ذلك باسم سلبى إشارة إلى [أن - [٢]] النظر فى هذه الدار إلى
جانب الجلال ينبغى كونه أعظم، و ذلك الاسم قربه من الجلالة كقربتها
١٠ من الهوية، فانه دال على الوحدة الكاملة المجردة و هو متنزل[٤] الجلالة
كما أنها متنزل الهوية، و هو كما أن الجلالة لم يقع فيها شركة[٥] أصلا
قد ضاهاها فى أنه لا شركة لغيره تعالى فيه عند استعماله مفردا بمعناه الحقيقى
إلا [أن - [٢]] فى النفى إشارة إلى أن كل ما عداه سبحانه عدم، فقال
مكاشفا للقلوب و للعارفين مكذبا[٦] للنصارى القائلين بالآب و الابن
١٥ و روح القدس، و لليهود القائلين بأنه جسم، و للمجوس الذين يقولون

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: نوع الاسلوب، و فى م: لنوع السلوب.
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: باللازم (٤) من ظ
و م، و فى الأصل: تنزل - كذا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من شرك.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: تكذيبا.

بأنه اثنان: نور يخلق الخير، و ظلام يخلق الشر، و للصابئة الذين يعبدون النجوم، و للمشركين القائلين بالهية الأصنام، مخبرا [1]خبرا آخر[1]، أو مبدلا من الجلالة، أو مخبرا عن مبتدأ محذوف: ﴿احدٌ﴾ وهو لأجل كونه خاصة[2] فى الإثبات حال الانفراد به تعالى معرفة غنى عن [«أل»-[3]] المعرفة، و هو أعرق فى الدلالة على صفات [الجلال كما أن الجلالة ٥ أعرق فى الدلالة على صفات -[3]] الكمال لأن الواحد الحقيقى ما يكون منزه [4]الذات عن أنحاء[4] التركيب و التعدد [و -[5]] ما يستلزم أحدهما كالجسمية و التحيز و المشاركة فى الحقيقة و خواصها كوجوب الوجود والقدرة الكاملة و الحكمة التامة المقتضية للالوهية من غير لزوم دور و [لا -[5]] تسلسل من جهة تركب أو غيره، و قرئ باسقاط «قل» هنا و فى ١٠ المعوذتين مع الاتفاق [6]على إثباتها[6] فى الكافرون و نفيها فى تبت، و لعل الحكمة أن الكافرون مخاطبة للكفار بما بين مشاقة و متاركة[7]، فناسب الحال أن يكون [ذلك -[5]] منه صلى الله عليه و سلم، [8]و تبت معاتبة عم رسول الله صلى الله عليه و سلم و توبيخه فلا يناسب أن يكون ذلك من النبى صلى الله عليه و سلم[8]، و الباقيات ما بين [9]توحيد و[9] تعوذ، ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: اخرا (٢) فى ظ: خاصا (٣) زيد من م.
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالذات عن ايجاد (٥) زيد من ظ و م.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: فى اتيانها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تاركه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: توحيده.

فناسب أن يؤمر بتبليغه و أن يدعو به، و رتب الأحدية على الإلهية دون العكس، لأن الإلهية عبارة عن استغنائه عن الكل، و احتياج الكل إليه، و كل ما كان كذلك كان واحدا مطلقا، و إلا لكان محتاجا إلى أجزائه، [[1]فالإلهية من حيث هي تقتضى الوحدة، و الوحدة لاتقتضى الإلهية، و عبر
٥ به دون «واحد» لأن المراد الإبلاغ فى الوصف بالوحدة إلى حد لايكون شيء أشد منه، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما تحته بالتشكيك، و الذى لاينقسم بوجه أصلا أولى بالواحدية مما ينقسم من بعض الوجوه، و الذى ينقسم انقساما عقليا أولى مما ينقسم بالحس، و الذى ينقسم بالحس و هو بالقوة أولى من المنقسم بالحس بالفعل، و إذا ثبت أن
١٠ الوحدة قابلة للاشد و الأضعف، و أن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك كان الأكمل فى الوحدة الذى لايمكن أن يكون شيء آخر أقوى منه فيها، و إلا لم يكن بالغا أقصى المرام، و الأحد جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه، و أنه لا كثرة هناك أصلا، لا معنوية من المقومات من الأجناس و الفصول و لا بالأجزاء العقلية[2] كالمادة و الصورة،
١٥ و لاحسية بقوة و لافعل كما فى الأجسام، و ذلك لكونه سبحانه منزها[3] عن الجنس و الفصل و المادة و الصورة و الأعراض و الأبعاض و الأعضاء و الأشكال و الألوان و سائر وجوه التثنية[4] التى تثلم الوحدة الكاملة الحقة

(١) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه زيدت من ظ و م (٢) فى ظ : الفعلية .
(٣) من ظ، و فى م : منزه (٤) فى ظ : التشبيه .

اللائقة بكرم وجهه و عز جلاله أن يشبهه شيء أو يساويه لأن كل ما كانت
هويته إنما تحصل من اجتماع أجزاء كانت هويته موقوفة على حصول
تلك الأجزاء، فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزها
عن الكثرة بكل اعتبار، و متصفا بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ
هذا النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما ٥
أعظم شأنه و أقهر سلطانه، فهو منتهى الحاجات، و من عنده نيل
الطلبات، و لا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال و [1]العظم و البهج[1] أقصى
نعوت الناعتين و أعظم وصف الواصفين، بل القدر الممكن منه الممتنع
أزيد منه هو الذى ذكره فى كتابه العزيز، و أودعه وحيه المقدس
الحكيم، و بالكلام على معناه و معنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام ١٠
أبو العباس الاقليشى[2] فى[3] شرح الأسماء: فمن أهل اللسان من ساوى بينهما
جعلهما مترادفين، فمنهم من قال: أصل أحد[4] واحد سقطت منه الألف
ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة، [و منهم من قال: ليس أصله واحد
و إن كانا بمعنى واحد، بل أصله وحد - من الوحدة - يحد فهو وحد -[5]]
مثل حسن يحسن فهو حسن - من الحسن، أبدلت الواو همزة، و أما من فرق ١٥
بينهما فمنهم من قال: أحد اسم على حياله لا إبدال فيه و لا تغيير، و منهم
من قال: أصله وحد، أبدلت الواو همزة - انتهى، و قد استخلصت

(١-١) فى ظ: العظمة و البهجة (٢) راجع معجم المؤلفين ٢ / ١٨١ (٣) فى ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ .

الكلام على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء [1] الحسنى و غيرها
منها شرح الفخر الرازى و الفخر الحرالى و غيرهما، قالوا: الواحـد
الذى لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة و لا بغيرها مع اتصافه بالعظمة ليخرج
الجوهر الفرد و هو [أيضا - [2]] الذى لا يتثنى، أى لا ضد له و لا شبيه،
٥ فهو سبحانه واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر إلى حال و لا شيء،
قال الإمام أبو العباس الاقليشى فى شرح الأسماء: هذه حقيقة الوحدة عند
المحققين، فلا يصح أن يوصف شيء مركب بها إلا مجازا، كما تقول: رجل
واحد، و درهم واحد، و إنما يوصف بها حقيقة ما لا جزء له كالجوهر
الفرد عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره
١٠ علمت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجده له، و هو أيضا
إنما يوصف به لحقارته، و موجده سبحانه موصوف به مع الاتصاف
بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، و اتصاف الجوهر بالنظر إلى
عدم التركب من الجسم مع أن صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة
ذلك، و الوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثانى و هو ما لا نظير له لا تصح
١٥ بالحقيقة إلا له سبحانه، و كل ما نوعيته فى شخصيته كالعرش و الكرسى
و الشمس و القمر يصح أن يقدر لها نظائر، و له معنى ثالث و هو
التوحد بالفعل و الإيجاد، فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شيء،
و الفرق بين هذا الوجه و الذى قبله أن الأول ناظر إلى نفى إله ثان،
و هذا ناف لمعين و وزير، و كلاهما وصف ذاتى سلبى، و الحاصل أن

(١-١) فى ظ : الأسماء (٢) زيد من ظ .

النظر الصحيح دل على (١أن لنا١) موجدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه
نقص القسمة بوجه من الوجوه و بمعنى أنه معدوم النظير بكل اعتبار،
و بمعنى أنه مستبد بالفعل مستقل بالإيجاد و متوحد(٢) بالصنع متفرد بالتدبير،
قضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع،
و ورد به قواطع النقل و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الحق ٥
دعاؤه سبحانه لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه
و سلم للخلق كافة، و قال الإمام-(٣) حجة الإسلام أبو حامد الغزالى
فى آخر شرحه للأسماء فى بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات واحدة
و سبع صفات: الأحد المسلوب عنه النظير، و قال فى الشرح المذكور:
الواحد هو الذى لايتجزى (١و لايثنى، أما الذى لايتجزى١) فكالجوهر ١٠
الواحد الذى لاينقسم فيقال: إنه واحد - بمعنى أنه لاجزء له، و لذلك النقطة
لاجزء لها، و الله تعالى واحد - بمعنى أنه يستحيل تقدير لانقسام فى ذاته،
و أما الذى لايثنى فهو الذى لا نظير له كالشمس مثلا فانها و إن كانت
قابلة للانقسام بالوهم متحيزة فى ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهى لا نظير
لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير، و ليس فى الوجود موجود يتفرد ١٥
بخصوص وجوده تفردا لايتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد
المطلق أزلا و أبدا، و العبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له فى أبناء
جنسه نظير فى خصلة من خصال الخير، و ذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: موجد (٣) زيد من ظ.

و بالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يكون فى وقت آخر[١] مثله، و بالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى، و قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى مقدمة كتابه الملل و النحل: و اختلفوا فى الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد و ليس
٥ داخلا فى العدد، و هذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك[٢] لفظ الواحد، فالواحد يطلق و يراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لامعنى له إلا واحد، تكرر أول تكرير، و كذا الثلاثة و الأربعة، و يطلق و يراد به ما يحصل منه العدد، أى هو علته[٣] و لا يدخل فى العد[٤] أى لا يتركب منه العدد، و قد تلازم الواحدية جميع الأعداد لا على أن العدد تركب
١٠ منها بل و كل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال: إنسان واحد، و شخص واحد، و فى العدد -[٥]] / كذلك فان الثلاثة فى أنها ثلاثة واحدة، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة فى العدد، و بالمعنى الثانى علة العدد[٦]، و بالمعنى الثالث ملازمة للعدد، و ليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على البارئ تعالى معناه: فهو واحد لا كالآحاد أى هذه
١٥ الوحدات و الكثرة منه وجدت و يستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه[٧] القسمة - انتهى، و هو واحد[٨] أيضا بنفسه لا بالنسبة إلى ثان بوجه

/ ٨٩٨

(١ - ١) من ظ، و فى م: آخرا (٢) من ظ، و فى م: اشتراط.
(٣) من ظ، و فى م: علة (٤) من ظ، و فى م: العدد (٥) و إلى هنا انتهت الزيادة من ظ و م واستأنف الأصل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للتعدد.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: الوجوه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: احد.

من الوجوه، و قال بعضهم: الواحد يدل على الأزلية و الأولية، لأن الواحد فى الأعداد ركنها و إظهار مبدئها، و الأحد يدل على بينونته من خلقه فى جميع صفاته و نفى أبواب الشرك عنه، فالأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد، و الواحد اسم لمفتتح العدد[1]، و قال الإمام أبو حاتم محمد[2] [بن مهران -[3]] الرازى فى كتابه الزينة، قال بعض الحكماء[4]: إنما ٥ قيل له سبحانه «واحد»، لأنه عز و جل لم يزل قبل الخلائق متوحدا بالأزل لاثانى معه و لاخلق، ثم أبدع الخلق، فكان الخلق كله مع احتياجه إليه سبحانه[5] محتاجا بعضه إلى بعض ممسكا بعضه بعضا متعاديا و متضادا و متشاكلا و مزدوجا و متصلا و منفصلا، و استغنى عز و جل عن الخلائق فلم يحتج إلى شيء فيكون ذلك الشيء مقرونا به لحاجته إليه و لاناواه ١٠ شيء فيكون ذلك الشيء [6]ضدا له نصرا[6] به، فيكون ذلك الضد و القرين له ثانيا، بل توحد بالغنا عن جميع خلقه لأنه كان قبل كل شيء، و الأولية دلت على الوحدانية، فالواحد[7] اسم يدل على نظام واحد يعلم باسمه أنه واحد ليس قبله شيء:

و فى كل شيء له آية تدل على أنه واحد[8] ١٥

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: الله (٢) من معجم المؤلفين ٩/٥م، و فى الأصول: أحمد (٣) زيد من ظ وم إلا أن فيهما «حمدان» و التصحيح من معجم المؤلفين. (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الحكمة (٥) زيد فى الأصل: و كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: ضلاله مقربا. (٧) فى ظ: فالوحدانية (٨) سقط البيت من ظ و م.

و الواحد من العدد فى الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كل عدد و هو خارج عن العدد، و الواحد كيفما أدرته لم يزد فيه شيء و لم ينقص منه شيء، تقول: واحد فى واحد بواحد[1]- فلم يزد على الواحد شيء، فدل على أنه لاشيء قبله، و إذا دل على أنه لاشيء قبله دل على أنه محدث الشيء، [2]فاذا دل على أنه محدث الشيء[2] دل على أنه مغنى الشيء، و إذا كان ٥ مغنى الشيء دل على أنه لاشيء بعده، فاذا لم يكن قبله شيء و لابعده شيء فهو المتوحد بالأزل، يعنى فهو الواحد الذى لانظير له فهو الأحد، قال: فلذلك قيل: هو واحد و[3] أحد، / و قلنا: إن الأحد هو[4] اسم أكمل /٨٩٩ - أى أعم - من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لايقوم له واحد، ١٠ جاز فى المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقها، و إذا قلت: فلان لايقوم له أحد، فقد جزمت بأنه[5] لايقوم له واحد و لا اثنان و لا ما فوقها، فصار الأحد أكمل من الواحد، و فى الأحد خصوصية ليست فى الواحد، تقول: ليس فى الدار واحد، يجوز أن يكون واحدا[6] من الدواب أو الطير أو[6] الوحش أو الإنس، فكان الواحد يعم الناس و غير ١٥ الناس، و إذا قلت: ليس فى الدار أحد، فهو مخصوص للآدميين دون سائرهم، و الأحد ممتنع من الدخول فى الضرب و فى العدد و فى القسمة

(١) سقط من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فهو (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هم (٥) فى ظ و م: أنه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: واحد (٦) من ظ و م، و فى الأصل «و».

و فى

و فى شيء من الحساب ، و هو منفرد بالأحدية ، و الواحد منقاد[1] للعدد و القسمة و غيرها داخل فى الحساب ، تقول : واحد و اثنان و ثلاثة ، فهذا و إن لم يكن من العدد فهو علة العدد ، و داخل فى العدد ، لأنك إذا ضربت واحدا[2] فى واحد لم يزد ، و اثنان هو جذر الحساب ، و تقول : واحد فى اثنين أو فى ثلاثة فما فوقها فهـــذا هو الضرب ، و تقول فى ٥ القسمة : واحد بين اثنين أو ثلاثة ، لكل واحد من الاثنين نصف ، ومن الثلاثة ثلث ، فهذه القسمة ، و الأحـــد ممتنع من هذا ، لايقال : أحد و اثنان و لا أحد فى أحد و لا أحد فى واحد و لا فى اثنين أو ثلاثة ، و الواحد و إن لم يتجزأ من الواحد فهو يتجزأ من [الاثنين و - ٣] الثلاثة فما فوقها ، تقول : جزؤ واحد من جزئين[4] أو ثلاثة فما فوقها ، ١٠ و لايجوز : جزأ أحد من جزأين فما فوقها ، و قد سمى الله نفسه واحدا أحدا و وصف نفسه بالوحدانية و الأحدية ، فالواحد نعت يلزمه على الحقيقة لأنه كان قبل و لاثانى معه ، و الثانى خلاف الواحد ، فهو واحد لاتحاده فى القدم ، و الخلق اثنان لاقترانه بالحدث[5] لأن الحدوث ثان للقدم ، و به ظهرت التثنية ، فالواحد هو الأحد فى ذاته فهو لاشيء قبله ١٥ و لا من شيء و لا فى شيء و لا على شيء و لا لشيء[6] و لا مع شيء ، فيكون ذاك الشيء ثانيا معه بل هو الواحد منشيء و الأشياء كلها [له - ٣] ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : متعاد (٢) من م ، و فى الأصل وظ : واحد (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اثنين (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بالخلق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و هو المتحد بذاته ممتنع من أن يكون له شيء ثانيا بوجه من الوجوه
و الخلق كله له و إن كان يسمى بالواحد، أو كانت هذه الصفة قد لزمت
جميع الأشياء فى وجه فانها تزول عنها فى وجه. كما قيل: إنسان واحد
و فرس واحد و بعير واحد. و كذلك يقال لسائر الأشياء، وهذه صفة
٥ تلزمها فى اللفظ، و المسمى لا يخلو من معان كثيرة مجتمعة [فيه - [1]]
كالجسم و العرض، و هو واحد[2] مجموع من أشياء متفرقة. و كل شيء
لا يخلو من ازدواج[3] و تضاد و تشاكل و حد و عد. و هذه الصفات كلها
تنفى عنه معنى الأحدية و الواحدية، /و [فى - [1]] الواحد عن العرب /٩٠٠
لغات كثيرة، يقال: واحد و أحد و وحد و وحيد و وحاد و أحاد
١٠ و موحد [و أوحد - [1]] - و هذا كله راجع إلى معنى الواحد، و[4] إن
كان[4] فى ذلك معان لطيفة و لم يجيء فى صفة الله عز وجل إلا الواحد
و الأحد، قلت: و الوحيد على بعض الإعرابات فى المدثر، قال: و كلها
مشتقة من الواحد، و كأن ذلك مأخوذ من الحد، كأن الأشياء كلها
إليه[5] انتهاؤها و هى محدودة كلها غيره عز وجل و هو محدود، بل هو
١٥ غاية المحدودين و غاية الغايات لا غاية له، و الأحد يجئ فى الكلام
بمعنى الأول و بمعنى الواحد، فاذا جاء بمعنى الأول و بمعنى الواحد جاز

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: احد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ازواج (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: فكان (٥) من ظ و م، و فى الأصل: إليها.

ان يتكلم به فى الخبر كقولك: هذا واحد أحد، و العرب كانت تسمى [يوم -[1]] الأحد فى الجاهلية أولا، و قولك «يوم الأحد» دليل على أنه اليوم الأول [2]من الاسبوع[2]، و الاثنين دليل على أنه اليوم الثانى، و فى التوراة أن الله عز و جل أول ما خلق من الايام «يوم الأحد»، قلت: يمكن [أن يكون -[1]] معنى يوم الأحد يوم الله، أضيف إليه لكونه ٥ أول مخلوقاته من الأيام، فلما أوجد الثانى سمى يوم الاثنين، لأنه ثانى يوم الأحد[3]، قال: و ضد الواحد اثنان، و ضد الأحد الآخر، قال الله تعالى "قال أحدهما انى أرانى اعصر خمرا" [ثم قال فى ضده -[1]] "و قال الآخر" فهذا دليل على [أن -[1]] معنى قولهم «يوم الأحد» اليوم الأول[4] لأنهم قالوا لما بعده اثنان، و لم يقولوا: الآخر، لأن ١٠ الأحد إذا لم يكن بمعنى الأول فضده الآخر، و إذا كان الأحد بمعنى الأول جاز الخبر و الجحد، و إذا لم يكن بمعنى الأول و كان بمعنى الواحد جاز فى الخبر و جاز فى الجحد[5]، قال الله تعالى: "فابعثوا احدكم بورقكم هذه" [فهذا -[1]] من الخبر، فاذا لم يكن أحد بمعنى الأول و بمعنى الواحد لم يجز أن يتكلم به إلا فى الجحد، تقول: ما جاءنى[6] أحد، ١٥ و لا يجوز[7]: جاءنى أحـــد، و كلمنى أحد، قال الله تعالى فى معنى الجحد "ايحسب أن لن يقدر عليه احد" [و أحد -[1]] يستوى

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: احد (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الحجة (٦) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لا تقول.

فيه[1] المذكر و المؤنث، قال الله تعالى: يا نساء النبي لستن كاحد من النساء" و واحد لا يستوى فيه المذكر و المؤنث حتى يدخل فيه[2] الهاء فيقال «واحدة[3]» لا يجوز «كواحد من النساء» وأحد يكون بمعنى الجمع، تقول العرب: يظل أحدنا الأيام لا يأكل، بمعنى كلنا [لا -[4]] يأكل، فاحتمل معنى
٥ الواحد و الجماعة - انتهى، فالواحد من الأسماء الثبوتية الإضافية، يكون في أصل اللغة بالنسبة إلى ثان هو نصفه، و ثالث هو ثلثه، و[هكذا -[4]] هو صفة الله تعالى بمعنى المتوحد في الاتصاف بالألوهية حتى لا يقبلها غيره بوجه، فلا شريك [له -[5]]، و الأحد من النعوت السلبية، بل هو بجمعها، هو أحد في نفسه لا يقبل العدد و لا التركيب بوجه لا بالقسمة
١٠ و لا بغيرها سواء نظر إليه بالنسبة إلى الغير أو لا، فهو متمحض للسلب، فهو وصف راجع إلى نفس الذات بمعنى أنه كامل في ذاته لا يؤثر في مفهومه النظر إلى شيء أصلا، والفرد ناظر إلى نفي العدد، فافترقت الأوصاف الثلاثة و إن كانت متقاربة في المعنى.

/٩٠١ و قال الإمام أبو الخير[6] القزويني الشافعي في/ كتابه " العروة الوثقى
١٥ في أصول الدين" ناقلا عن بعض من فرق بينه و بين الواحد: إن الأحد اسم لنفي ما يذكر معه، و عن بعضهم أنه الذي لا يجوز له التبعيض لا فعلا و لا وهما، فهو أحد بذاته و أحد بصفاته، و توحيد الله تعالى

(١) من ظ و م، و في الأصل: في ذلك (٢) من ظ و م، و في الأصل: في.
(٣) من ظ وم، و في الأصل: واحد (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م.
(٦) راجع معجم المؤلفين ١/١٦٧.

لنفسه

لنفسه علمه بأنه واحد، و إخباره بذلك و توحيد العبد له علمه بذلك مع إقراره به؛ و قال الإمام فخر الدين الرازى فى شرح الأسماء الحسنى: فالله سبحانه و تعالى أحد فى ذاته، أحد فى صفاته، أحد فى أفعاله، أحد لا عن أحد غير متجزئ و لا متبعض[1]، أحد غير مركب و لا مؤلف، أحد لا يشبهه شيء و لا يشبه[2] شيئا، أحد غنى عن كل أحد - انتهى، ٥ و هذا معنى ما نقله المعربون عن ثعلب أنه فرق بينهما بأن واحدا يدخله العدد، و أحد لا يدخله ذلك، يقال: الله أحد، و لا يقال: زيد أحد، لأن الأحد خصوصية الله تعالى، و زيد يكون منه حالات، و نقض عليه بالعدد المعدد[3] المعطوف، يقال: أحد و عشرون و أثنان و عشرون، و رد بأن أحدا فيه بمعنى[4] واحد، و قال الإمام فخر الدين فى شرح الأسماء: ١٠ إنه اختص به البارئ سبحانه، أما الواحد فيحصل فيه المشاركة، و لهذا السبب أعرى من لام التعريف لأنه صار نعتا لله عز و جل على الخصوص، فصار معرفة، و قال الأزهرى: سئل أحمد بن يحيى عن الآحاد هل هى جمع [أحد، فقال: معاذ الله! ليس للاحد جمع، و لا يبعد أن يقال أنه جمع -[5]] واحد كالأشهاد جمع شاهد - انتهى، و قال ١٥ الاقليشى فى شرح الأسماء: الأحد هو الذى ليس بمنقسم و لا متجزئ،

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: مبعض (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا يشبهه (٣) سقط من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: معنى (٥) زيد من ظ و م.

فهو على هذا اسم لعين الذات، فيه سلب الكثرة عن ذاته، فتقدس بهذا الوصف عن صفات الأجسام القابلة للتجزى و الانقسام، و النقطة و الجوهر الفرد عند مثبته - يعنى من المتكلمين، و الجوهر البسيط[1] عند مدعيه - يعنى من الفلاسفة، و إن كانت هذه لا تتجزى و لا تنقسم و إنها مخالفة للبارئ ٥ تعالى فى أحديته، أما النقطة فعرض عند بعضهم إذ هى عبارة عن طرف الخط، و إذا كان الخط عرضا فالنقطة أولى بالعرضية[2]، و أما الجوهر الفرد فانه و إن كان لاينقسم فهو[3] مقدر بجزء، و كل ما قدر بجزء فلا يخلو من الأكوان و هو كيفما كان على رأى من أثبته من المتكلمين و إن كانوا فى أوصافه متنازعين فلا يخلو من الأعراض، ١٠ و أما الجوهر البسيط عند من أثبته فوجوده عندهم ليس عينه إذ اثنينيته غير ماهيته، و ما هو بهذا الوصف عندهم ففيه اثنينية، ففارق البارئ سبحانه و تعالى بأحديته هذه الموجودات كما فارق بذاته الأجسام، فوجوده عن[4] ذاته [5]و ليست[5] صفاته تعالى مغايرة[6] لذاتـــه، و أما الواحد فهو وصف لذاته، فيه سلب الشريك و النظير عنه، فافترقا - يعنى بأن الأحد ناظر ١٥ إلى نفس الذات، و الواحد إلى أمر خارج عنها، و قال البيهقى فى كتاب الأسماء و الصفات: الأحد فيما يدعوه[7] المشركون إلها [من دونه لا يجوز

(١) من ظ و م، و فى الأصل: البسيطة (٢) من ظ، و فى الأصل و م: العرضية (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فانه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: فليست (٦) من ظ و م، و فى الأصل: متغايرة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يدعيه.

أن يكون [إلها -[1]] إذ كانت امارات الحدث من التجزى / و التناهى ٩٠٢/
قائمة فيه لازمة له، و البارئ سبحانه و تعالى لا يتجزى و لا يتناهى،
فقد مر أن الأحد خاص بالله سبحانه و تعالى، إنه لافرق فى إطلاقه
عليه سبحانه و تعالى بين تعريفه و تنكيره لأنه معرفة فى نفسه، فطاح
اعتراض من قال من الملحدين: الجلالة معرفة و أحد نكرة لا ينعت ٥
به، و على تقدير التسلم يجوز جعله بدلا كما تقدم و لا مانع من إبدال
النكرة من المعرفة مثل لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة، قال صاحب
كتاب الزينة: و على هذه القراءة - أى قراءة التنكير - أجمعت الأمة، وروى
قوم عن أبى عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق أنه قرأ قل هو الله الأحد
الله الواحد الأحد الصمد، و قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى شرح الأسماء ١٠
[الحسنى -[2]]: الأحد اسم أعجز الله العقول عن إدراك آيته فى الخلق
إثباتا فلم تستعمله العرب مفردا قط أى و هو بمعناه[3] الحقيقى لا بمعنى
واحد و لا بمعنى أول مثلا إلا فى النفى لما علموا أنه مفصح عن إحاطة
جامعة لا يشذ عنها شىء، و ذلك مما تدركه العقول و الحواس فى النفى
و لا تدركه فى الإثبات فيقولون: ما فى الدار أحد - نفيا لكل ١٥
و لا يسوغ فى عقولهم أن يقولوا: فى الدار أو فى الوجود [أحد -[2]]،
إذ لا يعقل عندهم ذات إنسان هى جامعة لكل إنسان، فلما و رد عن

(١) زيد من ظ و م إلا أن الزيادة فى الأول متوقفة على «من دونه»
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: معناه.

الله اسمه فى القرآن تلقاه المؤمنون بالإيمان و أحبت قلوبهم سورة ذكره
لجمعها لما لا يحصى من ثناء الرحمن و هى أحد الأنوار الثلاثة فى القرآن،
[القرآن - [1]] نور "و لكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا"
و نور نوره [سورة - [1]] ذكر الأحد فى ختمه و آية الكرسى فى
٥ ابتدائه و سورة يس التى هى قلبه فى محلها منه واحد مبين عن اسم [الله
الذى هو بكل شيء محيط، لا يتطرق إليه شرك فى حق و لا باطل،
و هو واحد مبين عن اسم - [1]] الإله الذى [2] لا يصح فيه الشرك حقا،
و قد يتطرق إليه باطلا "و اتخذوا من دون الله آلهة" و ذلك لأن
الواحد يضائف [3] الثانى، و أحد جامع محيط لم يبق خارج عنه فيضايفه
١٠ يعنى أن مفهومه ناظر إلى كونه سبحانه و تعالى الآن كما كان فى الأزل
وحده، فان الخلق فان فهو فى الحقيقة عدم، و كأنه ما كان لإحاطته
به و كونه فى قبضته و طوع مشيئته، فلا خارج يكون [4] مضايفا له لأنه
لا يضايف [3] الشيء إلا مناظر لمساواة أو مباراة بمعاندة أو غيرها [5]، فالكل
بالنسبة إليه عدم "انك ميت و انهم ميتون" "كل من عليها فان"
١٥ "كل شيء هالك الا وجهه" [هذا مراده - [6]] بدليل سابقه و لاحقه
فلا شبهة فيه لأهل [7] الوحدة - عليهم [8] الخزى و اللعنة، قال: و الوحدة

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ و م : التى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يضاف (٤) زيد فى الأصل و م : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : غيرهما (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاجل (٨) تكرر فى الأصل و ظ .

من

من الواحد هى [حد -[1]] النهاية، /و الغاية بما[2] هى وحدته، و ما دون ٩٠٣/
الوحدة التى هى الغاية ثانيه و دونه و جماع إحاطات[3] كل ذلك أعلى
و أدنى هى الأحدية التى لا يشذ عنها شاذ و لا يخرج عنها خارج، فمن
الأسماء معلوم لخليفة[4] من خليقته بما أتاهم منه كالرحيم و العليم، و منها
ما يعجز عنه خلافتهم كالأسماء المتقدمة من اسمه المحصى، و لكن ينال مثلا ٥
من قولهم[5]، و منها ما لم ينله العلم و لا أدركت مثله العقول و هو اسمه
الأحد، فالله هو الأحد الذى لا أحد إلا هو - انتهى، و قال الإمام[6]
أبو الحكم بن برجان فى شرح الأسماء الحسنى: و هو - أى الأحد - أصل
لباب الوحدة، يدل على محض الوحدة، ألا ترى أنه نافٍ لما يأتى معه،
إذا قلت: لم يأتنى أحد، انتفى الاثنان، و لا تقول: جاءنى أحد ١٠
كما تقول: جاءنى واحد، لأن واحدا[7] تزول عنه الواحدية بضم ثان إليه
بخلاف الأحدية فانها لازمة الواحد لا يفارقه حكمها بعد ضم الثانى بل
لها منه جهة محفوظة عليها يظهر ذاك بالأشفاع و الأوتار، فانك تقول:
ما جاءنى أحد، فتنتفى الأشفاع كما تنتفى الأوتار، و هذا دليل على زيادة
شرفه فان الاسم كلما غمضت دلالته و تعذرت معرفته عن الأفهام وعزب ١٥
عن العقول علمه كان ذلك دليلا على قربه من الاسم الأعظم - انتهى،

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، و فى الأصل: ما (٣) من ظ وم، و فى الأصل: احاطت (٤) فى ظ: بخليقته (٥) فى ظ: عقولهم (٦) سقط من ظ وم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: واحد.

و قال بعض العارفين فى كشف معنى الأحد و رتبته : إن الذات الأعظم غيب محض [و الأحد أول تعيناتها، و لذلك بدئ بالهمزة التى هى أول تعينات الألف التى هى غيب محض - ١] و ذلك سر مخالفتها للاحرف فى أن كل حرف يدل على مسماه أول حروف اسمه [إلا - ١] الألف ٥ لكونها غيبا، فكان أول اسمها الهمزة التى هى أول تعيناتها، و الهمزة لكونها مرقى إلى غيب الألف كان أول اسمها - ١] أيضا [غير - ١] دال على مسماها. ثم بعد التعيين بالأحدية الشاملة المستغرقة [يتنزل - ١] إلى الإلهية ثم منها إلى الواحدية، و لذلك ابتدئ الواحد بالواو التى هى وصلة إلى ما فيه من الألف الذى هو غيب، فان الواحد مرقى إلى ١٠ فهم الإله، و الإله مرقى إلى تعقل الأحد، و الأحد مرقى إلى التعبد للذات الأقدس الأنزه. و من اعتقد أحديته سبحانه و تعالى، أنتج[٢] له ذلك[٢] حبه و تعظيمه، و هو توحيد الألوهية لأن التفرد بذلك يقتضى الكمال و الجمال - و الله الموفق.

و قال الإمام [أبو - ١] جعفر ابن الزبير: لما[٣] انقطى مقصود ١٥ الكتاب العزيز بجملته عاد الأمر إلى ما كان، و أشعر العالم بحالهم من ترددهم بين[٤] عدمين "ثم الله ينشيء النشأة الآخرة" فوجودهم منه سبحانه و تعالى و بقاؤهم به و هم و جميع ما يصدر عنهم من أقوالهم و أفعالهم

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك له (٣) من ظ و م، و فى الأصل: و لما (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من.

كل ذلك خلقه و اختراعه، و قد كان سبحانه و تعالى و لا عالم و لا زمان و لا مكان، / [و هو الآن على ما - [1]] عليه كان، لا يفتقر إلى أحد[2] و لا يحتاج إلى معين، و لا يتقيد بالزمان، و لا يتحيز بالمكان، فالحمد لله رب العالمين، أهل[3] الحمد و مستحقه مطلقا، له الحمد فى الأولى و الآخرة، و له الحكم [4]و إليه المصير[5] "قل هو الله احد الله الصمد لم يلد و لم يولد ٥ و لم يكن له كفوا احد" هو الموجود الحق، و كلامه الصدق، "و ما هذه الحياة الدنيا الا لهو و لعب و الدار الآخرة خير للذين يتقون" فطوبى لمن استوضح آى كتاب الله، و أتى الأمر من بابه و عرف نفسه و دنياه، و أجاب داعى الله و لم ير فاعلا فى الوجود حقيقة إلا هو سبحانه وتعالى [4]و الحمد لله رب العالمين[4]، و لما كمل مقصود الكتاب، و اتضح عظيم رحمة الله ١٠ به لمن تدبر و اعتبر و أناب، كان مظنة الاستعاذة و اللجأ من شر الحاسد و كيد الأعداء ختم بالمعوذتين من شر ما خلق و ذرأ و شر الثقلين - انتهى.

/٩٠٤

و لما تم البيان لهويته[6] سبحانه و تعالى على هذا الوجه الذى أنهاه بالأحدية المعلمة بالتنزه [7]عن القسمة و النظير، و كان بيان القرآن بالغا أقصى نهايات البيان، و كان الأحد من النعوت المتوغلة فى السلب، ١٥ و كانت الشركة تقع فى التعبير به فى النفى[7] و هو بمعناه الحقيق و تقع

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م. و فى الأصل: حد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اهله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لهو (٦) من ظ، و فى الأصل و م: بالتنزيه (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالنفى.

فيه بالإثبات[١] و السلب على حد سواء، أو دلالته على الكمال و الإضافة أكمل، و بناه على الاسم الأعظم الذى هو آخر الأسماء الظاهرة و أول الأسماء الباطنة، و لم يقع فيه شركة بوجه دفعا لكل تعنت، و إشعارا بأن من لم يسم به لم يتسحق الألوهية، و أخلى الجملة عن عاطف لأنها
٥ كالنتيجة الأولى[٢] و الدليل عليها، فقال مكاشفا لنفوس المؤمنين و للعلماء[٣] معيدا الاسم و لم يضمر لئلا يظن تقيد بحيثية غيب أو غيرها[٤]: ﴿الله﴾ أى الذى ثبتت إلهيته و أحديته، لا[٤] غيره ﴿الصمد﴾ الذى تناهى سؤدده المطلق فى كل شيء [إلى حد تنقطع دونه الآمال، فكان بحيث لايحتاج إلى شيء -[٥]] و كل شيء إليه محتاج، و تنزه عن الجوفية فلم تدن من
١٠ جنابه بفعل و لا قوة لأنه تنزه عن القسمة بكل اعتبار مع العظمة التى لايشبهها عظمة، فكان واحدا[٦] بكل اعتبار، و ذلك هو مفهوم الأحدية عبارة و إشارة، فكان مصمودا إليه فى الحوائج أى مقصودا لأجلها، فهو الموصوف بهذا الاسم على الإطلاق، و بكل اعتبار، فكان موجدا للعالم لأن العالم مركب بدليل المشاهدة فكان ممكنا فكان محدثه واجبا
١٥ قديما، نفيا للدور و التسلسل المحالين، وخلقه [له -[٥]] بالقدرة و الاختيار

---

(١) فى ظ : من الأثبات و هو بمعنى الواحد مثلا أبين أحديته و انهى اكليته بيانه الى أنهى عناياته باسم جامع بين الاضافة (٢) من ظ و م، و فى الأصل : الأول (٣) من ظ و م، و فى الأصل : العلماء (٤) من ظ و م، و فى الأصل : نحوها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : واحد.

لأنه / لو كان بالطبع و الإيجاب لكان وجوده مع وجوده لأن[1] العلة لا تنفك /٩٠٥
عن المعلول، فيلزم من قدم البارئ عز و جل قدم العالم، و من حدوث
العالم حدوث البارئ جل وعز، و ذلك جمع بين النقيضين و هو محال،
و قصر الصمدية عليه لأن اشتداد الألف لحاجة الشيء إلى غيره ربما
كان موجبا لخفاء اختصاصه به، و لم يقصر الأحدية إما للتنبيه على أن ٥
ذلك لشدة ظهوره غني عن التأكيد[2]. و إما استئلافا لهم لئلا ينفروا
قبل [3]سماع تمام[3] السورة [4]على أنه[4] بظهور قصر الصمدية التي أحد معنييها[5]
لازم الأحدية ظهر الاختصاص بالأحدية، قال العلماء رحمهم الله تعالى:
و الصمد من صمد[6] إليه - إذا قصده، و هو كالأحد، بني على هذا
الوزن لأنه لا تلحقه المضارعة ولا تدن منه المشابهة لأنه اسم خاص ١٠
فهو السيد المصمود إليه، و هو أيضا الذي لا جوف له و لا رخاوة بوجه
فيه، لأن الأجواف[7] وعاء، و كل وعاء محتاج إلى موعيه، يقال: شيء
مصمد، أي صلب، و حجر صمد: أملس لا يقبل الغبار و لا يدخل فيه
شيء و لا يخرج منه شيء، قال ابن قتيبة: و هو على هذا الدال فيه[8]
مبدله من التاء و هو المصمت، و هو أيضا العالي الذي تناهى علوه، تقول ١٥
العرب لما أشرف من الأرض: صمد - باسكان الميم، و بناء صمد أي

---

(١) في م: لأنه (٢) في م: تأكيد (٣ - ٣) من ظ و م، و في الأصل: تمام سماع (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: لان (٥) زيد في الأصل: ظاهر، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و في الأصل: الصمد. (٧) في ظ: الأجوف (٨) من ظ وم، و في الأصل: منه.

معلى[1]، فهو على التفسير الأول من الصفات الإضافية بمعنى أنه سيد لكل موجود، و الكل محتاجون إليه فى ابتداء إيجادهم و فى تربيتهم، فهم يصمدون إليه فى الحوائج و يقصدون إليه فى جميع الرغائب، و هو غنى على[2] الإطلاق، و ذلك هو اتصافه بصفات الإلهية، قال [الاقليشى -[3]]:

٥ فعلى هذا - أى أنه الذى يلجأ إليه و يعتمد عليه لتناهى سؤدده - يتشعب من صفة الصمد صفات السؤدد كلها من الجود و الحلم[4] و غير ذلك، و إذا قلنا: إن الصمد العالى تشعبت منه صفات[5] التعالى كلها من العزة و القهر و العلو و نحوها - انتهى، و قد روى البيهقى رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله "الصمد" قال: هو[6] السيد الذى

١٠ كمل فى سؤدده، و الشريف الذى كمل فى شرفه، و العظيم الذى كمل فى عظمته، و الحليم الذى [قد -[3]] كمل فى حلمه، و الغنى الذى [قد -[3]] كمل فى غناه، والجبار الذى [قد -[3]] كمل فى جبروته، و العالم الذى قد كمل فى علمه، و الحكم الذى قد كمل فى حكمه[7]، و هو الذى[8] كمل فى أنواع الشرف و السؤدد و هو الله عز و جل، هذه صفته لا تنبغى إلا له،

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مطلى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عن.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الحكم. (٥) زيد فى الأصل: المعالى و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: حكمته (٨) زيد فى الأصل: قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

ليس له كفوء، و ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد[1] القهار، و قال أبو العباس ابن تيمية [الحنبلي -[2]] فى كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان»: أجمع سلف الأمة و أئمتها أن الرب سبحانه و تعالى /بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه و بما[3] وصفه به رسوله /٩٠٦
صلى الله عليه و سلم من غير تحريف و لا تعطيل، و من غير تكييف ٥
و لا تمثيل، [4]يوصف من صفات[4] الكمال [دون صفات النقص، و نعلم أنه ليس كمثله شيء و لا كفوء له فى شيء من صفات الكمال -[5]] كما قال الله تعالى "قل هو الله احد الله الصمد" - إلى آخرها، قال ابن عباس رضى الله عنهما: الصمد - إلى آخر ما مضى عنه، و قال ابن مسعود
رضى الله عنه و غيره: هو الذى لا جوف له، و الأحد الذى لا نظير ١٠
له. فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال و نفى النقائص عنه، و اسمه الأحد يتضمن أنه[6] لا مثل له، و قال الحرالى: الصمد - يعنى بالسكون: - التوجه بالحاجات إلى ملىّ بقضائها لا يحتاج إلى سواه، فلذلك يكون [الصمد -[7]] سيدا لا يساد، السيد الله - انتهى، و على التفسير
الثانى: هو من النعوت السلبية، فهو دال على نفى الماهية التى تعنت[8] بها ١٥
فرعون لا قتضائها المقومات المستلزمة للحاجة إلى ما به التقويم، و على

---

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) زيد من ظ، و راجع ترجمته معجم المؤلفين ١/٢٦١.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٤ - ٤) فى م: بصفات (٥) زيد من م.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: نعت.

إثبات[1] الهوية المنزهة عن كل شائبة نقص، فان كل ما له ماهية كان له جوف و باطن، و هو تلك الماهية، و هو ما لا باطن له، و هو موجود فلا جهة و لا اعتبار فى ذاته إلا الوجود، فهو واجب الوجود غير قابل للعدم، و قد علم بهذا أنه جامع لما ذكر فيما قبله، فان هذا التفسير الثانى

٥ يتشعب منه من الأسماء ما ينظر إلى نفى التركيب كالأحد [و نحوه -[2]] و هذان التفسيران الأول و الثانى جامعان لجميع ما فسر به و لما[3] عسى أن يقال فيه سبحانه من صفات الكمال، و نعوت[4] العظمة و الجلال، [5]فمن كان[5] مصمودا إليه فى جميع الحاجات و متعاليا عن [6]كل سمت[6] حدث و شائبة نقص كان موجدا لكل ما يريد من نفع و ضر و نافع وضار،

١٠ قادرا على حفظ ما يريد، و كان معلوما كالشمس أنه لا شريك له، و أنه هو وحده المستحق للعبادة لاحتياج الكل إليه الاحتياج المطلق، و غناه عنهم الغنى المطلق، و تفرده بصفات الكمال و الانقطاع عن قرين، و إلى الصمدانية[7] ينتهى التوجه و هو الإقبال بالكلية، و هى ترد[8] على الفلاسفة القائلين بتدبير العقول، و الصابية القائلين بتدبير النجوم، و على

١٥ غيرهم من [كل من -[2]] ادعى تدبيرا لغير الله سبحانه و تعالى، و من اعتقد

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لثبات (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٤) من ظ و م، و فى الأصل: نعوذ - كذا. (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: فكان (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: سمت كل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المدانية (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يريد.

صمديته المقتضية لكمال الذات و الصفات و شمول التدبير ، أنتج له كمال التفويض و التوكل و هو توحيد الربوبية ، و هذه الأسماء الأربعة مشيرة إلى مقامات السائرين و مرامات[1] الحائرين و الجائرين ، فالمقربون نظروا إلى الأشياء فوجدوا كل ما سواه سبحانه و تعالى معدوما بالذات ، فكان ذكرهم «هو» ، [و - ٢] أصحاب اليمين نظروا إلى وجود الممكنات فعينوا ٥ مرادهم و ميزوا مذكورهم بالجلالة ، و أصحاب الشمال جوزوا الكثرة في الإله فاحتاجوا / في تذكيرهم[3] إلى الوصف بالأحدية و الصمدية ، و[4] هي /٩٠٧ رادة[4] على أهل الاتحاد أعظم رد ، فانهم يقولون : إن الإله هو هذا العالم ، و هو منقسم بالحس فضلا عما عداه [و - ٢] محتاج أشد احتياج[5] . ١٠

و لما انتهى بيان حقيقته سبحانه و تعالى ، و أنه غير مركب أصلا ، و بين سبحانه بصمديته المستلزمة لوحدانيته[6] أن الكل مستند إليه و محتاج إليه ، و أنه المعطي لوجود جميع الموجودات ، و المفيض للجود على كل الماهيات ، فلا يجانس شيئا و لا يجانسه شيء ، و لا يكون له نظير في شيء من ذلك . و كان ربما تعلق بوهم واهم أن تولد غيره عنه يكون ١٥ من تمام سؤدده المعبر به عن قدرته ، بين أن ذلك محال لاقتضائه الحاجة بما لا تعلق له بالقدرة لأن القدرة من شأنها أنها لا تتعلق بالمحال ، وهذا

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : مرمات (٢) زيد من ظ و م (٣) في ظ : تفكيرهم .
(٤ - ٤) من ظ و م ، و في الأصل : هو راد (٥) من ظ و م ، و في الأصل : الاحتياج (٦) من ظ و م ، و في الأصل : الوحدانية .

محال، لأنه سبحانه صمد. فكان ذلك [بيانا -[1]] للصمدية في كلى معنييها، فقال من غير عاطف دالا على انتفاء الجوف الذى هو أحد مدلولى[2] «صمد» مكاشفا[3] للعقلاء شارحا لأنه لا يساويه شيء من نوع يتولد عنه و لا جنس يولد هو عنه، و لا غير ذلك يوازيه[4] في وجود ولا غيره:

٥ ﴿لم يلدْ﴾ أى يصح و لم ينبغ بوجه من الوجوه أن يقع تولد الغير عنه مرة من المرات. فكيف بما فوقها لأن ذلك مستلزم للجوف وهو صمد لا جوف له، لأن الجوف من صفات النفس المستلزم للحاجة و هو مستغن بدوامه في أبديته عمن يخلفه أو يعينه[5] لامتناع الحاجة و الفناء عليه. فهو رد على من قال[6]: الملائكة بنات الله أو عزير أو المسيح

١٠ أو غيره.

و لما بين أنه لا فصل له، ظهر أنه لا جنس له، فدل عليه بقوله: ﴿و لم يولدْ﴾ لأنه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود و المعقول، فهو قديم لا أول له بل هو الأول الذى لم يسبقه عدم، لأن الولادة لا تكون و لا تتشخص إلا بواسطة المادة و علاقتها، و كل

١٥ ما كان ماديا أو [كان -[1]] له علاقة بالمادة، كان متولدا عن غيره، فكان لا يصح أن يتولد عنه شيء لأنه لا يصح أن يكون هو متولدا[7]

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: مداول (٣) من ظ و م، و في الأصل: تكاشفا (٤) في ظ و م: بموازنه (٥) من ظ و م، و في الأصل: يعيبه (٦) زيد في الأصل: ان، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها. (٧) من ظ و م، و في الأصل: متولده

عن غيره لأنه لا ماهية له و لا اعتبار لوجوده سوى أنه هو ، فهويته لذاته ، [و من كانت هويته لذاته -[1]] لم يصح بوجه أن يتولد عن غيره [لأنه لو تولد عن غيره -[1]] لم يكن هو هو لذاته ، و لا يكون أحدا حقيقيا[2] و لا صمدا ، فينتفي من أصله ، و لا يكون له من ذاته إلا العدم ، فقد تبين أنه واجب الوجود ، فوضح كالشمس أنه ليس[3] ماديا لأنه غير محتاج ٥ بوجه ، فلا يصح أن يتولد عنه غيره ، لأنه لم يصح أن يتولد هو عن غيره ، و من كان كذلك لم يكن له مثل ، فلا يصح بوجه أن يساويه[4] شيء ليصح أن يقوم مقامه فيما بين ما انتفى في الأول و الآخر ، فدل على ذلك / إتماما لشرح حقيقته المعبر عنها بهو[5] بقوله : ﴿ و لم يكن ﴾ /٩٠٨ أي لم يتحقق و لم يوجد بوجه من الوجوه و لا بتقدير من التقادير[6] ﴿له﴾ ١٠ أي خاصة ﴿كفوا﴾ أي مثلا و مساويا ﴿احدٌ﴾ على الإطلاق ، أي لا يساويه في قوة الوجود لأنه لو ساواه في ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس و الفصل ، فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس الذي يكون كالأم ، [7]و الفصل[7] الذي يكون كالأب ، و قد ثبت أنه لا يصح بوجه أن يكون في شيء من الولادة ، لأن وجوب وجوده لذاته ، ١٥ فانتفى أن يساويه شيء في قوة وجوده ، فانتفى قطعا أن يساويه أحد في

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و في الأصل و ظ : حقيقا (٣) زيد في الأصل : له ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : يساوي (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : التقديرات.
(٧-٧) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط .

شيء من قوة أفعاله، فعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلها لأن الثلاث شرح الصمدية النافية لأقسام الأمثال، فهي كالجملة الواحدة، و قدم الظرف في الثالثة لأن المقصود الأعظم نفي المكافأة عن الذات الأعظم، فكان أهم "وكفوا" حال من أحد. و يجوز أن يكون "كان" ناقصة و يكون ٥ "كفوا" خبرها، و سوغ خبريته تخصيصه بـ"له" كما قالوا في «ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله»، و قد وضح أن هذه السورة أعظم مبين للذات الأقدس بترتيب لايتصور في العقل أن يكون شيء يساويه، و كلمات لاتقع في الوهم أن يكون شيء يساويها أو يساوي شيئا منها، فأثبت أولا حقيقته المحضة و هويته بأنه هو، لا اسم لتلك[1] الحقيقة من ١٠ حيث هي إلا ذلك، فعلم أنه واجب الوجود لذاته لا لشيء آخر أصلا، ثم عقب ذلك بيانا[2] له بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة و أشدها تعريفا.

و لما اقتضت الإلهية الوحدة لأنها عبارة عن الاستغناء المطلق واحتياج الغير[3] إليه الاحتياج المطلق، دل عليها بالأحد، و دل على تحقيق[4] معنى ١٥ الإلهية و الوحدة معا بالصمدية لما لها من المعنيين: وجوب الوجود[5] بعدم الجوف وجودا[6] أو تقديرا، و[7] السيادة المفيضة لكل وجود على كل

(١) من ظ و م، و في الأصل: لذلك (٢) من ظ و م، و في الأصل: بيان.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: غيره (٤) من ظ و م، و في الأصل: تحقق.
(٥) العبارة من هنا إلى «موجود وجودا» ساقطة من ظ. (٦) من م، و في الأصل: وجوبا (٧) من م، و في الأصل: او.

موجودٍ وجودا لا يشبه وجوده سبحانه:

«الأمر أعظم من مقالة قائل» «و أين الثريا من يد المتناول»

و بين المعنيين كليهما بعدم صحة التوليد منه و له و عدم المساوى، فمن أول السورة إلى آخر الأسماء فى بيان حقيقته سبحانه و تعالى و لوازمها الأقرب فالأقرب و وحدتها بكل اعتبار، و من ثم إلى آخرها فى بيان أن لا مساوى له لأنه ٥ لا جنس له و لا نوع حتى يكون هو متولدا عن شيء أو يكون متولدا عنه شيء، أو يكون شيء موازيا[1] له فى الوجود، و بهذا القدر حصل تمام معرفة ذاته، و أنه لا يساويه شيء فى قوة وجوده فلا يساويه فى تمام أفعاله / بدلالة شاهد الوجود الذى [كشف -[2]] عنه[3] و الشهود بنصر /٩٠٩ نبيه صلى الله عليه و سلم الذى كان يدعو أبا لهب و جميع الكافرين ١٠ الشانئين وحده و هم ملء الأرض و يخبرهم مع تحاملهم كلهم عليه أنهم مغلوبون، و أنه أتاهم[4] بالذبح لأن لمن أرسله الإحاطة الكاملة[5] بجميع الكمال، و قد كان الأمر كما قال صلى الله عليه و سلم، فقد صدقت مقالاته، فثبتت إلى الخلق كافة رسالاته[6]، و ثبت[7] مضمون جميع السورة بما ثبت

---

(١) فى ظ وم: موازنا (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد فى الأصل: الوجود و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اذلهم. (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: رسالته، والعبارة من بعدم إلى «المشهورة» ساقطة من ظ. (٧) من م، و فى الأصل: بينت.

من هذه الأدلة المشهورة، و البراهين القاطعة المنصورة[١]، و قد ثبت[٢] أنه
صمد بما دل على [أحد-[٣]] معنييه الذى هو انتفاء الجوفية بعدم التولد،
و على المعنى الآخر الذى هو بلوغ المنتهى[٤] من السيادة بعدم[٥] المكافى[٥]،
فبان أنه هو لذاته فلا إله غيره، فانطبق آخرها على أولها، و التحم
٥ أى التحام مفصلها بموصلها، فعلم أنه هو [هو-[٣]] لاغيره بزيادة أنه الأحد
و لا أحد حقا غيره، و من تحقق آخرها أقبل بكليته إليه سبحانه، فلم
يلتفت إلى غيره لأن الكل فى قبضته، و قد نقلت فى كتابى مصاعد
النظر [عن الإحياء-[٣]] للامام الغزالى رحمه الله تعالى عليه فى شىء من
أسرار هذه السورة كلاما هو فى غاية النفاسة. و روى الترمذى[٦] عن
١٠ أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا
ربك، فأنزل الله تعالى: [٧]قل هو الله احد - إلى آخرها، قال: لأنه ليس
شىء يولد إلا سيموت، و ليس شىء يموت إلا سيورث، و أن الله تعالى[٧]
لا يموت و لا يورث، و لم يكن له كفوا أحد - انتهى. و من كان كذلك
فهو الجامع[٨] للأسماء الحسنى و الصفات العلى كلها، و علم أن حاصلها تنزيه
١٥ المعبود عن أن يكون له مجانس، أو يكون له مكافى، و الرد على كل
من يخالف فى شىء من ذلك، و أعظم مقاصد آل عمران المناظرة[٩] لها

(١) من ظ وم، وفى الأصل: المبصورة (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بينت.
(٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: النهاية (٥) من ظ وم، وفى الأصل: مع عدم (٦) راجع الجامع ٢/١٧٢ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٨) من ظ وم، وفى الأصل: جامع (٩) من ظ وم، وفى الأصل: الناظرة.

فى رد المقطع على المطلع ، المفتتحة بالحى القيوم ، المودعة أوضح الأدلة على كفر من كفر بالله سبحانه و تعالى لاسيما[1] من ادعى أن عيسى عليه الصلاة و السلام إلـه[2] أو أنه ولد له سبحانه و تعالى و كذا غيره الدلالةُ على بطلان مذهب من ادعاه إلها و على أن عيسى عليه الصلاة و السلام عبد من عبيده أوجده على ما أراد كما أوجد من[3] هو أغرب [4]حالا منه[4] ٥ و إبطال قول من ادعى فيه غير ذلك . و لما عرفت هذه السورة حقيقة الذات أتم تعريف ، و كان الغرض الأقصى من طلب[5] العلوم بأسرها معرفه ذاته سبحانه و تعالى و صفاته و كيفية صدور [الأفعال -[6]] عنه ، و كان القرآن العظيم كفيلا بجميع هذه العلوم ، و كانت هذه السورة منه قد تكفلت بجميع ما يتعلق بالبحث عن الذات على سبيل التعريض ١٠ و الإيماء ، كانت معادلة لثلث القرآن و[7] هى ثلث أيضا[8] باعتبار آخر و هو أن الدين اعتقاد ، و فعل لسانى يترجم عن الاعتقاد ، و فعل / يصحح ذلك ، [9]هى وافية بأمر[9] الاعتقاد بالوحدانية الذى هو رأس الاعتقاد ، و باعتبار أن مقاصده كلها محصورة فى بيان العقائد و الأحكام و القصص ، و هذه

/ ٩١٠

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : منه حالا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مغلوب - كذا (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اخر (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : مافيه من امر .

السورة على وجازتها قد اشتملت على جميع المعارف الإلهية، والرد على من ألحد فيها، و لأجل أن هذا هو المقصود بالذات الذى يتبعه جميع المقاصد عدلت فى بعض الأقوال بجميع القرآن، و حاصل شرح هذه السورة العظمى أنه سبحانه و تعالى دل على الذات الأقدس بالهوية، وعبر عنها ٥ بالضمير إشارة إلى نفى الماهية التى غلط أو غالط[1] فيها الكفور الأعظم فرعون - لعنة الله عليه و على أتباعه أهل الإلحاد. و أنصاره و أشياعه من أهل الاتحاد، و دل على ذلك بالاسم الأعظم المجمع عليه و دل عليه بالوحدة الجامعة للغنى، النافية للكثرة[2] الموجبة للحاجة. و دل عليها بالصمدية النافية للجوفية المثبتة للسيادة الخفية، و دل على أول معنييها بانتفاء الولادة منه ١٠ و له، الدالان على نفى الجنس للقوم و الفصل المقسم، و دل على الثانى بعدم المكافىء، و دل على هذا العدم بأفعاله العظيمة المشاهدة التى أشار قطعا ترتيب السور بما انتهى إليه وضع هذه السورة فى هذا الموضع إلى استحضارها، و تأمل ما كان منها من تربية هذا الدين بنصر[3] نبيه الذى أرسله صلى الله عليه و سلم لإقامته، و سلط الكافرين - و هم ملء الأرض - ١٥ على أذاه، و جعل أعظمهم له أذى أقربهم إليه نسبا عمه أبا لهب الذى كان يتبعه فى تلك المشاهد و القبائل، و يلزمه فى تلك المواسم و المعاهد و المحافل، يصرح بتكذيبه كلما دعا الناس إلى الحق، و يواجه بما هو أشد الأشياء على النفس كراهه[4] و أشق، فكانت تلك الشهرة عين الرفعة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: غلط (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لكثرة.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لنصر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كراهية.

 و النصرة

و النصرة، لأن الشيء إذا خرج عن حده انقلب إلى ضده، فانه إذا
تناهت شهرته ثم بان بطلانه أو صحته رجعت شهرته بكونه باطلا أو صحيحا
أعظم منها لو لم يتقدمها شهرة بغير ذلك، فانقلبت النصرة، و عظمت
الكثرة، لجلت المعاونة، و زالت المباينة، و حصل الوفاق، و زال الشقاق،
فدل هذا الفعل الأعظم من صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و هو ٥
وحده، [1]و كذب[1] المعاندين وهم من لا يحصيهم إلا الله في كل ما قال،
و جميع ما قالوا على عزته سبحانه و تعالى بكونه نصر عبده على ذلك
الوجه الخارق للعادة و على حكمته بما سلطهم به عليه حتى أسرعت الشهرة
و عمت النصرة، فعلم بتلك المشاهدة[2] أنه العزيز الحكيم كما دلت عليه
سورة التوحيد المناظرة لهذه في رد المقطع على المطلع، و هي آل عمران ١٠
/ المناظرة لهذه في الدلالة على التوحيد و المحاجة لمن ادعى أن له صاحبة ٩١١ /
و ولد[3]، فعلم قطعا أنه لا كفوء له، فعلم أنه لا يصح أصلا أن يلد و لا أن
يولد. فبطلت قطعا دعوى إلهية عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره ممن ادعى
فيه الولدية بالأحدية لما تقتضيه الولادة [4]من المادة[4] المقتضية للكثرة،
الموجبة للحاجة، و عظم البيان بما دل عليه الاسم [الأعظم -[5]] من ١٥
الإجماع بما تقتضي الإلهية، و لا إجماع على غيره، و جل الأمر و انقطع

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: فكذب (٢) من ظ و م، و في الأصل: المشاهد (٣) من ظ و م، و في الأصل: و لد (٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٥) زيد من ظ و م.

النزاع بما دل عليه الضمير من وجوب الوجود النافى لما سواه من كل موجود - و الله الهادى، فلقد أبانت السورة على أعظم الوجوه أن مرسله صلى الله عليه و سلم أجل موجود و أشرف حقيقة و أنفس معلوم، و أعظم ذات، و ذلك يستلزم نفى[1] كل ما لاينبغى، و حصول ٥ كل ما ينبغى استلزاما لايقبل الانفكاك، كالفردية فى الوتر، و الزوجية فى الشفع، و تفصيل ذلك بعشرة أشياء تبسط على كلمات السورة على الترتيب: الأول أنه تعالى له الوجود الذى ما مثـله فليس [هو [2]] كالممكنات المسبوقة بالعدم و المنقطعة بالانعدام، و المنصرمة فى الدوام، بل هو أزلى[3] لا أول له أبدى لا آخر له، قيوم لا انصرام له، الثانى أن ١٠ له السبوحية الآبية على نفع كل نقص و عيب، الثالث أن له القدوسية المشتملة على الاتصاف بكل كمال، من جلال و جمال[4] و تعال، الرابع أن له العظمة و الجلالة عن أن يكون عرضا أو كالأعراض، أو جوهرا[5] أو كالجواهر، أو جسما أو كالأجسام، الخامس أن له العلو عن أن يحل فى شىء أو [يحل فيه شىء أو يتحد بشىء أو - [2]] يتحد به شىء، السادس ١٥ أنه تعالى له الغنى عن الموجد[6] كالرب و الموجب كالأب و المفيد أى لشىء من الكمالات، السابع أنه تعالى له الوحدانية التى ليس فيها شبيه

(١) زيد فى الأصل: حصول، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اول (٤) زيد فى الأصل: وكان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: جوهر. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الوجود والموجود.

اى فى صفاته، و لامثيل أى فى نوع و لانسب [أى - [1]] كالقرابة،
الثامن أنه تعالى له الفردانية[2] التى لايصح فيها شرك، لا فى الملك - بكسر
الميم، و لافى الملك - بضمها، و لافى التدبير، و لافى التأثير، التاسع أنه تعالى
له الكبرياء المنافية لفوت كال[3] أو كال كال، العاشر أنه تعالى له العزة
المنافية لأن يكون له ضد - و هو المفسد لما يفعله، أو ند - و هو الموجد لمثل ٥
ما يوجده[4]، و تنزيل هذه العشرة على السورة واضح لمن تأمل الكلام
و[5] تدبره، و ابتدأ سبحانه السورة بالضمير قبل الظاهر بعد التصريح بالنصر
و الفتح و خسارة أهل الكفر بخسارة أبى لهب الذى هو أعلامهم و أعزهم
إشارة إلى [أن] من صحح باطنه باسم الله تعالى نصر[6] و فتح له[6] - كما يشير
[إليه - [1]] تعقيب الأمر فى آخر سورة البقره بالرغبة إليه فى النصر على ١٠
الكافرين بقوله "الله لا اله / الاهو الحى القيوم" فانه ترجمة أول هذه /٩١٢
السورة التالية للنصر و الكافرون سواء بالضمير و الاسم الأعظم [و التوحيد
الأعظم - [1]] المقرون[7] بدليله و هو القيومية، فقد بين آخر السورة الذى
هو نتيجتها و رد مقطعها على مطلعها[8] أنه أحـــد حاضر فى كل زمن[9]
لايغيب أصلا، و لاأحد يكافئه أو يشابهه، لأنه لم يتولد عنه شيء و لاتولد ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الفرانية - كذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الكال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يفعله (٥) من ظ و م، و فى الأصل: او (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: له وفتح. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المقرونة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: موصلها (٩) فى ظ: ذهن.

هو عن شيء، لأنه صمد لاجوف له[1] مطلقا لا فى ذاته بالفعل، و لا بحيث يجوّزه الوهم لأنه أحد محيط بكل شيء لأنه [2] هو الله المحيط بجميع صفات الكمال و الجمال[2]، و هو غيب محض لأنه لايقوى غيره على معرفته إلا باللوازم من الصفات المعقولة تقريبا، و الأفعال المشاهدة آثارها،
٥ و هو هو الذى [هو -[3]] - مع كونه غيب الغيب - مستحضر فى كل لب، لا يظهر بغيب عن[4] أحد بما له من الآثار، التى[5] ملأت الأقطار، و لذلك استحق التسمية بـ «هو» و لم يستحقها غيره لحضوره[6] لكل قلب و غيبة غيره بكل اعتبار، لأنه ليس للغير من ذاته إلا الغيبة[7] بالعدم. و أما هو [8] فهو الواجب[8] وجوده، و هو الذى أوجد غيره، و ركز فى [كل - [3]]
١٠ فطرة ذكره[9]، لما له سبحانه من الكمال، و لغيره من شدة الحاجة إليه و الاختلال، فكان سبوحا قدوسا جامعا بين الوصفين لأنه ممدوح بالفضائل و المحاسن، التقديس مضمر فى صريح التسبيح، و التسبيح مضمر فى صريح التقديس، و قد جمع الله سبحانه و تعالى بينهما فى هذه السورة بالأسماء التى جلاها أولها، فهو صريح التقديس، و من ثم إلى آخرها صريح التسبيح،

---

(١) زيد فى الأصل : أصلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) فى ظ و م : الذى هو جامع لصفات الكمال (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من م (٦) فى م : بحضوره (٧) من ظ و م، و فى الأصل : الغيبة (٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل : فالواجب (٩) من ظ و م، و فى الأصل : ذكر .

 و الاقران

و الأمران راجعان إلى إفراده و توحيده و نفى التشريك و التشبيه عنه، و ذلك هو الجمع بين الإثبات و النفى على تهييج ما وقع فى كلمة الإخلاص ليعلم أن الإثبات[1] لا يكمل إلا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته، لكن كلمة الإخلاص تركبت[2] من نفى ثم إثبات، و سورة الإخلاص من إثبات ثم نفى، [3]فأولها إثبات[3] و آخرها نفى، و آخر الإثبات ٥ الصمد، [فهو -[4]] جامع بين الأمرين فانه جمع كل صفة لا يتم الخلق إلا بها [5]لأن أحد مدلوليه[5] فى اللغة: السيد الذى يرجع إليه، فاقتضى ذلك إثبات صفات الكمال التى بها يتم اتساق الأفعال و نفى كل صفة ينزه عنها، لأن ثانى مدلوليه فى اللغة: الذى لا جوف له، و ذلك يتضمن نفى النهاية و نفى الحد و الجهة و الجسم و الجوهر، لأن من اتصف بشيء من ذلك ١٠ لم يستحل اتصافه بالتركيب و وجود الجوف، فقررت هذه الكلمة وجوب[6] المعرفة بالنفى و الإثبات ليميز بين الحق و الباطل، لأن من [لم -[4]] يتحقق صفاء الباطل لم يتقرر له المعرفة بالحق، و لذلك كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم و أرضاهم أجمعين يسألون النبى صلى الله عليه و سلم /عن الحق لصحة الاعتقاد و المعرفة، و عن الباطل و الشر للتمكن من ١٥ /٩١٣ مجانبته حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه: كان [الناس -[4]] يسألون

(١) العبارة من هنا إلى « ثم اثبات » ساقطة من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تركيب (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: فا اجل مدلوليته (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وجوف.

النبي صلى الله عليه و سلم عن الخير، و كنت أسأله عن الشر . و ذلك لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه، و أن ما خالفت كلمة الشهادة في الترتيب لأن تلك أتت للادخال في الدين، و الأليق بمن كان خارجا أو ضعيفا فيه - و هم الأكثر - نفي الباطل أولا و محوه من لوح القلب
٥ ليأتي[1] إثبات الحق فيه و هو فارغ[2] فيقر فيه، فلما[3] نفت أولا كل غير كان[4] سببا للجانبة و البعد عن حضرات القدس، ثم [5]أثبتت الذات[5] الأقدس و المسمى الأشرف الأنفس، أكدت[6] سورة الإخلاص لأنها للكمل الذين تخلقوا بما قبلها من السور، هذا الإثبات عند استحضاره، و شهود الجميل من آثاره، ثم ختمت بنفي الأغيار، ليكون بذلك تجلي ختام الأعمار[7]،
١٠ عند الرجوع إلى الآثار، بالعرض على الواحد القهار، و قد بين[8] بهذه السورة أنه طريق بين الخلق و الأمر، فلما فتح الخلق بمتشابه خلق آدم عليه الصلاة و السلام لأن [9]المتشابه ما خرج[9] عن أشكاله، و ختمت أقسامه الأربعة بمتشابه خلق عيسى عليه الصلاة و السلام - كما تقدم[10] عند

(١) من ظ و م، و في الأصل: ليتأتى (٢) من ظ و م، و في الأصل: فارق (٣) من ظ و م، و في الأصل: ولما (٤) من ظ و م، و في الأصل: كانت (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: اثبت ذات (٦) من ظ و م، و في الأصل: اكد (٧) من ظ و م، و في الأصل: الاعمال (٨) في ظ وم: تبين. (٩-٩) من ظ و م، و في الأصل: المشابهة ما خرجت (١٠) زيد في الأصل: في، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

ان

"ان الله اصطفى" فى آل عمران المناظرة لهذه السورة، لذلك فتح الأمر بعد أم الكتاب بمتشابه[1] الحروف المقطعة، و ختم دون المعوذتين اللتين هما فى الحال المرتحل كالمقدمة، و الافتتاح بالتعوذ لأم الكتاب بمتشابه هو سورة الإخلاص، و كان متشابه أوله متشابها[2] من جميع وجوهه، لا يمكن أحدا أن يقول فيه قولا مقطوعا به أو مظنونا ظنا راجحا[3]، ٥ و متشابه آخره لا يقنع فيه بدون القطع فى أوله فيما كلفنا أمره فى هذه[4] الدار و هو أصول الدين، و وراء ذلك [ما - [5]] لا يدركه أحد من الأبرار و لا المقربين، و هو الذات الأقدس، فمن رجع متشابه الخلق فوق منزلته كفر، و من وضع متشابه الأمر عن رتبته العلية كفر، وجعل آخره أجلى من أوله من بعض الوجوه إشارة إلى ترقية الموفق فى أمره، ١٠ و أنه[6] فى الآخرة يكون[6] أجلى انكشافا و أوضح معرفة، و تلاه بالتعوذ إشارة إلى سؤال الاعتصام فى شأنه، و الحفظ التام فى مضمار عرفانه، و كرر بالتثنية لأجل الإحاطة بأمرى[7] الظاهر و الباطن[7]، و التأكيد تنبيها على صعوبة المرام، و خطر المقام.

و لما افتتح القرآن[8] بسورة مشتملة على جميع معانيه، ختم بسورتين ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لمتشابه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: متشابه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: راجيا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: يكون فى الآخرة. (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الباطن و الظاهر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المقام.

يدخل معناهما ، و هو التعوذ ، و يندب ذكره فى جميع أجزائه و مبانيه ،
و فى ذلك لطيفة أخرى عظيمة جدا ، و هى أنه لما علم بالإخلاص تمام
العلم و ظهور الدين / على هذا الوجه الأعظم ، لحصل بذلك غاية السرور ، ٩١٤ /
و كان التمام فى هذه الدار مؤذنا بالنقصان ، جاءت المعوذتان[1] لدفع شر
٥ ذلك ، و قد انقضى الكلام على ما يسره الله تعالى من كنوز معانى سورة
الإخلاص بحسب التركيب و النظم و الترتيب ، و بقى الكلام على ما فتح الله
به من أسرارها فى الدلالة على مقصود السورة بالنظر إلى كلماتها مفردة
ظواهر و ضمائر ثم حروفها ، ففيها من الأسماء الحسنى و الصفات العلى[2]
التى أسس عليها بنيانها ، و انبنت عليها أركانها ، خمسة هى العشر من كلمات
١٠ [آية - ٣] الكرسى كما أن الصلوات المكتوبات خمس و هى خمسون
فى أم الكتاب ، الحسنة بعشر أمثالها ، فمن لطائف إشاراتها أنها كدعائم
الدين الخمس ، فالضمير مشير[4] إلى تصحيح ضمير القلب بالإيمان ، و صحة
القصد و الإذعان ، حتى يقوم بناء العبادة ، و الاسم الأعظم إشارة[5] إلى
أن ذلك التصحيح لأجل التأله بالخضوع للإله الحق باستحضار اسمه الأعظم
١٥ كما أن[6] الصلاة أعظم عبادات البدن ، هذا للتهيئة فى الدخول فى العبادة ،
ثم إن الدخول فيها شرطه أحدية التوجه تحقيقا للصدق فى صحة العزم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المعوذات (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العليا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مشيرا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كان .

عليها كما أن الزكاة تكون مصدقة للايمان، و ذلك التوحيد فى التوحيد يكون لأجل الصدق فى التأله بما يشير[1] إليه إعادة الاسم الأعظم كما هو شأن الحاج الأشعث الأغبر المتجرد، و يكون ذلك التأله باستحضار افتقار العابد إلى المعبود و تداعيه إلى الهلاك بكل اعتبار لأنه أجوف[2]، و غنى المعبود على الإطلاق بما يشير إليه الاسم الإضافى الصمد كما هو ٥ شأن الصائم فى عبادته، و استحضاره لحقارته و شدة حاجته، و لجلالة مولاه، و تعاليه فى غناه، فمن صحت له هذه الدعائم الخمس كانت عبادته فى الذروة العليا من القبول، و إلا كان لها اسم الحصول من غير كثير محصول - و الله الموفق، و كونها خمس عشرة كلمة إشارة إلى أنهم فى السنة الخامسة عشرة من النبوة يعلمون - بغلبة قهره و سطوة سلطانه و تاييده للمستضعفين ١٠ من حزبه، و تقويته لهم فى وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة - أن مرسله لا كفوء له بعلم شهودى لايقدر أحد على تكذيبه و دفعه، فيقوم به دليل الإخلاص، و لات حين مناص، و إذا ضممت إليها الضمير الواجب الاستتار فى "قل" كانت [3]ست عشرة[3] إشارة إلى أنه فى السنة السادسة عشرة من النبوة و هى الثالثة من الهجرة فى[4] غزوة أحد يكون ١٥ الظاهر فيها اسمه تعالى الباطن، فانه كان فيها من المصيبة ما هو مذكور فى السير تفصيله من قتل سبعين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم منهم[5]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: احرف.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ستة عشر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فمنهم.

٩١٥ / حمزة بن عبد المطلب / رضى الله تعالى عنه عم رسول الله صلى الله عليه و سلم أسد الله و أسد رسوله صلى الله عليه و سلم، و ذلك بعد أن ظهر فيها النبي صلى الله عليه و سلم فى أول النهار، ظهورا بينا حتى كانت هزيمة الكفار، لاشك فيها - كما قال الله تعالى "و لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
٥ باذنه حتى إذا فشلتم و تنازعتم" - الآيات، ثم أخفى الله ذلك فى إزالة الكفار فى أثناء النهار، فهزم الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه و سلم منهم إلا نفر يسير جدا أكثر ما ورد فى عددهم[1] أنهم يقاربون الأربعين و هو ثابت بهم - صلى الله عليه و سلم - فى نحر العدو و هم نحو من ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس يحاولهم
١٠ و يصاولهم يشتملون عليه مرة و يفترقون عنه[2] أخرى ليعلم أن الناصر إنما هو الله سبحانه و تعالى وحده[3]. و قد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما نصر النبي صلى الله عليه و سلم فى موطن من المواطن ما نصر فى غزوة أحد، و قال أبو سفيان ابن حرب يوم إسلامه فى عام الفتح للنبي صلى الله عليه و سلم : ما قاتلتك[4] من مرة إلا ظهرت على، أظن لو كان مع الله غيره
١٥ لقد أغنى شيئا . و لكن الذى ظهر منها ما كان فى آخر النهار من ظهور الكفار . فأخفى الله تعالى نصره لنبيه صلى الله عليه و سلم فيها باسمه الباطن إلا على أرباب البصائر، فما علم ذلك [إلا - [5]] بوجه خفى جدا مناسبة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عددهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احد (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فاتتك .
(٥) زيد من ظ و م .

للضمير الباطن الواجب الاستتار، و إذا ضممت إلى ذلك الضميرين المسترين الجائزي[1] الظهور، فكانت الكلمات بذلك ثماني عشرة، كانت إشارة إلى أن في السنة الثامنة عشرة[2] من النبوة - و هي الخامسة من الهجرة - دلالة عظيمة على أنه لا كفوء له [3]يوجب الإخلاص على وجه هو[3] أجلى مما كان في غزوة أحد[4] و إن كان فيه نوع خفاء، وذلك ٥ في غزوة الأحزاب و بني قريظة حين رد الله الكفار بغيظهم لم ينالوا خيرا بعد أن كانوا في عشرة آلاف مقاتل غير بني قريظة، يقولون: إنه لا غالب لهم، و كفى الله المؤمنين القتال، [5]و كان الله قويا عزيزا قاهرا لهم[5] بريح و جنود لم يروها، و أمكن [من - [6]] بني قريظة، و كان الله قويا عزيزا، و ذلك في شوال و ذي العقدة سنة خمس من الهجرة. فاذا ١٠ ضممت إليها الضمير الآخر البارز[7] بالفعل في "له" فكانت تسع عشرة، كانت إشارة / إلى مثل ذلك على وجه [أجلى -[6]] في[8] عمرة الحديبية في / ٩١٦ ذي القعدة سنة ست من الهجرة، فانه كان فيها الفتح السبي الذي أنزل الله سبحانه و تعالى فيه سورة الفتح، و كان فيها من دلائل الوحدانية

(١) من ظ و م، و في الأصل: الجائزين (٢) من ظ و م، و في الأصل: الثانية عشرة، وزيد بعده في الأصل: كانت اشارة الى ان في السنة الثمانية عشر، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: على وجه يوجب الاخلاص (٤) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و في الأصل: من.

أمور كثيرة توجب الإخلاص، و إن كان في ذلك نوع خفاء مناسبة للضمير و إن كان بارزا بالفعل. فقد خفي على كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين حتى نبههم النبي صلى الله عليه و سلم، فاذا ضممت إليها كلمات البسملة الأربع كانت ثلاثا و عشرين توازي السنة العاشرة من
٥ الهجرة، و هي الثالثة و العشرون من النبوة، [١]و فيها كان[١] استقرار الفتح الأكبر و الإخلاص الأعظم بنفي الشرك و أهله من جزيرة العرب لحجة الوداع التي قال النبي صلى الله عليه و سلم فيها: [إن الشيطان -[٢]] قد أيس أن يعبد في أرض العرب. و لذلك توفي الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم عقبها بعد إظهار الدين و إذلال الكافرين و إتمام النعمة،
١٠ و قام سبحانه بنصر الأمة وحده بعد أن مهد أسباب النصر بنبيه صلى الله عليه و سلم حتى علم قطعا في الردة و أحوالها، و موج الفتنة و أهوالها، و غلبة رعبها على القلوب و زلزالها، في ذلك الاضطراب الشديد، أنه الإله وحده الذي لا كفوء له لحفظ الدين [٣]في حياة نبيه[٣] صلى الله عليه و سلم [و -[٤]] بعده، و كذا فيما بعد ذلك من فتوح البلاد، و إذلال
١٥ الملوك العتاة الشداد، مع ما لهم من الكثرة و القوة بالأموال و الأجناد[٥]، و التمكن العظيم في[٥] البلاد، و جعل النصر عليهم بأهل الضعف و القلة

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: كان فيها (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: بنبيه (٤) من ظ و م، و في الأصل: الأحد (٥) زيد في الأصل: العباد و. و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

آية

آية فى آية ، و دلالة بالغة فى ظهورها الغاية ، و إذا سلكت طريقا آخر فى الترتيب فى الكلمات الخطية و الاصطلاحية دلك على مثل ذلك بطريق آخر ، و ذلك أن تضم إلى الكلمات الخمس عشرة كلمات البسملة الأربع[1] لتكون تسع عشرة فنوازى سنة ست من الهجرة ، و ذلك سنة عمرة الحديبية التى سماها الله تعالى فتحا ، و أنزل فيها سورة الفتح ٥ لكونها كانت سبب الفتح الذى هو عمود الإخلاص ، فاذا ضممت إليها الضمير المستتر كانت عشرين ، فوازت سنه سبع التى كانت فيها عمرة القضاء ، فأظهر الله فيها الإخلاص على عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم بين أظهر المشركين فى البلد الذى كان بعثه منه و فيه على وجه ظهر فيه أنه لا كفوء له ، و لكن كان ذلك بوجه خفى ، فاذا ضممت إليها ١٠ الضميرين المستترين الجائزى البروز / كانت اثنتين[2] و عشرين موازية لسنة تسع سنة الوفود [و - ٣] دخول الناس فى [4]دين الله[4] أفواجا ، [5]فالإلهية من حيث هى تقتضى الوحدة ، و الوحدة لا تقتضى الالهية ، و عبر به دون الواحد لأن المراد الإبلاغ فى الوصف بالوحدة إلى حد لا يكون شىء أشد منه ، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما تحته من التشكيك ، ١٥ و الذى لا ينقسم بوجه أصلا أولى بالواحدانية مما ينقسم من بعض الوجوه ،

/ ٩١٧

(١) من ظ و م . و فى الأصل : الاربعة (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اثنين (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل و م : الدين (٥) العبارة فى م من هنا و فى ظ من « وعبر به » ساقطة إلى ما سننبه عليه ، و حذفها أولى إلا أنا أبقيناها على وجه الاحتياط .

و الذي ينقسم انقساما عقليا أولى مما ينقسم بالحس، [و -[1]] الذي ينقسم بالحس و هو بالقوة أولى من المنقسم بالحس بالفعل، و إذا ثبت أن الوحدة قابلة للأشد و الأضعف و أن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك (؟) كان الأكمل في الفعل الذي لا يمكن أن يكون شيء آخر أقوى منه فيها
٥ و إلا لم يكن بالغا أقصى المرام، و الأحد جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه، و أنه لا كثرة هناك أصلا، لا معنوية من المقولات من الأجناس و الفصول و لا بالأجزاء العقلية كالمادة و الصورة، و لا حسية بقوة و لا فعل كما في الأجسام، و ذلك لكونه سبحانه و تعالى منزها عن الجنس و الفصل و المادة و الصورة و الأعراض و الأبعاض و الأعضاء
١٠ و الأشكال و الألوان و سائر الوجوه وجوه التشبيه التي تثلم الوحدة الكاملة الحقة اللائقة بكرم وجهه و عز جلاله أن يشبهه شيء أو يساويه شيء لأن كل ما كانت هويته أن تحصل من اجتماع آخر كانت هويته موقوفة على تلك الأجزاء فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزها عن الكثرة بكل اعتبار و متصفا بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ هذا
١٥ النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما أعظم شأنه و أقهر سلطانه! فهو منتهى الحاجات، و من عنده نيل الطلبات، و لا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال و العظمة و البهجة أقصى نعوت الناعتين، و أعظم وصف الواصفين، بل القدر الممكن منه الممتنع أزيد منه هو الذي ذكره في كتابه العزيز، و أودعه وحيه المقدس الحكيم، و بالكلام على معناه
٢٠ و المعنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام أبو العباس الاقليشي في شرح

(١) زيد و لا بد منه.

الأسماء الحسنى، فمن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلهما مترادفين، و منهم من قال: أصل «أحد» واحد، أسقطت منه الألف، ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة مثل حسن يحسن فهو حسن - من الحسن، أبدلت الواو همزة، و أما من فرق بينهما فمنهم من قال: «أحد» على خياله، لا إبدال فيه و لا تغيير، ومنهم من قال: أصله وحد - أبدلت الواو همزة - انتهى. و قد استخلصت الكلام ٥ على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء الحسنى و غيرها، منها شرح الفخر الرازي و الفخر الحرالي و غيرهما - قالوا: الواحد الذي لا كثرة فيه بوجه لابقسمة و لابغيرها مع اتصافه بالعظمة / ليخرج الجوهر الفرد /٩١٨ و هو الذي لا يتثنى[1]، اى لاضد له و لاشبيه، فهو سبحانه و تعالى واحد بالمعنيين على الإطلاق لابالنظر إلى حال و لاشيء، قال الإمام أبو العباس ١٠ الاقليشي في شرح الأسماء الحسنى: هذه حقيقة الوحدة عند المحققين فلا يصح أن يوصف شيء مركب بها إلا مجازا كما تقول: رجل واحد ودرهم واحد، و إنما يوصف بها حقيقة ما حراله (؟) كالجوهر عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره علمت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجده له، و هو أيضا إنما يوصف به لحقارته، ١٥ و موجده سبحانه و تعالى موصوف به مع اتصافه بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، و الاتصاف بالجوهر بالنظر إلى عدم التركيب من الجسم مع صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة ذلك، و الوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثاني - و هو ما لا نظر له - لا تصح بالحقيقة إلا له سبحانه

(١) في الأصل: لا يتكنى.

و تعالى، و كل ما نوعيته فى شخصيته كالعرش و الكرسى و الشمس و القمر يصح أن يقدر لها نظائر، و لها معنى ثالث و هو التوحيد بالفعل و الإيجاد، فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شيء، و الفرق بين هذا الوجه و الذى قبله أن الأول ناظر إلى نفى إله ثان، و هذا ناف لمعين و وزير،
٥ و كلاهما وصف ذاتى سلبى، و الحاصل أن النظر الصحيح دل على أن لنا موجدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه نقص لقسمته بوجه من الوجوه، و بمعنى أنه معدوم النظير[1] بكل اعتبار، و معنى أنه مستبد بالفعل مستقل بالإيجاد و متوحد بالصنع منفرد بالتدبير، قضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع، و ورد به قواطع النقل
١٠ و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الخلق دعاؤه سبحانه و تعالى لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه و سلم للخلق كافة، و قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى آخر شرحه للأسماء الحسنى فى شرحه فى بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات: الواحد و سبع صفات الأحد المسلوب عنه النظير، و قال فى الشرح المذكور: الواحد هو الذى
١٥ لا يتجزى ولا يثنى، أما الذى لا يتجزى فكالجوهر الذى لا ينقسم فيقال عنه: إنه واحد - بمعنى أنه لا جزء له، و كذلك النقطة لا جزء لها، و الله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام فى ذاته، و أما الذى لا يثنى فهو الذى لا نظير له كالشمس مثلا فانها - و إن كانت قابلة الانقسام بالوهم - متحيزة فى ذاتها / لأنها من قبيل الأجسام فهى لا نظير لها إلا أنه يمكن ٩١٩ /
٢٠ لها نظير، و ليس فى الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا

(١) فى الأصل: النظر.

لا يتصور

لايتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد المطلق أزلا و أبدا، و العبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له فى أبناء جنسه نظير فى خصلة من خصال الخير، و ذلك بالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا الله سبحانه و تعالى، و قال محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى مقدمة كتاب الملل و النحل : و اختلفوا فى الواحد أهو من العدد أم ٥ مبدأ العدد و ليس داخلا فى العدد، و هذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراط لفظ الواحد أيضا، فالواحد يطلق به و يراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لامعنى له إلا واحد تكرر أول تكرير و كذا الثلاثة و الأربعة، و يطلق و يراد به ما يحصل منه العدد الذى هو علة، و لايدخل فى العدد الذى لايتركب منه العدد، و قد يلازم الواحدية جميع الأعداد ١٠ لاعلى أن العدد يتركب بها بل و كل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد، يقال: إنسان واحد. و فى العدد أنه لا كفوء له و لكن كان ذلك بوجه خفى، فاذا ضممت إليها الضميرين المستترين الجائزى البروز كانت اثنين و عشرين موازية لسنة تسع سنة الوفود و دخول الناس فى الدين أفواجا، [1]و حجة أبى بكر رضى الله عنه و تطهير المسجد الحرام ١٥ من نجس الإشراك بالبراءة من المشركين و زجرهم عن[2] أن يحج بعد[3] ذلك العام مشرك، و نهيهم عن قربانهم المسجد الحرام لأنهم نجس، و انتشار الإخلاص فى أغلب بلاد[4] العرب، و ذلك أجلى مما مضى مناسبة

(١) و من هنا تستأنف العبارة فى ظ و م (٢) فى ظ : من (٣) من ظ و م، و فى الأصل : فى (٤-٤) فى ظ و م، و فى الأصل : دار

لما دل عليه، و فيه نوع خفاء عند من كان بقي من المشركين، و إذا ضممت إليها الضمير الآخر البارز بالفعل كانت ثلاثا و عشرين[1] توازي سنة حجة الوداع سنة عشر[2]، و هي التي تم فيها الإخلاص و لم يحج بها مشرك، و أيس الشيطان فيها أن يعبد في جزيرة العرب، و [في -[3]] ذلك - لكون

٥ الكلمة ضميرا - نوع يسير من الخفاء بما دل عليه بعد ذلك من الردة، و كان ذلك أنسب الأشياء بالكلمة المتحملة لذلك الضمير و هي له، هذا ما يسره الله من أسرار كلماتها بحسب الأعداد، و أما حروفها فمن الأسرار العظيمة أنها[4] صفة الله، و أن حروفها مع البسملة بالنظر إليها من حيث اللفظ و كذا من حيث الرسم ستة[5] و ستون حرفا، و كذا

١٠ عدة حروف الجلالة الملفوظة و كذا المرسومة بحساب الجمل، فكل ما دعت إليه هو مدلول هذا الاسم الأعظم، و هذه العدة إذا أخذت من أول مولد[6] النبي صلى الله عليه و سلم كان آخرها منطبقا على سنة موت صديقه الأكبر الذي سبق غيره بما وقر في صدره / و هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه، و ذلك دلالة على أنه لا يوازيهما أحد في الإخلاص، و أنهما

/٩٢٠

١٥ وصلا فيه إلى الرتبة العليا، و إن كان النبي صلى الله عليه و سلم أعلى الخلق فيه، و في ذلك أيضا دلالة على أنه لا كفوء له لأنه نفي الإشراك

(١) من ظ و م، و في الأصل: عشر (٢) من ظ و م، و في الأصل: عشرة.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: انه (٥) من ظ و م، و في الأصل: ست (٦) في ظ: براءة.

بحذافيره من جميع جزيرة العرب بعد أن كانوا مطبقين عليه، و أطلقهم[1] سبحانه و تعالى على من يليهم من [ملوك -[2]] الأمم حتى أظهر الله بهم الدين - و قد كانوا أذل الأمم - على الدين كله، و نفوا جبارة الملوك صغرة بعد أن [3]كان عندهم أنه[3] لا غالب لهم، و حروفها الملفوظة هي بعدد [كلمات -[2]] آيات التوحيد، و هي آية الكرسي أعظم آية في القرآن، ٥ و ذلك خمسون حرفا إلا واحدا[4] هو ألف "كفؤا" الذي هو مرسوم غير ملفوظ، و هو الدال على الضمير الذي هو غيب الغيب، [فهو غيب -[5]] من جهة عدم اللفظ به، و وجود و ظهور من جهة شاهد الرسم و مسموع الاسم، كما أن الذات غيب محض من جهة الحقيقة يدرك بمشاهدة الأفعال، و مسموع الأسماء العوال - و الله الهادي [6]من الضلال[6]. ١٠

(١) في ظ: اطلقه (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م، و في الأصل: كانوا (٤) من ظ و م، و في الأصل: واحد (٥) زيد من م (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة الفلق [1]

مقصودها الاعتصام من[2] شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر و الباطن، و اسمها ظاهر الدلالة على[3] ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له جميع الحول ﴿ الرحمن ﴾ الذى استجمع كمال الطول ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى أتم على أهل وداده جميل ٥ النول بالسلام من علىّ القول.

لما افتتح سبحانه و تعالى هذا[4] الذكر[5] الحكيم بالهداية فى قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " و بالهداية و التقوى التى هى شعار التائب فى قوله تعالى " هدى للمتقين " و ذلك أول منازل السائرين، و ختم بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه، و تقرير الإخلاص ١٠ فيه كما يشعر به الأمر بـ " قل " و ذلك[6] هو نهاية المقامات عند العارفين، فتم بذلك الدين، و انتهى سير السالكين، و ختم الإخلاص المقررة لذلك بأنه تعالى لا كفوء له، فتوفرت الدواعى على الانقطاع إليه و العكوف عليه

وألقت[7] عصاها و اطمأن بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

أمر بالتعوذ برب هذا الدين، موافقة لإياك نعبد و إياك نستعين، من

(١) الثالثة عشرة بعد المائة من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ٥.
(٢) زيد فى الأصل و ظ: كل، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر (٦) من ظ و م. و فى الأصل: هذا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: النفت.

شر ما يقدح فيه بضرر فى الظاهر أو فى الباطن[1] وهم الخلائق حتى على الفنا فى الغنا ، و بدأ بما يعم شياطين الإنس و الجن فى الظاهر و الباطن. ثم اتبع بما يعم القبيلين[2] و يخص الباطن الذى يستلزم صلاحه صلاح الظاهر، إعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر ، و فى ذلك إشارة ٥ إلى الحث على معاودة القراءة[3] من أول / القرآن كما يشير إليه قوله تعالى / ٩٢١ "فاذا قرأت القرآن - أى أردت قراءته - فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" فقال تعالى: ﴿ قل ﴾ أى لكل من يبلغه القول من جميع الخلائق تعليما لهم و أمرا ، فانهم كلهم مربوبون مقهورون لا نجاة لهم فى شيء من الضرر إلا بعصمته سبحانه و تعالى، فعلى كل منهم أن يفزع أول ما تصيبه ١٠ المصيبة إلى مولاه القادر على كشفها تصحيحا لتوكله فانه يرتقى بذلك إلى حال الرضا بمر القضاء ، و لا يأخذ فى الاعتماد على جلادته و تدبيره بحوله و قوته فانه يشتد أسفه و لا يرد[4] ذلك عنه[4] شيئا : ﴿ أعوذ ﴾ [أى -[5]] أستجير و التجئ و أعتصم و أحترز .

و لما كان هذا المعنى أليق شيء بصفة الربوبية لأن الإعاذة من المضار ١٥ أعظم تربية قال : ﴿ برب الفلق ٥ ﴾ أى الذى يربيه و ينشئ منه ما يريد ، و هو الشيء المفلوق بايجاده[6] ظلمة العدم كالعيون التى فلقت بها ظلمة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : بالباطن (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : القبلين. (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : القرآن (٤-٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عند ذلك (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : من ، و فى ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

الأرض و الجبال، و كالأمطار التى فلقت بها ظلمة الجو و السحاب، و كالنبات الذى فلقت به ظلمة الصعيد، و كالأولاد التى فلقت بها ظلمة الأحشاء، و كالصبح الذى فلقت به ظلمة الليل، و ما كان من الوحشة إلى ما حصل من ذلك من الطمأنينة و السكون و الأنس و السرور إلى ٥ غير ذلك من سائر المخلوقات، قال الملوى: و الفلق - بالسكون و الحركة: كل شيء انشق عنه ظلمة العدم و أوجد من الكائنات جميعها[1] - انتهى، و خص فى العرف بالصبح فقيل: فلق الصبح، و منه قوله تعالى "فالق الاصباح" لأنه ظاهر فى تغير الحال و محاكاة يوم القيامة الذى هو أعظم فلق يشق ظلمة الفنا و الهلاك بالبعث و الإحياء، فان القادر على ما قبله ١٠ بما نشاهده قادر عليه، لأنه لافرق، بل البعث أهون فى عوائد الناس لأنه إعادة، كذا سائر الممكنات، و من قدر على ذلك قدر على إعاذة المستعيذ من كل ما [2]يخافه و[2] يخشاه.

و لما كانت الأشياء قسمين: عالم الخلق، و عالم الأمر، و كان عالم الأمر خيرا كله، فكان الشر منحصرا فى عالم الخلق خاصة بالاستعاذة ١٥ فقال تعالى معمما فيها: ﴿من شرما خلق﴾ أى من كل شيء سوى الله تعالى عز و جل و صفاته، و الشر تارة يكون اختياريا من العاقل[3] الداخل تحت مدلول "لا" وغيره من سائر الحيوان كالكفر و الظلم و نهش السباع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جميعا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: العقل.

و لدغ ذوات السموم، و تارة طبيعيا كاحراق النار و إهلاك السموم.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: قد أشير - أى فى الكلام على أرتباط الإخلاص - إلى وجه ارتباطها آنفا، و ذلك واضح إن شاء الله تعالى - انتهى.

و لما كان عطف الخاص على العام يعرف بأن ذلك الخاص / ٥ / ٩٢٢ أولى [1]أفراد العام[1] بما ذكر له من الحكم، و كان شر الأشياء الظلام، فانه أصل كل فساد، و كانت شرارته مع ذلك و شرارة السحر و الحسد خفية، خصها بالذكر من بين ما عمه الخلق لأن الخفى يأتى من حيث لايحتسب الإنسان[2] فيكون أضر. و لذا[3] قيل: شر العداة المداجى، و كانت مادة "غسق" تدور على الظلام و الانصباب، فالغسق - محركة[4]: ١٠ ظلمة أول الليل، و غسقت العين: أظلمت أو دمعت. و اللبن: انصب من الضرع، و الليل: اشتدت ظلمته، و الغسقان - محركة: الانصباب، و الغاسق: القمر، و كأنه سمى به لسرعة سيره و انصبابه فى البروج و لأنه ليس له من نفسه إلا الإظلام، و الثريا - إذا سقطت - [5]و الله أعلم[5]، قال فى القاموس: لكثرة الطواعين و الأسقام عند سقوطها، ١٥ و الذكر - إذا قام، كما قاله جماعة و روى عن ابن عباس[6] رضى الله

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: افرد العالم (٢) وقع فى الأصل بعد «يأتى» والترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كذا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: محرك (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) راجع القاموس.

عنهما، و هو سبب للجهل الذي هو ظلام كله. فقال تعالى: ﴿ومن شر غاسق﴾ أي مظلم بارد منصب ظلامه و برده سواء كان أصلا في الظلام حسيا أو معنويا أو كان حاملا عليه مثل الذكر إذا قام لما يجر إليه من الوساوس الرديئة لغلبة الشهوة و استحكام سلطان الهوى، و مثل القمر لما يحدث منه من الرطوبات المفسدة للأبدان و غير ذلك اذ سبابا له غاية القوة كانصباب ما يفيض عن امتلاء في انحدار، و نكّره إشارة إلى أنه ليس كل غاسق مذموما - [1]و الله أعلم[1].

و لما كان الشيء الذي[2] اتصف بالظلام يكثف فيشتد انصبابه و أخذه في السفول إلى أن يستقر و يستحكم فيما صوب إليه مجتمعا جدا كاجتماع الشيء في الوقبة و هي النقرة في الصخرة، و كان الظلام لا يشتد أذاه إلا إذا[3] استقر و ثبت[4]، قال معبرا بأداة التحقق: ﴿اذا وقب ﴾ أي اعتكر ظلامه و دخل في الأشياء بغاية القوة كدخول الثقيل الكثيف المنصب في النقرة التي تكون كالبئر في الصخرة الصماء الملساء، و هذا إشارة إلى أنه يسهل علاجه و زواله قبل تمكنه، و في الحديث[5]: لما رأى الشمس قد وقبت قال: هذا حين حلها - يعني صلاة المغرب، و فيه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م، و زيد أيضا بعده في الأصل: و قال بعضهم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و في الأصل: اذا (٣) زيد في الأصل: انتصف و، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها. (٤) زيد في الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) راجع النهاية - وقب.

عند

عند أبي يعلى[1] أنه قال لعائشة رضى الله تعالى عنها عن القمر: تعوذى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب . و أكثر الأقوال أنه الليل، خص بالاستعاذة لأن المضار فيه تكثر و يعسر دفعها[2] ، و أصل الغسق الظلام، و يلزم منه الامتلاء ، و قيل : إن الامتلاء هو الأصل ، و أصل الوقوب / الدخول فى وقبة أو[3] ما هو كالوقبة و هى النقرة . ٥ / ٩٢٣

و لما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم فى العروق الداخل فى وقوبها . لما فيه من تفريق المرء من زوجه و أبيه و ابنه ، و نحو ذلك ، و ما فيه من ضنى الأجسام و قتل النفوس ، عقب ذلك بقوله تعالى : ﴿ و من شر ﴾ .

و لما كان كل ساحر شريرا بخلاف الغاسق و الحاسد ، و كان السحر ١٠ أضر من الغسق و الحسد من جهة أنه شر كله ، و من جهة أنه أخفى من غيره ، و كان ما هو منه من النساء أعظم لأن مبنى صحته و قوة تأثيره قلة العقل و الدين و رداءة الطبع و ضعف اليقين و سرعة الاستحالة ، و هن أعرق فى كل من هذه الصفات و أرسخ، و كان ما وجد منه من جمع و على وجه المبالغة أعظم من غيره عرف و بالغ و جمع و أنث ١٥ ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى : ﴿ النفّٰثٰت ﴾ [أى النفوس -[4]] الساحرة سواء كانت نفوس الرجال أو نفوس النساء أى

---

(١) راجع المعالم ٧ / ٢٦٩ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نفعها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٤) زيد من ظ و م .

التى تبالغ فى النفث و هو التفل و هو النفخ مع بعض الريق - هكذا فى الكشاف، و قال صاحب القاموس: و هو كالنفخ[1] و أقل من التفل، و قال: تفل: بزق، و فى التفسير عن الزجاج أنه التفل بلا ريق، ﴿فى العقدِ﴾ [أى -[2]] تعقدها للسحر فى الخيوط و ما أشبهها[3]، و سبب ٥ نزول ذلك أن يهوديا سحر النبى صلى الله عليه و سلم فمرض كما يأتى تخريجه، فان السحر يؤثر باذن الله تعالى المرض و يصل إلى أن يقتل، فاذا أقر الساحر أنه قتل بسحره و هو مما[4] يقتل غالبا قتل بذلك عند الشافعى، و لاينافى قوله تعالى "و الله يعصمك من الناس" كما مضى بيانه فى المائدة، و لايوجب ذلك صدق الكفرة فى وصفه صلى الله عليه ١٠ و سلم بأنه مسحور، فانهم ما أرادوا إلا الجنون أو ما يشبهه من فساد العقل و اختلاله، و المبالغة فى أن كل ما يقوله لاحقيقه له كما ان ما ينشأ عن المسحور يكون مختلطا لاتعرف حقيقته.

و لما كان أعظم حامل على السحر و غيره من أذى الناس الحسد، و هو تمنى زوال نعمة المحسود:

١٥ [5]و داريت كل الناس إلا لحاسد ° مداراته عزت و شق نوالها
و كيف يدارى المرء حاسد نعمة ° إذا كان لايرضيه إلا زوالها

قال[6] تعالى: ﴿و من شر حاسد﴾ أى ثابت الاتصاف بالحسد معرق

(١) من ظ و م، و فى الأصل: النفخ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشبهتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٥) سقط البيتان من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فقال.

فيه، و نكره لأنه ليس كل حاسد مذموما، و أعظم الحسدة الشيطان الذى ليس له دأب إلا السعى فى إزالة نعم العبادات عن الإنسان / بالغفلات.

/ ٩٢٤

و لما كان الضار من الحسد إنما هو ما أظهر و عمل بمقتضاه بالإصابة بالعين أو غيرها قال مقيدا[1] له: ﴿ إذا حسد ﴾ أى حسد بالفعل بعينه ٥ الحاسدة، و [أما -[2]] إذا لم يظهر الحسد فانه لا يتأذى به إلا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره، و فى إشعار الآية الدعاء بما يحسد عليه من نعم[3] الدارين لأن خير الناس من عاش محسودا و مات محسودا، و من لم يلق بالا للدعاء بذلك[4] و يهتم بتحصيل ما يحسد عليه ضحك منه إبليس إذا تلا هذه الآية لكونه ليس له فضيلة يحسد عليها، و لعله عبر بأداة التحقيق ١٠ إشعارا بأن من كان ثابت الحسد متمكنا من الاتصاف به بما أشعر به التعبير بالوصف تحقق منه إظهاره، و لم يقدر على مدافعته فى الأغلب إلا من عصم الله تعالى، و قد علم بكون الحسد علة السحر - الموقع فى القتل الذى هو أعظم المعاصى بعد الشرك و فى الشرك، لأنه لا يصح غاية الصحة إلا مع الشرك[5] - أن الحسد شر ما انفلق عنه ظلام العدم، و الشاهد لذلك ١٥ غلبته على الأمم السالفة و تحذير الأمة[6] التى هى خير أمة أخرجت للناس

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: معيدا (٢) زيد من هامش م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: نعمة (٤-٤) من م، و فى الأصل: الا بالدعاء كذلك، و فى ظ: بالا بالدعا لذلك (٥) فى م: مشرك (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لامته.

منه بشهادة هاديها صلى الله عليه و سلم، أخرج الإمام أحمد[١] و أبو داود[٢] الطيالسي عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : دب[٣] إليكم داء[٤] الأمم قبلكم : الحسد و البغضاء، ألا والبغضاء هي الحالقة، لا أقول : إنها تحلق الشعر و لكن تحلق الدين . و في الباب[٥] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و ابن مسعود رضى الله عنه، و أعظم أسباب[٦] الحالقة أو كلها الحسد، فعلم بهذا رجوع آخر السورة على أولها، وانعطاف مفصلها على موصلها، و من أعيذ من هذه المذكورات انفلق (؟) سماء قلبه عن شمس المعرفة بعد ظلام ليل الجهل، فأشرقت[٧] أرجاؤه بأنوار الحكم، إلى أن يضيق الوصف له عن بدائع الكشف :

١٠ هناك ترى ما يملأ العين قرة و يسلي عن الأوطان كل غريب

فينقطع التعلق عما سوى الله بمحض الاتباع و البعد عن الابتداع بمقتضى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" و قد بطل بالأمر بالاستعاذة قول الجبرية : إنا كالآلة لافعل لنا أصلا، و إنما نحن كالحجر لايتحرك إلا بمحرك، لأنه لو كان هو المحرك لنا بغير اختيار لم يكن للأمر ١٥ فائدة، و قول القدرية : إنا نخلق أفعالنا، و قول الفلاسفة : [إنه - [٨]]

(١) راجع المسند ١ / ١٦٧ (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و في الأصل : رب (٤) من ظ و م، وفي الأصل : دا الحسد - كذا (٥) من ظ و م، و في الأصل : اللباب (٦) من م، و في الأصل و ظ : الاسباب (٧) زيد في الأصل : انو اره و، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م .

إذا

إذا وجد السبب و المسبب حصل التأثير من غير / احتياج إلى ربط إلهى ٩٢٥ /
كالنار و الحطب ، لأنه لو كان ذلك لكانت[1] هذه الأفعال المسببات [إذا
وجدت من فاعليها الذين هم الأسباب ، أو الأفعال التى هى الأسباب -[2]] ،
و المسببات التى هى الأبدان المراد تأثيرها أثرت و لم تنفع الاستعاذة ،
و الشاهد خلافه ، و ثبت قول الأشاعرة أهل السنة و الجماعة أنه إذا ٥
وجد السبب و المسبب توقف وجود الأثر على إيجاد الله تعالى ، [3]فان أنفذ[3]
السبب وجد الأثر ، و إن لم ينفذه[4] لم يوجد ، و السورتان معلمتان بأن البلايا
كثيرة و هو قادر على دفعها ، فهما حاملتان على الخوف و الرجاء ، و ذلك
هو لباب العبودية ، و سبب نزول المعوذتين على ما نقل الواحدى عن
المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين و البغوى[5] عن ابن عباس و عائشة ١٠
رضى الله عنهم أن غلاما من اليهود كان يخدم النبى صلى الله عليه و سلم
فدبت[6] إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة[7] رأس النبى صلى الله
عليه و سلم و عدة أسنان من مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها ، و تولى
ذلك لبيد بن الأعصم اليهودى ، فرض رسول الله صلى الله عليه و سلم
و انتشر شعر رأسه ، و يرى أنه يأتى النساء و لا يأتيهن ، يذوب و لا يدرى ١٥
ما عراه ، فبينا هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لكان (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فاذا نفذ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لم ينفذ (٥) راجع المعالم ٧ / ٢٧٦ (٦) فى ظ : فدست (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ما شطة .

و الآخر عند رجليه، فقال الذى عند رجليه للذى عند راسه: ما بال
الرجل؟ قال: طب، قال: و ما طب؟ قال: سحر، قال: و من سحره؟
قال: لبيد بن الأعصم اليهودى، قال: و بما طبه؟ قال: بمشط و مشاطة[1]،
قال: و أين هو؟ قال: فى جف طلعة ذكر تحت راغوفة فى بئر ذروان -
٥ بئر[2] فى [بنى -[3]] زريق . و الجف: قشر الطلع، و الراغوفة: حجر
فى اسفل البئر يقوم عليه المائح، فانتبه النبى صلى الله عليه و سلم و قال
[4]لعائشة رضى الله عنها[4]: يا عائشة! أما شعرت أن الله أخبرنى بدائى! ثم
بعث عليا و الزبير و عمار بن ياسر رضى الله عنهم فنزحوا البئر كأنه[5]
نقاعة الحناء، ثم نزعوا الصخرة [و أخرجوا الجف -[3]] فاذا فيه مشاطة[1]
١٠ رأسه و أسنان مشطه، و إذا و تر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة
بالإبر، فأنزل الله سبحانه و تعالى سورتى المعوذتين، و هما [6]إحـــدى
عشرة آية: الفلق خمس[7] و الناس ست، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة،
و وجد رسول الله صلى الله عليه و سلم خفة حتى[8] انحلت العقدة الأخيرة فقام
كأنما نشط من عقال، و جعل جبرئيل عليه الصلاة والسلام يقول: بسم الله
١٥ أرقيك من كل شيء يؤذيك و من حاسد و عين و الله يشفيك. فقالوا:

---

(١) من ظ، و فى الأصل و م: ماشطة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بين .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ
و م، و فى الأصل: كأنها (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: احد عشر
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: خمسة (٨) من ظ و م، و فى الأصل:
حين .

يا رسول الله ! [1]أفلا نأخذه فنقتله؟ فقال: أما أنا فقد شفاني الله، و أكره
أن أثير على الناس شرا. و في رواية أنه[2] صلى الله عليه و سلم أتى
البئر بنفسه ثم رجع / إلى عائشة رضي الله عنها فقال: و الله لكأن[3] /٩٣٦
ماءها نقاعة الحناء، لكأن نخلها رؤس الشياطين، فقلت له: يا رسول الله!
هلا أخرجته؟ فقال: أما أنا فقد شفاني الله، و كرهت أن أثير على ٥
الناس منه شرا. و يجمع بأنه أتاها صلى الله عليه و سلم بنفسه الشريفة
فلم يخرجه ثم إنه وجد بعض الآلم فأرسل إليه، فأخرجه فزال [الآلم - [4]]
كله، و روى البخاري[5] و مسلم[6] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر
النبي صلى الله عليه و سلم حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء و ما فعله
حتى إذا كان ذات يوم و هو عندي دعا الله و دعاه، ثم قال: أشعرت ١٠
يا عائشة أن الله تعالى [قد - [7]] أفتاني فيما استفتيته فيه، قلت: و ما ذاك
يا رسول الله، [قال - [4]]: أتاني ملكان - فذكره، و روى النسائي في المحاربة[8]
من سننه و أبو بكر ابن أبي شيبة[9] و أحمد بن منيع و عبد بن حميد
و أبو يعلى[10] الموصلي في مسانيدهم و البغوي في تفسيره[11] كلهم عن زيد
ابن أرقم رضي الله عنه قال: كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه ١٥

---

(١) من ظ وم، وفي الأصل: ان لا يأخذه نقتله (٢) من ظ وم، وفي الأصل: ان النبي (٣) من ظ وم، و في الأصل: كان (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع صحيحه - الطب (٦) راجع صحيحه - السلام (٧) زيد من م (٨) راجع سحرة أهل الكتاب (٩) راجع المصنف ٨ / ٢٩ (١٠) من ظ و م، و في الأصل: ابي يعلى (١١) راجع المعالم ٧/ ٢٦٧.

و سلم فأخذ له فسحر النبي صلى الله عليه و سلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل عليه الصلاة و السلام فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد[1] لك عقدا فى بئر كذا و كذا. [2]أو قال: فطرحه[2] فى بئر رجل من الأنصار، فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستخرجوها ٥ فجيء بها فحلها رسول الله صلى الله عليه و سلم، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي و لا رآه فى وجهه[3] قط، و فى رواية: فأتاه ملكان يعوذانه فقعـد أحدهما عند رأسه و الآخر عنـد رجله فقال أحدهما: أتدرى ما وجعه[4]؟ قال: كان الذى يدخل عليه عقد له و ألقاه ١٠ فى بئر، فأرسل إليه رجلا، و فى رواية: عليا رضى الله عنه، فأخذ العقد فوجد الماء قد اصفر، قال: فأخذ العقد فحلها فبرأ. فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه و سلم فلم يذكر[5] له شيئا و لم يعاتبه فيه. و هذا [6]الفضل لمنفعة[6] المعوذتين كما منح الله به[7] رسوله صلى الله عليه و سلم فكذا تفضل به على سائر أمتـه. و روى أبو داود و الترمذى ١٥ - و قال: حسن صحيح - و النسائى[8] مسندا أو مرسلا - قال النووى: بالأسانيد

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تعقد (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من ظ و م، و فى الأصل: وجـه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: رجعه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم يـذكر (٦-٦) من م، و فى الأصل: الفعل بمنعه، و فى ظ: الفضل بمنعه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بنبيه و (٨) راجع السنن - الاستعاذة.

الصحيحة

الصحيحة - عن عبد الله بن خبيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ قل هو الله أحد و المعوذتين حين تمسى[1] وحين تصبح [ثلاث مرات -[2]] يكفيك[3] كل شيء. و الأحاديث في فضل [هذه -[2]] [4]السور الثلاث[4] كثيرة جدا. و جعل التعويذ / في سورتين ٩٢٧ /
إشارة إلى استحباب تكريره، و جعلتا إحدى عشرة آية ندبا إلى تكثيره ٥
في تكريره، و قدمت الفلق التي خمس آيات مع ما مضى من المناسبات لأن اقترانها بسورة التوحيد أنسب، و شفعها بسورة الناس التي هي ست آيات أنسب، ليكون الشفع بالشفع، و الابتداء بالوتر بعد سورة الوتر، و حاصل هذه السورة العظمى في معناها الأبدع الأسمى الاستعاذة بالله بذكر اسمه "الرب" المقتضي للاحسان و التربية بجلب النعم و دفع النقم ١٠
من شر ما خلق و من السحر و الحسد، كما كان أكثر البقرة[5] المناظرة لها في رد المقطع على المطلع لكونها ثانية من الأول كما أن هذه ثانية من الآخر في ذكر أعداء النبي صلى الله عليه و سلم الحاسدين له على ما أوتي من النعم، و في تذكيرهم بما منحهم من النعم التي كفروها، و أكثر ذلك في بني إسرائيل الذين كانوا[6] أشد الناس حسدا له صلى الله عليه ١٥
وسلم، و كان من أعظم ما ضلوا[7] به السحر المشار إليه بقوله تعالى

---

(١) من ظ وم، و في الأصل: تمشى (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد في الأصل: الله، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٤-٤) من م، وفي الأصل: السورتين، وفي ظ: السور (٥) من ظ و م، و في الأصل: البقرية (٦) زيد في الأصل: الذين، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و في الأصل: قبلوا.

"و اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان" حتى قال: "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه" إلى أن قال "ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم" و كان السحر من أعظم ما أثر في النبي صلى الله عليه و سلم من كيدهم حتى أنزل[1] فيه المعوذتان، و كان الساحر له منهم، و قد انقضى ما يسر الله من الكلام على انتظام معانيها بحسب تركيب كلماتها، و بقي[2] الكلام على كلماتها من حيث العدد، فيما تشير إليه من البركات و المدد[3]، هي ثلاث و عشرون كلمة إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم في السنة[4] الثالثة و العشرين من النبوة يأمن من أذى حاسديه، و ذلك بالوفاة عند[5] تمام الدين و يأس الحاسدين من كل شيء من الأذى في الدين و الدنيا، و خلاص النبي صلى الله عليه و سلم من كل كدر، فاذا ضممت إليها الضمائر و هي خمسة كانت ثماني و عشرين، و هي توازى سنة خمس عشرة من الهجرة، و ذلك عند استحكام أمر عمر رضي الله عنه في السنة الثانية من خلافته[6] ببث العساكر و إنفاذه إلى ملك الفرس و الروم و تغلغل هيبته في قلوبهم و تضعضع الفرس بغلب العرب على رستم أكبر أمرائهم، و الروم بغلبهم على ماهان أعظم رؤسائهم. فاضمحل أمر المنافقين [7]و الحاسدين[7]، و أيسوا

(١) من ظ و م، و في الأصل اثر (٢) من ظ و م، و في الأصل: نفي. (٣) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: عن (٦) من ظ و م، و في الأصل: خلافة (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط.

من [تأثير -[1]] أدنى كيد من أحد من الكائدين. فاذا ضم إليها اربع
كلمات البسملة كانت / اثنتين و ثلاثين، إذا حسبت[2] من أول النبوة وازتها / ٩٢٨
السنة التاسعة عشرة من الهجرة، و فيها كان فتح قيسارية [الروم -[3]]
من بلاد الشام، و بفتحها كان فتح جميع بلاد الشام، لم يبق بها بلد
إلا و هى فى أيدى المسلمين، فزالت عنها دولة الروم، و فيها أيضا كان ٥
فتح جلولاء من بلاد فارس و كان فتحا[4] عظيما جدا هدّ أجنادهم و ملوكهم،
و لذلك سمى فتح الفتوح، و حصل حينئذ أعظم الخزى[5] للفرس و الروم
الذين هم أحسد الحسدة، لما كان لهم من العزة و القوة بالأموال و الرجال،
و إن حسبت من الهجرة وازتها سنة انقراض ملك أعظم الحسدة
الأكاسرة الذين[6] شقق ملكهم كتاب النبى صلى الله عليه و سلم، و أرسل ١٠
إلى عامله باذان - الذى كان استخلفه[7] على بلاد اليمن - يأمره أن يغزو النبى
صلى الله عليه و سلم، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه و سلم بأنه يقتله سبحانه
فى ليلة سماها، فلما أتت تلك الليلة أخبر النبى صلى الله عليه و سلم رسل
باذان بذلك، فرجعوا إلى باذان فأخبروه فقال: إن كان صادقا فسيأتى
الخبر فى يوم كذا، فأتى الخبر [8]فى ذلك[8] اليوم بصدقه صلى الله عليه ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م . وفى الأصل و ظ : حسبتها (٣) زيد من ظ .
(٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فتحها (٥) من م ، و فى الأصل : القره ، وفى
ظ : القرى (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى (٧) من ظ ، و فى الأصل
و م : استخلفهم (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بذلك .

و سلم [فأسلم - [1]] باذان و من معه من الأبناء الذين كانوا فى بلاد اليمن لم يتخلف منهم أحد، و أوفد منهم وفدا على النبي صلى الله عليه و سلم بذلك، و تولى الله و رسوله صلى الله عليه و سلم - رضى الله عنهم [2] و الله أعلم [2] .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الناس [١]

مقصودها الاعتصام بالإله[٢] الحق من شر الخلق الباطن، و اسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، و أكثر شره بالمكر و الخداع، و أحسن من هذا أنها الاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فان الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهى، و الناس مشتق من الأنس، فان ٥ أصله أناس، و هو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى، و مقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذى هو المراقبة، و هى شاملة لجميع علوم القرآن التى هى مصادقة الله و معاداة الشيطان ببراعة الختام[٣] و فذلكة النظام[٤]، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال، و رعاية [٥]الجلال و الجمال[٥]، فقد اتصل ١٠ الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، و الدليل بالمدلول، و المثل بالممثول، و الله المسؤل فى تيسير السؤل، و تحقيق المأمول، [٦]فانه الجواد ذو الطول، و به يستعان و عليه التكلان[٦]: / ﴿ بسم الله ﴾ المحيط [علما - [٧]] بكل ٩٢٩ /

(١) آخر سورة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٦ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: باله (٣) من م، و فى الأصل و ظ: النظام (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الختام (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الجمال و الجلال. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م.

باطن كاحاطته بكل ظاهر ﴿الرحمن﴾ الذى عمت نعمته[1] كل باد و حاضر ﴿الرحيم ٥﴾ الذى خص أولياءه باتمام النعمة عليهم فى جميع أمورهم الأول منها و الأثناء و الآخر.

لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار ٥ البدنية و غيرها العامة للانسان و غيره[2]، و ذلك هو جملة الشر الموجود فى جميع الأكوان و الأزمان، ثم وقع فيها التخصيص بشرور[3] بأعيانها من الفاسق و الساحر و الحاسد، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التى ترجع إلى ظلم الغير، و المعايب الداخلة التى ترجع إلى ظلم النفس، و لكنها فى المصائب أظهر، و ختمت بالحسد فعلم أنه أضر المصائب، ١٠ و كان أصل ما بين [4]الجن و الإنس[4] من العداوة الحسد، جاءت سورة الناس متضمنـــة للاستعاذة من شر خاص، و هو الوسواس، و هو أخص من مطلق الحاسد، و يرجع إلى المعايب الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التى أصلها كلها الوسوسة، و هى سبب الذنوب و المعاصى كلها، و هى من الجن أمكن و أضر، و الشر [5]كله يرجع[5] إلى المصائب و المعايب، ١٥ فقد تضمنت السورة كالفلق استعاذة و مستعاذا به و مستعاذا منه و أمرا بايجاد[6] ذلك، فالأمر: ﴿قل﴾ و الاستعاذة ﴿اعوذ﴾ و المستعاذ به هو

---

(١) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: غيرها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: لشرور. (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: الانس و الجن (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: يرجع كله (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بايجاب.

الله سبحانه و تعالى، لكن لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه أليق بالحماية[1] و الإعانة و الرعاية و الخلق و التدبير و التربية و الإصلاح، المتضمن للقدرة التامة و الرحمة الواسعة، و الإحسان الشامل و العلم الكامل، قال تعالى: ﴿برب الناس ﴾ [أى أعتصم به -[2]] أى أسأله أن يكون عاصما لى من العدو أن يوقعنى فى[3] المهالك، قال الملوى: و الرب من له[4] ٥ ملك الرق و جلب الخيرات[5] من السماء و الأرض و إبقاؤها، و دفع الشرور و رفعها، و النقل من النقص إلى الكمال، و[6] التدبير العام العائد بالحفظ و التتميم على المربوب، و خص الإضافة [7]بالمزلزلين المضطربين[7] فى الأبدان و الأديان من الإنس و الجان لخصوص المستعاذ منه، و هو الأضرار [8]التى تعرض[8] للنفوس العاقلة و تخصها، بخلاف ما فى الفلق فانه[9] ١٠ المضار البدنية التى تعم الإنسان و غيره.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وجه تأخرها عن شقيقتها عموم الأولى و خصوص الثانية، ألاترى عموم قوله "من شر ما خلق" و إبهام

(١) من ظ وم، وفى الأصل: بالجماعة (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم، و فى الأصل: من (٤) زيد فى ظ : رق التمليك (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الخير (٦) زيد فى الأصل وظ : جلب، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٧-٧) من ظ وم، و فى الأصل: بالمضطرين و المزلزلين (٨-٨) من م، و فى الأصل و ظ : المتعرض (٩) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

"ما"، و تنكير "غاسق" و "حاسد". و العهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس و تعريفه و نعته، فبدأ بالعموم ثم أتبع بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه، و أوفى[1] بالمقصود، و نظير هذا في تقديم المعنى الأعم ثم إتباعه بالأخص بتناول الدقائق و الجلائل / ٩٣٠ /

٥ قوله سبحانه و تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم" في معنى الرحمن و[2] معنى الرحيم واحد لا في عموم الصفة الأولى و كونها للمبالغة، و قد تعرض لبيان ذلك المفسرون و لذلك نظائر - انتهى.

و لما كان الرب و الملك متقاربين في المفهوم، و كان الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف و التربية، و كان الملك للقهر و الاستيلاء و إظهار العدل

١٠ ألزم، و كان الرب قد لا يكون ملكا فلا يكون كامل التصرف، اقتضت البلاغة تقديم الأول و إتباعه الثاني، [3]فقال تعالى[3]: ﴿ ملك الناس ۝ ﴾[4] إشارة إلى أن[5] له كمال التصرف و نفوذ القدرة و تمام السلطان، و إليه المفزع و هو المستعان، و المستغاث و الملجأ و المعاد.

و لما كان الملك قد لا يكون إلها، و كانت الإلهية خاصة لا تقبل شركا

١٥ أصلا بخلاف غيرها، أنهى الأمر إليها و جعلت[6] غاية البيان فقال:

(١) من ظ و م، و في الأصل: وافق (٢) من ظ و م، و في الأصل: آو. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من م، و في الأصل و ظ: انه (٦) من م، و في الأصل و ظ: جعل.

﴿إله الناس ۙ﴾ إشارة إلى أنه كما انفرد بربوبيتهم و ملكهم لم يشركه[1] في ذلك أحد، فكذلك هو وحده إلههم لا يشركه في إلهيته أحد، وهذه دائما طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بتوحيدهم له [2]في الربوبية[2] و الملك على ما أنكروه من توحيد الإلهية و العبادة، فمن كان ربهم و ملكهم فهم جديرون بأن لا يتألهوا[3] سواه و لا يستعيذوا بغيره ٥
كما أن أحدهم إذا دهمه أمر استعاذ بوليه من أبناء جنسه واستغاث به، و الإله من ظهر بلطيف صنائعه التي أفادها مفهوم الرب و الملك في قلوب العباد فأحبوه و استأنسوا به و لجأوا إليه في جميع أمورهم، [و بطن -[4]] احتجابا بكبريائه عن أن يحاط به أو بصفة[5] من صفاته أو شيء من أمره، فهابته العباد و دعاهم الحب إلى الوله شوقا إلى لقائه، ١٠
و زجرتهم الهيبة فجزعوا خوفا من طرده لهم عن فنائه، و كرر الاسم[6] الظاهر دون أن يضمر فيقول مثلا: «ملكهم» «إلههم» تحقيقا لهذا المعنى و تقوية له بإعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضي للحاجة عند كل اسم من أسمائه الدال على الكمال المقتضي للغنى المطلق، و دلالة على أنه حقيق بالإعادة قادر عليها لبيان أنه المتصرف فيهم من جميع الجهات، ١٥
و بيانا لشرف الإنسان و مزيد الاعتماد بمزيد البيان، و لئلا يظن أن شيئا من هذه الأسماء يتقيد بما أضيف إليه الذي قبله من ذلك الوجه،

---

(١) من م، و في الأصل: لم يشاركهم، و في ظ: لم يشركهم (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: بالربوبية (٣) في ظ: لا يستألهوا (٤) زيد من ظ وم.
(٥) من ظ و م، و في الأصل: صفة (٦) من ظ و م، و في الأصل: اسم.

لأن الضمير إذا أعيد كان المراد به عين ما عاد إليه، فاشير بالإظهار
إلى أن كل صفة منها عامة غير مقيدة بشيء أصلا، و اندرج / في هذه ٩٣١ /
الاستعاذة جميع وجوه الاستعاذات من جميع [1]وجوه التربية[1] و جميع الوجوه
المنسوبة إلى المستعيذ من جهة أنه في قهر الملك بالضم، و جميع
٥ الوجوه المنسوبة إلى الإلهية لئلا يقع خلل في وجه من تلك الوجوه تنزيلا
لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعارا بعظم الآفة المستعاذ
منها، و لم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة، و المقصود الاستعاذة
بمجموع هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كأنها صفة واحدة،
و قدم الربوبية لعمومها و شمولها لكل مربوب على حد سواء، فلا فعل
١٠ لأحد إلا و هو خلقه سبحانه و تعالى و هو الباعث عليه، و أخر الإلهية
لخصوصها لأن[2] من لم يتقيد[3] بأوامره و نواهيه فقد أخرج[4] نفسه من أن
يجعله إلهه و إن كان في الحقيقة لا إله سواه، و وسط صفة الملك لأن
الملك هو المتصرف بالأمر و النهي، و ملكه لهم تابع لخلقه إياهم فملكه
من كمال ربوبيته، و كونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه
١٥ و تقتضيه، و ملكه يستلزم إلهيته و تقتضيها، و قد اشتملت هذه [5]الإضافات
الثلاث[5] على جميع قواعد الإيمان، و تضمنت معاني أسمائه الحسنى، فان

(١ - ١) من م، و في الأصل و ظ : الوجوه التربية (٢) من ظ و م، و في الأصل : لا (٣) في ظ و م : لم يتعبد (٤) زيد في الأصل : أخر نفسه فقد، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥-٥) في ظ : الأوصاف الثلاثة.

الرب هو القادر الخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الإصلاح و الرحمة و القدرة [1]التى هى[1] معنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال[2]، و الملك هو الآمر الناهى المعز المذل - إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة و الجلال، و أما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال و نعوت [الجلال - [3]]، فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى، فلتضمنها[4] جميع معانى الأسماء كان المستعيذ ٥ جديرا بأن يعوذ، و قد وقع[5] ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الوحدانية، لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة و الباطنة، علم أن له مربيا، فاذا تغلغل فى العروج فى درج معارفه[6] سبحانه و تعالى علم أنه غنى عن الكل، و الكل إليه محتاج[7]، و عن أمره تجرى أمورهم، فيعلم أنه ملكهم، ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق الالهية بلا مشارك [له - [8]] ١٠ فيها، فقد أجمع القراء فى هذه السورة على إسقاط الألف من "ملك" بخلاف الفاتحة كما مضى لأن الملك إذا إضيف إلى "اليوم" أفهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر و عرض، و أنه لا أمر لأحد معه و لا مشاركة / فى شىء من ذلك، و هو معنى الملك - بالضم، و أما إضافة المالك إلى / ٩٣٢ الناس فانها تستلزم أن يكون ملكهم، فلو قرئ به هنا لنقص المعنى، ١٥ و أطبقوا فى آل عمران على إثبات الألف فى المضاف و حذفها من المضاف

(١-١) فى م: الذى هو (٢) من م، و فى الأصل و ظ: الجلال (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل: فيضمنها، و فى ظ: فليضمنها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: من (٦) من ظ و م، و فى الأصل: معانيه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: محتاجون (٨) زيد من م.

إليه لأن المقصود بالسياق أنه سبحانه و تعالى يعطى الملك من يشاء و يمنعه من يشاء، و الملك - بكسر الميم - أليق بهذا المعنى، و أسرار كلام[1] الله سبحانه و تعالى أعظم من أن تحيط بها العقول[2]، و إنما غاية أولى العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراءه، و أن باديه إلى الخافى يشير.

٥ ولما أكمل الاستعاذة [3]من جميع[3] وجوهها التى مدارها الإحسان أو[4] العظمة أو[4] القهر أو[4] الإذعان و التذلل، ذكر المستعاذ منه فقال: ﴿من شر الوسواس ﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، و المراد الموسوس، سمى بفعله مبالغة لأنه صفته التى هو فى غاية الضراوة عليها كما بولغ فى العادل بتسميته بالعدل، و الوسوسة الكلام الخفى: إلقاء المعانى إلى القلب فى خفاء

١٠ و تكرير، كما أن الكلمة الدالة عليها «و س» مكررة، و أصلها صوت الحلى، و حديث النفس، و همس الكلاب، ضوعف لفظه[5] مناسبة لمعناه[6] لأن الموسوس يكرر[7] ما ينفثه[8] فى القلب [و يؤكده فى خفاء -[9]] ليقبل، و مصدره بالكسر كالزلزال كما قال تعالى "و زلزلوا زلزالا شديدا" و كل مضاعف من الزلزلة و الرضرضة معناه متكرر[10]، و الموسوس[11] من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الكلام (٢) من ظ و م، و فى الأصل: العقل (٣-٣) من م، وفى الأصل: بمجموع، وفى ظ: بمجموعها (٤) من م، وفى الأصل وظ «و» (٥) من ظ وم، وفى الأصل: لعظمة (٦) من ظ وم، وفى الأصل: معناه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تكرير (٨) من ظ و م، وفى الأصل: ينفثه (٩) زيد من ظ وم (١٠) من ظ وم، وفى الأصل: متكررا. (١١) زيد فى الأصل: أى الوسوسة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الجن يجرى من ابن آدم مجرى الدم - كما فى الصحيح[1]، فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون أجلى، و لا يزال يزينه و يثير الشهوة الداعية إليه حتى يواقعه الإنسان، فاذا واقعه وسوس لغيره أن فلانا [فعل -[2]] كذا حتى يفضحه بذلك، فاذا افتضح ازداد جرأة على أمثال ذلك لأنه يقول: قد وقع ما كنت أحذره من القالة، فلا يكون شيء غير[3] الذى ٥ كان، و شره[4] التحبيب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه حتى يشاكله فى رذيلة الطبع و ظلمة النفس، فينشأ من ذلك شرور لازمة و متعدية أضرها الكبر و الإعجاب اللذان أهلكا الشيطان، فيوقع الإنسان بها فيما أوقع نفسه فيه، و ينشأ من الكبر الحقد و الحسد يترشح[5] منه بطر[6] الحق - و هو عدم قبوله، و منه الكفر و الفسوق و العصيان، و غمص الناس - ١٠ و هو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان "أنا خير منه" و منه تنشأ الاستهانة بأولياء الله تعالى بترك احترامهم و منع حقوقهم و الاعتداء عليهم و الظلم لهم، و يترشح من الحقد الذى هو العداوة العظيمة إمساك الخير و الإحسان و بسط اللسان و اليد بكل سوء و إيذاء، و يترشح من الحسد / إفساد ذات البين كما يشير إليه "ما نهاكما ربكما عن هذه ١٥ / ٩٢٣ الشجرة" - الآية، و الكذب و المخادعة كما عرف به "و قاسمهما إنى لكما لمن

---

(١) راجع كتاب الخلق و غيره (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل وظ : غيره (٤) زيد فى الأصل وظ : الى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها. (٥) من ظ، وفى الأصل : فيترشح، و فى م : يترسخ (٦) من ظ و م، و فى الأصل : بطريق .

الناصحين فدلاهما بغرور" و يترشح عن الإعجاب التسخط[1] للقضاء و القدر كما آذن به "قال أأسجد لمن خلقت طينا" و مقابلة[2] الأمر بالعلم بما أشعر به "لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال" و استعمال القياس فى مقابلة النص بما هدى إليه "أنا خير منه" - الآية، و استعمال التحسين
٥ و التقبيح بما أفهمه "لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون" و الإذلال و هو الجرأة على المخالفات فينشأ عن ذلك شرور متعدية، و هى السعى فى إفساد العقائد و الأخلاق و الأعمال و الأبدان و الأرزاق، ثم لا يزال يتحبب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه من هذه الخبائث و هو يوافقه فيها حتى تصير له أخلاقا راسخة، فيصير ردئ الطبع
١٠ فلا ينفع فيه العلاج، بل لا يزيده إلا خبثا كابليس، و من كان أصله طيبا و اكتسب ما يخالفه بسبب عارض كان ممكن الإزالة كالعلاج كما وقع لآدم عليه الصلاة و السلام.

و لما كان الملك الأعظم سبحانـــه لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، و كان قد جعل دواء[3] الوسوسة ذكره سبحانه و تعالى، فانه يطرد الشيطان
١٥ و ينير القلب و يصفيه، وصف سبحانه و تعالى فعل الموسوس عند استعمال الدواء إعلاما بأنه شديد العداوة للانسان ليشتد حذره منه و بعده عنه فقال: ﴿الخناس ۝﴾ أى الذى عادته أن يخنس [4]أى يتوارى[4] و يتأخر

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التسح - كذا (٢) من ظ و م، وفى الأصل: مقالة (٣) من م، و فى الأصل و ظ: داء (٤ - ٤) من م، و فى الأصل و ظ: فيتوارى.

و يختفى بعد ظهوره مرة بعد مرة، كلما كان الذكر خنس، و كلما بطل عاد إلى وسواسه، [فالذكر - [1]] له كالمقامع التى تقمع المفسد، فهو شديد النفور منه، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا كما [ورد] عن بعض السلف أن المؤمن ينفى شيطانه كما ينفى الرجل بعيره فى السفر، قال البغوى [2] : له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان، و يقال: رأسه كرأس الحية ٥ واضع رأسه على يمين القلب يحدثه، فاذا ذكر الله خنس، و إذا [3] لم يذكر [3] الله رجع و وضع رأسه - [4] خزاه الله تعالى [4] .

و لما ذكر صفة المستعاذ منـــه، ذكر إبرازه لصفته بالفعل فقال: ﴿ الذى يوسوس ﴾ أى يلقى [5] المعانى الضارة [5] على وجه الخفاء و التكرير بحيث تصل مفاهيمها من غير سماع، و أشار إلى كثرة و سوسته بذكر [6] ١٠ الصدر الذى هو ساحة القلب و مسكنه فقال: ﴿ فى صدور الناس ﴾ أى المضطربين [7] إذا غفلوا عن ذكر ربهم، فانها دهاليز القلوب منها تدخل الواردات إليها، و ذلك كالقوة الوهمية فان العقل يساعد فى / المقدمات ٩٣٤ / [الحقة - [1]] المنتجة للأمر المقطوع به، فاذا وصل الأمر إلى ذلك [8] خنست الواهمة ريثما يفتر [العقل - [1]] عن النتيجة فترة ما، فتأخذ الواهمة ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) نقلا عن قتادة - راجع المعالم ٧/ ٢٦٩، و زيد بعده فى الأصل: و غيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: فتر عن ذكر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: المضار (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التكوين (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المضطرين (٨) زيد فى الأصل: الحال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فى الوسوسة و تقبل [منها -[1]] الطبيعة بما لها بها من مجانسة الظلمة الوهمية، و الناس - قال فى القاموس: يكون من الإنس و من الجن، جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه [أل -[1]] - انتهى، و لعل إطلاقه على هذين المتقابلين بالنظر إلى النوس الذى أصله الاضطراب و التذبذب ٥ فيكون منحوتا من الأصلين: الإنس و النوس، و من ثالث و هو النسيان.

و لما كان الذى يعلّم الإنسان الشر تارة من الجن و أخرى من الإنس، قال مبينا للوسواس تحذيرا من شياطين الإنس كالتحذير من شياطين الجن، مقدما الأهم الأضر، و يجوز أن يكون بيانا لـ "الناس" و لا تعسف فيه لما علم من نقل القاموس: ﴿من الجنة﴾ أى الجن الذين ١٠ فى غاية الشر و التمرد و الخفاء ﴿و الناس ع﴾ أى أهل الاضطراب و الذبذبة[2] سواء كانوا من [3]الإنس أو الجن، فيكون المعنى أن الجن مسلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون على الإنس، فيدخل شيطان الجن فى الجنى [كما يدخل فى الإنسى -[1]] و يوسوس له - قاله[4] البغوى[5] عن الكلبى، و قال: ذكر عن بعض العرب أنه [قال -[1]]: جاء قوم من ١٥ الجن فوقفوا فقيل: من أنتم؟ قالوا[6]: أناس من الجن، قال: و هذا معنى قول الفراء.

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الدمد - كذا.
(٣-٣) فى م: الجن أو الإنس (٤) من م، و فى الأصل و ظ: قال (٥) راجع م، و فى الأصل و ظ: فقالوا.

و قد ختمت السورة بما بدئت به، و المعنى الثانى أوفق برد آخرها
على أولها فانه يكون شرحا للناس الذين أضيفت لهم الصفات العلى،
و الخواطر الواردة على الإنسان قد تكون وسوسة، و قد تكون إلهاما،
و الإلهام تارة يكون من الله بلا واسطة، و تارة يكون بواسطة الملك،
و يكون كل منهما فى القلب، و الوسوسة تارة[1] من الشيطان، و أخرى ٥
من النفس، و كلاهما يكون فى الصدر، فان كان الإنسان مراقبا دفع
عن نفسه الضار، و إلا هجمت الواردات عليه و تمكنت منه و يتميز[2]
خير الخواطر من شرها بقانون الشرع على أن الامر مشكل، فان الشيطان
يجتهد فى التلبيس، فان وافق الشرع فلينظر، فان كان فعله ذلك الحين
أولى من [3]غير تفويت[3] لفضيلة أخرى[4] هى أولى منه [بادر إليه -[5]] و إن ١٠
كان الخاطر دنيويا و أدى الفكر إلى أنه نافع من غير مخالفة للشرع
زاد على شدة تأمله الاستشارة لمن يثق[6] بدينه و عقله، ثم الاستخارة
لاحتمال أن[7] تتوافق عليه العقول، و يكون فيه خلل لتقصير وقع فى النظر،
و قد جعل بعضهم قانون الخاطر الرحمانى أن ينشرح له الصدر[8] و يطمئن

---

(١) زيد فى الأصل: تكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تميز (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ: التفويت (٤) زيدت الواو فى الأصل: و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد و فى الأصل: بقوله و يقول، و تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٨) من ظ، و فى الأصل و م: الصدور.

٩٣٥ / / إليه النفس، و[١] الشيطانى و النفسى أن ينقبض عنده الصدر و تقلق النفس، بشهادة الحديث النبوى فى البر و الإثم، و يعرف الشيطانى بالحمل على مطلق المخالفة، فان الشيطان لاغرض له فى مخالفة بعينها، فاذا حصل الذكر زال ذلك، و النفسانى ملزوم شيء بعينه سواء كان نفعا أو ضرا، ٥ و لا ينصرف عنه بالذكر، و قد يكون الشيطان إنسيا من أزواج و أولاد و معارف، و ربما كان أضر من شيطان الجن، فدواؤه المقاطعة و المجانبة بحسب القدرة، و من أراد قانونا عظيما لمن يصاحب و من يجانب فعليه بآية الكهف "و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه [٢]و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا[٢] و لا تطع ١٠ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا" و كما رجع مقطعها على[٣] مطلعها كذلك كان من المناسبات العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعه، و يلتحم مبدؤه بمرجعه على أحسن وجه، كما تقدم بيان ذلك من سورة قريش إلى هنا سورة سورة، فنظر[٤] هذه السورة إلى الفاتحة و التحامها بها من جهة أن الفاتحة اشتملت ١٥ على ثلاثة أسماء: الله و الرب و الملك، و زادت بكونها أم القرآن بالرحمن الرحيم، لاشتمالها على جميع النعم الظاهرة و الباطنة التى تضمنتها

---

(١) زيد فى الأصل: اما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) ما بين الرقمين فى الأصل و ظ: الى قوله (٣) زيد فى الأصل: موصلها و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و م: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

صفة الربوبية، و سورة الناس على الرب و الملك و الإله الذى هو الأصل[1] فى اسم الجلالة، و اختصت الفاتحة بالاسم الذى لم[2] يقع فيه شركة أصلا، فلما تقرر فى جميع القرآن أنه الإله الحق، و أنه لا شركة لغيره فى الالهية بحق بوجه من الوجوه كما أنه لاشركة فى الاسم الأعظم الذى افتتح به القرآن أصلا بحق و لا بباطل، ختم القرآن الكريم به ٥ معبرا عنه بالإله لوضوح الأمر و انتفاء اللبس بالكلية، و صار الاختتام بما كان به الافتتاح على الوجه الأجلى و الترتيب الأولى، و بقى الاسمان الآخران على نظمهما[3]، فيصير النظم إذا ألصقت آخر الناس بأول الفاتحة « إله ملك رب [الله رب -[4]] رحمن رحيم ملك » إعلاما بأن مسمى الاسم الأعظم هو الإله الحق، و هو الملك الأعظم لأن[5] له الإبداع ١٠ و حسن التربية و الرحمة العامة و الخاصة، و حاصل سورة الناس الاستعاذة بهذا الرب الموصوف من وسوسة الصدر المثمرة[6] للمراقبة كما أن حاصل سورة[7] الفاتحة فراغ السر من الشواغل المقتضى لقصر/ الهمم عليه سبحانه /٩٣٦ و تعالى و البقاء فى[8] حضرته الشماء بقصر البقاء عليه و الحكم بالفناء على ما سواه، و ذلك هو أعلى درجات المراقبة، فاذا أراد الحق إعانة عبد ١٥ حمله على الاستعانة [بالاستعاذة -[4]] فيسر عليه صدق التوكل، فحينئذ يصير

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اصل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: به.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: معظمها (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الثمرة (٧) سقط من م.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: على.

عابدا صادقا فى العبودية فيكون إلهه سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها، و ينبغى أنه كلما زاده سبحانه و تعالى تقريبا ازداد له عبادة حتى ينفك من مكر الشيطان بالموت كما قال تعالى لأقرب خلقه إليه محمد [1] صلى الله عليه وسلم ٥ "و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين" و من نقص من الأعمال شيئا اعتمادا على أنه وصل فقد تزندق، و كان مثله مثل [شخص فى -[2]] بيت مظلم أسرج فيه سراجا فأضاء، فقال: ما أوقدت السراج إلا ليضيء البيت[3] فقد أضاء، فلا حاجة لى الآن إلى السراج، فأطفأه فعاد الظلام كما كان، و قد ندب النبى صلى الله عليه و سلم[1] إلى افتتاح القرآن بعد ١٠ ختمه كما أشار إليه اتصال المعنى بما بينته، و سمى ذلك الحال المرتحل، و كأن القارئ ذكر بالأمر بالاستعاذة إرادة[4] افتتاح قراءته، فكأنه قيل: استعذ يا من ختم القرآن العظيم لتفتتحه، و كأنه لما استعاذ بما أمر به فى هذه السورة قيل له: ثم ما ذا تفعل؟ فقال: أفتتح، أو أنه لما أمر بالاستعاذة قال: ماذا[5] أفعل؟ فقيل: افتتح بسم الله الرحمن الرحيم الذى ١٥ تجب مراقبته عند خواتم الأمور و فواتحها، لأنه لا يكون أمر إلا به، أو أن البسملة مقول القول فى "قل" على سبيل البدل من "أعوذ" أو بدل من "برب الناس" [6]وكأنه[6] أمر بالتعوذ، [و التسمية أمر بالدفع

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المكان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اراد (٥) فى ظ: ما (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: او انه.

و الجلب

و الجلب، و ذلك لأنه لما أمر بهذا التعوذ -[1]] و كان قد قال سبحانه "فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" علم أن المراد ابتداؤه بالقرآن فنسبتها[2] إلى الفاتحه نسبة المعلول إلى علته، فكأنه قيل: استعذ بهذا الرب الأعظم الذى لاملك[3] و إلإله غيره لأن له الحمد، و [هو -[1]] الإحاطة بكل شيء، فهو القادر على كل شيء، فهو القاهر لكل ٥ شيء فيه المعاد و هو الملجأ و المفزع لا إله إلا هو، فان الاسم هو الوصف و المراد به الجنس، فمعنى بسم الله أى بوصفه أو بأوصافه الحسنى، و الحمد هو الثناء بالوصف الجميل، فكأنه قيل: أعوذ برب الناس بأوصافه الحسنى لأن [له -[1]] الحمد و هو جميع الأوصاف الحسنى فان البدء[4] فيه يحتاج إلى قدرة[5]، فله القدرة التامة، أو إلى علم فالعلم صفته، أو كرم فكذلك[6]، ١٠ و الحاصل أنه كأنه[7] [قيل -[1]]: تعوذ به من الشيطان بما له من الاسم الذى لم يسامه فيه أحد لكونه جامعا لجميع الأسماء الحسنى أى الصفات التى لايشوبها نقص خصوصا صفة الرحمة العامة / التى شملتنى أكنافها، / ٩٣٧ و أقامنى اسعافها، ثم الرحمة الخاصة التى أنا أجدر الناس باستمطارها

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: فنسبته (٣) زيد فى الأصل: إلا له: و فى ظ: له، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المبدوا - كذا (٥) زيد فى الأصل: الله تعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فلذلك (٧) من ظ و م، و فى الأصل: كان.

لما عندي من النقص المانع لي منها و المبعد لمن اتبع الحظوظ عنها، فأسأله أن يجعلني من أهلها، و يحملني في الدارين بوصلها، لأكون من أهل رضاه، فلا أعبد إلا إياه، و تلك أن تقرر الاتصال و الالتحام بوجه آخر ظاهر الكمال بديع النظام فتقول : لما قرب التقاء نهاية الدائرة
٥ السورية آخرها بأولها و مفصلها بموصلها اشتد تشاكل الرأسين، فكانت هذه السور الثلاث الأخيرة مشاكلة للثلاث الأولى[1] في المقاصد، و كثرة الفضائل و الفوائد : الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران، و هو وا ... ، و الفلق للبقرة طباقا و وفاقا، فان الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الأمر، فهي للعون بخير الأمر، و الفلق للعوذ[2] من شر الخلق المحصـ
١٠ ـل لكل خير، و في البقرة "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" "يعلمون الناس السحر" - الآيات، "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم" [الآية -[3]]، و الناس للفاتحة، فانه إذا فرغ الصدر الذي هو مسكن القلب الذي هو مركب الروح الذي هو معدن العقل كانت[4] المراقبة. فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس
١٥ بالتوحيد و الإخلاص، ثم الاستعاذة من [5]كل شر[5] ظاهر و من كل سوء باطن للتأهل لتلاوة سورة المراقبة[6] بما دعا إليه الحال المرتحل و ما بعدها

(١) من ظ و م، و في الأصل : للاولى (٢) من ظ و م، و في الأصل : التعوذ.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و في الأصل : كانه (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل : شر كل (٦) زيد في الأصل : بما دعت إليه سورة المراقبة، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

من الكتاب، على غاية من السداد و الصواب، و كأنه اكتفى أولا بالاستعاذة المعروفة كما يكتفى فى أوائل الأمور بأيسر مأمور. فلما ختم الختمة جوزى بتعوذ من القرآن، رقية إلى مقام الإحسان، فاتصل الآخر بالأول أيّ اتصال بلا ارتياب، و اتحد به كل اتحاد - إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب، هذا ما يسره الله من مدلولات نظومها و جملها، بالنسبة ٥ إلى مفهوماتها[1] و عللها، و بقى النظر إلى ما يشير إليه أعداد كلماتها، بلطائف[2] رموزها و إشاراتها، فهى عشرون كلمة توازيها إذا حسبت من أول النبوة سنة عمرة القضاء و هى السابعة من الهجرة، بها تبين[3] الأمن مما وسوس به الشيطان سنة عمرة الحديبية من أجل رؤيا النبى صلى الله عليه و سلم لدخول البيت و الطواف به، فاذا ضممت إليها الضمائر الثلاث ١٠ كانت[4] ثلاثا و عشرين فوازت السنة العاشرة من الهجرة و هى سنة حجة الوداع و هى القاطعة لتأثير وسواس الشيطان الذى كان فى أول السنة الحادية عشرة / عند موت النبى صلى الله عليه و سلم إلى العرب بأمر الردة[5]، فأعاذ الله من شره بهمة الصديق رضى الله تعالى عنه حتى رد الناس إلى الدين و أزال به وسواس[6] الشياطين المفسدين، [فانتظمت كلمة المسلمين - [7]] ١٥

/ ٩٣٨

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مدلولها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بطائف (٣) من م، و فى الأصل و ظ: تين (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كانتا (٥) زيد فى ظ: فستطمت (٦) زيد فى الأصل: الشيطان و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م.

تصديقا لقول النبي صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع «إن الشيطان قد أيس أن يعبد فى جزيرة العرب بعد اليوم» فاذا ضممت إليها كلمات البسملة صارت سبعا و عشرين توازى سنة استحكام أمر عمر بن الخطاب الفاروق رضى الله عنه الذى ما سلك فجا إلا سلك الشيطان فجا غيره،
٥ و ذلك سنة أربع [عشرة -[1]] من الهجرة، هذا بالنظر إلى كلماتها، فان نظرت إليها من جهة الحروف كانت لها أسرار كبرى من جهة أخرى، منها أن كلماتها مع كلمات الفاتحة انتظمت من ستة و عشرين حرفا و هى ما عدا الثاء المثلثة و الزاء و الظاء المعجمة من حروف المعجم التسعة [و العشرين كل واحدة منهما من اثنين و -[2]] عشرين حرفا اشتركتا[3]
١٠ فى ثمانية عشر[4] منها، و اختصت كل [واحدة -[1]] منهما[5] بأربعة: الفاتحة بالحاء و الطاء المهملتين، و الضاد و الغين المعجمتين، و الناس بالجيم و الخاء و الشين المعجمتين[6] و الفاء، و قال ابن ميلق: سقط من الفاتحة سبعة أحرف «ثج خز شظف» - انتهى، فلعل فى ذلك - و الله أعلم - إشارة إلى [أن -[2]] تكامل نزول القرآن من أوله إلى آخره فى عدد
١٥ الحروف التى اشتمل [عليها -[1]] كل من سورتى أوله و آخره من السنين و ذلك اثنان و عشرون، و الثالثة و العشرون سنة القدوم على منزله[7]

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من م، وفى الأصل و ظ: اشتركا. (٤) زيد فى الأصل: حرف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المعجمات (٧) من ظ و م، و فى الأصل: منزه له.

الحي القيوم سبحانه و تعالى ما أعظم شأنه، و أعز سلطانه، و أقوم برهانه.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: و هذا تمام[1] ما أردته[2] من نظم الدرر من تناسب الآى و السور، ترجمان القرآن مبدى مناسبات الفرقان، التفسير الذى لم تسمح الأعصار بمثله، و لا فاض [عليها -[3]] من التفاسير على كثرة أعدادها كصيب وبله، فرغته فى المسودة يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس و سبعين و ثمانمائة، بمسجدى من رحبة[4] باب العيد بالقاهرة المعزية، و كان ابتدائى فيه فى شعبان سنة [إحدى و ستين، فتلك أربع عشرة سنة كاملة، و فرغته فى هذه المبيضة عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة -[5]] اثنتين [و ثمانين -[3]] و ثمانمائة، بمنزلى الملاصق للمدرسة[6] البادرائية من دمشق، فتلك اثنتان و عشرون[7] سنة بعدد سنى النبوة الزاهرة الأنيسة العلية الطاهرة المباركة الزكية، و لولا معونة[8] الله أضحى معدوما، أو ناقصا مخروما، فانى بعد ما توغلت فيه [9]واستقامت[9] لى مبانيه، فوصلت إلى قريب [من -[3]] نصفه، فبالغ [الفضلاء -[3]] فى وصفه

(١) من م، و فى الأصل وظ: آخر (٢) من م، وفى الأصل وظ: اوردته.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: رحمة (٥) زيد من م.
(٦) من م، و فى الأصل و ظ: المدرسة (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: أثنان وسبعون (٨) من ظ و م، و فى الأصل: معرفة (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: فاستقامت.

بحسن سبكه و غزارة معانيه و إحكام رصفه، دب داء الحسد في جماعة
أولى النكد، / و المكر و اللدد، يريدون[١] الرئاسة بالباطل، و كل منهم ٩٣٩ /
من جوهر العلم عاطل، مدّ ليل الجهل فيهم ظلامه، و أثار نقع السفه على
رؤسهم سواده و قتامه، صوبوا سهام الشرور، و الأباطيل و أنواع
٥ الزور، فأكثروا التشنيع بالتشنيع، و التقبيح و التبشيع، و التخطئة و التضليل،
بالنقل من التوراة و الإنجيل، فصنفت في ذلك الأقوال القويمة، في
حكم النقل من الكتب القديمة، بينت فيه أن ذلك سنة مستقيمة، لتأييد
الملة الحنيفية العظيمة، و أخرجت بذلك [نص -[٢]] الشافعي، و كلام
النووي و الرافعي، و استكتبت على الكتاب: العلماء الأنجاب، فكتبوا
١٠ ما أودعته [« مصاعد -[٢]] النظر للاشراف على مقاصد السور» فأطفأ
الله[٣] نارهم[٤]، و أظهر عوارهم، و شهر خزيهم و عارهم، [٥]ثم قاموا[٥] في
بدعة دائم[٦] المعروف، فصنفت فيها القول المعروف، و بينت مخالفتهم
للكتاب و السنة، و وقوعهم في عين الفتنة، و خرقهم لأعظم الجنة،
و صريح [نص -[٢]] الشافعي و نقول العلماء، فكانوا كمن ألقم الحجر[٧]
١٥ أو[٨] ملئ فمه بالماء، ثم قاموا في فتنة ابن الفارض، و كلهم معاند معارض،

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: يرون (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٤) زيد في الأصل و ظ: واظلم به نورهم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من م، و في الأصل و ظ: فقاموا (٦) من م، و في الأصل و ظ: دعا - كذا (٧) في ظ: الحجر (٨) في م «و».

و ألبوا على رعاع الناس، فاشتد شعاع البأس، فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس، و صوّبوا[1] طريق الإلحاد، و بالغوا فى الرفع من أهل الاتحاد، و لجوا بالخصام[2] فى العناد، و أفتوا[3] بمحض الباطل، و بثوا السم القاتل، إلا ناسا قليلا، كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلا، فسألتهم سؤالا، جعلهم ضلالا جهالا، فداولوه فيما بينهم و تناقلوه و عجزوا عن جوابه ٥ بعد أن راموه أشد الروم، و حاولوه فظهر لأكثر الناس حالهم، و اشتهر بينهم ضلالهم، و غيهم الواضح و محالهم، و صنفت فى ذلك عدة[4] مصنفات، بانت فيها مخازيهم و ظهرت المخبآت، منها «صواب الجواب للسائل المرتاب»، و منها «القارض لتكفير ابن الفارض» و منها «تدمير المعارض فى تكفير ابن الفارض» و منها «تنبيه الغبى على تكفير ابن ١٠ عربى» و منها «تحذير [العباد - [5]] من أهل العناد ببدعة[6] الاتحاد» أنفقت فيها عمرا مديدا، و بددوا فيها أوقاتى - بددهم الله تبديدا، و هدد أركانهم و أعضادهم تهديدا، و قرعتهم بالعجز عن الجواب، الكاشف للارتياب، صباحا و مساء، و إعادة و إبداء، فحملهم التقريع، و التوبيخ و التبخيع، على كتابة جواب، لم يخل من ارتجاج و اضطراب[7]، و شك ١٥

(١) من م، و فى الأصل: صبوا، و فى ظ: ضربوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى الخصام (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اتوا (٤) سقط من ظ.
(٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: اهل الالحاد و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، فى الأصل: ارتياب.

و ارتياب، [1]بينت أن[1] جامعه [أخطأ - [2]] فى جميعه الصواب، و كفر[3] فى أربعة مواضع كفرا صريحا، و كذب[4] فى ثمانية فصار [بذلك - [5]] جريحا، بل هالكا طريحا. فأطلت بذلك التقريع، و التوبيخ و التبشيع، فذلت أعناقهم، / و ضعف شقاقهم[6]، و خفى نفاقهم، غير أنه حصل فى كل ٩٤٠/
٥ واحدة من هذه الوقائع، من الشرور و عجائب المقدور، ما غطى ظلامه الشموس الطوالع. و طال الأمر فى ذلك سنين، و عم الكرب حتى كثر الأنين، و التضرع فى الدعاء و الحنين. و ثبّت الله و رزق الصبر و الأناة حتى أكمل هذا الكتاب، على ما تراه من الحسن و الصواب.

و قد قلت مادحا للكتاب المذكور، بما أبان عنه[7] من عجائب
١٠ المقدور، و غرائب الأمور، شارحا لحالى، و حالهم و ظفر آمالى، [و - [2]] خيبة آمالهم من مجزوء الرجز، و ضربه مقطوع، و القافية متواتر مطلق مجرد، مسميا له بـ «كتاب لما»، لأن جل مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض حتى أن كل جملة تكون آخذة بحجزة[8] ما أمامها متصلة بها. و ذلك هو المظهر المقصود من الكلام و سره و لبابه، الذى
١٥ هو [للكلام - [2]] بمنزلة الروح و بيان معانى المفردات، و كل جملة على حيالها بمنزلة الجسد، فالروح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بينتان - كذا (٢) زيد من ظ و م. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كفروا (٤) فى ظ: كفر (٥) زيد من م، وموضعه فى ظ: فى ذلك (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: معجزة.

و يفهم

و يفهم، و يسرى ذهنه فى ميادين التراكيب[1] و يعلم، و «لما» طرف يراد بها ثبوت الثانى مما دخل عليه بثبوت الأول على غاية المكنة بمعنى أنها كالشروط تطلب جملتين[2] يلزم لذلك الملزوم، فتم الكتاب فى هذا النظم بـ «لما» لأنى أكثرت من استعمالها فيه لهذا الغرض:

هـــذا كتاب لما	لم المـعانى لمـــا
غـدت بحور علمـه	تمـــد مـــدا جمـــا
[بشرت من يحسده	بأن يموت غما -[3]]
فان قصدى صالح	جاهـدت فيه الهـما
فربنـــا يـــقبـــله	كيـــفيـــة و كما
فبـالذى أردتـــه	لقـد أحاط علمـا
كابدت فيه زمـنا	من حاسدى ما غما
عـدوا[4] سنين عددا	يسقون قلبى السما
وكم دهـــونى مرة	و كم رمونى سهـــما
و أوسقوا[5] قلبى أذى	و أوســـعونى ذما
و كم بغونى[6] عثرة	فما رأوا لى جرما
و قتروا من قاصدى	همهمـــــة و عزما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التركيب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الجملتين (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عمدوا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: سقوا (٦) من ظ و م. و فى الأصل: بغوا لى.

و أوعدوهم بالأذى و أوهنوهم رجما
ألتى إذا اشتد لظى أذى[1] اذا هم رجما
ألتى إذا الليل دجا و بالبلا ادلهما
إذا هم و ظلمهم بدعوة[2] فى الظلما
/ أستصرخ الله بهم أقول يا اللهما ١/٩٤١ ٥
يا رب إنى جاهد فافرج إلهى الغما
لا ذنب لى عندهم إلا الكتاب لما
جرت ينابيع الهدى منه فصارت يما
صنعته و فى بحو رعلمه ما طما
١٠ و قد علا[3] تركيبه و عاد يحلو نظما
عملته نصيحة لمن يحب العلما
أودعته فرائدا[4] يرقص منه الفهما
تجلو العمى من لطفها و تسمع الأصما
خص نفيس علمها و للأناسى عما
١٥ تنطق من تغنى بها و إن يكونوا[5] بكما
أفعالها جليلة أعيذها بالأسما
سهل ربى أمره علىّ حتى تمّا

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى دعوة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فوائدا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون .

في أربع و عشرة من السنين صما[1]
قال لسان عدها دونك بدرا تما
و ليس يلغى[2] ناقصا يا صاحبي يوما
أعيذه بالمصطفى من شر وغد ذما
و من حسود[3] قد غدا من أجله مهتما ٥
فليس يبغى ذمه إلا بغيضا أعما
كفاه ربي شرهم و زان منه الاسما
و ردّ في تدبيرهم تدميرهم و الغرما
[و ردّهم بغيظهم لما ينالوا غلما - [4]]
و زاده سعادة و لازمته النعما ١٠

قال ذلك منشيه أحوج الخلائق إلى عفو الخالق أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى قائلا : الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا دائما[5] أبدا إلى يوم الدين، و حسبنا الله و نعم الوكيل .

[و كان الفراغ من هذا الجزء على يد أقل عبيد الله و أحوجهم إلى ١٥ لطف الله و عفوه عبد الكريم بن علي بن محمد المحولي الشافعي نزيل بلد

(١) من ظ و م ، و في الأصل : عما (٢) من م ، و في الأصل : يكفى ، و في ظ : يلفى (٣) من ظ ، و في الأصل و م : حسد (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ و م .

الله الحرام - غفر الله له و لوالديه و لمشايخه و للسلمين - . . . بمكة
المشرفة فى يوم السبت المبارك السادوس و العشرين من شهر صفر
الخير سنة أربع و أربعين و تسعمائة ، و قد تجاور سنى الآن خمسة و سبعين
عاما - أسأل الله حسن الخاتمة و الثبات على دين الإسلام و الوفاة بأحد
٥ حرميه بمنه ، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا
دائما أبدا إلى يوم الدين و حسبنا الله و نعم الوكيل -[1]] و لا حول و لا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

/٩٤٢ / و قال بعض تلامذة المصنف و هو العرس خليل بن موسى المقرئ
مادحا[2] للكتاب المذكور المسمى بـ « لما » :

١٠ برهان دين [الله -[3]] أضحى موضحا ... أسـرار قول الله فى القرآن
و أتى بما ترك الورى من بعده ... تمشى الورا أبدا مدى الأزمان
فمن ادعى نسجا عـلى منواله ... فقد ادعى ما ليس فى الإمكان
و إذا المفسر[4] رام يوما أنـه ... بمـثاله يأتى بلا إذعان
قلنـا له فسر و قايس بعد ذا ... و لنا الدليل عليـك بالبرهان

* * *

١٥ و كان الفراغ من نسخ هذا النصف الأخير من الكتاب المسمى بـ « لما »
مناسبات القرآن العظيم على من أنزل عليه أفضل الصلاة و السلام فى

(١) زيدت العبارة المحجوزة من م (٢) زيد فى الأصل : له أى ، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى
الأصل : المضر - كذا (٥) و العبارة من هنا إلى النهاية ساقطة من ظ و م .

الليلة

الليلة الثالثة عشرة من شهر جمادى الأولى من شهور سنة سبع و تسعين و ألف على يد أحقر العباد، و أحوجهم إلى مغفرة ربه الجواد، محمد بن أحمد البدرشيني بلدا، الشافعي مذهبا، مصليا و مسلما على أفضل و أكمل و أجمل خلق الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب و على آله و أصحابه و أزواجه و ذريته و أهل بيته الطيبين الطاهرين صلاة و سلاما دائمين ٥ متلازمين بدوام ملك الله و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و حسبنا الله و نعم الوكيل آمين آمين.

إن تلق عيبا فلا تعجل بسبك لي إني امرؤ لست معصوما من الزلل



خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثانی و العشرین من تفسیر "نظم الدرر فی تناسب الآی و السور" - و به تم الكتاب - للشیخ العلامة برهان الدین أبی الحسن إبراهیم بن عمر البقاعی الشافعی رحمه الله تعالی یوم الاثنین ٦/ ذی الحجة سنة ١٤٠٤ هـ = ٣/ سبتمبر سنة ١٩٨٤ م، تحت إشراف مدیر الدائرة و سكرتیرها صاحب الفضیلة السید شرف الدین أحمد - قاضی المحكمة العلیا سابقا بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولی مهمة تصحیحه و التعلیق علیه مصحح الدائرة أخی الفاضل محمد عمران الأعظمی الأنصاری العمری (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السید الفاضل القاضی محمد عطاء الله النقشبندی القادری (كامل الجامعة النظامیة) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقیحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هـذه الخاتمة - كان الله له و لوالدیه.

و نهائیا نسأل الله مولانا الكریم أن ینفعنا بـه و یوفقنا لما یحبه و یرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلی و نسلم علی من علم فواتح الخیر و خواتمه سیدنا و مولانا محمد و علی آله و صحبه أجمعین، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمین.

المستمسك بحبل الله المتین

المفتی محمد عظیم الدین

رئیس قسم التصحیح بدائرة المعارف العثمانیة